الكافي

الاصول والروضة

لثقة الاسلام ابى جعفر محمد بن يعقوب الكليني

وشرح جامع

للمولى محمد صالح المازندراني

المتوفى ١٠٨١ هـ ، ١٠٨٦ هـ

مع تعاليق علمية للعالم المتبحر

الحاج الميرزا ابو الحسن الشعراني دام ظله

من منشورات

المكتبة الاسلامية

طهران شارع بوذرجمهري

تلفن ٥٢١٩٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا مروّج عقول العارفين بمظاهر كمالك ليلا و نهاراً ، و نشكرك يا مفرّج قلوب السالكين بظواهر جلالك سرّاً وجهاراً ، ونشهد أن لا إله إلا أنت شهادة توجب لنا في مقام قربك مستقراً وقراراً . ونصلّي على سيد أنبيائك وأشرف أوليائك صلاة دائمة مادامت الارض ساكنة والفلك دوّاراً(١).

و بعد فيقول المفتقر إلى رحمة ربّه الغني حسام الدّين محمّد صالح بن أحمد المازندراني : إنّي قد رسمت على جميع أبواب الكافي تعليقات، ورقمت على جميع فنونه تحقيقات ، مع قلّة البضاعة في هذه الصناعة و تشتّت البال و تفرّق الحال فلمّا أردت جمعها و تدوينها خطر ببالي أن أشرح جميع أحاديث هذا الكتاب شرحاً متوسّطاً بين الايجاز والاطناب لأنّ الأحاديث و إن كان بعضها ظاهر الدلالة على المعنى المراد واضح الاشارة على المفهوم المستفاد، لكن قد يوجد فيه من الفرائد النفيسة والفوائد الشريفة مالا يدركه بدء النظر ، ولا يبلغه أوّل الفكر ، كم من لئالي فريدة تؤخذ في الساحل لغفلة الواردين عنها ، و عدم التفات الطالبين إليها، فها أنا أشرع في المقصود بعون الله الملك المعبود مبتدئاً بشرح الخطبة لما فيها من منافع الحكمة .

---

(١) هذا على اعتقاد أن الارض ساكنة وعليه جل القدماء ، لكن في عصرنا هذا لانعرف من جزم بسكون الارض بل أثبتوا لها حركة محورية تدور حول نفسها ، تحدث منها الليل والنهار تسمى بالحركة الوضعية، و حركة انتقالية تدور حول مركز الشمس تحصل منها الفصول الاربعة .

((الأصل)):

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمدلله المحمودلنعمته، المعبودلقدرته ، المطاع في سلطانه، المرهوب »
« لجلاله، المرغوب إليه فيما عنده ، النافذ أمره في جميع خلقه . علا فاستعلى »
« ودنا فتعالى ، و ارتفع فوق كلّ منظر. الذي لابدء لأوّليّته، ولاغاية لأزليّته »
« القائم قبل الأشياء ، والدائم الذي به قوامها ، والقاهر الذي لايؤوده حفظها »
« والقادرالّذي بعظمته تفرّد بالملكوت ، وبقدرته توحّد بالجبروت، وبحكمته »
« أظهر حججه على خلقه، اخترع الأشياء إنشاء، و ابتدعها ابتداء (١) بقدرته »
« وحكمته لامن شيء فيبطل الاختراع ، ولا لعلّة فلا يصحّ الابتداء ، خلق ماشاء »
« كيف شاء متوحّداً بذلك لاظهار حكمته ، و حقيقة ربوبيّته ، لاتضبطه العقول »
« ولاتبلغه الأوهام ، ولاتدركه الأبصار ، ولايحيط به مقدار، عجزت دونه العبارة »
« و كلّت دونه الأبصار، وضلّ فيه تصاريف الصفات احتجب بغير حجاب محجوب »
« و استتر بغير ستر مستور ، عرف بغير رؤية ، ووصف بغير صورة ، و نعت بغير »
« جسم، لاإله إلاّ الله الكبير المتعال » .

((الشرح)):

إبتدأ باسمه الحميد مقتدياً بالسلف و بالقرآن المجيد و معتمداً بما قاله سيّدالبشر « كلّ أمر ذي بال لم يبدء فيه باسم الله فهوأبتر » و في ذكر الاسم إيماء إلى أنّ المراد بهذه الأسماء الشريفة المسمّيات و أنّ الاستعانة في الاستفاضة وقعت بأسمائها ، لأنّ لتلك الأسماء من الشرف والكمال مالا يعرف قدره

---

(١) كذا في جميع النسخ و سيأتي في باب النهي عن الجسم و الصورة من كتاب التوحيد تحت رقم ٣ عن أبي الحسن الرضا «ع» هذه الجملة الى قوله «الكبير المتعال» و فيه هكذا «فاطر الاشياء انشاء و مبتدعها ابتداعاً» بالعين المهملة .

الغوّاصون في بحار آثارها والوصّافون بشرح منافعها وأسرارها، على أنّ الاستعانة بالاسم تدلّ على الاستعانة بالمسمّى قطعاً دون العكس، وإنّما خصّ هذه الأسماء بالذكر لأنّها أصل لأصول الفيض عاجلاً وآجلاً . ومبدئاً بحصول الرّجاء ظاهراً و باطناً .

(الحمدلله) اختلفوا في تحديد الحمد والأحسن ما ذهب إليه بعض المحقّقين من الصوفيّة و مال إليه المحقّق الشريف العلاّمة الدواني ، وهو أنّ الحمد إظهار صفات الكمال بالقول أو بالفعل ، والثاني أقوى من الأوّل لأنّ الأفعال الّتي هي آثار السخاوة مثلاً تدلّ عليها دلالة عقليّة قطعيّة لايتصوّر فيها التخلّف بخلاف الأقوال فانّ دلالتها عليها وضعية وقد يتخلّف عنها مدلولها ، وعلى هذا كان حمده تعالى على ذاته حمداً على سبيل الحقيقة ، بل هو من أفضل أفراده لأنّه تعالى كشف عن صفات كماله ببسط بساط الوجود على ممكنات لاتحصى ، و وضع عليها موائد كرمه الّتي لاتتناهى ، إذ كلّ ذرّة من ذرات الوجود تدلّ عليها ، ولا يتصوّر في العبارات مثل هذه الدّلالات . و ماشتهر من أنّ الحمد في اللّغة الثناء باللّسان على الجميل ، و في العرف أعمّ منه و من عقد الجنان و فعل الأركان ، فهو باعتبار أنّ هذه الأمور من الأفراد الشايعة لذلك المفهوم لا أنّ الحمد مختصّ بها كما فهمه الأكثر وحكموا بأنّ حمده تعالى على ذاته مجاز. واللام في «الحمد» للجنس أوالاستغراق وفي «لله» للاختصاص يعني أنّ جنس الحمد أو جميع أفراده مختصّ به سبحانه و بينهما تلازم ، و صحّ ذلك لأنّه تعالى مبدء كلّ كمال و مرجع كلّ جلال .

(المحمود بنعمته) للحمد أركان أربعة : الحامد ، والمحمود ، و المحمود به والمحمود عليه . والأوّلان قد يتّحدان بالذّات كحمده تعالى على ذاته ، و قد يتغايران كحمدنا له تعالى ، و كذا الأخيران كحمده تعالى بالنعمة لأجلها . و حمده بالعام لأجل إنعامه . إذا عرفت هذا فنقول : النعمة في قوله : « بنعمته » إمّا محمود عليها إن كانت الباء سبباً للحمد، أومحمود بها إن كانت صلة له ، ولايلزم

من الحمد بها أن يكون الحمد لأجلها لجواز أن يكون لأجل غيرها ، كما إذا حمدت زيداً بالشجاعة لأجل سخاوته . و في بعض النسخ « لنعمته » باللام و هو يؤيّد الأوّل كما يؤيّده نظيره في القرينة الثالثة. لايقال لايصحّ جعل الحمد للنعمة علّة للحمد على ما يقتضيه قاعده التعليق بالوصف لأنّه من باب تعليل الشيء بنفسه لأنّا نقول : على تقدير اطّراد تلك القاعدة الحمد لأجل النعمة بمنزلة العلّة الغائيّة لجنس الحمد فيصحّ أن يجعل علّة له وإنّما ابتدأ بعد التسمية بالحمد لحفظ ما أدرك من آلائه ، و جلب ما يترقّب من نعمائه ، مع أنّه من أفضل الطاعات وأكمل العبادات إذ الحامد يلاحظ جماله وجلاله ويراعي إحسانه وإفضاله فيكون ذلك سبباً لمزيد امتنانه حالاً ورضوانه مآلاً .

(المعبود لقدرته) قدّم الحمد للنعمة على الحمد للقدرة مع أنّ القدرة من الصفات الذاتيّة الّتي هي أجدر بالثناء عليها لأنّ النعمة قد وصلت إلى الحامد بخلاف القدرة فانّ الواصل إليه إنّما هو أثرها ، فالنعمة أولى بالحمد لها بهذا الاعتبار ولقد أحسن في جعل النعمة سبباً لمحموديّته والقدرة سبباً لمعبوديّته ، لأنّ نعمته الواصلة إلى الغير توجب الحمد من حيث هو وقدرته على جميع الممكنات توجب العبادة والتذلّل لله تعالى .

(المطاع في سلطانه) السلطان التسلّط والقهر أو الحجّة و البرهان و قد فسّر بهما قوله تعالى : « فقد جعلنا لوليّه سلطاناً » والله سبحانه مطاع بالمعنيين لكونه قاهراً على جميع الممكنات فيطيعه كلّ ما كان في عنقه ربقة الامكان و ينقاد له كلّ من احتجب عن الحسّ أو يشار إليه بالبنان ، لايقدر شيءٌ أن يتجاوز عن حدّه المقدّر و كماله المقرّر بالأمر المبرم والقضاء المحكم ، و غالباً على جميع المخلوقات بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة فلايتمكن أحدٌ أن يردّ حجّته و برهانه و يمنع دليله و فرقانه ، و لفظ «في» إمّا المظرفيّة أو للسببيّة والثاني أولى بالنظر إلى السابق واللاّحق ، و استعمالها فيه شايع حتّى قيل : إنّها حقيقة فيه .

(المرهوب لجلاله) قال في المغرب رهبه: خافه رهبة، والله مرهوب ، ومنه

« لبيك مرهوب ومرغوب إليك » ويفهم منه أنّ مرهوباً متعدّ بنفسه ، والذي يفهم من كلام ابن الأثير في النهاية أنّه متعدّ بمن ، و على هذا حذف «من» للاقتصار كما هو المتعارف ، واللاّم للتعليل لأنّ من عرف عظمته و جلاله ولاحظ غناءعن الخلق و كماله و علم أنّ كلّ موجود بأسره مقهور تحت حكمه و أمره ، و هو يتصرّف فيه مايشاء كيف يشاء ، ويحكم ما يريد كيف يريد، ولايُسئل ، حصلت له بذلك رهبة و خوف يتحيّر فيه العقول حيث رأى نفسه عارية عن الاختيار في الردّ والقبول كما هو المعروف من أحوال الأنبياء والصلحاء و به يظهر سرّ قوله تعالى : « إنّما يخشى الله من عباده العلماء » .

(المرغوب إليه فيما عنده) من النعم الدّنيويّة والأُخرويّة جليّها وخفيّها يقال : رغب فيه و إليه إذا أراده و طمع فيه و حرص عليه . والرّغبة السؤال والطلب ، و إنّما عقّب بالرّهبة الرّغبة للتنبيه على وجوب مقارنتهما في التحقّق، إذ لاخير في رهبة بلارغبة ، ولا في رغبة بلارهبة ، بل وجب تقارنهما و تساويهما كمادلّ عليه بعض الأخبار و يرشد إليه قوله تعالى في وصف الأنبياء والأولياء « إنّهم يسارعون في الخيرات و يدعوننا رغباً و رهباً و كانوا لنا خاشعين » و قوله تعالى : « و ادعوه خوفاً و طمعاً إنّ رحمة الله قريب من المحسنين » و إنّما ترك سبب الرّغبة للاشارة إلى أنّ ذاته بذاته هو الجواد المطلق ، فلا حاجة في بسط الرّجاء إلى ملاحظة شيء آخر غير ذاته أولاندراج سببها تحت سبب الرّهبة لأنّ جلالته المطلقة كمايكون بالقهر و الغلبة على ماعداه ممّن اتّصف بسمة الامكان كذلك يكون بالرّحمة واللّطف والاحسان إذ لولا الثاني لكانت عظمته و جلالته مقيّدة بوجه من الوجوه فحينئذ تقول من ملاحظة الأوّل تحصل الرهبة و من ملاحظة الثاني تحصل الرّغبة ، ولايجوز ملاحظة أحدهما وحده ، لأنّه يستلزم القنوط أو الجرأة و كلاهما مذموم ، أو تقول في كلّ واحد من الأوّل و الثاني تحصل الرّهبة والرغبة جميعاً أمّا في الأوّل فلأنّ لطفه مستور في قهره فمن حيث القهر تحصل الرّهبة و من حيث اللّطف تحصل الرغبة ، و إليه يشير قوله تعالى : « و إذامسّكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلاّ إيّاه » و أمّافي الثاني

فلان" قهره مستور في لطفه و إحسانه لاحتمال أن يكون ذلك على سبيل الاستدراج و إليه يشير قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: «ليبلوني أأشكر أم أكفر» وقوله تعالى : «ولئن شكرتم لأزيدنّكم و لئن كفرتم إنّ عذابي لشديد» و بالجملة هو مرهوب و مرغوب إليه دائماً ، والعبد راغب و راهب في جميع الأحوال وإليه يشير قول أمير المؤمنين عليه السلام «هو المأمول مع النقم والمرهوب مع النعم» (١) .

(النافذ أمره في جميع خلقه) أي أمر التكوين ، أو أمر الافناء والاعدام ، أو حكم القضاء، أو أمر التشريع بارادة لازمة من الثواب والعقاب دون ظاهره بأنّه متعلّق بالثقلين منهم من أطاعه و منهم من عصاه .

(علا فاستعلى) الاستعلاء هنا لزيادة المبالغة أي علا في رتبته عن رتبة المخلوقين ، فاستعلى عن التشبّه بصفاتهم ، والتفريع ظاهر" لأنّ الأوّل مستلزم للثاني ، و إن أردت زيادة توضيح فنقول : العلوّ يطلق بالاشتراك على معان ثلاثة :

الأوّل الحسّي كالعلوّ بحسب المكان . الثاني التخيّلي كعلوّ الملك على رعيته . والثالث العقلي كعلوّ السبب على المسبّب . والأوّل محال في حقّه تعالى لاستحالة كونه في المكان ، و كذا الثاني لتنزهه عن الكمالات الخياليّة إذ هي إضافيّة تتغيّر وتدرك بحسب الأشخاص والأوقات ، ولاشيء من كماله كذلك فبقي أن يكون عقليّاً مطلقاً بمعنى أنّه لارتبة تساوي رتبته ، بيان ذلك : أنّ أعلى مراتب الكمال العقلي" هو مرتبة العلّيّة ولما كان ذاته المقدسة هي مبدءُ كلّ موجود حسّي و عقلي وعلّته الّتي لايتصوّر فيها النقصان بوجه من الوجوه لاجرم كانت مرتبته أعلى المراتب العقليّة على الاطلاق و له العلوّ في الوجود العاري عن الاضافة إلى شيء ، و عن إمكان أن يكون في مرتبته أوفوق مرتبته شيء ومن كان كذلك فهو منزّه عن التشبّه بصفات خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

---

(١) هذا الكلام مروى عنه «ع» فى كتاب نهج البلاغة فى خطبة له «ع» تحت رقم ٦٢ أوله «الحمد لله الذى لم يسبق له حال حالا» و فيه هكذا «المأمول مع النقم والمرجو من النعم» .

(دنا فتعالى) أي قرب من كلّ شيء من كلّ وجه بحيث لايكون شيء أقرب منه فتعالى أن يكون في مكان أو زمان أو مدركاً بالبصر أو بغيره من الحواسّ ، والتفريع أيضاً ظاهر لأنّ الزّماني والمكاني والمدرك بالحواسّ يمتنع أن يكون قريباً من كلّ شيء لظهور أنّ قربه من أحد مستلزم لبعده عن الآخر ، ثمّ الدنوّ يطلق على معان ثلاثة و مقابلة لمعاني العلوّ ولايجوز أن يراد هنا شيء منها ، و يطلق على معنى رابع في مثل قولك فلانٌ أدنى إلى فلان إذا كان مطلعاً على أحواله أكثر من غيره و هوالمراد هنا ، فدنوّه في قربه إذن بحسب علمه الّذي لايعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء ولاأصغرمن ذلك ولاأكبر ، فهو أدنى من كلّ دان ، و أقرب من كلّ قريب بهذا الاعتبار ، كما قال سبحانه : « و نحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

(و ارتفع فوق كلّ منظر) الظرف حال من فاعل « ارتفع » . و يجوز أن يراد بالمنظر العلّة لأنّ نظر المعلول إليها، يعني أنّه فوق كلّ علّة لأنّ إليه نظر جميع الكائنات وانتهاء سلسلة جميع الممكنات ، وأن يراد به المدرك بالعقل يعني أنّه فوق كلّ ما أدرك العقل لأنّ كلّ ما أدركه العقل فهو صورة ومثال يمتنع أن يقال : إنّه هو ، و يحتمل أن يكون هذا الكلام على سبيل التمثيل والله أعلم.

(لا بدء لأوّليّته) لاستحالة الحدوث عليه. (ولاغاية لأزليّته) لاستحالة العدم عليه. (القائم قبل الأشياء) أي قبل كلّ واحد منها لأنّه كان ولم يكن معه شيء ثمّ أحدثه بمجرّد حكمته فهومتفرّد بالقدم ، و فيه ردّ على بعض الفلاسفة ، وليس المراد بالقبليّة القبليّة الزّمانيّة حتّى يلزم أن يكون في زمان و أن لا يكون متقدّماً عليه،لأنّ القبليّةالزّمانيّة إنّما يكون في الزّمانيّات كمابيّن في موضعه والله سبحانه ليس بزمانيّ .

(والدّائم الّذي به قوامها) قوام الشيء ـ بالكسر ـ : نظامه ، وتقديم الظرف للحصر ؛ وفيه ردّ على من أسند نظام هذا العالم إلى غيره كالدّهرية والمبتدعة من

الفلاسفة و أضرابهم .

(والقاهر الذي لايؤوده حفظها) آدني الحمل يؤودني أوداً ، أي أثقلني ، وأنا مؤود مثال مقول. يعني لايثقله ولايتعبه حفظه للأشياء مثل السماوات والأرضين وما فيهما وما بينهما لأنّ فعلهسبحانه بمجرّد الارادة والمشيئة ولا يحتاج فيه إلى استعمال الآلات وتحريك الجوارح كما يحتاج إليهما أصحاب الصنايع فلا مدافع له في فعله أصلا فلايلحقه الانفعال ، ولايعرض له الثقل والتعب والكلال . تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً .

(والقادر الّذي بعظمته تفرّد بالملكوت ، وبقدرته توحّد بالجبروت)القادر من أسمائه تعالى ومعناه المتمكّن من جميع الأشياء بحيث لاتطيق شيءٌ منها الامتناع عن مراده ولايستطيع الإباء عن إصداره و إيراده و له في هذا النحو من التمكّن وصفان: الأوّل الكبرياء والعظمة ، والثاني القدرة التامّة ، و« الملكوت» فعلوت من الملك -بالكسر- و هو الموضع كالمملكة و خصّ بعد الزيادة بملك الله تعالى سواء كان من عالم المجرّدات والمفارقات أو من عالم الجسمانيّات والمقارنات ، و لو اجتمع الملك و الملكوت كما في قولهم « ياذا الملك و الملكوت » يراد بالملك الجسمانيات وبالملكوت المجرّدات . « والجبروت» من الجبر وهو إغناء رجل من فقر ونحوه أوإصلاح عظمه من كسر ونحوه ، ومنه الجبّار من أسمائه تعالى لأنّه يغني من يشاء متى يشاء و يجبر مفاقر الخلق ويكفيهم أسباب المعاش والرّزق و يصلح نقائص حقائق الممكنات بإفاضة الوجود ومايتبعه من الخيرات والكمالات و هو أيضاً خصّ بعد الزّيادة بالله سبحانه. والمقصود أنّه تعالى شأنه بالوصف الأوّل تفرّد بمالكيّة جميع الأشياء من الممكنات المجرّدة والمادّية لأنّ العظمة المطلقة مقتضية لعدم المشاركة ، و أمّا المالك غيره فانّما هو مالك بالاضافة و له عظمة بالاضافة ، وهي عند ذاتها ليست عظمة بل هي عجز و قصور و بالوصف الثاني تفرّد بايجاد الممكنات و إصلاحها و تكميلها بافاضة ما يليق بها من الكمالات و إفنائها متى يشاء ، من غير معارض ولامدافع لأنّ القدرة الكاملة الإلهيّة توجب

عدم مشاركة الغير معه في شيء من ذلك فكلّ شيء مملوك له منقاد لامره ، وكلّ كامل مستكمل به مفتقر إليه، وهوالغني الحميد .

(و بحكمته أظهر حججه على خلقه) الحكمة العلم والاتقان ؛ والله سبحانه حكيم لأنّه عالم بحقائق الأشياء متقن بخلقها بلطف التدبير وحسن التصوير والتقدير. و « الحجج » جمع الحجّة و المراد بها هنا البرهان ، يعني أنّه سبحانه بحكمته البالغة أظهر براهين وجوده و وحدته و قدرته و ساير كماله على خلقه بايجاد الممكنات وتصوير المخلوقات على النظام المشاهد، ويحتمل أن يراد باظهار الحجج نصب الأنبياء والأوصياء إلاّ أنّه يوجب التكرار فيما سيأتي .

(اخترع الأشياء إنشاء وابتدعها ابتداء بقدرته وحكمته) لاأجد لأهل اللّغة فرقاً بين الاختراع والابتداء . قال الجوهريّ : « ابتدعت الشيء اخترعته لاعلى مثال » ولا بين الانشاء والابتداء قال : « أنشأ يفعل كذا ابتدأه » لكن الظاهر من كلام المصنّف أنّ الاختراع هو الايجاد لامن شيء والابتداء هو الايجاد لا من علّة كما ستعرفه . و قيل : الانشاء هو الايجاد الّذي لم يسبق غير الموجد إلى إيجاد مثله ، والابتداء هو الايجاد الذي لم يوجد الموجد قبله مثله . و قوله : « إنشاء » و «ابتداء » مفعول مطلق من باب جلست قعوداً لتأكيد الفعلين . أوتمييز لنسبتهما إليه ، و قوله : «بقدرته وحكمته» متعلق بالفعلين على الترتيب المذكور أوبكلّ واحد منهما .

(لامن شيء فيبطل الاختراع) يعني اخترع الأشياء بقدرته لاعن أصل ومثال ، إذ لو أوجدها عن مثال لبطل الاختراع لأنّه في ايجاد ذلك المثال يحتاج إلى مثال آخر و هكذا ، و بطلان الاختراع يستلزم عدم القدرة على وجه الكمال كما يشاهد في الكاتب المحتاج في كتابته إلى أصل منتسخ فانه بدون ذلك الأصل عاجز عن الكتابة .

(ولا لعلّة فلا يصحّ الابتداع) يعني ابتدع الأشياء لالعلّة ماديّة أولا لعلّة فاعليّة متوسّطة بينه وبينها وإلاّ لبطل معنى الابتداع ، لأنّا ننقل الكلام إليهما

فيتسلسل ، أولا لعلّة غائيّة تعود إليه وإلاّ لكان ناقصاً في ذاته وصفاته والناقص لايخترع شيئاً من غير حاجة إلى شيء أصلا. وقيل : لاالعلّةغائيّة(١) ، ويكون هذا إشارة إلى نفي الغرض والعلّة الغائيّة عن فعله تعالى بالكلّية كما ذهب إليه طائفة وإلاّ لكان ناقصاًفي فاعليّته مستكملا فيهابذلك الغرض والناقص لايصلح للاختراع، أمّا الشرطيّةفلأنّ الغرض يجب أن يكون أصلح للفاعل من عدمه إذ ما استوى وجوده وعدمه بالنظر إليه أو كان عدمه راجحاًلايكون باعثاًعلى الفعل بالضرورة، فكلّما كان غرضاً وجب أن يكون وجوده أصلح للفاعل و أليق به و هو معنى الكمال ، فإذن يكون الفاعل مستكملا به ناقصاً بدونه .

أقول : الغرض عائد إلى الغير و وجوده و عدمه سواء بالنظر إليه سبحانه لتنزّهه عن عودالمنفعة أوالمضرّة إليه، وعدم كونه حينئذ باعثاً على الفعل ممنوع، و دعوى الضرورة في محلّ النزاع لايجدي نفعاً ، والمسألة محلّها علم الكلام .

(خلق ماشاء كيف شاء) يعني أنّه خلق الأشياء على الوزن والتقدير والأحوال اللائقة بها لمشيئته وإرادته ، لابالايجاب، ولابتحريك الآلة والجوارح، ولابتوسّط اللّفظ والصوت لأنّ ذلك من خواصّ الجسم والجسمانيات .

(متوحّداً بذلك) بالنصب على أنّه حال من فاعل خلق ، يعني خلق ماشاء حال كونه متوحّداً بالذّات والصفات بخلقه وإيجاده، غير مستعين أصلا لابذات آخر ولابصفات زائدة عليه وإلاّ لكان ناقصاً لاحتياجه في الايجاد إلى الغير .

(لإظهار حكمته و حقيقة ربوبيّته) يعني خلق ماشاء على النظام العجيب والصنع الغريب الذي يتحيّر فيه عقول العقلاء و فحول العلماء لإظهار علمه وحكمته و حقيقة ربوبيّته الّتي كانت في مكمن الخفاء كما قال : « كنت كنزاً مخفياً

---

(١) لايخفى ان الغرض في اصطلاح الحكماء شيء، والعلة الغائية شيء آخر وانهم نفوا الغرض في فعله تعالى ولم ينفوا العلة الغائية والشارح ـ رحمه الله ـ خلط بينهما وزعم انهما واحد ومايأتي من قوله «خلق ماشاء كيف شاء متوحداً بذلك لاظهار حكمته وحقيقة ربوبيته» يدل على ان غايته في فعله اظهار الحكمة فلا يناسبه نفي العلة الغائية هنا مطلقاً، فان كمال ذاته غاية لافعاله تعالى .

فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف(١).

(لاتضبطه العقول) أي لاتضبط شرح حقيقة ذاته ولاماله من كمال صفاته عقول العارفين ، لأنّه تعالى في علوّ الذات و ارتفاع الصفات إلى حيث يقف دون بلوغه عقول أهل العرفان و أذهان أهل الايقان ؛ و إنّما يعرفونه بنحو خاصّ من المعرفة اليقينيّة الّتي هي غاية الوسع للعقول البشريّة ، و لأنّه لاحدّ لحقيقته لأنّه بريء عن أنحاء التركيب الخارجيّة والعقليّة فهي منزّهة(٢) عن اطلاع العقول عليها ، ولا نهاية لصفاته يقف عندها تقدّرها ، فلايكون العقول محيطة ضابطة إيّاها.

(ولا تبلغه الأوهام) لأنّه تعالى ليس بمحسوس والوهم لاينال الاّ المحسوسات.

(ولا تدركه الأبصار) لأنّ البصر إنّما يدرك اللّون والضوء و ما تتبعهامن الجسمانيّات والله سبحانه منزّه عن الجسميّة ولواحقها .

(ولا يحيط به مقدار) لأنّ المقدار من لواحق الجسميّة و أيضاً ما يقبله يقبل التحيّز والقسمة والزّياده والنقصان ولايجري شيء من ذلك عليه سبحانه.

(عجزت دونه العبارة، و كلّت دونه الأبصار) « دون » ظرف نقيض «فوق» و هو يقصر عن الغاية ، والكلال الأعياء. يقال : كلّت العين إذا أعيت عن الادراك و عجزت عنه ، و « الأبصار » بالفتح جمع البصر يعني عجزت قبل بلوغ صفاته عبارة الواصفين، وأعيت قبل بلوغ ذاته أبصار الناظرين، كما أشار إليهما في الصحيفة السجّادية على صاحبها أفضل الصلوات وأكمل التحيّات « الّذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين ، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين» .

(و ضلّ فيه تصاريف الصفات) ضلّ الشيء يضلّ : ضاع ، و الضلال ضدّ الرّشاد ، والمعنى ضلّ في طريق صفاته الحقّة تصاريف صفات الواصفين، و أنحاء تعبيرات العارفين ، يعني أنّهم و إن بالغوا في التوصيف (٣) و انتقلوا من صفة إلى

(١) هذا ينافي ماسبق من كون أفعاله تعالى غير معللة بالعلة الغائية مطلقاً او كونها معللة باغراض تعود الى الغير كمالا يخفى .

(٢) الضمير راجع الى « حقيقته » .

(٣) لم يجيء في اللغة وصفه من باب التفعيل. والظاهر أنه غلط مشهور.

ما هو أشرف و أعظم عندهم ، لم يصفوه بما هو وصفه ، ولم ينعتوه بما هو حقّه ، ولم ينالوا حقيقة صفاته على وجه يليق بذاته. و ذلك لأنّ تصاريف الصفات والنقل من بعضها إلى بعض إنّما هو من خواصّ الممكنات التي يتصوّر فيها الزّيادة والنقصان والله سبحانه منزّه عنها . و أيضاً لسان التعبير إنّما يخبر عمّا في الضمير ، و كلّ ما هو في الضمير مخلوق مثله كما دلّ عليه قوله : «كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مصنوع مثلكم مردود إليكم ، و قال بعض العارفين :

هرچه پيش تو بيش از آن ره نيست غايت وهم تو است الله نيست

لايقال: إذا كان الأمر كذلك لم يكن ثناؤه مقدوراً لنا فكيف وقع التكليف به ؟ لأنّا نقول : لم يقع التكليف بمعرفة كنه الصفات الكماليّة والثناء بها لأنّ ذلك محال بل التكليف إنّما وقع بالثناء عليها بمفهومات كلّيّة حاصلة في الذّهن صادقة عليها ، فتلك الصفات الكماليّة إنّما هي معقولة بعنوانات هي مفهوماتها و معبّر عنها بهذه المفهومات والعنوانات لا بالكنه ، و إدراكها بالكنه مختصّ به سبحانه. ولذلك قال ﷺ : «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك(١)» أو المعنى ضلّ في الوصول إلى منتهى بسيط بساط ثنائه و إحصائه أقدام تصاريف صفات الواصفين لأنّها كلّما بلغت مرتبة من مراتب المدح والتكريم كان وراءها أطوار من استحقاق الثناء والتعظيم. وانطباق الحديث المذكور عليه ظاهر .

(احتجب بغير حجاب محجوب و استتر بغير ستر مستور) أي احتجب عن العقول و استتر عن الأبصار والحجب لغة : المنع، ومنه حاجب العين لأنّه يمنعها من الأذى ، و حاجب الملك لأنّه يمنعه من الناس والخلق ممنوعون من إدراك ذاته سبحانه عيناً وعقلاً، ويسمّى ذلك المنع حجاباً وستراً ، ثمّ الحجاب والستر بهذا المعنى ليسا وصفين لأمر حائل بين العقول والأبصار و بين ذات الباري لأنّ ذلك الحائل إمّا حسّي كالأجسام الحائلة بين الرائي والمرئي أو عقليّ كالعوائق الواسطة بين الصور العقليّة والعقول ، والحجب الحسيّة إنّما تحجب الجسم و

(١) رواه مسلم في صحيحه ج٢ ص ٥١ و ابوداود ج١ ص ٢٠٣ .

الجسمانيّات المحدودة المستترة بها ، والحجب العقليّة إنّما تحجب الصور ؛ والله تعالى شأنه ليس بجسم ولاجسمانيّ و لا صورة ، و إلى نفي هذين النوعين من الحجاب أشار بقوله « بغير حجاب محجوب » و « بغير ستر مستور » لدفع توهّم أنّ الاحتجاب والاستتار هنا كما في أكثر الموجودات بالحجاب والساتر ، وهذا التركيب يحتمل وجهين : الأوّل أن يكون « محجوب » خبر مبتدأ محذوف والجار والمجرور متعلّق به أي هو محجوب بغير حجاب بالمعنى المتعارف في أكثر الموجودات ، والجملة مستأنفة لدفع ذلك التوهّم الناشيء من قوله : « احتجب ». الثاني أن يكون مضافاً إليه والاضافة بتقدير اللاّم والنفي راجع إلى الحجاب والمقصود أنّ حجابه ليس بالمعنى المتعارف بل لتعاليه عن إدراك القوّة البشريّة إيّاه و هذا الاحتمال بعيد جدّاً ، ويخطر بالبال أيضاً معنى آخر لهذا الكلام و ظنّي أنّه أولى بالارادة منه و هو أنّه لمّا قال : « احتجب » توهّم منه أنّ حجابه غليظ ثخين كثيف مانع من إدراك وجوده وصفاته تعالى شأنه بالكلّية فدفع ذلك التوهّم بقوله : « بغير حجاب محجوب » صفة لحجاب والمقصود أنّ احتجابه ليس بحجاب محجوب بحجاب آخر بأن يكون غليظاً أو يكون بعضه فوق بعض آخر مانعاً من مشاهدته نظير ذلك قوله تعالى : « حجاباً مستوراً » قال الجوهري في تفسيره أي حجاباً على حجاب ، والاوّل مستور بالثاني يراد بذلك كثافة الحجاب . وهذا المعنى رقمته في سالف الزّمان و رأيت الآن حين التحرير أنّه سبقني إليه سيّد الحكماء الإلهيّين (١) حيث قال : هذا من باب « حجاباً مستوراً » أي حجاباً على حجاب .

(عرف بغير رويّة) « عرف » مبنيّ للمفعول ، الرّويّة ـ بفتح الراء و كسر الواو و شدّ الياء ـ التفكّر والنظر يعني عرف وجوده من غير نظر و استدلال لأنّه بديهيّ كما صرّح به بعض المحقّقين ، أو لأنّ الاستدلال لايفيد معرفته بخصوصه لأنّ اللمّيّ غير ممكن ، أو ليس له علّة والانّيّ لايفيد لأنّه استدلال من الأثر و الأثر لايفيد إلاّ مؤثّراً ما على وجه كلّي لا مؤثّراً معيّناً ، فمعرفته بالحقيقة ليست إلاّ

(١) يعني السيد الداماد ـ رحمه الله ـ .

بالمشاهدة الحضوريّة كما هي لبعض الكاملين، و في بعض النسخ «رؤية» بضم الراء والهمزة الساكنة يعني عرف بغير إبصار كماقال سبحانه: «لاتدركه الأبصار» و هو تأكيد للسابق.

(وَ وصف، بغير صورة) أي وصف بغير صفة فانّه وصف بأنّه قادر بغير قدرة قائمة بذاته و كذلك وصف بأنّه سميع بصير عالم حكيم لطيف خبير إلى غير ذلك، وليس هناك صورة و صفات زائدة على الذات و إطلاق الصورة على الصفة شايع أو وصف بغير حدّ، إذ كلّ ما وصف بحدّ لابدّ أن يكون له مهيّة كليّة مركبة من جنس و فصل و إذ ليس له تعالى شأنه شيء من أنحاء التركيب لايجوز أن يوصف بالحدّ.

(و نعت بغير جسم) أي نعت بأنّه مغاير بجسم و جسماني أي بأمر مغاير لهما بحدوثهما و تحيّزهما و هو منزّه عنهما، ولمّا ذكر حمده تعالى على وجه يشعر بالاختصاص و كان ذلك مفيداً لتفرّده بالالهيّة و ذكر أيضاً تفرّده بالملكوت والجبروت و بخلق الأشياء إلى غير ذلك من صفات المدح و التكريم المفيدة لتفرّده بالثناء والتعظيم أراد أن يصرّح بالمقصود لأنّه كالنتيجة لما مرّ فقال:

(لاإله إلاّ الله الكبير المتعال) أي العظيم لابالكمّ و المقدار، بل بالرتبة والرّفعة، لأنّ ذاته المقدّسة مبدء كلّ موجود، و منتهى كلّ مقصود، المتعال عن التشابه بالخلق. هذه الكلمة الطيّبة أشرف كلمة وحّد بها الخالق عزّ اسمه وهي منطبقة على جميع مراتب التوحيد، و قد سمّيت فاتحة الاسلام. ونقل عن بعض العلماء، أنّ الله سبحانه جعل عذابه نوعين أحدهما السيف في يد المسلمين والثاني عذاب الآخرة، فالسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لايرى فقال تعالى لرسوله ﷺ: من أخرج لسانه من الغلاف المرئي و هو الفم فقال «لاإله إلاّ الله» أدخلنا السيف في الغمد المرئي، و من أخرج لسان قلبه من الغلاف الّذي لايرى وهو غلاف الشرك فقال: «لاإله إلاّ الله» أدخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة واحدة بواحدة جزاء ولاظلم اليوم.

((الاصل)):

«ضلّت الأوهام عن بلوغ كنهه ، و ذهلت العقول أن تبلغ غاية نهايته »
«لايبلغه حدّ وهم ، ولا يدركه نفاذ بصر ، و هو السميع العليم ، احتجّ على خلقه »
«برسله ، و أوضح الأمور بدلائله ، وابتعث الرسل مبشرين ومنذرين ، ليهلك من »
« هلك عن بيّنة و يحيى من حيّ عن بيّنة ، و ليعقل العباد عن ربّهم ما جهلوه »
« فيعرفوه بربوبيّته بعدما أنكروه،ويوحّدوه بالالهيّة بعد ما أضدّوه،أحمده حمداً »
« يشفي النفوس ؛ ويبلغ رضاه، ويؤدي شكر ماوصل إلينا من سوابغ النعماء، وجزيل »
«الآلاء ، وجميل البلاء».

((الشرح)):

(ضلّت الأوهام عن بلوغ كنهه) إشارة إلى نفي الحدّ عنه لانّه تعالى ليس بمركّب و كلّ ما ليس بمركّب لايمكن إدراك كنه حقيقته بالحدّ أمّا الصغرى فلانّ كلّ مركّب محتاج إلى الجزء الّذي هو غيره ، و كل محتاج إلى الغير ممكن لأنّ ذاته بذاته من دون ملاحظة الغير لايكون كافياً في وجوده وإن لم يكن فاعلاله خارجاً عنه ، و أمّا الكبرى فلأنّ إدراك كنه الحقيقة إنّما يكون من الحدّ المؤلف من أجزائها كما بيّن في موضعه و الله سبحانه منزّه عن أن يكون لكنهه أجزاء .

(و ذهلت العقول أن تبلغ غاية نهايته) يمكن أن يراد بالغاية المسافة ونهاية الشيء آخره ، فالاضافة لاميّة ويمكن أن يراد بها النهاية . قال الجوهري :« النهاية : الغاية » فالاضافة بيانيّة . و إنّما لا تبلغ العقول غاية نهايته لأنّه لا نهاية له ، إذ ليس له طبيعة امتداديّة تنتهي إلى حدّ و نهاية ، و أيضاً لايطرء عليه العدم ، «فهذا الكلام مثل قول العرب « لايرى بها ضبّ ينجحر » أي ليس بها ضبّ فضلا عن أنّه ينجحر ، لايقال: ذهول العقول عن البلوغ أي نسيانها عنه يشعر بامكان البلوغ في نفسه لأنّا نقول : الذّهول عن الشيء يستلزم عدم حصول ذلك الشيء و المراد هنا

هذا اللازم على سبيل الكناية على أنّ ذلك الاشعار ممنوع ألاترى أنّ غفلتنا عن وجود شريك الباري، لايستلزم وجوده .

(ولايبلغه حدّ وهم) أي منتهاه لا ن كلّ ما بلغه الوهم فهو ممكن ولاسبيل للامكان في ساحة جنابه ، وأيضاً الوهم إنّما يلحق بالمادّي ويتعلّق بأُمور محسوسة ذات صور وأحيان حتّى أنّه لايقدّر نفسه ولايدركها إلاّ ذات مقدار وجسم ، و الله سبحانه منزّه عن المادّة .

(ولا يدركه نفاذ بصر) قال الجوهريّ : « نفذ السهم من الرّميّة (١) و نفذ الكتاب إلى فلان ، و رجل نافذ في أمره أي ماض » و نفاذ البصر بكلّ واحد من هذه المعاني محال على الله سبحانه ، أمّا الأوّل فلأنّ شعاع البصر إنّما ينفذ في جسم شفّاف ، وهو سبحانه ليس بجسم ولاشفّاف ، وأمّا الأخيران فلاستحالة أن يدرك سبحانه بحاسّة البصر لأنّه غير ذي وضع و كلّ غير ذي وضع يمتنع رؤيته ؛ والمقدمة الأُولى استدلاليّ والثانية ضروريّة ، و ربّما استدلّ عليها والمسألة مستقصاة في علم الكلام ، ثمّ الظاهر من هذه المعاني هو الأوّل لأنّ الأخيرين قدذكرهما سابقاً .

(وهو السميع العليم) يعني أنّه السميع لابآلة السمع، والعليم لابعلم زائد عليه، لأنّهما من صفات خلقه، بل هما عبارتان عن عدم خفاء المسموعات والمعلومات وإن كانت خفيّة دقيقة عند ذاته بذاته حتّى يعلم كفر من كفر وإيمان من آمن .

(و هو عليم بذات الصدور) و الجمع بين الوصفين لاشتمال الأمرين على القول والاعتقاد .

(احتجّ على خلقه برسله) ليهدوهم إلى معرفة ذاته و صفاته ، و حشره و نشره و ثوابه و عقابه و ربوبيّته ، و معرفة ما به يتمّ نظامهم في الدين و كمالهم في النشأتين ؛ ويجذبوهم عن مقتضيات نفوسهم من اتّباع الشهوات الباطلة واقتفاء اللّذات الزائلة بتذكيرهم لما في الدّار الباقية و تنفيرهم عن خسائس هذه الدار

١- بكسر الميم وشد الياء .

الفانية لئلايكون لهم على الله حجّة بعدالرسل .

(وأوضح الأمور بدلائله) أي أوضح امورالرّسل وحقيّة رسالتهم وشرايعهم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة لتقريب الخلق إلى التصديق وتبعيدهم عن التكذيب أوأوضح الشرايع بالرسل و أوصيائهم عليهم السلام أو أوضح وجود ذاته و كمال صفاته مثل العلم والقدرة و غيرهما بنصب سماء ذات أبراج و أرض ذات مهاد إلى غير ذلك من الآثار الدالّة على صدورها من العزيز الجبّار ، ولمّا كان الرسل علماء وحكماء يحملون الخلق على الطريقة الالهيّة من معرفة أحوال المبدء أو المعاد و ما يتبعهما من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة على حسبما يقتضيه الحكمة ، و ذلك قديكون بالتذكير والتنبيه كما أشرنا إليه ، وقد يكون بالتبشير والتهديد و هذا ممّا يحتاج إليه أكثرالناس لأنّ طبايعهم مثل طبايع الأطفال في الميل إلى الظاهر من الحياة الدّنيا و زهراتها فيحتاجون في الميل إلى الخيرات والزّجر عن المنهيات إلى الوعد والوعيد ، أشار إليهما بقوله :

(و ابتعث الرّسل » بعثهم و ابتعثهم بمعنى أرسلهم (مبشرين) للخلق بماأعدّ الله للمطيع من الثواب العظيم (ومنذرين) لهم بماأعدّ الله للعاصي من العذاب الأليم و بذلك يجذبونهم عن طريق الغواية و يرشدونهم إلى سبيل الهداية ، و أمّا من أخذت يده العناية الأزليّة و نوّر قلبه من المشكاة النبويّة فانّه يعلم أنّه لولا الثواب والعقاب لاستحقّ سبحانه التوصّل إليه بذاته والتذلّل له طلباً لمرضاته (ليهلك من هلك عن بيّنة و يحيى من حيّ عن بيّنة) تضمين للآية الكريمة و إشارة إلى غاية الاحتجاج والابتعاث قال القاضي (١) : والمعنى ليموت من يموت عن بيّنة عاينها و يعيش من يعيش عن حجّة شاهدها لئلا يكون له حجّة ومعذرة . فان الاحتجاج بالرّسل و ابتعاثهم و تصديقهم بالمعجزات من البيّنات الواضحة ، أو ليصدر كفر من كفر و إيمان من آمن عن وضوح بيّنة ، على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام. والمراد بمن هلك و من حيّ المشارف للهلاك والحياة أو من هذا

١ـ يعني البيضاوي صاحب التفسير المعروف بمعالم التنزيل .

حاله في علم الله و قضائه ، و قيل : يحتمل أن يكون هذا من باب المجاز المرسل لأنّ الكفر سبب للهلكة الحقيقيّة الأخرويّة، والايمان سبب للحياة الحقيقيّة الأبديّة فأطلق المسبب على السبب مجازاً .

(و ليعقل العباد عن ربّهم) بتذكير الرّسل و تعليمهم (ما جهلوه) من أحوال المبدء و المعاد (فيعرفوه بربوبيّته بعد ما أنكروه) لغفلتهم عن العهود الالهيّة والمواثيق الرّبانيّة و نبذ طاعته و ترك عبادته كأن لم يكن شيئاً مذكوراً .

(و يوحّدوه بالالهيّة بعد ما أضدّوه) بالتشريك و عبادة الأصنام . للوساوس الشيطانيّة و تخيّلات الأوهام ، توضيح ذلك أنّ المعرفة هي إدراك الشيء ، ثانياً بعد توسّط الجهل ، والعباد قد أقرّوا له بالرّبوبيّة وهم في صورة الذّر حين قال : «ألست بربّكم قالوا بلى» لشهادة عقولهم الخالصة عليها ثمّ جهلوا ذلك و أنكروه لتعلّقهم بالعلائق الجسمانيّة ، وتشبّثهم بالتسويلات النفسانيّة، وتمسّكهم بالتخيّلات الشيطانيّة ؛ فبعث الله تعالى رسله رحمة منه و تفضّلا لتعليمهم و تذكيرهم ، فمن ضلّ بعد ذلك فقد غوى ومن آمن فقد اهتدى ، ولمّا حمد سابقاً ذاته تعالى لأجل نعمته و قدرته و غيرهما من الصفات المذكورة أراد أن يحمده ثانياً على نعمائه المتجدّدة آناً فآناً على سبيل الاستمرار التجدّدي فأتى بالجملة الفعليّة رعاية للمناسب فقال: (أحمده) أي أحمده آناً فآناً وساعة فساعة، ولمّا كان الحمد من أجلّ الطاعات و أكمل العبادات، إذ الحامد يلاحظ جلالاً وجمالاً و منعماً، والطاعة دواء الأمراض النفسانيّة على حسب تفاوت مراتبها في الاخلاص كما قال سبحانه : « إنّ الحسنات يذهبن السيئات» والدافعة لجميع الأمراض هي المرتبة القصوى من مراتب الاخلاص قيّده بقوله : (حمداً يشفي النفوس) طلباً لتلك المرتبة و رجاء لحصولها ؛ ثمّ لمّا كان شفاء النفس من جميع الأمراض سبباً لرضاه حالاً ومآلاً عقّبه بقوله (ويبلغ رضاه) الموجب لمزيد إمتنانه في الدنيا و رضوانه في الآخرة ، ثمّ مفهوم الحمد وإن كان مغايراً لمفهوم الشكر لكنّهما قد يصدقان على فرد مّا ، فوصف الحمد بقوله : (و يؤدّي شكر ما وصل إلينا) حصراً للحمد هنا في ذلك الفرد لأنّه أفضل أفراده و

أكملها ثمّ بيّن الموصول بقوله : (من سوابغ النعماء ، وجزيل الآلاء وجميل البلاء) هذه التراكيب من باب جرد قطيفة ، و المراد بسوابغ النعماء : النعماء الكاملة الوافية الواسعة ؛ قال الجوهري : «شيء سابغ أي كامل واف و سبقت النعمة تسبغ بالضم سبوغاً اتّسعت وأسبغ الله عليه النعمة أي أتمّها » والجزيل: الكثير العظيم . والآلاء بالمدّ النعم واحدتها الألاء بالفتح ويجوز القراءة هنا بالجمع والافراد والبلاء الاختبار بالخير والشرّ ، يقال : بلوته بلوأ جرّبته و اختبرته ، ولا يبعد أن يراد بالفقرة الاولى النعم الباطنة كالعقل والحواسّ المستورة و ملائماتهما ، و بالثانية النعم الظاهرة ، و بالثالثة الاحتجاج بالرسل و ابتعاثهم لأنّ أعظم الاختبار هو الاختبار بما جاء به الرسل عليهم السلام و هذه و إن كانت من النعم الظاهرة المندرجة في الثانية لكن خصّها بالذكر لشدّة الاهتمام بها؛ ثمّ لمّا كان أفضل أفراد الحمد هو الشهادة بالتوحيد و برسالة رسولنا بخصوصه صلى الله عليه وآله إذ هي أصل للبواقي أشار إليهما بقوله:

(وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له) «وحده» تأكيد للحصر وتقرير له و حال بتأويل منفرداً (إلهاً واحداً) دلّ الأوّل على جميع صفات الكمال والثاني على جميع صفات الجلال إذ الواحد الحقيقي منزّه عن أنحاء التركيب الخارجيّة والذّهنيّة والتعدّد وعمّا يستلزم أحدهما كالجسميّة والتحيّز وأمثالهما (صمداً) الصمد السيّد لأنّه يصمد إليه في الحوائج من صمد إذا قصد ، والله سبحانه هو الموصوف به على الاطلاق لاستغنائه عن غيره مطلقاً و احتياج غيره إليه من جميع الجهات (لم يتّخذ صاحبة) لاستحالة الشهوة والحركة عنه تعالى ، ولأنّ اتّخاذها يقتضي المجانسة بينه و بينها ولا يجانسه أحد (ولا ولداً) لانّ الولد يجانس الوالد ولا يجانسه شيء ، و لأنّه تعالى لا يلتذّ بشيء لأنّ اللّذة من لواحق الجسميّة ولا يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه. (وأشهد أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبدٌ انتجبه) أي اختاره واصطفاه و إنّما قرنت هذه الكلمة بكلمة التوحيد لأنّ كلمة التوحيد يعتبر فيها الاخلاص ولا يحصل الاخلاص إلّا بسلوك مراتبه ودرجاته ولا يحصل ذلك إلّا بمعرفة كيفيّة السلوك ولا تحصل تلك المعرفة إلّا بالبيان النبوي

فكانت الشهادة بصدق النبيّين أجلّ كلمة بعد كلمة الاخلاص وأنّها بمنزلة الباب لها فلذلك قرنت بها و صار تاكلمتين مقارنتين لا يصحّ انفكاك إحديهما عن الاخرى (و رسول ابتعثه) وارشاد العباد وهدايتهم ، و في تقديم العبوديّة على الرسالة إشارة إلى تقدّمها في التحقّق (١) كما دلّ عليه بعض الاخبار (على حين فترة من الرسل) الفترة الضعف والانكسار و ما بين الرّسولين من رسل الله تعالى ، يعني ابتعثه على حين فتور من الارسال و انقطاع من الوحي . و ذلك الابتعاث نعمة عظيمة لا يدانيها شيء من النعماء لظهور أنّ خلوّ الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود الشرور بمقتضى النفوس البشريّة ووقوع الهرج والمرج . وتلك أحوال مذمومة يلحق ذلك الزّمان بها من الذمّ بمقدار ما يلحق زمان وجود الرسول من المدح ، و لذلك ذكر من خبث أحوال ذلك الزّمان و ذمّ الخلائق فيه ما يدلّ على عظمة نعمة بعثته صلى الله عليه وآله و ما استلزمته من الخيرات ليعتبروا و يعرفوا قدر تلك النعمة ويحصل لهم التوجّه إلى الله و يشكروا له .

(و طول هجعة من الأمم) الهجع والهجعة والهجيع بالفتح في الجميع طائفة من اللّيل ، والهجوع النوم ليلاً كذا في النهاية . و قال الجوهري : « أتيت بعد هجعة من اللّيل أي بعد نومة خفيفة » وهي ههنا كناية عن غفلة الأمم في ظلمات الجهالة عن أمر المبدء والمعاد و سائر المصالح الّتي ينبغي التوجّه إليها

(و انبساط من الجهل) أي انتشاره في الربع المسكون و إحاطته بالأمم أجمعين لفقدهم من يهديهم إلى المعارف الالهيّة والمصالح الدّينيّة والدّنيوية (و اعتراض من الفتنة) أي عروضها في الأقاليم و إحاطتها بأهلها طولاً وعرضاً ، أو وقوعها على غير قانون شرعيّ و مشيها في غير طريق عقليّ و نقليّ ، من اعترض الشيء صار عارضاً كالخشبة المعترضة في عرض النهر ، والفرس الماشي في عرض الطريق من غير استقامة بتشبيهها بالفرس المتّصف بهذه الصفة و استعارة لفظ

١- قيل : ولها تقدم في الرتبة والشرف أيضاً اذ العبودية حقيقة التفات الى الحق و انتقال اليه والرسالة بالعكس فانه انتقال الى عالم الخلق.

فكانت الشهادة بصدق النبيّين أجلّ كلمة بعد كلمة الاخلاص وأنّها بمنزلة الباب لها فلذلك قرنت بها و صار تاكلمتين مقارنتين لا يصحّ انفكاك إحديهما عن الاخرى (و رسول ابتعثه) وارشاد العباد وهدايتهم ، و في تقديم العبوديّة على الرسالة إشارة إلى تقدّمها في التحقّق (١) كما دلّ عليه بعض الاخبار (على حين فترة من الرسل) الفترة الضعف والانكسار و ما بين الرّسولين من رسل الله تعالى ، يعني ابتعثه على حين فتور من الارسال و انقطاع من الوحي . و ذلك الابتعاث نعمة عظيمة لا يدانيها شيء من النعماء لظهور أنّ خلوّ الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود الشرور بمقتضى النفوس البشريّة ووقوع الهرج والمرج . وتلك أحوال مذمومة يلحق ذلك الزّمان بها من الذمّ بمقدار ما يلحق زمان وجود الرسول من المدح ، و لذلك ذكر من خبث أحوال ذلك الزّمان و ذمّ الخلائق فيه ما يدلّ على عظمة نعمة بعثته ﷺ و ما استلزمته من الخيرات ليعتبروا و يعرفوا قدر تلك النعمة ويحصل لهم التوجّه إلى الله و يشكروا له .

(و طول هجعة من الأمم) الهجع والهجعة والهجيع بالفتح في الجميع طائفة من اللّيل ، والهجوع النوم ليلاً كذا في النهاية . و قال الجوهريّ : « أتيت بعد هجعة من اللّيل أي بعد نومة خفيفة » وهي ههنا كناية عن غفلة الأمم في ظلمات الجهالة عن أمر المبدء والمعاد و سائر المصالح الّتي ينبغي التوجّه إليها (و انبساط من الجهل) أي انتشاره في الربع المسكون و إحاطته بالأمم أجمعين لفقدهم من يهديهم إلى المعارف الالهيّة والمصالح الدّينيّة والدّنيوية (و اعتراض من الفتنة) أي عروضها في الأقاليم و إحاطتها بأهلها طولاً وعرضاً ، أو وقوعها على غير قانون شرعيّ و مشيها في غير طريق عقليّ و نقليّ ، من اعترض الشيء صار عارضاً كالخشبة المعترضة في عرض النهر ، والفرس الماشي في عرض الطريق من غير استقامة بتشبيهها بالفرس المتّصف بهذه الصفة و استعارة لفظ

١- قيل : ولها تقدم في الرتبة والشرف أيضاً اذ العبودية حقيقة التفات الى الحق و انتقال اليه والرسالة بالعكس فانه انتقال الى عالم الخلق.

الاعتراض لها.

(وانتقاض من المبرم) المبرم المحكم من أبرمت الشيء أحكمته والمراد به نظام أحوالهم و إبرام أمورهم أي استحكامها بالشرائع السالفة ، والمراد بانتقاضه انقطاع ذلك النظام وانهدام بناء ذلك الاستحكام بتغيير تلك الشرائع و فسادها ، فانّ الخلائق كلّهم في زمان الفترة حرّفوا الطريقة الربّانيّة ، و خرجوا عن الشريعة الالهيّة و أرقدتهم نغمات وساوس الشياطين في مهاد المراقد الطبيعيّة إلاّ من عصمه الله بلطفه الخفيّ و قليلٌ ماهم .

(وعمى عن الحق) العمى يطلق على معنيين أحدهما عدم البصر وثانيها عدم البصيرة و هو المراد هنا والحقّ هو الأمور الثابتة بالشرائع السابقة من التوحيد وصفات الكمال والجلال وغير ذلك من الأمور المتعلّقة بصلاح النشأتين ، والعمى عن الحقّ عبارة عن بطلان بصيرتهم القلبيّة باستيلاء الأمراض النفسانيّة عن إدراك هذه الأمور .

(واعتساف من الجور) العسف الأخذ على غير الطريق و كذلك التعسّف والاعتساف ، والجور الميل عن طريق الحقّ ، والظلم ؛ قال في المغرب « جار عن طريق مال وجار ظلم » والمعنى الثاني أنسب يعني ابتعثه صلى الله عليه وآله حين مالوا عن طريق الهداية وسلكوا طريق الغواية وظلموا بذلك أنفسهم ، فبعضهم كانوا من عبدة الأوثان (١) و بعضهم كانوا من عبدة النيران ، و بعضهم كانوا من عبدة الشمس والقمر ، و بعضهم كانوا من عبدة الشجر والبقر ، و بعضهم قالوا عزير ابن الله ، و بعضهم قالوا : المسيح ابن الله ، و بعضهم قالوا : الملائكة بنات الله ، و بعضهم قالوا : الله جسم ، و بعضهم قالوا : هو نور مثل سائر الأنوار ، و بعضهم قالوا : يجوز رؤيته ـ إلى غير ذلك من الملل الفاسدة والمذاهب الباطلة .

(و امتحاق من الدين) محقه أبطله و محاه وتمحّق الشيء و امتحق أي بطل . والدين في اللّغة : الطاعة والجزاء . و في العرف : الشرائع الصادرة بواسطة الرّسل . و بطلانه كناية عن تركهم العمل بما فيه من صلاح معاشهم ومعادهم فانّهم غيّروا و بدّلوا و شرّعوا لهم ما سوّلت لهم أنفسهم فحلّلوا حراماً وحرّموا حلالاً فبعثه الله الرّؤف الرّحيم ليهديهم إلى الصراط المستقيم .

---

(١) في بعض النسخ [عبدة الاصنام] .

((الاصل)):

« و أنزل إليه الكتاب فيه البيان والتبيان، قرآناً عربيّاً غير ذي عوج لعلّهم »
« يتّقون ، قد بيّنه للناس و نهجه بعلم قد فصّله ، و دين قد أوضحه ، و فرائض »
« قد أوجبها و أمور قد كشفها لخلقه و أعلنها ، فيها دلالة إلى النّجاة و معالم »
« تدعو إلى هداه، فبلّغ ﷺ ما أرسل به ، و صدع بما أمر ، و أدّى ما حمّل من »
« أثقال النّبوّة ، و صبر لربّه ، و جاهد في سبيله ، و نصح لأمّته . و دعاهم إلى »
« النجاة ، و حثّهم على الذكر ، و دلّهم على سبيل الهدى من بعده بمناهج و »
« دواع ، أسّس للعباد أساسها ، ومنائر رفع لهم أعلامها ، لكيلا يضلّوا من بعده و »
« كان بهم رؤوفاً رحيماً » .

((الشرح)):

(وأنزل إليه الكتاب) الكتاب في الأصل الفرض والحكم والقدر كما يظهر من الصحاح والمغرب ؛ ثمّ المتبادر منه عند الاطلاق هو القرآن العزيز لاشتماله على هذه الأمور على الوجه الأتمّ والأكمل (فيه البيان والتبيان) أي بيان كلّ شيء وتبيانه وهو البيان مع البرهان، وقدّم الظرف للحصر أو لقرب المرجع أو الاهتمام لاشتماله على ضمير «الكتاب» أو لربط الحال على صاحبها ابتداء .

(قرآناً) حال بعد حال عن « الكتاب » (عربياً) صفة للتخصيص أو للمدح و اشتماله على غير العربي نادراً على تقدير ثبوته لايقدح في عربيّته (غير ذي عوج) لااختلال ولا اختلاف ولاشكّ فيه أصلاً لامن جهة المباني ولامن جهة المعاني (لعلّهم يتّقون) من العقوبات الاُخرويّة والمشتهيات الدّنيويّة ، باتّباع أوامره و نصايحه و استماع زواجره و مواعظه .

(قد بيّنه للناس) ضمير المفعول للقرآن وضمير الفاعل لله تعالى أو للرسول ﷺ، و كذا الفاعل في الأفعال الآتية والأوّل أولى و أرجح (ونهجه) بالتخفيف أي أوضحه و أبانه من نهجت الطريق إذا أبنته و أوضحته، أو سلكه من نهجت

الطريق إذا سلكته (بعلم قد فصّله ، و دين قد أوضحه، و فرائض قد أوجبها وأُمور قد كشفها لخلقه و أعلنها) الظاهر أنّ القرائن الأربعة أحوال متعاقبة للقرآن ، يعني أوضحه حال كونه متلبّساً بعلم عظيم من التأويل والتفسير والمحكم والمتشابه والعامّ والخاصّ و غير ذلك قد فصّله الله تعالى لرسوله ﷺ أو الرّسول للناس، و بدين يعني بشرايع نبويّة و نواميس إلهيّة قد أوضحه لهم ، و بفرائض مثل الصلاة والصوم والزكاة والحجّ والجهاد و نحوها قد أوجبها عليهم ، و بأمور من أحوال الأُمم الماضية والقرون السالفة قد كشفها وأعلنها لهم ، و بالجملة في القرآن علم ما كان و ما يكون و ما هو كائن و ما يحتاج إليه الخلائق وقد بيّنه الله تعالى لرسوله و بيّنه الرسول لأُمّته و هو مخزون عند أهله.

(فيها دلالة إلى النجاة) أي في الأُمور المذكورة دلالة إلى نجاة الخلق من الخزي والنكال عاجلاً ، و من الحرمان عن الثواب والخذلان بالعقاب آجلا .

(و معالم تدعوا إلى هداه) معالم جمع معلم و هو ما جعل علامة للطرق والحدود، والمراد بها هنا مواضع العلوم و مرابطها من الكلمات الرائقة و العبارات الراشقة والدلائل الواضحة ، وهي بالرفع عطف على «دلالة »، و بالجرّ عطف على «النجاة» والجملة الفعليّة صفة لها ، والضمير المجرور بالاضافة يعود إلى الله أو إلى الرسول أو إلى الكتاب ، والهدى ضدّ الضلالة و إضافته من باب إضافة المصدر إلى الفاعل و مفعول «تدعو» محذوف وهو الخلق و قيل : الهدى المهتدى به و هو الدّين والكتاب والرّسول . والاضافة على تقدير رجوع الضمير إلى الله لاميّة ، وعلى الاحتمالين الأخيرين بيانيّة . و قيل : الهاء في « هداه » ساكنة زائدة للوقف كما في كتابيه ويا ربّاه ويا سيّداه. و فيه نظر يعرف بالتأمل .

(فبلّغ ﷺ ما اُرسل به) من أحوال المبدء و المعاد و جميع ما يحتاج إليه الأمّة إلى يوم القيامة (و صدع بما اُمر) أي أجهر به من صدع بالحجّة إذا تكلّم بها جهاراً أو أظهره من صدعه إذا أظهره و بيّنه أو فرّق به بين الحقّ والباطل من صدعه إذا شقّه على سبيل الاستعارة و تشبيه الفرق بينهما بصدع الزّجاجة و

نحوها في عدم الالتيام من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لزيادة الايضاح ، والباء على الأخيرين زائدة أوللتعدية بهاعلى طريق التجوّز ، و «ما» مصدريّةأوموصولة أو موصوفة ، والعائد محذوف أي بما اُمربه (و أدّى ما حمّل من أثقال النبوّة) الأثقال إمّا جمع ثقل و هو ضدّ الخفّة أوجمع ثقَل بالتحريك وهو متاع البيت والمسافر على سبيل الاستعارة ، وقد أدّى كلّهاعندالاماميّةإلى أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن أحد غيره حاملا بجميعها باتّفاق الأمّة وقالت العامّة لم يخص صلّى الله عليه وآله أحداً من الاُمّة بجميعها و إنّما أدّى جميعها إلى جميع الأمّة بأن أخذ كلّ واحد منهم ما يليق بفهمه ، ثمّ أدّوا إلى التابعين كذلك ، و هكذا إلى انقراض العالم و أنت تعلم ما في هذاالقول ولكن من أضلّه الله فلاهادي له .

(و صبر لربّه) أي صبر لرضا ربّه و طلب التقرّب منه في تبليغ الرسالة و أداء أثقال النبوّة على تحمل المشاقّ و أذى المعاندين و طعن الطاعنين من كفرة قريش و فسقة العرب (و جاهد في سبيله) الّذي هو التوحيد و دين الحقّ مع قلّة العَدد وضعف العِدد (١) (و نصح لاُمّته) النصح في اللّغة الخلوص ، يقال : نصحه و نصح له، فتعديته إلى المنصوح إمّا بنفسه أو باللاّم، والمراد بنصحه لهم إرشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم و تعليمهم إيّاها و عونهم عليها والذّب عنهم وعن أعراضهم، و بالجملة جلب خير الدّنيا والآخرة إليهم خالصاً مخلصاً لوجه الله ، و من ثمّ قيل: النصيحة في وجازة لفظها و جمع معانيها كلفظ « الفلاح » الجامع لخير الدّنيا والآخرة (و دعاهم إلى النجاة) النجاة مصدر نجوت من كذا إذا تخلّصت منه و تنحّيت عنه ، يعني دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة إلى نجاتهم من العقوبات و الشدايد أو إلى ما به نجاتهم من المصالح و خلوص العقايد (و حثّهم على الذّكر) حثّ يتعدّى بعلى، يقال : حثّه على كذا إذا حضّه عليه ، و تعديته هنا بالى إمّا باعتبار أنّ حروف الجرّ قديجيء بعضها في موضع بعض أو بتضمين معنى الدعاء و نحوه ، والمراد بالذّكر ذكر الله تعالى بالقلب واللّسان في جميع الأحوال وله

(١) العِدد ـ بكسر العين وفتح الدال ـ جمع عدة ـ بالضم ـ وهي الاستعداد.

شرف عظيم قال الله تعالى «و اذكر ربّك في نفسك تضرّعاً و خيفة» و قال «يا أيّها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا» وقال «اذكروني أذكركم» و قال الصادق عليه السلام: «قال الله تعالى من ذكرني في ملاء من النـاس ذكرته في ملاء من الملائكة» (١) المراد به ذكر آلاء الله و نعمائه أو الصلاة و الدعاء لأنّهما نوعان كاملان من الذكر والقرآن العزيز.

(و دلّهم على سبيل الهدى من بعده بمناهج و دواع أسّس للعباد أساسها) المناهج جمع المنهج وهو الطريق الواضح الّذي لايضلّ سالكه. والدّواعي جمع داعية الّتي تدعوهم إلى اتّباع سبيل الهدى. والأساس جمع اُسّ بالضمّ و هو أصل الحائط و ضمير التأنيث يعود إلى المناهج والدّواعي، والمراد بتأسيس الأسـاس: وضعها و إحكامها، و بسبيل الهدى: الطريقة الشرعيّة، و بالمناهج: الأوصياء الطاهرين. و يجوز أن يراد بالأوّل الأوصياء وبالأخير الأدلة الدالة على خلافتهم (و منائر رفع لهم أعلامها) عطف على «سبيل الهدى» والمنائر جمع المنارة على القياس لأنّ وزنها مفعلة إذ أصلها منورة موضع النور و هي ما يوضع فوقه السراج و قياسها في الجمع مفاعل كمناور و منائر بقلب الواو همزة تشبيهاً للأصليّ بالزائد كما قالوا مصائب في مصاوب. و في بعض النسخ «منار» وهي جمع منارة أيضاً على غير القياس، ثمّ استعير للأوصياء عليهم السلام لأنّهم محالّ للأنوار العقليّة، و بهم يستبين حقائق الدين و يستنير قلوب العارفين كما أنّ المشبّه به للأنوار الحسّيّة، و رفع الأعلام عبارة عن نصب الأدلّة الدالّة على خلافتهم و إمامتهم عليهم السلام (لكيلا يضلّوا من بعده) أي دلّهم على كذا و كذا لكيلا يضلّوا من بعده على طريق الحقّ بالاقتداء بآثارهم والاهتداء بأنوارهم (و كان بهم رؤوفاً رحيماً) الرأفة أشدّ الرّحمة والواو للعطف على الأفعال المتقدّمة، أو للحال عن المستكن فيها أو عن البارز في «يضلّوا».

---

(١) رواه الكليني في كتاب الدعاء من الكافي باب ما يجب من ذكر الله في كل مجلس.

((الأصل)):

« فلمّا انقضت مدّته ، و استكملت أيّامه ، توفّاه الله و قبضه إليه ، و هو »
« عند الله مرضيٌّ عمله ، و افرٌ حظّه ، عظيم خطره ، فمضى صلى الله عليه وآله وخلف في اُمّته »
« كتاب الله و وصيّه أمير المؤمنين و إمام المتّقين صلوات الله عليه ، صاحبين »
« مؤتلفين ، يشهد كلّ واحد منهما لصاحبه بالتصديق ، ينطق الامام عن الله في الكتاب »
« بما أوجب الله فيه على العباد من طاعته ، و طاعة الامام و ولايته ، وواجب حقّه »
« الّذي أراد من استكمال دينه ، و إظهار أمره ، والاحتجاج بحججه ، والاستضاءة »
« بنوره في معادن أهل صفوته ومصطفى أهل خيرته ، فاوضح الله بأئمّة الهدى من »
« أهل بيت نبيّنا صلى الله عليه وآله عن دينه وأبلج بهم عن سبيل مناهجه وفتح بهم عن باطن »
« ينابيع علمه ؛ وجعلهم مسالك لمعرفته و معالم لدينه و حجّاباً بينه و بين خلقه »
« والباب المؤدّى إلى معرفة حقّه ، و أطلعهم على المكنون من غيب سرّه »

((الشرح)):

(فلمّا انقضت مدّته و استكملت أيّامه توفّاه الله و قبضه إليه) تفصيل لقوله : « ودلّهم – إلى آخره – » والعطف للتفسير ، قال الجوهري : « توفّاه الله أي قبض روحه ، والوفاة الموت » (وهو عند الله مرضيٌّ عمله و افر حظّه عظيم خطره) أي قدره و منزلته ، والواو للحال عن مفعول « توفّاه » (فمضى صلى الله عليه وآله و خلف في اُمّته كتاب الله و وصيّه أمير المؤمنين و إمام المتقين صلوات الله عليه) تصريح لما علم سابقاً و لذلك صحّ التفريع ، قال الجوهري : « خلف فلان فلاناً إذا كان خليفته في قومه و منه قوله تعالى : « هرون اخلفني في قومي » وقال المطرّزي في المغرب : « خلفته خلافة كنت خليفته » وقال القاضي : الخليفة من يخلف غيره و ينوب مناب‍ه ؛ والهاء للمبالغة ، والأنسب بالنظر إلى هذه المعاني أنّ مفعول خلف محذوف و هو الضمير العائد إليه صلى الله عليه وآله والواو للحال بتقدير « قد » و « كتاب الله » و ماعطف عليه فاعله ، ويجوز أن يقرأ « خلّف » بتشديد اللام ويجعل الواو للعطف ؛ أي وجعلهما خليفته في اُمّته ليقطع أعذارهم في ترك دين الحقّ ورفض العمل بما فيه بفقدهم من

يرجعون إليه من التوقيف على الأسرار الشرعيّة ، فانّ المرجع إذا كان موجوداً بينهم بعده ﷺ لم يبق لهم معذرة لاتّباع الأهواء الباطلة ، و اقتفاء الآراء الفاسدة.

(صاحبين مؤتلفين) حال عن الكتاب والوصيّ ، أي لا يفارق أحدهما الآخر أصلا ، والائتلاف مطاوع التأليف : يقال : ألّفت بين الشيئين تأليفاً فتألفا و ائتلفا ، و فيه إشارة إلى قوله ﷺ « إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي الحديث» (يشهد كلّ واحد لصاحبه بالتصديق) أي بسبب تصديق كلّ واحد ما يقول و ينطق ؛ فالقرآن يصدّقه عليه السلام في كلّ ما يقول باعتبار اشتماله عليه ومن جملة ما يقوله عليه السلام تقدّمه في خلافته ، و وجوب إطاعته ، والقرآن يشهد له بقوله : « إنّما وليّكم الله ـ الآية» وبقوله : « أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و اولي الأمر منكم » إلى غير ذلك و هو عليه السلام يصدّق القرآن فيما ينادي من اشتماله على كلّ ما كان و ما يكون و ما يحتاج إليه الأمّة إلى يوم القيامة لأنّه عالم بظاهره و باطنه و مفهومه ومنطوقه و عامّه و خاصّه و ناسخه و منسوخه و أسراره كما يرشد إليه قوله تعالى « ومن عنده علم الكتاب » و قوله تعالى « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

(ينطق الامام عن الله في كتاب الله بما أوجب الله فيه على العباد من طاعته) خلق الله تعالى عباده للطاعة والانقياد له في كلّ ما أمر به و نهى عنه في الكتاب ، و ظاهر أنّ كلّ أحد لا يقدر على استنباط المقصود منه لكونه ظاهراً و باطناً ، و رمزاً و إشارة و مجملا و مفصلا ، و محكماً و متشابهاً ، وعامّاً و خاصّاً ، و مطلقاً و مقيداً ، و مفهوماً و منطوقاً ، و ناسخاً و منسوخاً ؛ فلذلك وجب في الحكمة ثبوت إمام ينطق عن الله بما أوجب عليهم و ما يحتاجون إليه لئلا يضلّوا ، ولا يبقى لهم حجّة ولا معذرة و هو لسان الحقّ والناطق عن كتابه والمبيّن لخطابه ووجب عليهم الانقياد له و اتّباع آثاره ، و استماع أخباره ، واقتفاء أفعاله و أطواره . (و طاعة الامام و ولايته) لدلالة الآيات القرآنيّة والبيّنات الربّانيّة على ثبوت الامامة والولاية لأمير المؤمنين عليه السلام وبعده لأولاده الطاهرين . وبيّنها الرّسول وأهل الذكر عليهم السلام وعيّنوها و عيّنوا مواضعها و كيفيّة دلالتها والمنكرون لفضل آل محمّد صلوات الله

عليهم أجمعين أوّلوها بما سوّلت لهم أنفسهم فضلّوا و أضلّوا كثيراً و أوردوهم النّار و بئست مصيراً . (و واجب حقّه) ليس عطفاً «على ولايته» والضمير للامام، بل على الموصول أو على طاعته والضمير لله تعالى و إدراج الواجب على الأخير للمبالغة والاضافة على التقديرين من باب جرد قطيفة. (الّذي أراد) أي أراده من الامام أو العباد والموصول مع صلته صفة لحقّه. (من استكمال دينه) بالعلم و العمل (و إظهار أمره)لحفظ الطريقة الالهيّة عن الانطماس والعلوم النبويّة عن الاندراس سيّما عند ظهور البدعة و بروز الخدعة فانّه يجب على العالم حينئذ إبطالها باظهار الحقّ و من ثمّ وجب وجود معصوم في كلّ عصر ليكون مفزعاً في كلّ مصيبة و ملجأ في كلّ بليّة .

(والاحتجاج بحججه) إذ لكلّ حقّ حقيقة ، و لكلّ حقيقة دليل و حجّة من الله سبحانه فوجب على العاقل التمسّك في إثباتها بتلك الحجّة لا بما سوّلت له نفسه فانّ إيصاله إلى المفاسد أولى من إيصاله إلى المقاصد و يجوز أن يراد بالحجج الأئمة المعصومين إذ من حق الله تعالى على العباد أن يحتجّوا في العلوم الدّينيّة والمعارف اليقينيّة بقولهم عليهم السلام لأنّهم حفظة لسرّه وخزنة لعلمه والاستضاء بنوره) الّذي أودعه! في معادن أهل صفوته)المراد بالنور العلم على سبيل الاستعارة و تشبيه المعقول بالمحسوس لجامع عقلي و هو الايصال إلى المطلوب إذ بالعلم يدرك الحقّ و يفرق بينه و بين الباطل كما أنّ بالنور يدرك المحسوس و يفصل بين الأشياء المرئيّة ، والاستيضاء ترشيح ؛ و صفوة الشيء خالصه ، و نبيّنا صلى الله عليه وآله و عترته الطاهرين عليهم السلام صفوة الله من خلقه ، والاضافة الاولى بيانيّة أو لاميّة إن أريد بالمعادن القلوب والثانية بيانيّة والثالثة لاميّة ، و تتابع الاضافات لا يوجب ثقلاً مخلاً بالفصاحة (ومصطفى أهل خيرته) عطف على المعادن ، والاصطفاء الاختيار يقال : اصطفيته أي اخترته ، والمصطفى بصيغة الافراد أو الجمع باسقاط النون للاضافة ، والاضافة إمّا بيانيّة أو بتقدير «من» والخيرة مثال العنبة والسيرة إمّا بمعنى المختار أو بمعنى الاختيار وقد استعملت فيهما كما في قولهم محمّد صلى الله عليه وآله خيرة

الله وقوله تعالى: «ماكان لهم الخيرة».

(فأوضح الله بأئمّة الهدى من أهل بيت نبيّنا) حال عن الائمةأو بيان لها. (عن دينه) الّذي هو عبارة عن مجموع ماجاء به نبينا من القوانين. والايضاح الاظهار والابانة. يقال: وضح الشيء أي ظهر وبان؛ و أوضحته أي أظهرته و تعديته بعن للمبالغة (و أبلج بهم عن سبيل مناهجه) بلج الصبح يبلج بالضم بلوجاً إذا أشرق و أضاء و كذا الحقّ إذا اتّضح، وأبلجه إذا أظهره و أوضحه و «عن» زائدة للمبالغة في الرّبط والايصال و مناهجه كلّ ما يتقرّب به إليه سبحانه من العلوم الكاملة و الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، و سبيلها دلائلها، يعني أضاء بأنوار أئمة الهدى و إشراقاتهم سبل هذه الأمور الموصلة إلى جناب الحقّ الموجبة للتقرب به، وأوضح دلائلها (و فتح بهم عن باطن ينابيع علمه) الينابيع جمع ينبوع وهي عين الماء، و هذا الكلام إمّا على سبيل الاستعارة المكنية والتخييليّة. بتشبيه العلم بالماء، و إثبات الينابيع له، أو من قبيل لجين الماء، و في لفظ الباطن إشارة إلى علمهم بالاسرار الالهيّة والعلوم الغيبيّة اللّدنيّة المشار إليها بقوله تعالى: «عالم الغيب والشهادة فلايظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول» أو إلى علمهم بباطن القرآن ومتشابهاته على أن يكون المراد بالينابيع الآيات القرآنيّة.

(وجعلهم مسالك لمعرفته) لكلّ مطلوب طريق ومسلك من سلكه وصل إليه وهم عليهم السلام طرق معرفة الله بما يليق به و مسالكها بأمر الله عزّ شأنه و من رجع إليهم يتنوّر ذهنه بنور المعرفة وضوء الايمان ومن أعرض عنهم يتحير قلبه في تيه الجهالة وظلمة الكفران. (ومعالم لدينه) الناس بتعليمهم يعلمون أطوار الطريقة و بتفهيمهم يفهمون أسرار الشريعة (وحجّاباً بينه وبين خلقه) الحجّاب بالضمّ والتشديد جمع حاجب السلطان وهو الّذي يمنع من شاء من الدّخول عليه ويأذن من شاء ولا يمكن الوصول إلاّ بالرّجوع إليه والتمسّك به وهم عليهم السلام كذلك بالنسبة إلى السّلطان الأعظم جلّ شأنه (والباب المؤدّي إلى معرفة حقّه) الباب جنس يصدق على الكثير و بهذا الاعتبار صحّ حمله على الجمع، و توضيح المرام في هذا المقام

أنّ حقوق الله على عباده كثيرة وهي مدينة ليس فيها إلّا الحقّ ولا يدخلها إلّا أهل الحقّ، و تلك الحقوق أشرف و أعظم من أن ينالها العقول البشريّة بذاتها ويدركها باستقلالها لخفاء طرقها و دقّة مسالكها فربّما يقع في الخيال مثلاً التماثل بينه تعالى و بين المخلوقات و يجري عليه أحكام الأجسام والجسمانيات كما ترى في كثير من المبتدعة و لذلك جعل الله تعالى نبيّه ﷺ مدينة تلك الحقوق و عليّاً و أوصياءه عليهم السلام بابها كما يدلّ عليه « أنا مدينة العلم و عليّ بابها » و هو في الحقيقة باب الجنّة و باب الرّحمة و باب السّعادة ، فمن عكف على سدنته فقد رشد، ومن أعرض عنه فقد هلك وقد فسد.

(أطلعهم على المكنون من غيب سرّه) أطلعهم إمّا بتخفيف الطاء من قولك أطلعتك على سرّي إذا أظهرته له و وقفته عليه، وإمّا بتشديدها من قولك اطّلعت على باطن أمره بمعنى أشرفت عليه ، فلا يناسب المقام لأنّه لازم والمقصود أنّهم عليهم السلام لم يكونوا مقصورين على العلم بظاهر الشريعة بل أطلعهم الله سبحانه على أسرار مكنونة في لوح التصوير مكتوبة بقلم التقدير، غائبة عن بصائر الخلايق، مستورة عن ضمائر أرباب العلائق والعوائق وهم قد كانوا يظهرون بعضها لبعض إن وجدوه أهلاً ويخفونها عن غير أهله إذ كانوا أطبّاء النّفوس يتكلّمون النّاس بقدر عقولهم و من ثمّ قال سيّد الوصيّين أمير المؤمنين عليه السلام وقد أشار بيده إلى صدره « إنّ ههنا لعلوماً جمّة لو وجدت لها أهلاً ».

((الأصل)) :

« كلّما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً بيّناً ، و هادياً نيّراً . و »
« إماماً قيّماً ، يهدون بالحقّ وبه يعدلون ، حجج الله و دعاته و رعاته على خلقه، »
« يدين بهديهم العباد، ويستهلّ بنورهم البلاد ، و جعلهم الله حياة للانام ومصابيح »
« للظلام و مفاتيح للكلام و دعائم للاسلام و جعل نظام طاعته و تمام فرضه التسليم »
« لهم فيما علم والرّد إليهم فيما جهل، و حظر على غيرهم التهجّم على القول بما »

« يجهلون و منعهم جحد ما لايعلمون ، لما أراد تبارك و تعالى من استنقاذ من شاء »
« من خلقه ، من ملمّات الظلم و مغشيّات البهم وصلّى الله على محمد وأهل بيته الأخيار »
« الذين أذهب الله عنهم الرّجس [أهل البيت] و طهّرهم تطهيراً » .

((الشرح)):

(كلّما مضى منهم إمام نصب) فاعله ضمير يعود إلى الله أو إلى الامام ولاتفاوت في المعنى لأنّ الإمامة عهد من الله و رسوله لرجل بعد رجل حتّى ينتهي الأمر إلى صاحبه (لخلقه من عقبه إماماً) « من » جارّة أو موصولة « و إماماً » على الأوّل مفعول «نصب» وعلى الثاني حال عن الموصول وذلك لاستحالة خلوّ الأرض من حجّة وإلاّ لساخت بأهلها (بيّناً) في العلم و الحلم والامامة لظهور الآيات والكرامات منه مقروناً بدعوى الإمامة (و هادياً) المقرن الّذي هو فيهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم (نيّراً) كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم إذ بنوره يضيء قلوب المؤمنين و يرتفع عنها ظلمة الجهالة والغواية ، كما أنّ بنور الشمس يضيء وجوه الأرضين و يرتفع عن الأبصار ظلمة الغطاء والغشاوة (و إماماً قيماً) أي مستقيماً في أفعاله و أعماله وسائر الحالات الكاملة المطلوبة من الإنسان، من قوّمت الشيء فهو قويم أي مستقيم أو قيماً بأمر الإمامة من قام بأمر كذا (يهدون بالحقّ) «يهدون» حال عن الأئمة و «بالحق» ظرف مستقر حال عن ضمير الجمع أي يهدون النّاس حال كونهم متلبّسين بالحقّ، أو ظرف لغو أي يهدونهم بكلمة الحقّ و يدلّونهم على الاستقامة ويرشدونهم إليها (و به يعدلون) بينهم في الأحكام .

(حجج الله) أي هم حجج الله على خلقه والجملة حال عن ضمير الجمع (و دعاته و رعاته) جمع الدّاعي والرّاعي وهو إمّا من رعى الأمير رعيّته رعاية إذا حفظهم عن المكاره أو من رعيت الأغنام أرعاها رعياً إذا أرسلتها إلى المرعى ، و كفّلت مصالحها بتشبيه الخلق بالأغنام لأنّهم قبل الاستكمال بالشريعة بمنزلتها في الحيرة و عدم علمهم بمصالحهم و مضارّهم أو لاحتياجهم إلى من يحبسهم على

مرعى الشريعة و يمنعهم عن الخروج عنها ، كما أنّ الأغنام تحتاج إلى من يحبسها على مرعاها و ما فيه مصالحها (على خلقه) متعلّق بالثلاثة المذكورة على سبيل التنازع إذ بهم يحتجّ الله على خلقه في استكمال الدّين فلا يكون لهم عليه حجّة وهم دعاته على خلقه يدعونهم إلى معرفة ذاته و صفاته و شريعته، ورعاته عليهم يحفظونهم عن المكاره والمقابح و يرشدونهم إلى المحاسن والمصالح (يدين بهديهم العباد) أي العباد يطيعون الله ورسوله في الأمر والنهي وغيرهما مما يجب التقرّب والرضوان بسبب هدايتهم و إرشادهم ولولا ذلك لهلكوا جميعاً (و يستهلّ بنورهم البلاد) أي يستضيء بعلمهم البلاد أو أهلها على سبيل الاستعارة بتشبيه العلم بالنور في الهداية (جعلهم الله حيوة للانام) أي سبباً لحيوتهم و بقائهم في الدّنيا إلى أجل معدود إذ لولا وجودهم لمات الخلايق دفعة واحدة. و يحتمل أن يراد بالحيوة الإيمان بالله و باليوم الآخر والتصديق بما جاء به الشرع من باب تسمية السبب باسم المسبب لأنّ هذه الأمور سبب للحيوة الأبدية (ومصابيح للظلام) شبّه البدعة والجهالة بالظلمة في المنع من الاهتداء للطريق و استعمل في المشبّه لفظ المشبّه به و لزم من ذلك تشبيههم عليهم السلام بالمصابيح إذ بنورهم يرتفع غشاوة البدعة و الجهالة عن بصائر المؤمنين فيهتدون إلى سبيل الحقّ و يجتنبون عن طريق المفاسد كما أنّ بنور المصباح يرتفع غشاوة الظلمة عن أبصار الناظرين فيبصرون المطالب و يرشدون إلى المقاصد.

(و مفاتيح للكلام) تشبيه الكلام بالبيت المخزون فيها الجواهر استعارة مكنية و إثبات المفاتيح له تخييليّة والمراد بالكلام الكلام الحقّ مطلقاً أو القرآن العزيز ولا يفتح باب حقايقه و أسراره على قلوب العارفين ولا يشاهدها بصائر الطالبين إلاّ بتفسيرهم و تعليمهم عليهم السلام (ودعائم للاسلام) تشبيه الاسلام بالبيت مكنية و إثبات الدّعائم له تخييليّة فكما أنّ بقاء البيت يحتاج إلى دعائم متناوبة يقوم الآخر مقام الاوّل عند زواله كذلك بقاء الاسلام و عدم اندراسه بتوارد صواعق المحن و تواتر سيول الفتن يحتاج إلى ناصر و معين يقوم واحد بعد واحد إلى قيام السّاعة.

(وجعل نظام طاعته) أي ما ينتظم به طاعته. والنظام- بالكسر- الخيط الّذي ينظم به اللّؤلؤ ففي الكلام استعارة مكنيّة و تخييليّة (وتمام فرضه) على العباد من غير أن يكون فيه نقص و عيب (التسليم لهم فيما علم) أي فيما علمه العبد أو فيما هو معلوم و معنى التسليم الاخبات والخضوع، و تصديق قولهم فيما أسرّوا و ما أعلنوا سواء علمت المصلحة أو لم تعلم. ومن التسليم نقل حديثهم كما سمعوه من غير زيادة و نقصان كما دلّ عليه رواية أبي بصير عن الصادق عليه السلام (١) (والرّد إليهم فيما جهل) أي فيما جهله العبد أو فيما هو مجهول يعني الرجوع إليهم في استعلام المجهولات لا إلى غيرهم قال الله تعالى «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» وبالجملة أوجب الله تعالى علينا التسليم لهم في كلّ ما علمناه من تعليمهم والرّجوع إليهم في كلّ ما جهلناه لأنّهم اُستادنا و هادينا (٢) في ظلمات الطبايع البشريّة.

(و حظر على غيرهم التهجّم على القول بما يجهلون) الحظر المنع و منه قوله تعالى: «و ما كان عطاء ربّك محظوراً» و كثيراً ما يرد في الحديث ذكر المحظور و يراد به الحرام، و قد حظرت الشيء إذا حرمته و هو راجع إلى المنع، والهجوم الاتيان بغتة والدّخول من غير استيذان من باب طلب يعني حرم على غيرهم الدّخول على القول بما يجهلون و منعهم عن الاقدام عليه بمجرّد الظن والرأي والقياس بقوله تعالى «ولا تقف ما ليس لك به علم» و قوله تعالى «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلّا الحق» و مثله ما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «حق الله على العباد أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون» (٣) وما روي عنه عليه السلام أيضاً قال لسدير: «يا سدير أفاُريكم الصادّين عن دين الله ثمّ

(١) سيأتي في باب التسليم وفضل المسلمين تحت رقم ٨ حديث عن أحمد بن مهران عن عبدالعظيم الحسني عن علي بن اسباط عن علي بن عقبة عن الحكم بن أيمن عن أبي بصير قال سألت أباعبدالله «ع» عن قول الله عزوجل «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الى آخر الاية» قال: «هم المسلمون لآل محمد الذين اذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه و لم ينقصوا منه جاؤا به كما سمعوه».

(٢) كذا في جميع النسخ التي كانت عندنا.

(٣) سيأتي في باب النهي عن القول بغير علم تحت رقم ٧ من كتاب فرض العلم.

نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري وهم حلق في المسجد يعني في مسجد الحرام فقال هؤلاء الصادّون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين ، إنّ هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال النّاس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك و تعالى و عن رسوله حتّى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ» (١).

(و منعهم جحد مالا يعلمون) لأنّ عدم العلم بالشيء ليس علماً بعدمه ولا مستلزماً له فانكاره لايجوز عقلا ولا نقلا لقوله تعالى: «فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون» وقوله تعالى « بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لمّا يأتهم تأويله » (لما أراد تبارك و تعالى من استنقاذ من شاء من خلقه من ملمّات الظلم ومغشيات البهم)(٢) اللاّم لتعليل ما تقدّم في حقّهم عليهم السلام من لطف الله تعالى بهم و إكرامه عليهم وما موصولة والعائد إليه محذوف والملمّات جمع الملمّة وهي النازلة من نوازل الدّنيا وحوادثها، والظلم جمع الظلمة والمراد بها البدعة والفتنة على سبيل الاستعارة و ملمّات الظلم من باب جرد قطيفة، والغشاوة الغطاء و الاغشاء التغطية و منه قوله تعالى « فأغشيناهم فهم لايبصرون » و البهم جمع البهمة بالضمّ و هي ما يوقع في الحيرة لعدم معرفة وجهه من قولهم كلام مبهم إذا لم يعرف له وجه والتركيب أيضاً من باب جرد قطيفة يعني فعل الله تعالى في شأن الأئمة ما فعل و أكرمهم بما ذكر وجعلهم هادي الأمّة لما أراده الله تبارك وتعالى من استنقاذ من شاء من خلقه برحمته ورأفته و نجاتهم بسبب هداية الأئمة و إشراقات أنوارهم من ظلمات البدع والفتن إذا نزلت بهم ومن البهم الموجبة لحيرة عقولهم المغطّية لبصائر قلوبهم إذا وردت عليهم ولما حمد الله تعالى على صفاته الذاتية والفعلية الّتي من جملتها بعث الرّسول و نصب الخلفاء ، أراد أن يدعو لهم استعانة بأرواحهم المقدّسة المطهرة فيما هو بصدده و امتثالا لقوله تعالى « يا أيها الذّين آمنوا صلّوا عليه».

---

(١) رواه الكليني في كتاب الحجة باب أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الامام .

(٢) المراد بالمغشيات هنا الشبهات من باب الاستعارة كما أن الغطاء و الغشاء مانع من رؤية ما وراء كذلك الشبهات حاجب عن رؤية الحق و الطريق المحقق من مرضات الله .

فقال (وصلّى الله) عطف على قوله «الحمدلله» لأنّه في قوّة الجملة الفعليّة أوعلى قوله « أحمد » (على محمّد وأهل بيته) الطاهرين المعصومين جميعاً وإن كان أهل البيت يطلق تارة على عليّ و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام (الاخيار) جمع الخيّر بالتشديد إذ الخير بالتخفيف اسم تفضيل لايثنى ولايجمع كما بيّن في موضعه (الذين أذهب الله عنهم الرجس) اللام اما للجنس او للاستغراق (وطهّرهم تطهيراً) اقتباس لقوله تعالى «إنّما يريدالله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

((الأصل)):

« أما بعد فقد فهمت يا أخي ماشكوت من اصطلاح أهل دهرنا على الجهالة » « و توازرهم وسعيهم في عمارة طرقها و مباينتهم العلم و أهله ، حتّى كاد العلم » « معهم أن يأرز كلّه وينقطع موادّه ؛لما قدرضوا أن يستندوا إلى الجهل ويضيّعوا» «العلم و أهله . و سألت : هل يسع الناس المقام على الجهالة والتديّن بغير علم » إذ كانوا داخلين في الدين مقرّين بجميع أموره على جهة الاستحسان والنشوء» «عليه والتقليد للآباء والأسلاف والكبراء والاتّكال على عقولهم في دقيق الأشياء» «وجليلها؟ فاعلم ياأخي رحمك الله إنّ الله تبارك وتعالى خلق عباده خلقة منفصلة من» « البهائم في الفطن والعقول المركبة فيهم ، محتملة للأمر والنهي و جعلهم جلّ» « ذكره صنفين : صنفاً منهم أهل الصحّة والسلامة وصنفاً منهم أهل الضرر والزمانة، » «فخصّ أهل الصحّة والسلامة بالأمر والنهي بعد ما أكمل لهم آلة التكليف و » « وضع التكليف عن أهل الزمانة والضرر إذ قدخلقهم خلقة غير محتملة للأدب » « والتعليم و جعل عزّوجلّ سبب بقائهم أهل الصحّة والسلامة و جعل بقاء أهل » «الصحّة والسلامة بالأدب والتعليم ، فلو كانت الجهالة جائزة لأهل الصحّة و » «السلامة لجاز وضع التكليف عنهم و في جواز ذلك بطلان الكتب والرّسل والآداب» « وفي رفع الكتب والرسل والآداب فساد التدبير والرّجوع إلى قول أهل الدّهر » « فوجب في عدل الله عزّوجلّ و حكمته أن يخصّ من خلقه من خلقه خلقة »

«محتملة للأمر والنهي لئلا يكونوا سدى مهملين ، وليعظّموه ويوحّدوه ويقرّوا»
« له بالربوبيّة و ليعلموا أنّه خالقهم ورازقهم ، إذ شواهد ربوبيّته دالة ظاهرة و »
« حججه نيّرة واضحة و أعلامه لائحة ، تدعوهم إلى توحيد الله عزّ وجلّ وتشهد »
« على أنفسها لصانعها بالربوبيّة والالهيّة، لما فيها من آثار صنعه وعجائب تدبيره»
«فندبهم إلى معرفته لئلاّ يبيح لهم أن يجهلوه ويجهلوا دينه و أحكامه لأنّ الحكيم»
« لا يبيح الجهل به والانكار لدينه ، فقال جلّ ثناؤه : «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب »
« ألاّ يقولوا على الله إلاّ الحقّ » وقال « بل كذّبوا بمالم يحيطوا بعلمه » فكانوا »
«محصورين بالأمر والنهي ، مأمورين بقول الحقّ ، غير مرخّص لهم في المقام »
« على الجهل ، أمرهم بالسؤال والتفقّه في الدّين فقال « فلولا نفر من كلّ فرقة»
«منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم» و قال « فاسألوا »
«أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون » فلو كان يسع أهل الصحّة والسلامة المقام »
« على الجهل، لماأمرهم بالسؤال ولم يكن يحتاج إلى بعثة الرسل بالكتب والاداب»
« و كادوا يكونون عند ذلك بمنزلة البهائم ومنزلة أهل الضرر والزمانة ولو كانوا »
« كذلك لما بقوا طرفة عين ، فلمّا لم يجز بقاؤهم إلاّ بالأدب والتعليم وجب »
«أنّه لابدّ لكلّ صحيح الخلقة كامل الآلة ، من مؤدّب ودليل و مشير و آمر وناه»
«و أدب و تعليم و سؤال و مسألة».

((الشرح)) :

ولما فرغ عن التحميد والصّلاة أراد أن يشير إلى سبب تأليف هذا الكتاب.

و سببه بطريق الاجمال أنّ رجلاً من المؤمنين شكى إليه الخلايق بسوء عقايدهم و أفعالهم من اتّفاقهم على الجهل بأمر الدّين و تعظيمهم لأهله لعلّه ينزعه عن شكايته و يزيله عمّا يشكوه و سأله هل يسعهم المقام على الجهل والتقليد بالآباء والأسلاف أم لا، فأجاب بأن الناس على صنفين صنف أهل الضرر والزمانة ، وصنف أهل الصحّة والسّلامة و هذا الصنف لايجوز لهم المقام على الجهل بل وجب عليهم التعلّم والتعليم

وبيّنه في كلام طويل ، ثمّ امّا علم السائل وجوب التعلّم على هذا الصنف شكى إليه اختلاف الروايات و أنّه ليس بحضرته من يسأله ويعتمد بقوله ، و سأله أن يصنّف له كتاباً جامعاً للروايات الواردة في أُصول الدّين و فروعه فأجاب سؤاله ، و صنّف هذا الكتاب ليكون مرجعاً له و لسائر المؤمنين إلي يوم الدّين فأشار إلى ما ذكرناه إجمالاً بقوله :

(اما بعد فقد فهمت يا أخي ماشكوت من اصطلاح أهل دهرنا على الجهالة) أي من تراضيهم و توافق آرائهم عليها و محبتهم لأهلها و اجتماع كلمتهم فيها و استحسانهم إيّاها لأنّ كلّ حزب بما لديهم فرحون والاصطلاح من الصّلح وهو اسم بمعنى المصالحة والتصالح خلاف المخاصمة والتخاصم (و توازرهم) أي تعاونهم من الأزر و هو القوّة يقال : آزرت فلاناً أي عاونته والعامّة تقول وازرته (وسعيهم في عمارة طرقها) بتزيينها وتحسينها وترويج آثارها من اكتساب الخطيئات واقتراف السيئات و مودّة الانذال و معاشرة الأرذال لأنّ كلّ ذلك سبب لشهرتها واتّضاح أمرها و ميل أهل الطبع إليها (و مباينتهم العلم و أهله) في لفظ المباينة إشعار بأنّ الفعل من الطرفين و ذلك لأنّ العلم ضدّ الجهل فمن اتصف بأحدهما وحسّنه لنفسه يجتنب عن الآخر و أهله ، فكما أنّ الجاهل يستنكف عن التحلّي بالعلم والاستكمال بصحبة العلماء و مجالستهم كذلك العالم يستنكف عن التدنّس بالجهل والاسترذال بصحبة الجهّال و مجالستهم و ممّا ينبّهك على ذلك و إن لم يكن من هذا الباب حكاية الخضر و موسى على نبيّنا و آله عليهما الصّلاة والسلام فاذا كان الحال بين النبيّين المقرّبين الكاملين في القوّة العلميّة والعمليّة ماقد تعلم فالحال بين غيرهما أظهر و لزوم الافتراق أبين و أجدر (حتّى كاد العلم معهم) أي مع سوء معاملتهم و قبح أفعالهم و شدّة معاندتهم (أن يأرز كلّه) بتقديم الراء المهملة على المنقوطة أي يجتمع كلّه في زاوية النسيان من أرزت الحيّة إلى جحرها إذا انضمّت إليها و اجتمع بعضها إلى بعض فيها، أو يتقبّض و ينزل من الهمّ و الغمّ من أرز فلان يأرز أرزاً فهو أروز إذا تقبّض من بخله ولم ينبسط للمعروف

و على التقديرين في الكلام استعارة تبعيّة ، و يأزر بتقديم المنقوطة على المهملة بمعنى يضعف غير بعيد، والأزر مشترك بين الضدّين أي القوّة والضعف (و ينقطع موادّه) بالكليّة وهي الأخبار والآثار المرويّة عن المعصوم عليه السلام (لما قد رضوا أن يستندوا) في أعمالهم و عقايدهم (إلى الجهل) و يعتمدوا عليه و يركنوا إليه وهو إشارة إلى الاصطلاح و التوازر المذكورين كما أنّ قوله (و يضيعوا العلم و أهله) إشارة إلى المباينة المذكورة لأنّهم بسبب تلك المباينة يلبسون الحق بالباطل وهم عن الحقّ معرضون ويدرسون كتاب الجهل وهم به موقنون ويروّجون مسائله و هم بذلك مبتهجون ، ويتّبعون آثاره من الخطيئات و هم على ذلك مفرطون ، و يمدحون الدّنيا و أهلها و هم إليهم متقرّبون ، و يذمّون العلم و أهله و هم عنهم يجتنبون ، و يوحون إلى أقرانهم زخرف القول في ذمّ العلماء و هم بذلك مستبشرون ، و يكرهون مجالسة الحكماء الّذين هم ورثة الأنبياء و هم بهم مستهزؤون ، كذلك طبع الله على قلوبهم و هم عن إدراك الحقّ مبعدون ، فلذلك كاد العلم أن يأرز و ينقطع موادّه و ينهزم عن عساكر الجهل لفقده من ينصره إلاّ قليلاً من المؤمنين.

(و سألت هل يسع النّاس المقام) بنصب الأوّل على المفعوليّة ورفع الثاني على الفاعليّة (على الجهالة) في المعارف الحقيقيّة والأمور الشرعيّة . و«يسع» من وسعة المكان إذا لم يضيق عليه ويستعمل كثيراً في معنى الجواز يقال : يسعه أن يفعل كذا أي يجوز لأنّ الجائز موسّع غير مضيّق والمقام بفتح الميم و ضمّها لأنّه إن كان من قام يقوم فمفتوح و إن كان من أقام يقيم فمضموم ، و هو على التقديرين قد يكون مصدراً بمعنى القيام أو الاقامة، وقد يكون إسماً لموضع القيام و يجوز حمله هنا على كلا المعنيين لأنّ الأوّل يناسب الوسع بمعنى الجواز والثاني يناسبه بمعنى الضيق (والتديّن بغير العلم) يستند إلى معصوم شفاها أو بواسطة رواة ثقات (إذ كانوا داخلين في الدّين ، مقرّين بجميع اُموره على جهة الاستحسان) من غير حجّة و برهان ، والظرف متعلّق بالدّخول والاقرار على سبيل التنازع .

(والنشوء عليه) نشأ الصبيّ ينشأ نشأً على فعْل بتسكين العين و نشوء على فعـول بضمتين و همز اللاّم: إذا كبروشبّ ولم يتكامل، قيل : في بعض النسخ « والنشق » قال الجوهري : « يقال رجل نشق إذا كـان يدخل في اُمور لايكاد يتخلّص منها » (والتقليد) القلادة هي الّتي في العنق وقلّدت المرأة فتقلّدت هي، و منه التقليدفي الدّين و تقليد الولاة الأعمال و تقليد الهَدْي و هو أن يعلّق في عنقه شيء ليعلم أنّه هَديٌ (للآباء والأسلاف والكبراء) فقبلوا ماقبلوه وردّواماردّوه من غيرأن يتمسّكوا في ذلك بمتمسّك صحيح و مستند صريح كما هوالمشاهد في أكثرهذه الاُمّة ولو سئلتهم عن وجه ذلك لسكتوا بل قالوا إنّا وجدنا آباءنا على أمّة وإنّا على آثارهم مهتدون(والاتّكال على عقولهم في دقيق الأشياء و جليلها) يعني في اُصول العقائد و فروعها كما هو شأن بعض الحكماء والمتكلّمين و تابعيهما و بعض الفقهاء المتمسكين بالأدلة العقلية مثل الاستحسان والاستصحاب والمفهومات و غيرها .

(فاعلم يا أخي) شرع في الجواب عمّا سئله السائل بقوله : « هل يسع الناس» و ما أشكاه عن شكايته لم يأت بما يزيلها لأنّ تلك الخصال الذميمة قدصارت في أكثر النّاس كالطبيعة الثانية فلابدّ للعاقل اللّبيب من أن يتجرّع كأس الغصص و يصبرصبراً جميلاً (إنّ الله تبارك و تعالى خلق عباده خلقة) بكسر الخاء للنوع والحالة (منفصلة) أي متميزة (عن البهائم في الفطن) جمع الفطنة و هي الفهم والذكاء رجل فَطن و فِطن ذكي فهيم ، وفي بعض النسخ « في الفطر » بالـراء جمع الفطرة وهي الخلقة من الفطر بمعنى الايجاد كالخلقة من الخلق في أنّها اسم للحالة ثمّ جعلت إسماً للخلقة القابلة لدين الحقّ على الخصوص ، و عليه الحديث المشهور « كلّ مولود يولد على الفطرة » إسماً لملّة الاسلام نفسها لأنّها حالة من أحوال صاحبها و عليه قوله عليه‌السلام «قصّ الأظفار من الفطرة » كذا في المغرب ، وقد يرجّح هذا على ما في الأصل بأن الكلام في أصل الخلقة والفطنة من الاُمور العارضة (والعقول المركبّة فيهم) بالجرّ عطف على الفطن ويحتمل الرفع بالابتداء

قال الجوهري: «تقول في تركيب الفصّ في الخاتم و النصل في السّهم ركّبته فتركّب فهو مركّب» (محتملة) بالنصب حال عن العقول على الأوّل و بالرفع خبر لها على الثاني (للأمر والنهى) بخلاف البهائم، إذ ليست لها فطانة و ذكاء ولا عقول بل يتعلّق بها نفوس حيوانية لحفظ التركيب و الاغتذاء و النمو و توليد المثل والاحساس والحركات الاراديّة.

(وجعلهم) بعد اشتراكهم في الفطن والعقول (صنفين صنفاً منهم) بدل أو عطف بيان للمفعول الأوّل (أهل الصحة والسلامة) مفعول ثان، و من قال: إنّ «صنفاً منهم» منصوب على أنّه بدل عن مفعول ثان لجعل وأورد على قوله «أهل الصحّة و السلامة» بأنه لامحل له من الأعراب فقد أخطأ (و صنفاً منهم أهل الضرر) الضرّ خلاف النفع والاسم الضرر و هو المشقّة والضرير ذاهب البصر (والزمانة) هي آفة في الحيوانات و رجل زَمِن أي مبتلى بيّن الزّمانة قيل: المراد أنّهم ضرايروزمنا في الجوهر الباطني والأوّل إشارة إلى قصور القوّة النظرية الّتي يقال لها العقل النظري والثاني إلى اختلال القوّة العمليّة الّتي يقال لها العقل العملي، أقول الأولى حملهما على كلّ ما يمنع من توجه خطاب التكليف بالأدب والتعليم لأنّ المقصود بيان من يجوز له التقليد و من لايجوز. و أهل الضرر في العقل النظري و أهل الزمانة في العقل العملي قد لايكونون من أهل التقليد أيضاً، ولايشتبه حالهم على أحد فلايكون في التقسيم كثير فائدة. وههنا سؤال مشهور وهو أنّه لِمَ لم يخلقهم سواء؟ وما الباعث على هذا التفاوت وما المصلحة فيه؟ فأجاب عنه الأشاعرة بأنّه فاعل مختار يفعل في ملكه مايشاء ويحكم مايريد، لايسئل عمّا يفعل وهم يسئلون وأجاب بعض الحكماء بأنّ هذا التفاوت للتفاوت في القابليّة .والقابليّة شرط في الإفاضة، و هذا إلى الايجاب أقرب و من ظاهر الشريعة أبعد. وأجاب بعض آخر منهم بأنّه لمصلحة نظام الكلّ الّذي لانظام أكمل منه لأنّه لو خلق كلّ فرد على الوجه الأكمل بالنسبة إليه وحده لفات نظام الكلّ من حيث هو كلّ بل فات نظام كلّ فرد أيضاً، مثلاً لوجعل كلّ فرد فاضلاً عاملاً لما انتظم المصالح الجزئية الّتي

لابدّ في مزاولتها خسّة . والحقّ أنّ لهذا التفاوت بواعث ومصالح جمّة والعقول الناقصة قاصرة عن معرفة تفاصيلها .

وقد سأل المفضل بن عمر في توحيده عن الصّادق عليه السلام حين ذكر عليه السلام منافع ما في الإنسان من العقل والقوى الظاهرة والباطنة و غير ذلك من الأعضاء و ذكر مضارّ عدمها ، فقال المفضل : قلت فلم صار بعض النّاس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله في ذلك مثل ماوصفته يا مولاي؟ قال عليه السلام : ذلك للتأديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه ، كما قد يؤدّب الملوك النّاس للتنكيل والموعظة فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رأيهم ويصوّب من تدبيرهم ، ثمّ إنّ الّذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت أن شكروا و أنابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها حتّى أنّهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يردّوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب . (فخصّ أهل الصّحة والسلامة) القابلة عقولهم للأدب والتعليم . وخصّ بالخاء المعجمة والصّاد المهملة (بالأمر والنهي) في المعارف الالهيّة والفروع الشرعيّة و طلب منهم معرفة ذلك بالاستدلال على الوجه المعتبر و تعليمهم لغيرهم كما يشعر به قوله تعالى « فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون » (بعد ما أكمل لهم آلة التكليف) يعني القوى الباطنة والظاهرة مع صحّتها عن الآفات و خلوّها عن الموانع (و وضع التكليف عن أهل الضرر والزمانة إذ خلقهم خلقة غير محتمله للادب والتعليم) في المعارف اليقينيّة والقوانين الشرعيّة بالنظر والاستدلال . ولبعضهم هنا كلام لا يخلوا من مناقشة لأنّه فسّر آلة التكليف بالعقل الّذي لم يعرضه الجنون والإغماء و شبههما و فسّر الضرر و الزمانة بالاختلال في العقل و هذا صريح بقرينة المقابلة في أن وضع التكليف عن أهلهما عنده لفقد العقل بالجنون ونحوه ، ثمّ خصّ الأدب والتعليم بالمعارف الالهية حيث قال أي غير محتملة للتأدّب بالآداب العقليّة و النسك الالهية والتعلّم بالعلوم الحقيقيّة والمعارف اليقينيّة العلمية وإلاّ فالقسمان مكلّفان بالأوامر والنواهي الشرعيّة والأعمال من الصّلاة والطواف والزكاة و

الصّيام و غيرها من الأعمال البدنيّة هذه عبارته و فيه أنّ القسم الثاني إذا فقد العقل كيف يكون مكلّفاً بهذه الأمور فتأمّل.

(و جعل عزّ وجلّ سبب بقائهم) في الدّنيا (أهل الصّحة والسلامةوجعل بقاء أهل الصّحة والسلامة بالأدب والتعليم) إذ لولا الأدب و التعليم لكانوا كلّهم بمنزلة البهائم و لفات الغرض من الايجادولو كانوا كذلك لما بقوا طرفة عين لأنّ الله تعالى لايدع الأرض بغير عالم يعرف به الحقّ من الباطل (فلو كانت الجهالة جايزة) الظاهر أنّ الفاء للتعليل (لأهل الصّحة والسلامة) ولم يجب عليهم الأدب والتعليم كما لم يجب على أهل الضرر والزمانة (لجاز وضع التكليف عنهم) كما جاز وضعه عن أهل الضرر والزمانة (و في جواز ذلك بطلان الكتب و الرّسل و الآداب) لأنّ الغرض من إنزال الكتب و إرسال الرّسل و تقرير الآداب هو التلقّي بما تضمّنه الأوّل والتصديق بما جاء به الثاني وتزيين النفس وتكميلها بالثالث ليحصل لهم بذلك نظام الدّنيا و كمال الآخرة و إذا لم يجب عليهم ذلك بطل الغرض من هذه الأمور و إذا بطل الغرض بطل هذه الأمور و لزم العبث (و في رفع الكتب والرسل والآداب) والقول ببطلانها و فسادها (فساد التدبير) أي القول بأن ليس لهذا العالم صانع عالم مدبّر يصنعه بتقدير و تدبير و علم بعواقب الأمور من تدبّر الأمر إذا نظر في إدباره أي في عواقبه (والرّجوع إلى قول أهل الدّهر) المنكرين للحشر والنشر و بعث الأنبياء ، والقائلين بأن وجود هذا العالم وأجزائه من فعل الطبيعة باهمال لا بعلم ولاتدبير ، ولاصنعة فيه ولا تقدير بل الاشياء تتكوّن من ذاتها و كانت الدّنيا لم تزل ولاتزال ويقولون « إن هي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيى و ما يهلكنا إلّا الدّهر » وإن شئت أن تعرف جملة من تقديرات ربّك و تدبيرات إلهك فعليك بمطالعة توحيد المفضل المنقول عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام وقد سمعت عمن أثق به أنّ السيّد الجليل ابن طاؤوس رضي الله عنه أوصى إلى بعض أحبّائه و أمره أن يطالعه و يمارسه (١) والحقّ أنّه مع قلّة

(١) قد أوصى السيد ـ رحمه الله ـ ولده وثمرة مهجته «محمد» بقراءة هذا الكتاب في الفصل السادس عشر من كتاب كشف المحجة .

حجمه كتاب يظهر لمن مارسه من العلم بالحكم الالهية والتدبيرات الرّبوبيّة ما يكلّ اللّسان عن وصفه و يعجز البيان عن شرحه .

(فوجب في عدل الله و حكمته أن يحضّ) بالحاء المهملة والضاد المعجمة أو بالخاء المعجمة و الصاد المهملة و قيل : فى بعض النسخ « أن يحصر » بالحاء و الصاد المهملتين والراء أخيراً أي يضيق ويحبس، ويؤيّد الاخيرين قوله فيما بعد « فكانوا محصورين بالأمر والنهى » (من خلق من خلقه خلقة محتملة للأمر والنهى) و هو من كان من أهل الصحّة و السلامة كاملا فيه آلة التكليف (بالأمر والنهى) في الأحكام و المعارف و الظرف متعلّق بيحضّ (لئلّا يكونوا سدى) السّدى بضم السين وقد يفتح و كلاهما للواحد و الجمع بمعنى المهمل يقال إبل سدى أي مهملة ، وأسديتها أي أهملتها و ذلك إذا أرسلتها ترعى ليلاً ونهاراً بلاراع ، فقوله (مهملين) بدل أو بيان أو صفة للتوضيح والتفسير وفي إهمالهم والتخلية بينهم و بين نفوسهم غير ما ذكر من المفاسد ما لايخفى (وليعظموه) بتحميده وتمجيده وتوصيفه بما يليق به من صفات الكمال ونعوت الجلال (ويوحدوه) بنفي الشريك والتجزية ذهناً و خارجاً (و يقرّوا له بالرّبوبيّة) أي بأنّه ربّ كلّ شيء و مالكه و مدبّره ولارب سواه والربّ من أسمائه تعالى ولايطلق على غيره إلّا بالاضافة (و ليعلموا أنّه خالقهم) منه بدء وجودهم و بقاؤهم (ورازقهم) في كلّ ما ينتفعون به و يحتاجون إليه في التعيّش و البقاء، والرزق في اللّغة ما ينتفع به و عند الأشاعرة كلّ ما ينتفع به حيّ ، غذاء كان أوغيره ، مباحاً كان أو حراماً ، و خصّه بعضهم بالأغذية والأشربة و عند المعتزلة هو كلّ ما صحّ انتفاع الحيوان به بالتغذّي وغيره وليس لأحد المنع منه فليس الحرام رزقاً عندهم.

(إذ شواهد ربوبيّته دالّة ظاهرة و حججه نيّرة واضحة و أعلامه لائحة) العطف فيهما للتفسير و يحتمل أن يراد بالشواهد طبائع الممكنات القابلة للتربية الموصلة لها إلى كمالاتها ، وبالحجج نفس تلك الكمالات ، وبالأعلام مجموع ذلك من حيث المجموع أووضع كلّ ممكن في حدّه و مرتبته الّتي يليق به (تدعوهم

الى توحيد الله عزّ وجلّ) و علمه وقدرته وتدبيره و ساير صفاته و كمالاته و تبعثهم على التصديق بذلك ، والجملة في محل النصب على أنّها حال من فاعل الأخبار المذكورة و إنّما وضع الظاهر موضع الضمير للتبرّك بذكر الله و الاشارة إجمالاً إلى دلالة الأمور المذكورة على جميع كمالاته أيضاً كما أشرنا إليه (وتشهد) أي تلك الشواهد والحجج والأعلام (على أنفسها لصانعها بالرّبوبية والالهية لما فيها من آثار صنعه وعجايب تدبيره) فانّ من نظر بقلب سليم وعقل صحيح إلى أحوال هذا العالم و كيفية نضدها ومنافعها وأحوال الأفلاك و كيفيّة حركتها حول الأرض من شرق إلى غرب و من غرب إلى شرق و أحوال الشمس في طلوعها و غروبها وانتقالها من برج إلى برج لإقامة دور السنة و الفصول ومنافعها الّتي من جملتها نشو النبات ونموّها و إدراك الثمار و الغلات و ضبط الاوقات للدّيون و المعاملات وأحوال القمر في إنارته ونقصانه وزيادته وحركته في منازله ومنافع هذه الأمور وأحوال المتحيّرة في اختلاف حركاتها كمّاً و كيفاً وجهة وانتقالاتها واقتراناتها و استقامتها ووقوفها ، ورجوعها و ما يترتّب على هذه الأمور من المنافع وأحوال السفليّات مثل الأرض والماء والنّار والهواء والسّحاب المسخّر بين الأرض والسماء وانتقاله من موضع إلى موضع ، وإفاضة الماء في وقت و في محلّ دون وقت ومحلّ آخر وأحوال المعدنيّات مثل الذّهب والفضّة والياقوت والزبرجد والزّمرد الفيروزج والحديد والنحاس والرّصاص والزرنيخ والكبريت والقار والموميا ، و غيرها ممّا يشتدّ حاجة الناس إليه وتكثر منافعه ، و أحوال الحيوانات ومنافعها وفوائدها وخواصّها واهتدائها إلى مصالحها في معاشها وبقائها وفرارها عما يضرّها و ميلها إلى ماينفعها ، و من جملتها الذّرة الحقيرة وهي مع حقارتها و صغرها يجتمعن في جمع القوت وإعداده بالمعاونة في نقله إلى بيوتهنّ ثمّ يعمدن ويقطعن الحبّ لكيلا ينبت ولايفسد ، ومنها الزّنبور فانّه يعمل بيوتات مسدّسات ومخمّسات متجاورات من غير فرجة وقد يعجز عن مثلها المهرة من أرباب الهندسة و أحوال الانسان ومافيه من القوى والحواس والأعضاء والجوارح والعروق السّاكنة والمتحركة

والنفوس القابلة للعروج إلى أعلى علّيين و النزول إلى أسفل السافلين و أحوال الجنين واحتجابه في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرّحم و ظلمة المشيمة حيث لاحيلة له في طلب الغذاء ولادفع الضرر ولاجلب النفع كيف يجري إليه في تلك الأحوال جميع مايحتاج إليه و كيف يجعل له ثدي الامّ بمنزلة الأداوتين و كيف يجعل له الدّم لبناً خالصاً و كيف يحرّك هو شفتيه طلباً لغذائه عرف أنّ كلّ هذه الأمور و غيرها ممّا لا يعدّ ولا يحصى بأمر صانع عليم خبير قدير مدبّر أوجد كلّ ذرّة من ذرّات هذا العالم بعلم و قدرة و تدبير لاإله إلاّ هو تعالى الله عمّا يقوله الظالمون علوّاً كبيراً .

(و ندبهم) أي دعاهم (إلى معرفته) أي معرفة ذاته وصفاته و شرايعه وأحكامه كما يرشد إليه قوله (لئلايبيح لهم أن يجهلوه و يجهلوا دينه) الّذي شرعه لنظام أحوالهم وانقيادهم بالعبوديّة (و أحكامه) الخمسة المعروفة (لأنّ الحكيم لايبيح الجهل به والانكار لدينه) لأرباب الاستعداد وأهل الصحّة والسلامة و لعلّ المراد بالانكار الجهل بناء على أنّ إنكار الشيء مستلزم للجهل به ، فيطبق الدليل على المدّعى (فقال جلّ ثناؤه) الفاء تفصيل لقوله « ندبهم » أو تعليل له ، أو لقوله «أنّ الحكيم لايبيح الجهل والانكارلدينه» (ألم يؤخذ عليهم) إنكار للنفي أي أخذ من أهل الكتاب (ميثاق الكتاب) أي الميثاق المذكور في الكتاب وهو التورية، والميثاق العهد (أن لايقولوا على الله إلاّ الحقّ) و هو القول باشتراط التوبة في غفران الذّنوب حتماً ، و فيه أنّ ما ذهب إليه اليهود من إثبات المغفرة بغير توبة والبت عليها نقض لميثاق الكتاب و افتراء على الله و تقوّل عليه بما ليس بحقّ « و أن لايقولوا» عطف بيان للميثاق أومتعلّق به أي بأن لايقولوا، وقيل المراد بميثاق الكتاب قوله تعالى في التورية «من ارتكب ذنباً عظيماً فانّه لايغفر إلاّ بالتوبة» وحينئذ قوله «أن لايقولوا» مفعول له ومعناه لئلاّ يقولوا ، ثمّ الآية و إن نزلت لسبب مخصوص كما ذكره المفسرون إلاّ أنّا قد بيّنّا في الأصول أنّ خصوص السبب لايخصص عموم الحكم و على هذا دلّت الآية على أنه يجب على هذه الأمّة أيضاً أن يقولوا الحقّ

و يحرم عليهم أن يقولوا في صفاته و أفعاله و أحكامه و شرائعه ما ليس بحقّ، و أن يثبتّوا له ما هو منزّه عنه من الولد والصاحبة والتجسّم و التحديد و التشبيه و غير ذلك .

(وقال بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه) قال القاضي و صاحب الكشاف: بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن أوّل ما سمعوه و في بديهة السّماع قبل أن يفقهوا ويتدبّروا آياته و يعلموا كنه أمره و يفقهوا على تأويله و معانيه ، و ذلك لفرط نفورهم على مخالفة دينهم و مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد إذا أحسّ بكلمة لاتوافق مانشأ عليه و ألفه و إن كانت أضوء من الشمس في ظهور الصحّة و بيان الاستقامة أنكرها أوّل وهلة واشمئزّ منها قبل أن يحسن إدراكها بحاسّة سمعه من غير فكر في صحّة أو فساد لأنّه لم يشعر قلبه إلاّ صحّة مذهبه و فساد ما عداه من المذاهب ، ففي هاتين الآيتين دلالة واضحة على الندب إلى معرفة الحقّ والقول به وذمّ الجهل والمنكرين لدين الحقّ (فكانوا) أي أهل الصحّة والسلامة (محصورين بالأمر والنهي) في المعارف والأحكام أي محبوسين بهما لايجوز لهم التفارق عنهما أو أنّهما يتوجّهان إليهم لاإلى غيرهم من أهل الضرر والزّمانة (مأمورين بقول الحقّ)فيهما، والاضافة بيانيّة أو من إضافة المصدر إلى المفعول (غير مرخّص لهم) بفتح الخاء والظرف قائم مقام الفاعل أو بكسرها والفاعل هوالله تعالى (في المقام) بالفتح والضمّ مصدر (على الجهل) بدين الحقّ و أحكامه (أمرهم بالسؤال والتفقّه في الدّين) بمنزلة التعليل لما مرّ فلذلك ترك العاطف (فقال فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) قال القاضي و صاحب الكشّاف : فهلاّ نفر من كلّ جماعة كثيرة كقبيلة و أهل بلدة جماعة قليلة ليتكلّفوا الفقاهة في الدّين ، و يتجشّموا المشاقّ في أخذها وتحصيلها ، و ليجعلوا غرضهم و مرمى همّتهم في التفقّه إرشاد القوم وإنذارهم والنصيحة لهم ؛ و تخصيصه بالذكر لأنّه أهمّ ، و فيه دليل على أنّه ينبغي أن يكون غرض المتعلّم فيه أن يستقيم في نفسه و يقيم غيره، لا الترفّع على النّاس والتبسّط في البلاد و

التشبّه بالظلمة في ملابسهم و مراكبهم كما هو شأن بعض المتفقّهين.

و أورد عليهما بعض الأفاضل و تبعه بعض آخر بأنّهما جعلا الانذار والنصيحة آخر القصد ومرمى الهمّة في التفقّه ولم يتفطّنا بأنّه ممّا لا يساعده اللّفظ لوجود العاطف في التعليل فيكون «لينذروا» عطفاً على «ليتفقّهوا» باعادة لام العلّة ولو لم يكن الواو كان لما ذكره وجه.

أقول : نسبة عدم التفطّن بالعاطف إلى مثلهما سيّما إلى صاحب الكشّاف المبرّز في علم العربيّة والمقنّن لقوانينها في غاية البعد و إنّما نشأ ذلك من عدم التفطّن بمقصودهما لأنّ مقصودهما أنّ مجموع التفقّه في الدّين وتعلّم الأحكام و اُصول القواعد على اليقين و إنذار القوم و إرشادهم إليهما و إن كان غاية السعي والنفر لكن الظاهر أنّ الانذار غاية النفر بواسطة التفقّه إذ لا يمكن حصوله بدونه فهو بحسب الحقيقة والمعنى غاية التفقّه و إن كان في العبارة بظاهر العطف غاية النفر فهما جعلا الانذار غاية التفقّه رعاية لجانب المعنى و تنبيهاً على ماذكرنا .

(و قال فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) أمرهم بالسؤال على تقدير عدم العلم ولم يجوّز لهم البقاء على الجهالة والمقدّم ههنا جزاء للشرط عند من جوّز تقديمه عليه ، و دليل على جزاء محذوف بعده عند طائفة ، والشرط حال لا يحتاج إلى جزاء عند آخرين (فلوكان يسع أهل الصحّة والسلامة المقام على الجهل لما أمرهم بالسؤال) فيه دلالة على أنّ الأمر للوجوب إذ استحباب السؤال لا ينافي جواز المقام على الجهل (ولم يكن يحتاج إلى بعثة الرّسل بالكتب والآداب) لأنّ البعثة على هذا التقدير عبث إذ الغرض منها تكميل الخلايق وتهذيبهم فاذا لم يجب عليهم قبول ذلك وجاز لهم المقام على الجهل بطل الغرض ، وإذا بطل الغرض لزم العبث وإذا لزم العبث لزم عدم الاحتياج إلى ماذكر ولكن عدم الاحتياج باطل إمّا لما مرّ من نفي التدبير والرجوع إلى قول أهل الدّهر ، و إمّا لما أشار إليه بقوله (فكانوا) أي أهل السلامة (يكونون عند ذلك) أي عدم بعثة الرّسل بالكتب والآداب (بمنزلة البهائم و منزلة أهل الضرر والزمانة) في عدم الفرق بين الحقّ والباطل وعدم التمييز بين

المعارف و غيرها ، و قيل : إلاّ أنّ بين الفريقين فرقاً لأنّ أهل الصحة والسلامة لهم عذاب أليم في القيامة لأنّهم أبطلوا استعدادهم و أفسدوا قوّة مرآة بصيرتهم دون الطائفة الأخيرة لأنّهم مختوم على قلوبهم في الأزل و فيه نظر لأنّ المفروض عدم وقوع التكليف بشيء أصلاً فكيف يكونون معذّبين في القيامة والعذاب إنّما يكون بترك التكاليف (ولو كانوا كذلك) أي بمنزلة البهائم و أهل الضرر والزمانة (لما بقوا طرفة عين) و هلكوا دفعة واحدة من غير مهلة لأنّ حكمة الله تعالى تقتضي عدم بقاء الأرض و من عليها بدون أهل شريعة و دين و أصحاب معرفة و يقين .

(فلمّا لم يجز بقاؤهم إلاّ بالآداب والتعليم وجب أنّه لابدّ لكلّ صحيح الخلقة كامل الآلة من مؤدّب و دليل ومشير) ليحصل التأدّب بالآداب بإعانته و إرفاده والاهتداء إلى الحقّ بدلالته و إرشاده (وآمر وناه) ليسلك سبيل الخيرات بزواهر أمره و يسدّ سبيل المنهيات بزواجر نهيه (و أدب وتعليم) ليكتسب الذّهن من نورهما جلاء و يقترف العقل من ضوئهما صفاء (و سؤال و مسئلة) ليرفع عن وجه القلب نقاب الجهالة ويزيل عن ساحة العقل حجاب الضلالة ، لأنّ شفاء العيّ هو السؤال ، كلّ ذلك ليستكمل القوّة النظريّة والعمليّة على مراتبهما وتتخلّى النّفس عن الرذائل وتتحلّى بالفضائل ، وتخرج إلى حدّ الكمال من حدّ النقصان ؛ و تشاهد الصور الادراكيّة مشاهدة العيان ، و تدرك جلال الحقّ في مرآة ذاته ، ولا تغفل طرفة عين عن أفعاله ، وصفاته ؛ ففي كلّ وقت يحصل لها الشوق والسرور ، والله وليّها يخرجها من الظلمات إلى النور .

((الأصل)) :

« فأحقّ ما اقتبسه العاقل و التمسه المتدبّر الفطن و سعى له الموفّق »
« المصيب العلم بالدين و معرفة ما استعبد الله به خلقه : من توحيده و شرايعه و »
« أحكامه و أمره و نهيه و زواجره و آدابه ، إذ كانت الحجّة ثابتة و التكليف »
« لازماً و العمر يسيراً والتسويف غير مقبول و الشرط من الله جلّ ذكره فيما »

« استعبد به خلقه أن يؤدّوا جميع فرائضه بعلم ويقين و بصيرة ليكون المؤدّى »
« لها محموداً عند ربّه مستوجباً لثوابه و عظيم جزائه ، لأنّ الذي يؤدّي بغير »
« علم و بصيرة لا يدري ما يؤدّي ولا يدري إلى من يؤدّي . و إذا كان جاهلاً »
« لم يكن على ثقة مما أدّى ، ولا مصدّقاً . لأنّ المصدّق لايكون مصدّقاً حتّى »
« يكون عارفاً بما صدّق به من غير شكّ ولا شبهة ، لأنّ الشاكّ لايكون له »
« من الرّغبة و الرهبة والخضوع والتقرّب مثل ما يكون من العالم المستيقن »
« و قد قال الله عزّ و جلّ : « إلاّ من شهد بالحقّ وهم يعلمون » فصارت الشهادة »
« مقبوله لعلّة العلم بالشهادة، ولولا العلم بالشهادة لم تكن الشهادة مقبولة، والأمر »
« في الشاكّ المؤدّي بغير علم و بصيرة إلى الله جلّ ذكره إن شاء تطوّل عليه »
«فقبل عمله وإن شاء ردّ عليه ، لأنّ الشرط عليه من الله أن يؤدّي المفروض بعلم و»
«بصيرة و يقين كيلا يكونوا ممّن وصفه الله فقال تبارك و تعالى : « ومن الناس »
« من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأنّ به و إن أصابته فتنةٌ انقلب على »
« وجهه خسر الدّنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين » لأنّه كان داخلاً »
« فيه بغير علم ولايقين فلذلك صار خروجه بغير علم ولايقين وقد قال العالم عليه السلام: »
« «من دخل في الايمان بعلم ، ثبت فيه و نفعه إيمانه ، ومن دخل فيه بغير علم »
« خرج منه كما دخل فيه » . و قال عليه السلام: «من أخذ دينه من كتاب الله و سنّة »
« نبيّه صلى الله عليه وآله زالت الجبال قبل أن يزول ، و من أخذ دينه من أفواه الرّجال »
« ردّته الرّجال». وقال عليه السلام : « من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكّب الفتن . »

((الشرح)):

(فأحقّ ما اقتبسه) العاقل من المؤدّب والدليل ، يقال : اقتبست منه علماً أى استفدته (والتمسه) أي طلبه بالمسئلة و السؤال (المتدبّر الفطن و سعى له الموفّق المصيب العلم بالدّين و معرفة ما استعبد الله به خلقه) إذ بهذين العلمين يخرج الخلق من ظلمات الجهالة و يعلمون كيفيّة الخروج عن غشاوة الغواية و

الضلالة ، و بذلك يحصل لهم إصابة قرب ربّ العالمين و رفاقة من أنعم الله عليه من الانبياء والملائكة المقرّبين وحسن اولئك رفيقاً (من توحيده) بيان للدّين أي العلم بالدّين هو التصديق بوحدانيّته و صفاته اللاّيقة به و يندرج فيه التصديق بملائكته و كتبه و رسله و أوصياء رسله ، وبما أخبر به الرّسل من أحوال الآخرة مثل الحشر والنشر والحساب والميزان والصراط والجنّة والنار و غير ذلك من أحوال القيمة (و شرايعه و أحكامه و أمره و نهيه و زواجره و آدابه) بيان لما استعبدالله به خلقه (إذ كانت الحجّة ثابتة)على صحيح الخلقة كامل الآلة وهذا مع ماعطف عليه دليل على أنّ العلم بالدّين ومعرفة ما استعبدالله به خلقه أحقّ بالاقتباس و أولى بالالتماس (والتكليف لازماً) لما عرفت من الدلايل (والعمر يسيراً) مع ما فيه من الضروريّات الّتي لايمكن البقاء بدونه كالنوم وتحصيل الغذاء واللّباس و نحوها فلايسع العمر إلاّ للأهمّ والأحقّ و هو الأمور المذكورة (والتسويف غير مقبول) لأنّ العمر لايفي بذلك و لأنّ التكليف ثابت في وقت التسويف أيضاً (والشرط من الله جلّ ذكره فيما استعبد به خلقه أن يؤدّوا جميع فرائضه بعلم و يقين و بصيرة) لقوله تعالى « ولاتقف ماليس لك به علم » وقوله « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون » و قوله « فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم » و قوله « فلولا نفر ـ الآية ـ » إلى غير ذلك من الآيات الدالّة على اشتراط العلم والبصيرة في العمل.

(ليكون المؤدّي لها محموداً عند ربه) من ألطافه الخفيّة و عناياته الجليّة أنّه تعالى مع كمال استغنائه عن الخلق يقابل حمدهم بالحمد و شكرهم بالشكر و ذكرهم بالذكر كما قال: «اذكروني أذكركم » و في الحديث « قال الله تعالى من ذكرني في ملاء من النّاس ذكرته في ملاء خير من ملائه (١) » (مستوجباً لثوابه و عظيم جزائه) لأنّ الثواب والجزاء إنّما يترتّب على فعل المأمور به و ترك المنهي عنه ولايتصوّر ذلك إلاّ بالعلم والبصيرة بهما (لأنّ الّذي يؤدّي بغير علم و بصيرة لايدري ما يؤدّي ولايدري إلى من يؤدّي) لظهور أنّ من لم يعرف

---

(١) تقدم في ص ٢٥ نحوه .

ربّه ولم يعلم أوامره و نواهيه لايدري ما يفعل، ولالمن يفعل ، ولا من يتقرب إليه فلو فعل شيئاً لم يكن ذلك عبادة لأنّ العلم أصل العبادة والتقرّب روحه فاذا لم يتحقّقا لم يتحقّق العبادة (و إذا كان جاهلاً لم يكن على ثقة ممّا أدّى ولا مصدّقاً) بأن ما أدّاه هو المطلوب منه و يترتّب عليه الثواب و الجزاء (لأنّ المصدّق لايكون مصدّقاً حتّى يكون عارفاً بماصدّق به من غيرشكّ ولاشبهة) إن لم يكن للطالب بعد الشعور بالمطلوب رجحان بأحد طرفيه كان له شكّ فلايكون عارفاً و مصدّقاً به و إن كان له رجحان فان لم يكن ذلك الرّجحان مستنداً إلى دليل كان له تقليد و إن كان مستنداً إلى دليل فان كان ذلك الدّليل ظنّياً كان له ظنّ و هذان قداشتركا في أنّ تصديقهما قابل للشبهة فليس تصديقهما في الحقيقة تصديقاً لزواله بسهولة عند تواردالشبهات، فلايكون لهما معرفة و تصديق بحسب الحقيقة ، و إن كان ذلك الدّليل برهاناً مفيداً لليقين كان له تصديق قطعيّ و علم يقينيّ غير قابل للشبهة و هو مصدّق بحسب الحقيقة وعارف بما صدّق به ، و هذا التصديق هو المطلوب في دين الحقّ و معارفه (لأنّ الشاكّ) بدين الحقّ الغير الثابت الّذي يمكن زوال معرفته بتوارد الشبهات (لايكون لهمن الرّغبة والرّهبة والخضوع والتقرّب مثل ما يكون من العالم المستيقن) بالله و صفاته و بدينه الّذي شرعه للتقرّب إليه و لصلاح الخلق عاجلاً و آجلاً كما قال عزّ شأنه « إنّما يخشى الله من عباده العلماء » وقال: «هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون إنّما يتذكر أولوا الألباب » . (وقد قال الله عزّ وجل «إلاّ من شهد بالحقّ وهم يعلمون») قيّدالشهادة بالعلم وهويفيد اشتراط قبولها (فصارت الشهادة مقبولة لعلّةالعلم بالشهادة) أي بالأمر المشهودولولا العلم بالشهادة (لم يكن الشهادة مقبولة ضرورة انتفاء المشروط بانتفاءشرطه ولاشبهة في أنّ الشهادة بالأمور الدّينيّة والمعارف اليقينيّة داخلة تحت هذا الحكم بل هي من أعظم الشهادات فهي مشروطة بالعلم قطعاً (والأمر في الشاكّ) الظاهر أنّ المراد بالشاكّ من ليس له رجحان وتصديق أصلاً ومن كان له رجحان مستند إلى تقليد أو إلى دليل ظنّي بقرينة تقييد العلم فيما سيأتي باليقين، إذ فيهم

منه أنّ الشاك يشمل الأخيرين لقبول رجحانهما تشكيكاًو شبهة (المؤدّي) لفرائض الله تعالى (بغير علم وبصيرة) قلبيّة بتلك الفرائض(إلى الله جلّ ذكره) أي إلى مشيّته من غير أن يكون قبوله واجباً عليه كماهو الواجب في صورة العلم (إن شاء تطوّل عليه فقبل عمله و إن شاء ردّ عليه) هذا إن اتّفق إصابته في العمل.

إن قلت : أصحاب التقليد مع تحقّق الاصابة مؤمنون من أهل الجنّة، غايته أنّ إيمانهم دون إيمان أصحاب اليقين من أرباب المكاشفة والبراهين و درجاتهم دون درجاتهم فكيف يصحّ الرّد عليهم ؟

قلت : أوّلاً كون اعتقادهم إيماناً يوجب ترتّب القبول والثواب و الجزاء عليه غير معلوم ، وثانياً أنّ الايمان التقليديّ قابل للزّوال بطريان أدنى شبهة خصوصاً عند حضور الموت واضطراب النفس وإلقاء الشياطين شبهات متكاثرة فربّما ينهدم اعتقاده بتلك الشبهات لعدم ابتنائه على أصل ثابت و أساس قائم ، ولقد سمعت من أثق به أنّه قال : كانت لعجوزة دعوى على أحد بمال جزيل فمرضت مرضاً شديداً و حضرتها في حال الاحضار و كرّرت الشهادتين عليها وهي لم تتكلّم بهما ، فلمّا بالغت في ذلك قالت: إنّ هذا الّذي حاضر يقول لا تتكلّمي بهما فانّهما تمنعانك من أخذ حقوقك من فلان فماتت ، و ربّما يظهر عنده خلاف بعض عقائده و بطلانه فيصير ذلك سبباً لعدم وثوقه بساير اعتقاداته فيتردّد ، وربّما يميل قلبه إلى حبّ زهرات الدّنيا و شهواتها فيشتغل بها و يغفل عن اُمور الآخر لعدم كونه واثقاً بها تابتأعليها فيزهق روحه وهو على تلك الحالة مسلوب الايمان نعوذ بالله من هذه المفاسد و هذا هو المراد بقوله « إن شاء تطوّل عليه فقبل عمله و إن شاء ردّ عليه» يعني أنّ مشيّة الله تعالى في شأنه لكونه متزلزلاً غير ثابت غير معلومة لنا إن شاء أبقاه على ما كان عليه بفضله و إن شاء وكله إلى نفسه وهذا بخلاف العالم الثابت المنوّر قلبه بنور ربّه فانّه لما كان مستيقناً مشاهداً لما في عالم الملك والملكوت بعين البصيرة عارفاً بالمطالب عالماً بالمفاسد و بحقارة الدّنيا و زينتها كان له قدرة تامّة على أن يدفع عن نفسه جميع هذه المفاسد بعون الله تبارك وتعالى، وقد نقل عن بعض المشايخ العارف

الكامل: أنّه قال في حال الاحتضار حضرني ذلك اللّعين وألقى عليّ شبهات كثيرة و أنا أجبت عن كلّ واحدة واحدة منها ببراهين قاطعة فأفحم فعلمت أنّ علمي نفعني في الدّنيا والآخرة ، والله الموفّق والمعين. وإلى ما ذكرناه أشار بقوله : (لأنّ الشرط عليه من الله أن يؤدّي المفروض بعلم و بصيرة ويقين كيلا يكون ممّن وصفه الله فقال تبارك و تعالى : « و من الناس من يعبد الله على حرف») قال القاضي أي على طرف من الدّين لاثبات له فيه كالّذي يكون على طرف الجيش فان أحسّ بظفر قرّ وإلّا فرّ (« فإن أصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه) قال أيضاً ، روي أنّها نزلت في أعاريب قدموا إلى المدينة فكان أحدهم إذا صحّ بدنه و نتجت فرسه مهراً سرياً وولدت امرأته غلاماً سويّاً و كثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلّا خيراً واطمأنّ به وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلّا شرّاً وانقلب ، وعن أبي سعيد أن يهوديّاً أسلم فأصابته مصايب فتشأم بالإسلام فأتى النّبي صلى الله عليه وآله فقال أقلني فقال: إنّ الإسلام لايقال. فنزلت (خسر الدنيا و الآخرة) أمّا خسران الدّنيا فلابتلائه بالمصايب والفتن و ذهاب الأموال والأولاد و أمّا خسران الآخرة فلذهاب عصمته و حبوط عمله و فساد دينه بالارتداد (ذلك هو الخسران المبين) لفوات رأس ماله الّذي هو حياته في الدّنيا و حياته في الآخرة ولاخسران أظهر من ذلك و إنّما كان شأنه ذلك.

(لأنّه كان داخلاً فيه) أي في الدّين (بغير علم ولا يقين فلذلك صار خروجه بغير علم ولايقين) فخرج منه كما دخل فيه (وقد قال العالم عليه السلام) المراد به هنا موسى بن جعفر عليهما السلام ، وقيل : هو المراد من العالم إذا اُطلق، ويقال له الكاظم وأبوالحسن على الاطلاق و أبوالحسن الأوّل والعبد الصالح و أبوإبراهيم ، ويقال أبوالحسن الثاني للرّضا عليه السلام . وأبوالحسن الثالث للهادي عليه السلام . وأبوعبدالله الصادق عليه السلام. وأبوجعفر على الاطلاق و أبوجعفر الأوّل للباقر عليه السلام. وأبوجعفر الثاني للجواد عليه السلام والماضي و أبومحمّد للعسكري عليه السلام (من دخل في الايمان بعلم ثبت فيه و نفعه إيمانه ، ومن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل فيه) أي خرج منه

بغير علم إمّا لشبهة أولغرض منأغراض نفسانيّة وفيه أيماء إلى تساوي الايمان و عدمه عنده فليس استقراره فيه أولى من خروجه عنه.

(وقال عليه السلام من أخذ دينه) أي فرائضه أو طريقه و سبيله إلى الحقّ و ثوابه (من كتاب الله و سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله) بفهم و بصيرة (زالت الجبال قبل أن يزول) الضمير المستكنّ راجع إلى«من» أوإلى«دينه» وفيهعلى التقديرين مبالغة في استقراره على الدّين و عدم اهتزازه بصرصر الشبهات و هبوب رياح الأغراض و البليّات ، لحصول إعتقاده بعلم و يقين و ابتنائه على أصل متين (و من أخذ دينه من أفواه الرّجال) تقليداً لهم و اتّباعا لآثارهم و اقتفاء لأفعالهم وأطوارهم (ردّته الرّجال) عنه بإلقاء أدنى الشبهات وأضعف التدليسات لعدم تمسّكه بمستندشديدوأصل سديدفهو كنبات يابس تكسره حوادث الزّمن و تقلبه رياح الفتن و فيه إيماء لطيف إلى أن المقلّد لا بدّ من أن ينقلب من حال إلى حال لأنّ متابعته للأوّل ليس بأولى من متابعته للآخر، فاذا اختلفا يبقى هو متردّداً في قبول قول أحدهما دون صاحبه فيرجع من الظنّ إلى الشكّ (وقال عليه السلام من لم يعرف أمرنا) أي شأننا في الإمامة ورتبتنا في الخلافة والوراثة (من القرآن) بل أخذه بمجرّد التقليد أوالاستحسان (لم يتنكّب الفتن) تنكّبها تجنّبها و تباعد عنها ، يعنى لايقدر على العدول عنها ولايأ من الوقوع فيها لأنّ فتنة الشبهة والشكوك قد تزيله عن عقايده ، وفيه دلالة على وجوب الاستدلال في الأصول .

((الأصل)) :

« ولهذه العلّة انبثقت على أهل دهرنا بثوق هذه الأديان الفاسدة، والمذاهب »
« المستشنعة التي قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلّها وذلك بتوفيق الله تعالى وخذلانه»
« فمن أراد الله توفيقه وأن يكون إيمانه ثابتاً مستقرّاً ، سبّب له الأسباب التي تؤدّيه »
« إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله و سنّة نبيّه صلوات الله عليه و آله بعلم و يقين و»
«بصيرة ، فذاك أثبت في دينه من الجبال الرواسي ، و من أراد الله خذلانه و أن »
« يكون دينه معاراً مستودعاً ـ نعوذ بالله منه ـ سبّب له أسباب الاستحسان والتقليد »

«والتأويل من غير علم و بصيرة . فذاك في المشيئة إن شاء الله تبارك و تعالى أتمّ»
«إيمانه و إن شاء سلبه إيّاه ولايؤمن عليه أن يصبح مؤمناً و يمسي كافراً ، أو يمسي»
«مؤمناً و يصبح كافراً ، لأنّه كلّما رأى كبيراً من الكبراء مال معه و كلّما رأى»
«شيئاً استحسن ظاهره قبله ، وقد قال العالم عليه السلام : إنّ الله عزّ وجلّ خلق النبيّين»
«على النبوّة فلايكونون إلاّ أنبياء ، وخلق الأوصياء على الوصيّة فلايكونون إلاّ»
«أوصياء ، وأعارقوماً إيماناً فان شاء تمّمه لهم وإن شاء سلبهم إيّاه. قال : وفيهم»
«جرى قوله : «فمستقرّ ومستودع».

«و ذكرت أنّ أموراً قد أشكلت عليك ، لاتعرف حقائقها لاختلاف الرّواية»
«فيها و أنّك تعلم أنّ اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها وأسبابها وأنّك لاتجد»
«بحضرتك من تذاكره وتفاوضه ممّن تثق بعلمه فيها وقلت إنّك تحبّ أن يكون»
«عندك كتاب كاف يجمع [فيه] من جميع فنون علم الدّين ما يكتفي به المتعلّم»
«و يرجع إليه المسترشد ، و يأخذ منه من يريد علم الدّين والعمل به بالآثار»
«الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام والسنن القائمة التي عليها العمل ، و بها يؤدّي فرض»
«الله عزّ وجلّ و سنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وقلت : لو كان ذلك رجوت أن يكون ذلك»
«سبباً يتدارك الله تعالى ـ بمعونته وتوفيقه ـ إخواننا و أهل ملّتنا و يقبل بهم»
«إلى مراشدهم».

((الشرح)) :

(و لهذه العلّة) بعينها وهي أنّ من أخذ دينه من أفواه الرّجال ردّته الرجال و من لم يعرف أمرنا من القرآن يقع في الفتنة (انبثقت على أهل دهرنا) أي جرت عليهم . وفي النهاية انبثق الماء انفجر وجرى. وفي المغرب بثق الماء بثقاً : فتحه بأن خرق الشطّ أو السّكر وانبثق هو إذا جرى بنفسه من غير فجر. والبثق بالفتح والكسر الاسم . (بثوق هذه الأديان الفاسدة) فاعل انبثقت شبّه الأديان الفاسدة بالسيول وأثبت لها البثوق أي الشقوق جمع البثق بمعنى الشقّ ففيه استعارة مكنيّة و تخييليّة و أقحم البثوق وأسند الفعل إليها مع أنّ إسناده إلى هذه الأديان

الشبيهة بالسيول أولى للتّنبيه على أنّ هذه الأديان قد أحدثت في دين الحقّ ثلماً منكثّرة وخللاً متفاحشة متعدّدة لايمكن تداركها و إصلاحها، و في بعض النسخ «انبسق» بالسين المهملة ومعناه طالت عليهم فروع هذه الأديان وأغصانها من انبسق النخل إذا طالت باسقاتها و بواسقها و فيه أيضاً استعارة مكنية و تخييليّة وما في الأصل أحسن و أتقن (والمذاهب المستشنعة) وهي اثنان و سبعون لقوله ﷺ «ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة» (الّتي قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلّها) لأنّ أصحاب هذه المذاهب مخلّدون في النار كما يقتضيه الحديث المذكور وغيره ولا معنى للكفر والشرك إلاّ مايوجب الخلود فيها (وذلك) المذكور يعني أخذ الدين من كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه وأخذه من أفواه الرّجال (بتوفيق الله عزّ وجلّ وخذلانه) التوفيق توجيه الأسباب نحو المطلوب الخير وهو يرجع إلى نصرة الطالب وإعانته على طلبته ولابدّ من وقوع ذلك لكلّ من تمسّك بذيل رحمته لقوله تعالى « والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سلبنا و إنّ الله لمع المحسنين» والخذلان عدم الاعانة لمن أعرض عنه والحاصل انه تعالى هدى عباده أجمعين طريق الخير وطريق الشرّ فمن اختار طريق الخير أعانه عليه و من اختار طريق الشرّ و كلّه إلى نفسه فلا جبر ولاظلم والله ليس بظلاّم للعبيد (فمن أراد الله توفيقه و أن يكون إيمانه ثابتاً مستقرّاً) في لفظ الاستقرار إيماء إلى أنّ افعل العبد مدخلا في ثبوت إيمانه (سبّب له الأسباب الّتي تؤدّيه إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله) وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التعظيم والتكريم (و سنّة نبيّه ﷺ بعلم و يقين و بصيرة) قلبيّة بها يسلك سبيل المعارف و يشاهد كمال الله و جماله و جلاله (فذاك أثبت في دينه من الجبال الرواسي) أي الثوابت لأنّ زوال الاعتقادات إنّما يكون بتطرّق الشبهات و تصادم التدليسات ولاسبيل لها إليه .

(ومن أراد الله خذلانه وأن يكون دينه معاراً مستودعاً ـ نعوذ بالله منه ـ سبّب له أسباب الاستحسان) أي خلا بينه و بينها و يعمل بعقله مارآه حسناً مثل القياس و

أصالة البراءة و مفهوم اللّقب و مفهوم الصفة (١) إلى غير ذلك من المحسّنات العقليّة في اُصول العقائد و فروعها (والتقليد للآباء) و الكبراء (و التأويل) في المجمل والمتشابه و غيرهما بمجرّد رأيه (من غير علم و بصيرة) ناشيةمن الكتاب والسنّة ، و قول أهل البيت عليهم السلام (فذاك في المشيّة إن شاء الله تبارك و تعالى أتمّ إيمانه) ووفّقه لسلوك سبيل النجاة (وإن شاء سلبه إيّاه) و وكله إلى نفسه، والنفس أمّارة بالسوء فتورده مواردالهلكات (ولايؤمن عليه أن يصبح مؤمناً و يمسي كافراً أو يمسي مؤمناً و يصبح كافراً) مثله كمثل المسافر لابصيرة له و قد صادفه طريقان أحدهما يوصله إلى المطلوب والآخر يبعده عنه فان سلك الأوّل فقد اهتدى و إن سلك الآخر فقد ضلّ ، أو كمثل مسافر سلك طريقاً مخوفاً قد كثر فيه السباع وقطّاع الطريق فإن سلم منهم فقد رشد وإلّا فقد هلك (لأنّه كلّما رأى كبيراً من الكبراء مالمعه) من غيرعلم بأنّ ذلك حقّ أو باطل وقد ذمّهم سبحانه بقوله « و إذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون» و حكى عنهم بقوله « يوم تقلّب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله و أطعنا الرّسولا » « و قالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا ۞ ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » (و كلّما رأى شيئاً استحسن ظاهره قبله) لاستيناس قلبه بظواهر المحسوسات واستيحاش عقله عن بواطن المعقولات إذ المعقولات إنّما تدرك بعلوم برهانية وأنوار ربّانيّة وهي مفقودة فيه «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» فلذلك أفلس قلبه عن معرفة الأشياء على ماهي عليه و عن معرفة الأحكام و أحوال الآخرة الّتي بها قوام الايمان وثباته (وقد قال العالم عليه السلام : إن الله عزوجل خلق النبيين على النبوّة

(١) ليس هذه الامور مما يوجب الخذلان غير القياس والتفصيل في علم اصول الفقه ولكن الشارح جاري مع معاصريه من الاخباريين . و الظاهر من حاشيته على المعالم و شرحه الزبدة انه ناهج منهج اهل الاجتهاد و يتبع الدليل في الاصول والمفاهيم وغيرها. (ش)

فلايكونون إلّا أنبياء) ولايتزايلون عن وصف النبوّة أصلاً (وخلق الأوصياء على الوصية فلايكونون إلّا أوصياء) ولايتفارقون عن معنى الوصاية والخلافة أبداً (وأعار قوماً إيماناً فان شاء تمّمه لهم وإن شاء سلبهم إيّاه، قال: وفيهم جرى قوله فمستقرٌّ ومستودع) مستقرٌّ بفتح القاف أو كسرها على اختلاف القراءة جار في النّبي والوصيّ فبالفتح اسم مفعول يعنى مثبت في الايمان أو اسم مكان يعنى له موضع استقرار وثبات فيه وبالكسر اسم فاعل يعني مستقرٌّ ثابت فيه. ومستودع بفتح الدّال اسم مفعول أو اسم مكان جار في المُعار، واعلم أنّ الايمان والكفر طريقان متقابلان ولكلٍّ منهما سالك والسالك على طبقات متفاوتة فالطبقة الأُولى للايمان من وضع القوانين الشرعيّة بأمر الله تعالى وهم الأنبياء الّذين أيّدهم الله بروح النبوّة و روح القدس والثانية أوصياؤهم الذين أيّدهم الله بروح الامامة وإذا قبض الانبياء انتقل روح القدس إلى أوصيائهم و هو لاينام ولايغفل ولايلهو ولايزهو، و به يعرفون ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، و يشاهدون ما كان وما هو كائن و مايكون في الدّنيا والآخرة والثالثة التابعون لهم في الأقوال والأعمال والعقائد والمسلّمون لهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه. والرّابعة أصحاب التقليد والاستحسان الّذين ينظرون إلى ظواهر الأشياء ويأخذون ماراٌوه حسناً و يتركون ماعدّوه قبيحاً. والطبقة الأُولى للكفر من وضع القوانين الفاسدة لشبهات شيطانيّة وتسويلات نفسانيّة كواضعي الدين من الملاحدة والمجسّمة ونحوهما من الأديان الفاسدة، والثانية المتعلّمون لتلك الشبهات بتعليمهم والمروّجون لتلك الأديان بأمرهم و تفهيمهم و هم بمنزلة أوصيائهم مقابل أوصياء الأنبياء عليهم السلام. والثالثة التابعون لهم وأهل التسليم لعقائدهم وأفعالهم و أعمالهم. والرّابعة أصحاب التقليد والاستحسان وحال الكلّ في الهداية والضلالة والرّسوخ وعدمه ظاهرة إلّا أصحاب التقليد والاستحسان من الفريقين فانّ الايمان والكفر فيهما معاران مستودعان فان شاء الله تمّمها لهم وإن شاء سلبهم إياهما ومن ههنا ترى المؤمن قد يرتدّ فيصير كافراً بعد ما كان مؤمناً أو الكافر يرجع و يصير مؤمناً بعد ما كان كافراً، نعوذ بالله من سوء العاقبة.

(و ذكرت أنّ اُموراً قد أشكلت عليك لا تعرف حقايقها لاختلاف الرّواية فيها)
اختلافاً يوجب الأخذ ببعضها طرح البواقي لعدم إمكان الجمع بينها بوجه (وإنّك تعلم أنّ اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها و أسبابها) من جملتها أغراض نفسانيّة وتقرّبات سلطانيّة وتخيّلات شيطانيّة لقوم سوّلت لهم أنفسهم فوضعوا الأحاديث لخبث عقائدهم على وفق مقاصدهم كما حكي أنّ غياث بن إبراهيم دخل على المهدي العباسي و كان المهدي يحبّ المسابقة بالحمام فروى عن النّبي ﷺ أنّه قال لاسبق إلاّ في خفّ أو حافر أو نصل أو جناح فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم فلمّا خرج قال المهديّ أشهد أنّ قفاه قفا كذّاب على رسول الله ، ما قال رسول الله ﷺ أو جناح ولكن هذا أراد أن يتقرّب إلينا و أمر بذبح الحمام و قال : أنا حملته على ذلك.وقد وضع المنافقون والزّنادقة والغلات والخوارج أحاديث كثيرة، و حكي أنّ بعضهم كان يقول بعد ما رجع عن ضلالته : انظروا إلى هذه الأحاديث عمّن تأخذونها فانّا كنّا إذا رأينا رأياً وضعنا له حديثاً ، و منها توهّم الرّاوي فربّما سمع حديثاً ولم يحفظه على وجهه ووهم فيه فلم يتعمّد كذباً و هو في يده يقول و يعمل به ولو علم أنّه وهمه لرفضه ولو علم المسلمون أنّه وهم لرفضوه .

ومنها التقيّة إذ كثيرا ما كانوا عليهم السلام يفتون على سبيل التقيّة والخوف من النهب و القتل و منها عدم علم الرّاوي بالناسخ فربما سمع الأمر بالشيء ثمّ نهوا عنه و هو لا يعلم ، أو سمع النهى عن الشيء ثمّ أمروا به و هو لايعلم فعلم المنسوخ و لم يعلم الناسخ فيروي المنسوخ و يعمل به، و لو علم هو أو المسلمون أنّه منسوخ لرفضوه .

(و ذكرت أنك لاتجد بحضرتك) حضرة الرّجل قربه و فناؤه (من تذاكره و تفاوضه) فاوضه في الأمر أي جاراه و مفاوضة العلماء أن يعطي كلّ واحد منهم ما عنده من العلم صاحبه و يأخذ ما عند صاحبه وهي المساواة والمشاركة مفاعلة من التفويض وهو ردّ الأمور إلى الغير (ممّن تثق بعلمه فيها) أي في الرّوايات حتّى يكشف لك عن وجهها حجاب الاختلاف (و قلت : إنّك تحبّ أن يكون

عندك كتاب كاف يجمع [فيه] من جميع فنون علم الدّين) الفنون الأنواع والأفانين الأساليب وهي أجناس الكلام و طرقه، المراد بها هنا أُصول المعارف و فروعها على اختلاف أنواعها (ما يكتفى به المتعلّم ويرجع إليه المسترشد و يأخذ منه من يريد علم الدّين والعمل به) ليكون تبصرة للطالبين و تذكرة للعالمين و تكملة للعاملين (بالآثار الصحيحة) متعلّق بيجمع أو بيأخذ أو بعلم الدّين أو ظرف مستقرّ حال عن «كتاب» (عن الصادقين عليهم السلام والسنن القائمة) المراد بالسنّة هنا الطريقة النبوية الشاملة للمندوبات والمفروضات وغيرها، والمراد بقيامها دوامها واستمرارها و اتّصال العمل بها إلى يوم القيمة (الّتي عليها العمل و بها يؤدّي فرض الله و سنّة نبيه صلى الله عليه وآله) تقديم الظرف في الموضعين للحصر، والمراد بالسنّة هنا خلاف الفرض بقرينة المقابلة أو الأعمّ من الندب والفرض بتخصيص الفرض المذكور بما ثبت بالقرآن فقد طلب منه كتاباً يكون العامل به مؤدّياً جميع ما عليه من معرفة أحوال المبدء والمعاد و معرفة الفروع كلّها.

(و قلت لو كان ذلك) أي لو وجد الكتاب المذكور (رجوت أن يكون ذلك سبباً يتدارك الله) استدرك ما فات و تدارك به بمعنى، وفيه إشارة إلى ما مرّ صريحاً من اضمحلال أهل الملّة المستقيمة وتفرّق نظامهم و تشتّت أحوالهم (بمعونته و توفيقه) المعونة والاعانة بمعنى و في بعض النسخ «بمعرفته» والمصدران مضافان إلى الفاعل والضمير عايد إلى قوله «سبباً» وإرجاعه إلى الله تعالى يوجب خلوّ الجملة الوصفيّة عن ضمير الموصوف (إخواننا و أهل ملّتنا) من الفرقة الاماميّة فينتظم به أحوالهم بعد تشتّتها ويجتمع كلمتهم بعد تفرّقها (و يقبل بهم) اى يجعلهم مقبلين (إلى مراشدهم) الرّشد خلاف الغيّ والمراشد الطرق الموصلة إلى الحقّ لأنّها محالّ الرّشد والهداية.

((الأصل)):

« فاعلم يا أخي أرشدك الله أنّه لايسع أحداً تمييز شيء مما اختلف الرواية »

« فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه إلاّ على ما أطلقه العالم بقوله عليه السلام: اعرضوها على »

«كتاب الله فما وافق كتاب الله عزّ وجلّ فخذوه ، و ما خالف كتاب الله فردّوه ، »
«وقوله عليه السلام دعوا ماوافق القوم فإنّ الرشد في خلافهم . وقوله عليه السلام خذوا بالمجمع»
« عليه، فإنّ المجمع عليه لاريب فيه . و نحن لا نعرف من جميع ذلك إلاّ أقلّه »
«ولا نجد شيئاً أحوط ولا أوسع من ردّ علم ذلك كلّه إلى العالم [عليه السلام] وقبول ما وسّع»
« من الأمر فيه بقوله عليه السلام بأيّما أخذتم من باب التسليم وسعكم وقد يسّر الله وله»
« الحمد تأليف ما سألت وأرجو أن يكون بحيث توخّيت فمهما كان فيه من تقصير فلم»
«تقصر نيّتنا في إهداء النصيحة إذ كانت واجبة لاخواننا وأهل ملّتنا مع ما رجونا أن نكون»
«مشاركين لكلّ من اقتبس منه و عمل بما فيه في دهرنا هذا وفي غابره إلى انقضاء»
«الدنيا إذ الربّ جلّ وعزّ واحد والرّسول محمّد خاتم النبيّين - صلوات الله وسلامه»
« عليه وآله - واحد والشريعة واحدة وحلال محمّد حلال وحرامه حرامٌ إلى يوم »
«القيامة . ووسّعنا قليلاً كتاب الحجّة وإن لم نكمّله على استحقاقه لأنّا كرهنا»
«أن نبخس حظوظه كلّها و أرجو أن يسهّل الله جلّ وعزّ إمضاء ما قدّمنا من النيّة»
« إن تأخّر الأجل صنعنا كتاباً أوسع و أكمل منه نوفّيه حقوقه كلّها إن شاء »
«الله تعالى وبه الحول والقوّة وإليه الرغبة في الزيادة في المعونة والتوفيق . و»
«الصلاة على سيّدنا محمّد النبي صلى الله عليه و آله الطاهرين الأخيار . وأوّل ما أبدأ به و»
أفتتح به كتابي هذا كتاب العقل و فضائل العلم و ارتفاع درجة أهله و علوّ قدرهم»
«و نقص الجهل و خساسة أهله و سقوط منزلتهم ، إذ كان العقل هو القطب الذي»
عليه المدار ، وبه يحتجّ وله الثواب و عليه العقاب والله الموفّق .

((الشرح)) :

(فاعلم يا أخي أرشدك الله أنّه لايسع أحداً تمييز شيء) أي لايجوز من وسعه الشيء إذا جاز له أن يفعله ولم يضق عنه (ممّا اختلفت الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام) «فيه» متعلّق بالاختلاف، « و عن» بالرواية ، والمراد بالاختلاف ماذكرنا من الاختلاف التام الّذي يوجب عليه العمل ببعضها طرح البواقي و حمله على مطلق

الاختلاف بين الرّوايات الّتي يصلح أن يكون بعضها مفسّراً لبعض بعيد جدّاً (برأيه) متعلّق بالتمييز أي لايجوز التمييز بمايقتضيه رأيه بنحو من أنحاء الاستحسان لأنّ دين الله لايدرك بالرأي والقياس (إلاّ على ما أطلقه العالم) أي أحلّه و جوّزه من الطلق بالكسر و هو الحلال (بقوله عليه السلام اعرضوها) أي الرّوايات المختلفة (على كتاب الله عزّ وجلّ فما وافق كتاب الله جلّ و عزّ فخذوه و ما خالف كتاب الله فردّوه) لأنّ كلّ حكم من الأحكام و كلّ حقّ من الحقوق موجود في الكتاب كما قال سبحانه « ولا حبّة في ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلاّ في كتاب مبين» (١) فما لم يوجد فيه ليس بحكم ولا حقّ و كلّ ماليس بحكم ولا حقّ فهو مردود .

(و قوله عليه السلام دعوا) من الروايات المختلفة بعد موافقة الجميع كتاب الله (ما وافق القوم) يعني العامّة فانّ الرّشد أي الهداية إلى الحق (في خلافهم) لأنّهم سالكون مسالك الطبايع راغبون عن مراشد الشرايع غالباً و هذه قرينة واضحة على أنّ الحقّ في خلافهم (و قوله عليه السلام خذوا) من الروايات المختلفة (بالمجمع عليه) عند العصابة المحقّة (فانّ المجمع عليه) عندهم (لاريب فيه) و قد يستدلّ بهذا على حجّيّة الإجماع و سنتكلّم عليه إن شاء الله تعالى (و نحن لانعرف من جميع ذلك إلاّ أقلّه) أي أقلّ ذلك الجميع يعني إنّا لانعرف من أفراد التمييز الحاصل من جهة تلك القوانين المذكورة إلاّ الأقل أو إنّا لانعرف من جميع ذلك المذكور من القوانين الثلاثة إلاّ الأقل فانّ ذلك متوقّف على معرفة الأحكام الجزئية و استنباطها من الكتاب و معرفة مذاهب العامّة فيها و معرفة إجماع الفرقة الناجية عليها ، وتحصيل هذه المعارف متعسّر جدّاً ، وقيل: المقصود أنّا لانعرف للاعتماد والتعويل لكلّ أحد من المتعلّمين من جميع ما ذكرنا إلاّ ما هو أقلّه إتعاباً و

---

(١) قوله « في كتاب مبين » ليس المراد بكتاب مبين هنا القرآن لكن ورد هذا المضمون في آي كثيرة مثل « تبيانا لكل شيء » «ولكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل كل شيء» الى غير ذلك. (ش)

أسهله عليهم مأخذاً ، وهو المفسّر بقوله « ولانجد » و هذا مستبعد جدّاً لعدم فهمه من العبارة (ولانجد شيئاً أحوط ولاأوسع من ردّ علم ذلك كلّه إلى العالم) من أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله فانّ فيه التحرّز عن القول في الدّين بغير علم و التخلّص عن التعب والتجنّب من عذاب الآخرة كما قال العالم عليه السلام «إذا كان ذلك فأرجه حتّى تلقى إمامك فانّ الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات » و قيل : يجوز أن يراد بالعالم العالم من علماء الامامية الّذي علم اُصول المذهب وفروعه ببصيرة وبرهان ، وهذا بعيد أمّا أوّلاً فلأنّ المعهود من كلام المصنف أنّه كلّما أطلق العالم أراد به المعصوم عليه السلام و أمّا ثانياً فلوجود «عليه السلام» بعد العالم في بعض النسخ ، و أمّا ثالثاً فلأنّه لايناسب العبارات الآتية إلاّ بتكلّف كما ستعرفه (و قبول ما وسّع من الأمر فيه) أي فيما اختلفت الرّواية فيه عنهم عليهم السلام و فاعل «وسّع» بالتشديد ضمير العالم (بقوله) متعلّق بوسّع (بأيّما أخذتم من باب التسليم) للعالم والانقياد له (وسعكم) أي جاز لكم و فيه دلالة على أنّ المكلّف مخيّر في العمل بالرّوايات المختلفة في زمان الغيبة كما هو مذهب أرباب اُصول الفقه و على ماجوّزه ذلك القائل لايرتبط هذا الكلام بما قبله إلاّ بتكلّف و هو أن يجعل قوله : «بقوله» متعلّقاً بالقبول ، و معناه قبول ما وسع ذلك العالم من علماء الامامية و صحّ له من التحقيق والتوفيق بين الرّوايات المختلفة بقوله أي بمجرّد قوله و رأيه للاعتماد عليه فيما صحّحه أورده من الرّوايات والفتاوي والأحكام ويجعل قوله «بأيّما أخذتم - إلى آخره - » مبتدءاً وخبراً على سبيل الاستيناف لامقول القول، يعني أيّما أخذتم به من أقوال ذلك العالم تسليماً له و قبولاً لقوله جاز لكم العمل به ، و هذا التكلّف بعينه من غير تفاوت أشار إليه ذلك القائل و هو أعلم بما قال و بما حداه على ذلك.

(وقد يسّر الله وله الحمد تأليف ما سألت) من الكتاب الكافي الشامل لجميع فنون علم الدّين (و أرجو أن يكون بحيث توخّيت) أي تحرّيت و قصدت (فمهما كان فيه من تقصير في الجمع والتأليف و ذكر مايحتاج إليه (فلم تقصر نيّتنا

في إهداء النصيحة) التقصير في الأمر التواني فيه و عدم الاتيان به على وجه الكمال والاهداء الابلاغ والارسال . والنصيحة فعل شيء الّذي به الصلاح كارشاد الجاهل و تنبيه الغافل والاعانة على مصالح الدّنيا والدّين يعني لو كان فيه تقصير مالم يكن ذاك لقصور في النّية و توانيها بل بالغت في إبلاغ النصيحة بقدر الوسع والطاقة (إذ كانت) أي النصيحة (واجبة لاخواننا و أهل ملّتنا)لقول رسول الله ﷺ «لينصح الرّجل أخاه كنصيحة لنفسه» (١)وقول الصادق عليه السلام : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة » (٢) (مع ما رجونا) «ما» مصدريّة والظرف حال عن فاعل أرجو يعني أنّ ذلك الرّجاء مقرون مع رجاء (أن نكون مشاركين لكلّ من اقتبس منه) أي استفاد منه علماً و هداية(وعمل بما فيه) من الأحكام (في دهرنا)متعلق باقتبس و عمل أو حال عن فاعلهما (و في غابره) الغابر الماضي و المستقبل و و هو من الأضداد والمراد هنا الثاني (إلى انقضاء الدّنيا) متعلّق بالغابر و غاية للاقتباس والعمل فلاينافي رجاء مشاركةالثواب في الآخرة ولم يذكره لأنّه تابع لذلك الرّجاء ؛ ثمّ علّل بقاءالاقتباس والعمل إلى انقضاء الدّنيا بثلاثة اُمورالأوّل ما أشار إليه بقوله (إذ الرّبّ عزّ و جلّ واحد) لاشريك له فلايتطرّق التغيّر في تدبيره من جهة الشركة والتنازع ، والثاني ما أشار إليه بقوله (والرسول محمّد خاتم النبيّين ﷺ واحد) لا شريك له في تبليغ الرّسالة فلايتصوّر فسادالدّين من جهة الشركة في الرّسالة أيضاً والثالث ما أشار إليه بقوله (والشريعةواحدة) إذ لانبيّ بعده ولاشريعة بعد شريعته فلايتصوّر زوال الدّين من جهة النسخ أيضاًو بالجملة زوال الدّين إمّا من جهة التنازع التابع للشركة في الرّبّ أوفي الرّسول أو من جهة النسخ و إذا انتفت هذه الاُمور بقي الدّين إلى قيام الساعة كما أشار بقوله (و حلال محمّد حلال ، و حرامه حرام إلى يوم القيمة) فاذن كان

(١) ورواه الكليني ـ رحمه الله ـ في باب نصيحة المؤمن من كتاب الايمان والكفر من الكافي تحت رقم ٤ .

(٢) رواه الكليني ـ رحمه الله ـ أيضا في الباب المذكور تحت رقم ٣ .

الاقتباس والعمل بما في هذا الكتاب المشتمل على حلاله و حرامه باقياً إلى يوم القيمة (ووسعنا قليلاً) التوسيع خلاف التضييق، تقول وسعت الشيء فاتّسع أي صار واسعاً و«قليلاً» منصوب على المصدر أي توسيعاً قليلاً (كتاب الحجّة) وهو الكتاب الثالث(٣) من كتب الكافي سمّي به لاشتماله على بيان لزوم الحجّة وعدم خلوّ الارض منها مادامت السموات والأرض (وإن لم نكمّله) أي كتاب الحجّة (على استحقاقه) لأنّا لم نذكر جميع ما يتعلّق به الأحاديث والأخبار (لأنّا كرهنا) تعليل للتوسيع في الحجّة (أن نبخس) أي ننقص و نترك (حظوظه كلّها) الحظوظ جمع كثرة للحظ وهو النصيب (وأرجوأن يسهّل الله جلّ وعزّ امضاء ماقدّمنا من النيّة) أي القصد إلى تأليف كتاب الكافي أو إلى توسيع كتاب الحجّة قليلاً هذا إن كان وضع الخطبة قبل التأليف وإلا فالمراد بالنيّة القصد إلى توسيع كتاب الحجّة منفرداً على وجه الكمال و ذكر جميع ما يتعلّق به من الأخبار كماأشار إليه بقوله (إن تأخّر الأجل) أي الوقت المضروب المحدود من العمر (صنعنا) من الصنع أو من التصنيف(كتاباً) في الحجّة (أوسع و أكمل منه) أي من كتاب الحجّة الّذي ذكرناه في هذا الكتاب (نوفّيه حقوقه كلّها إن شاء الله تعالى)أوفاه حقّه و وفّاه بمعنى أي أعطاه وافياً كاملاً غير ناقص ، والجملة حال عن فاعل «صنعنا» (و به الحول والقوّة) الحول الحركة يقال : حال الشخص يحول إذا تحرّك، والقوّة الطاقة ، يقال : قوي على الأمر إذا طاقه، أي به الحركة إلى المقاصد و المطالب مطلقاً والقوّة على تحصيلها ولطاقة ، على تحمّلها أو به الحركات الفكريّة والأنظار العقليّة مطلقاً أو في تأليف هذا الكتاب و القوّة عليها . و تقديم الجار للاختصاص مع الاهتمام و مراعات قرب المرجع (و إليه الرّغبة في الزيادة في المعونة) أي في الإعانة على الخيرات مطلقاً أو على تأليف هذا الكتاب (والتوفيق) أي تكميل الأسباب لتحصيل المطالب (والصّلاة) أي الرحمة التامّة الربّانيّة

(٣) هذا سهو من الشارح أو تصحيف من النساخ فان كتاب الحجة هو الكتاب الرابع من الكافي.

بمعنى إفاضة الإحسان دائماً (على سيّدنا محمّد النبيّ) أي المرتفع على جميع الخلائق من النبوة وهي الارتفاع أو المخبر عن الله من النبأ و هو الخبر (و آله الطيّبين الأخيار).

(و أوّل ما أبدء به و أفتتح به كتابي هذا كتاب العقل والجهل و فضائل العلم و ارتفاع درجة أهله و علوّ قدرهم) في الدُّنيا الآخرة (و نقص الجهل و خساسة أهله و سقوط منزلتهم) عند ربّ العالمين والملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين وعباد الله الصالحين، ثمّ أشار إلى وجه تقديم كتاب العقل على سائر الكتب بقوله (إذا كان العقل هو القطب الّذي عليه المدار) أي مدار التكليف و الحكم بين الحقّ والباطل من الأفكار و بين الصحيح والسقيم من الأنظار و سائر القوى تابعة له منقادة لأمره و نهيه و هو الحاكم على جميعها، و قطب الرحى بحركات القاف والضمّ أشهر: الحديدة المركّبة في وسط حجر الرحى السفلى الّتي تدور حولها العليا، و قطب القوم سيّدهم الّذي يدور عليه أمرهم كصاحب الجيش و نحوه (و به يحتجّ) على العباد في تصويب أعمالهم و تخطئة أفعالهم (وله الثواب و عليه العقاب) اللاّم في «له» إمّا للتعليل أي لأجله أو للاختصاص وحصر الثواب والعقاب باعتبار أنّه منشأ و أهل لهما سواء حصلا له عند تجرّده عن البدن كما في البرزخ أو عند اقترانه به كما في الآخرة.

((الأصل)) :

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العقل والجهل

١- «أخبرنا أبوجعفر محمد بن يعقوب قال : حدثني عدة من أصحابنا منهم محمد» «ابن يحيى العطار ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن العلاء بن رزين» «عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال» «له : أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي و جلالي ما خلقت خلقاً هو» «أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب ، أما أني إياك آمر و إياك أنهي» «و إياك أعاقب و إياك أثيب» .

((الشرح)) :

الغرض من الفصل بين أنواع المسائل بالترجمة بالكتاب و بين مسائل النوع بالفصول والأبواب هو التسهيل على الناظر و تنشيط المتعلم فان المتعلم إذا ختم كتاباً اعتقد أنه كاف في ذلك النوع فينشط إلى قراءة غيره بخلاف مالو كان التصنيف كله جملة واحدة و الأولى بالقاري أن يصرح بالترجمة و يقول مثلا كتاب كذا لأنها جزء من التصنيف ، و كتاب العقل والجهل اسم لجملة من الأحاديث المتضمنة لأحكامها .

(أخبرنا أبو جعفر محمد بن يعقوب) كان هذا كلام الرواة عنه أو كلامه بلسانهم أو إخبار عن نفسه بطريق الغيبة (قال حدثني عدة من أصحابنا) قال المصنف رحمه الله في هذا الكتاب في كثير من الأخبار «عدة من أصحابنا» قال العلامة و غيره أنه رحمه الله قال : «كل ماقلت في هذا الكتاب عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى فهم محمد بن يحيى العطار ، و علي بن موسى الكميذاني

و داودبن كورة و أحمدبن إدريس و عليّ بن إبراهيم بن هاشم. وكلّ ماقلت فيه عدّة من أصحابنا عن أحمدبن محمّدبن خالدفهم عليّ بن إبراهيم، وعليّ بن محمّدبن عبدالله بن اُذينة، وأحمدبن عبدالله بن اُذينة، وعلي بن الحسن. وكلّ ماذكرت فيه عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد فهم عليّ بن محمّد بن علان، ومحمّدبن أبي عبدالله، ومحمّدبن الحسن، و محمّدبن عقيل الكليني إنتهى» والظاهر أنّ محمّد بن أبي عبدالله هو محمّدبن جعفر الأسدي الثقة، والعدّة على هذا في جميع الموارد مشتملة على العدول و الثقات فهذا الحديث صحيح لأنّ بواقي الرّجال ثقات و عدول.

(منهم محمّدبن يحيى العطار عن أحمدبن محمّد عن الحسن بن محبوب عن العلاء ابن رزين عن محمّدبن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال لمّا خلق الله العقل[١]) أي النفس الناطقة وهي الجوهر المجرّد عن المادّة في ذاته دون فعله في الأبدان بالتصرف والتدبير وهذا الجوهر يسمّى نفساً باعتبار تعلّقه بالبدن وعقلاً باعتبار تجرّده ونسبته إلى عالم القدس إذ هو بهذا الاعتبار يعقل نفسه أي يحبسها و يمنعها عمّا يقتضيه الاعتبار الأوّل من الشرور و المفاسد المانعة من الرجوع إلى هذا العالم و له مراتب متفاوتة و حالات مختلفة في القوّة و الضعف و هي ستّة أوّلها حالة الاستعداد الصرف للكمالات(١). و ثانيها حالة بها يشاهد الأوّليات (٢). وثالثها حالة بها يشاهد النظريّات من مرآت الأوليّات (٣). ورابعها حالة بها يشاهد تلك

---

(١) قوله «الاستعداد الصرف» وهذه الحالة تسمي عند الفلاسفة بالعقل الهيولاني (ش).

(٢) قوله: «الاوليات» أراد بذلك البديهيات لانه جعلها مقابلة النظريات، و البديهيات أعم من الاوليات والمشاهدات والمتواترات والحدسيات والتجربيات وقضايا قياساتها معها، وهذه المرتبة تسمى عند الحكماء بالعقل بالملكة (ش).

(٣) قوله: «من مرآة الاوليات» القوة التي بها تدرك الاوليات مرآة لادراك النظريات أيضا اذ ينتقل الذهن منها اليها و ادراك النظريات على وجهين: الاول ما يدركها بالبرهان والاستدلال لاول مرة وهي العقل بالفعل في اصطلاحهم، والثاني ان يكون بحيث يراجعها بعد الغفلة عنها لكونها حاضرة في الحافظة فيرجع اليه مهما أراد وهذا هو العقل المستفاد في اصطلاحهم وهي الحالة الرابعة (ش).

النظريّات بعد زوالها من هذه المرآة و اختزانها من غير كسب جديد و هذه الحالة حالة علم اليقين وهي حالة بها يشاهد الصور العلميّة والمطالب اليقينيّة في ذاته، وخامسها حالة عين اليقين وهي حالة بها يشاهد تلك الصور والمطالب في ذات المفيض(١) وسادسها حالة حقّ اليقين وهي حالة بها يتّصل بالمفيض اتّصالاً معنوياً وتلاقي به تلاقياً روحانياً(٢) و هذه الحالة هي أعظم الحالات للقوّة البشريّة، وقد تسمّى هذه الحالات الّتي للنفس فيها عقلاً أيضاً. ومن ههنا ظهر وجه تفاوت العقول في البشر ووجه قبولها للكمال والنقصان وقد يطلق العقل على الجوهر المفارق عن المادّة في ذاته وفعله(٣)

---

(١) قوله: «في ذات المفيض» وهذا المفيض هو العقل الفعال في اصطلاح الحكماء اذ لابد لزيادة الصور في أذهان المتفكرين من علة فاعلة ولابد أن تكون العلة الفاعلة للمعقولات عاقلة تدرك الكليات اذ لا يكون الموجد للشيء فاقداً له ولابد أن يكون جوهراً مجرداً، ثم ان ملاحظة الصور في العقل الفعال أعلى و أكمل من ملاحظتها في النفس فان ما في العقل الفعال برئية عن شوائب الوهم و محفوظة عن الخطأ، مصونة عن الغلط بخلاف ما يأخذه النفس عن العقل فيدركه في لوح نفسه فانه يحتمل اختلاطه بمدركات الوهم والحواس فيدخل فيه الخطأ، و اذا وصل النفس الى مقام يدرك عين الصور الحاصلة في العقل الفعال و تحقق لديه أنه ادركها فيه لا في نفسه، فهذه الحالة الخامسة التي تكون مدركات الانسان عين الحق ولا تحصل الا للكمل من الاولياء (ش).

(٢) قوله: «روحانياً» هذا نحو من الاتحاد حققه الحكماء الالهيون والعرفاء الشامخون و للتفصيل فيه محل آخر و هو آخر سير البشر في السلوك الى الله وعد بعض العرفاء اللطائف سبعة، «وللناس فيما يعشقون مذاهب» (ش).

(٣) قوله: « في ذاته و فعله» هذا تعريف للعقل المجرد في اصطلاح الحكماء وقال المشاؤن: ان العقول عشرة أى نعلم هذا العدد ولاننكر الزيادة، وقال الاشراقيون: ان عدتهم لاتحصى كثرة و يقال ان العقل أول خلق من الروحانيين، وقد ورد في الحديث كما يأتي ان شاء الله وقال الحكماء: انه أول صادر عن المبدء كما ورد في الحديث وذلك لان الاشرف مقدم في الوجود ولاريب أن الموجود العاقل بذاته اشرف من الجماد والحيوان الذى لاعقل له. واعلم ان المجلسي رحمه الله حمل في كتاب الاربعين وغيره من كتبه القول بوجود ☆

و يقال إنّه أوّل خلق من الروحانيين ، وإنّه كثير العدد كثرة لامثل كثرة الأشخاص المندرجة تحت نوع واحد ، ولا مثل كثرة الأنواع المندرجة تحت جنس واحد لأنّ تلك الكثرة من توابع المادة (١) والعالم القدسي منزّه عنها بل هي مراتب وجوديّة نورانيّة بسيطة مختلفة في الشدّة والضعف في النوريّة متفاوتة في الكمال والقرب إلى نور الأنوار ، و أنّه روح النفس الناطقة و حالة لها و متعلّق بها كتعلّق النفس بالبدن و باضاءاته وإشراقاته تضيىء النفس و تشرق و تبصر ما في عالم الملك والملكوت و تعرف منافعها و مضارّها فتطلب الأوّل و تجتنب عن الثاني ، و أنّه لابعد في ذلك التعلّق لأنّه إذا جاز تعلّق النفس بالبدن مع المباينة بينهما في التجرّد والماديّة جاز تعلّق ذلك الجوهر بالنفس (٢) مع المناسبة بينهما في التجرّد بالطريق الاولى . والحقّ أنّ وجود ذلك الجوهر أمر ممكن دلّ عليه ظاهر كثير من الرّوايات لكن لاعلى الوجه الّذي ذهب إليه طائفة من الفلاسفة من أنّه

☆ العقل المجرد مستلزماً لانكار كثير من ضروريات الدين و أنكر وجود مجرد سوى الله تعالى (ش) .

(١) قوله: «لان الكثرة من توابع المادة» الكثرة للعدد و يتكثر الشيء اما بالماهية كالحديد فانه غير الذهب ماهية ، و اما بالتشخص مثل هذا الحديد في المسحاة و ذلك الحديد في القدوم و كلاهما حديد متحدا الماهية . وليس تكثر العقول مثل هذا ولا مثل ذاك بل جميعها متحدة الحقيقة كالنور و ذو مراتب مثله، والعقول في اعتقاد بعضهم مختلفة الماهية ولايشترك نوعاً ولاجنساً وللبحث في ذلك محل آخر (ش) .

(٢) قوله: «تعلق ذلك الجوهر بالنفس» تعلق العقل بالنفوس المجردة الانسانية نظير تعلق النفس بالبدن و بالجملة العقل الفعال له اشراقات على النفوس و بتلك الاشراقات متحد بالنفس فمثل العقل الفعال والنفوس مثل الشمس واشعتها. والمجلسي رحمه الله عد اكثر ما حققه الشارح هنا واعترف بامكانه و صحته مخالفاً لضروريات الدين (ش).

موجد للأفلاك (١) و ما فيها و ما تحتها من الأجسام و العناصر و غيرها فانّ وجوده على هذا الوجه غير ثابت لاعقلاً ولانقلاً، بل باطل بالنظر إلى الآيات و الرّوايات الدالّة على أن موجد ما ذكر ليس إلاالله جلّ شأنه وأنّ تكثّره وتعلّقه بالنفس على الوجه المذكور أيضاً أمر ممكن، وأنّ انتساب الحالات و المراتب المذكورة للنفس إليه باعتبار تفاوت إشراقاته عليها أيضاً جاين، و أنّ انتساب الثواب والعقاب إليه غير بعيد إذ كما أنّ ثواب البدن وعقابه باعتبار متعلّقه وروحه الّذي هو النفس كذلك يجوز أن يكون ثواب النفس و عقابها باعتبار متعلّقها و روحها الّذي هو ذلك الجوهر،إذاعرفت هذا فلايبعدأن يراد بالعقل في الرّوايات الدالّة على أنّه أوّل خلق من الروحانيين و أنّه حالة من أحوال النفس كمافي حديث الجنود و غيره ذلك الجوهر (٢) ثمّ معاني العقل على تباينها يجمعها أمر واحد

---

(١) قوله. « موجد للافلاك» و حاصل كلام الشارح اثبات وجود العقل المجرد الذى يقول به الحكماء و اختار فى ذلك مذهب صدر المتألهين صاحب الاسفار الاربعة و اعترف بامكان اتحاد المعقول الجزئية بالعقل الفعال و بأن الوجود حقيقة واحدة ذات مراتب و غير ذلك من دقائق هذا العلم، و اما ما نسبه الى طائفة من الفلاسفة فكانه اراد المتفلسفين الجاهلين الذين غاية همهم حفظ الاصطلاحات و سماهم الفارابى الفيلسوف البهرج والا فان تأثير العقل نظير تأثير الدواء فى دفع المرض و تأثير الرياح فى اثارة السحاب فى قوله تعالى « يرسل الرياح فتثير سحابا» فكما أن الاعتقاد بتأثير هذا باذن الله ليس كفراً كذلك الاعتقاد بتأثير العقول باذن الله ليس كفراً و تأثيرهم نظير تأثير الملائكة الموكلين بل العقول هم الملائكة والفرق بالاصطلاح (ش).

(٢) قوله : «ذلك الجوهر» اى العقل المفارق هو الذى خلقه تعالى اولا ومع ذلك يعد حالة من حالات النفس باعتبار اشراقاته و اضاءاته و جنوده التى فى النفوس وهذا عين مذهب الفلاسفة الا أن الشارح تبرأ من طائفة منهم حتى لايوهم انه يقلد الفلاسفة تقليداً أعمى فلو كان صرح بأن مذهب الفلاسفة هنا حق لذهب الاوهام الى تجويز تقليد ملاحدتهم و صار سببا لضلال جماعة عظيمة ولكن صرح بالمعنى و تبرأ من اللفظ، والحق أن أقرب الاقوال الى قول الملاحدة الماديين قول المجسمة فانهم لايعترفون بوجود شىء غير جسم ولاجسمانى حتى آن الله تعالى عندهم جسم، وبعد ذلك قول من لايعترف بوجود☆

يشترك الكلّ فيه و هو أنّه ليس بجسم ولاجسماني و لهذا صحّ أن يجعل موضوعاً لفن واحد كما في هذا الكتاب و يبحث عن العوارض الذّاتية له ولأقسامه و المرأي الصائب أن يحمله في كلّ حديث على ما يناسبه من المعاني المذكورة.

و إذا عرفت العقل فاعرف الجهل بالمقابلة فهو إمّا النفس باعتبار تعلّقها بالبدن والحالات المقابله للحالات المذكورة لأنّ ذلك التعلّق و تلك الحالات منشأ لظلمة النفس و انكسافها و ميلها إلى الشرور، أو أمر مقابل لذلك الجوهر النوراني متعلّق بالنفس و روح خبيث لها يدعوه إلى الشرّ والفساد، ولا يبعد أن يكون ما في بعض الرّوايات «من أنّ المؤمن مؤيّد بروح الايمان»(١) و «أنّ لكلّ قلب اُذنين على أحدهما ملك يهديه وعلى الآخر شيطان يضلّه»(٢) إشارة إلى العقل والجهل بهذا المعنى والله أعلم بحقائق الاُمور (استنطقه) ناطقه واستنطقه أي كلّمه وفي استنطاقه إخراج له عن الوحشة و تأنيس له بالقربة و تكريم له بالعزّة كما يقع مثل ذلك كثيراً ما بين المحب والمحبوب ومن هذا القبيل قوله تعالى « و ما تلك بيمينك يا موسى » مع علمه تعالى بخفيّات الاُمور (ثمّ قال له: أقبل فأقبل ثمّ قال له أدبر فأدبر) كأنّ المراد إقباله إلى ما يصلح أن يؤمر به من الطاعة وإدباره عمّا ينهى عنه من المعصية أو إقباله إلى المقامات العالية والدّرجات الرفيعة الّتي يمكنه الوصول إليها، و إدباره عن تلك المقامات ونزوله في منازل الطبيعة الجسمانيّة و هبوطه إلى مواطن الظلمة البشرية ، و لعلّ الغرض من الأمر بالاقبال إراءه مقاماته و إظهار درجاته ليستيقظ في العالم السفلي من نوم الجهالة وسنة البطالة و يتذكّر بأنّ له سوى هذه النشأة الدنيّة نشأة اُخرى أحسن و أفضل منها بل لا

مجرد سوى الله تعالى وأبعد الاقوال عنهم قول من أنكر الوجود المستقل للممكن وجعل وجوده كالمعنى الحرفي، وبعد ذلك من أنكر وجود الجسم و جعله مركبا من قوى متحركة كما ذهب اليه اكثر اهل عصرنا و بعدهم من اعترف بوجود الجسم والموجودات المجرده معا (ش) .

(١) و(٢) رواهما الكليني في كتاب الايمان والكفر من الكافي ج ٢ ص ٢٦٨ و ٢٦٦ .

نسبة بينهما ، أو إقباله إلى الدّنيا و إدباره عنها و عدم ركونه إليها ، و قيل : المراد بالأمر بالاقبال والادبار هوالأمر التكويني الايجادي لا التكليفي والاقبال والادبار التزيّد والتنقّص في كلّ مرتبة من مراتب القوّة العاملة بالقياس إلى العلوم و الأخلاق كمّاً و كيفاً بحسب كلّ من الاستعداد الأوّلي الجبلّي في الفطرة الأولى والاستعداد الثاني المكتسب في الفطرة الثانية ، فانّ بالإعمال و التعطيل في الفطرة الثانية يربو ويطفّ ما في الفطرة الأولى والّذي من لوازم الذات هو القدر المشترك السيّال بين حدّي الربو والطفافة وهو متحفّظ غير متبدّل مادامت الذات في مراتب التزيّد والتنقّص ، وفيه أنّ تكوينه على قبول الزّيادة والنقصان إنّما هو في مرتبة تكوين ذاته لابعده كما يشعر به لفظة «ثم» (ثمّ قال وعزّتي) أي وغلبتي على جميع الممكنات يقال : عزّه يعزّه بالفتح عزّاً إذا غلبه والاسم العزّة و منه العزيز من أسمائه تعالى بمعنى القويّ الغالب الّذي لايغلب و بمعنى الملك مثل قول إخوة يوسف « يا أيّها العزيز » (و جلالي) أي و عظمة شأني و ارتفاع قدري و مكاني ، و منه الجليل من أسمائه تعالى بمعنى العظيم المطلق، و الواو للقسم و ما بعدها مبتدأ و خبره محذوف و هو قسمي (ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك) دلّ على أنّ العقل ليس هو أوّل المجعولات (١) كما زعم ، قيل : المحبّة ميل القلب إلى ما يوافقه وهي بين الطرفين لماروي عن الصادق عليه السلام حين سأله رجل عن رجل يقول: أودّك فكيف أعلم أنّه يودّني فقال: امتحن قلبك فان كنت تودّه فانّه يودّك» (٢) سيّما إذا اخبر أحدهما الآخر بحبّه له فانّه يوجب حبّ الآخر للمخبر أيضاً كما ورد في بعض الأخبار ، و من ههنا يعلم أنّ العقل كما كان أحبّ المخلوقات إلى الله سبحانه كذلك كان سبحانه أحبّ الموجودات إلى العقل وسبب محبّة الشيء إمّا كونه حسناً في ذاته ، أو في الحسّ كالصور الجميلة . أو في العقل كمحبّة الصالحين ، أو كونه محسناً يجلب نفعاً أو يدفع ضرّاً ، و ثمرة

---

(١) قوله «ليس هو اول المجعولات» سيجيء تحقيقه عند قوله (ع) «هو اول خلق من الروحانيين» انشاء الله تعالى (ش). (٢) الكافي كتاب العشرة باب نادر ح ٢ .

محبّة الله لخلقه إرادة الخير له وإفاضة رحمته عليه والاحسان إليه بكشف الحجاب عنه و تمكينه من أن يطأ بساط قربه و ثمرة محبّة الخلق له تعالى وقوفه عند حدوده و حبّه لمن أحبّه و بغضه لمن أبغضه و استيناسه و استيحاشه عمّا سواه ، و تجافيه عن دار الغرور و ترقّيه إلى عالم النور ، وكأنّ من أنكر المحبّة بينه و بين خلقه و زعم أنّ ذلك يوجب نقصاً في ذاته تعالى أنكر المحبّة بمعنى الميل لأنّ الله تعالى منزّه عن أن يميل أو يمال إليه وليس هذا المعنى مراداً هنا بل المراد هنا هي الغايات والثمرات المذكورة لأنّ ما نسب إليه تعالى ممّا يمتنع أخذه باعتبار المبادي والحقائق وجب أخذه باعتبار الغايات وقد شاع أمثال ذلك في القرآن العزيز على أنّه قد يقال محبّة الخلق له بمعنى ميل العقل ليس بممتنع لأنّ الميل العقلي إدراك ولايمتنع ذلك كما لايمتنع العلم به ، و إنّما الممتنع هو الميل الحسّي لاستلزامه أن يكون في جهة والوجه العقلي في كونه أحبّ المخلوقات إليه أنّ الطاعة والانقياد مع القدرة على المخالفة أشدّ من الطاعة بدونها وأدخل في التقرّب و استفاضة الرّحمة والاحسان منه تعالى ، و قيل الوجه فيه أنّ المحبة تابعة لادراك الوجود لأنّه خير محض، فكلّ ما كان وجوده أتمّ كانت خيريته أعظم والادراك المتعلّق به أقوى والابتهاج به أشدّ فأجلّ مبتهج بذاته هو الحقّ الأوّل ، لأنّ إدراكه لذاته أشدّ إدراكاً لأعظم مدرك له الشرف الأكمل والنور الأنور والجلال الأرفع، فذاته سبحانه أحبّ الأشياء إليه و هو أشدّ مبتهج به. و محبّته لعباده راجعة إلى محبّته لذاته لأنّ كلّ من أحبّ شخصاً أحبّ جميع حركاته وأفعاله و آثاره لأجل ذلك المحبوب ؛ فكلّ ما هو أقرب إليه فهو أحبّ إليه و جميع الممكنات على مراتبها آثار الحقّ و أفعاله فالله يحبّها لأجل ذاته و أقرب المجعولات إليه هو العقل ،فثبت أنّه أحبّ المخلوقات إليه. ومن المتكلّمين من أنكر محبّة الله لعباده زعماً منهم أنّ ذلك يوجب نقصاً في ذاته ولم يعلموا أنّ محبّة الله لخلقه راجعة إلى محبّته لذاته إنتهى. وفيه نظر من وجوه أمّا أوّلا فلانّ قوله « المحبّة تابعة لادراك الوجود ، ممنوع و ما ذكره لاثباته من أنّ الوجود

خير محض مدخول (١) والبحث عنه مشهور مذكور في موضعه ، و أمّا ثانياً فلأنّ كون العقل المبحوث عنه أقرب المجعولات كلّها إليه سبحانه ممنوع (٢) و أمّا ثالثاً فلأنّ المحبّة والبغض متقابلان و قد نسب البغض لبعض المخلوقات إليه سبحانه ولاشكّ أنّ بغضه له ليس لأجل أنّه من آثاره بل لأجل شيء آخر فلم لايجوز أن لايكون محبّته لخلقه لا لأجل أنّه من آثاره بل لأجل شيء آخر (٣) و أمّا رابعاً فلأنّ قوله تعالى «إنّ الله يحب المحسنين» « إنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين» صريح في أنّ محبّته لهم لأجل إحسانهم وتوبتهم و طهارتهم لا لأجل أنّهم من آثاره ، ولو اُريد أنّ الاحسان والتوبة والطهارة من فعله وآثاره ارجع هذا إلى قول الأشاعرة و يتّسع دائرة المناقشة فليتأمّل.

(ولا أكملتك إلاّ فيمن اُحبّ) دلّ على أنّ كمال العقل كأصله حباء من الله جلّ شأنه و لكن لكسب العبد و عنايته مدخل فيه كما يدلّ عليه قول موسى بن جعفر عليه السلام: « من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد ، والسلامة في الدين

(١) قوله: «خير محض مدخول » هذا شيء مبني على التتبع والاستقراء فانا لانجد شيئاً يسمى شراً الالان العدم دخل فيه بوجه وحقق ذلك نصير الدين الطوسي في موضعه(ش).

(٢) قوله: «ممنوع» لاريب أن الله تعالى عالم بكل شيء والعلم كمال لا كمال فوقه و كل موجود يكون علمه أكمل من غيره فهو أقرب الى الله تعالى، ولايتصور أن يعتقد أحد أن الجاهل أقرب اليه من عالم ومنع الشارح هنا في غير محلة نعم جعل بعضهم رتبة الانسان الكامل فوق العقل لانه جامع بين كمال العقل و كمالات اخرى يختص به ولذلك قال العقل المبحوث عنه أي الذي هو بشرط لاعن كمال غيره(ش).

(٣) قوله: «لاجل شيء آخر» لاينكر أحد محبة الله لاوليائه لاجل عبادتهم وتقربهم اليه و لكن له تعالى محبة عامة لجميع خلقه بالرحمة الرحمانية، و محبة خاصة لخصوص المؤمنين بالرحمة الرحيمية واثبات شي لاينفي غيره كما أن غضبه تعالى على الكفار لاجل كفرهم لاينافي شمول الرحمة العامة لهم في الدنيا بسعة الرزق والدولة وساير النعم وبهذا يدفع المناقشة المذكور بقوله رابعا (ش).

فليتضرّع إلى الله عزّ وجل في مسئلته بأن يكمل عقله (١) » ويرشد إليه التجربة فانّ من نشأ في التعلّم و طهارة النفس و صرف القوّة العلميّة والعمليّة في تحصيل العلوم والأعمال والأخلاق المرضيّة ازداد عقله ضوءاً و نفسه نوراً يكاد يبصر ما تحت العرش وماتحت الثرى، و تلك العناية الّتي هي من التوفيقات الربانية إنما يتوقّف على وجود أصل العقل لاعلى كماله فلايلزم الدور.

(أما إنّي إيّاك آمر و إيّاك أنهى و إيّاك اُعاقب و إيّاك اُثيب) « أما » حرف تنبيه يصدّر بها الكلام الّذي لمضمونه خطر وعناية لتنبيه المخاطب وإيقاظه طلباً لاصغائه ، وتقديم المفعول للاختصاص فانّ العقل و إن استشعر من الأمر بالاقبال والإدبار أنّه مخلوق يتوجّه إليه الأمر والنهي لكنّه استشعر أيضاً بأنّه مقارن مع مخلوق آخر فكأنّه غفل عن ذلك لشدّة شعفه بمخاطبة ربّه جلّ ذكره و توهّم أنّ الأمروالنهي والثواب والعقاب يتوجّه إليه مع مشاركة الغير أويتوجّه إلى الغير وحده لا إليه ، فأتى الله سبحانه بحرف التنبيه إيقاظاً له عن تلك الغفلة و إظهاراً بأنّ الكامل لابدّ من أن لايصير مغروراً بكماله بل هو دائماً يحتاج إلى تنبيه وتذكير وبطريق الحصر دفعاً لما عرض له من التوهّم و إشعاراً بأنّ القابل للخطاب هو دون غيره و حصر الثواب و العقاب فيه باعتبار أنّه بذاته، أو بواسطة قوّة و رويّة فيه منشأ للطاعة والعرفان و مبدء للمعصية والطغيان في موادّ الإنسان و مستحقّ لهما في ضمن تلك الموادّ. فلا يدلّ الحديث على ثبوتهما له مجرداً عنها أصلاً فضلاً عن أن يدلّ على نفي المعاد الجسماني و انطباق معنى الحديث على العقل بالمعنى الأوّل و هو النفس باعتبار التجرّد ظاهر، وبالمعنى الثاني و هو حالة النفس و قوّتها الدّاعية إلى الخيرات في المراتب المذكورة يحتاج في قوله « إيّاك أعاقب وإيّاك اُثيب » إلى تكلّف بأن يقال معناه بك أعاقب و بك اُثيب على سبيل التوسّع ، لأنّ المعاقب والمثاب هو النفس ، أو يقال لمّا كانت تلك القوّة منشأ تكليف النفس نسب الثواب والعقاب إليها على سبيل التجوّز

(١) جزء من الخبر الذى يأتى فى هذاالباب تحت رقم ١٢ .

و بالمعنى الأخير و هوالجوهر النوراني المفارق عن المادّة في ذاته وفعله يحتاج في هذا القول وفي قوله: « ولا أكملتك إلاّ فيمن أُحب » إلى تكلّف بأن يقال المراد بإ كماله أكمال إشراقاته على النفس و بثوابه وعقابه ثواب النفس وعقابها باعتبار الاستضاءة من مشكوته و عدمها ، وقيل المراد بالعقل هنا العقل النبوي و الحقيقة المحمّدية و هو الرّوح الأعظم المشار إليه بقوله تعالى « قل الرّوح من أمر ربّي » و أحبّ الخلق إليه استنطقه الله تعالى بعد ما خلقه و جعله ذا نطق و كلام يليق بذلك المقام ثمّ قال له : أقبل إلى الدّنيا و اهبط إلى الأرض رحمة للعالمين فأقبل فكان روحه مع كلّ نبيّ باطناً و مع شخصه المبعوث ظاهراً ، ثمّ قال له: أدبر يعني أدبر عن الدّنيا و ارجع إلى ربّك ، فأدبر عنها و رجع إليه ليلة المعراج وعند المفارقة عن دار الدُنيا ثمّ أعلمه تشريفاً و تكريماً له بأنّه أحبّ الخلق إليه وآكد ذلك بالقسم ، ثمّ قال: « إيّاك آمر و إيّاك أنهى وإيّاك أعاقب وإيّاك أُثيب » والمراد بك آمر وبك أنهى وبك أعاقب من جحدني وجحدك من الأوّلين والآخرين و بك اُثيب من عرفني و عرفك منهم كلّ ذلك لأنّك سبب للايجاد ولولاك لما خلقت الأفلاك أو المراد إيّاك آمر و إيّاك أنهى لأنّك ملاك التكليف و إيّاك اُعاقب بحبسك في الدّنيا مدّة و دخولك في المنزل الرّفيع من الجنّة و إيّاك اُثيب باعتبار غاية كمالك و كمال قربك و منزلتك لدينا ، ولدينا مزيد و الله أعلم بحقيقة كلامه .

((الأصل)) :

٢ـ « عليّ بن محمّد ، عن سهل بن زياد ، عن عمرو بن عثمان ، عن مفضّل بن »
« صالح ، عن سعد بن طريف ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن عليّ عليه السلام قال : هبط »
« جبرئيل عليه السلام على آدم عليه السلام فقال : يا آدم إنّي اُمرت أن اُخيّرك واحدة من »
« ثلاث فاخترها ودع اثنتين فقال له آدم: يا جبرئيل وما الثلاث ؟ فقال: العقل »
« والحياء والدين ، فقال آدم عليه السلام إنّي قد اخترت العقل فقال جبرئيل للحياء و »

« الدين: انصرفا ودعاه فقالا: ياجبرئيل إنّا اُمرنا أن نكون مع العقل حيث كان قال:؟ «فشأنكما و عرج».

((الشرح)):

(عليّ بن محمّد) يروي المصنف في هذا الكتاب كثيراً عن عليّ بن محمّد و هو عليّ بن محمّد بن إبراهيم بن أبان الرازيّ الكليني المعروف بعلاّن ثقة عين (عن سهل ابن زياد) ضعيف في الحديث (عن عمر بن عثمان) كوفي ثقة نقيّ الحديث (عن مفضّل بن صالح) ضعيف كذّاب (عن سعد بن طريف) قيل: هو صحيح الحديث و نقل العلامة عن النجاشي أنّه يعرف و ينكر، و عن ابن الغضائري أنّه ضعيف و قال الكشّي عن حمدويه أنّه كان ناووسيّاً وقف على أبي عبدالله عليه السلام (عن الأصبغ ابن نباته) بضم النون قال العلاّمة والنجاشي والشيخ في فهرست: إنّه كان من خاصّة أمير المؤمنين عليه السلام و قال العلاّمة: إنّه مشكور.

(عن عليّ عليه السلام قال هبط جبرئيل عليه السلام على آدم عليه السلام) الظاهر أنّ ذلك كان بعد هبوط آدم من الجنّة و بعد قبول توبته (فقال يا آدم إنّي اُمرت أن أخيّرك واحدة من ثلاث أي خصلة واحدة من ثلاث خصال (فاخترها ودع اثنتين فقال: آدم يا جبرئيل و ما الثلاث) الظاهر أنّ الواو لمجرّد حسن الانباط و زيادة الاتّصال لا للعطف (فقال: العقل الحياء والدين) العقل هنا قوّة نفسانيّة وحالة نورانيّة بها يدرك الانسان حقائق الأشياء و يميّز بين الخير والشرّ و بين الحقّ و الباطل، و يعرف أحوال المبدء والمعاد و بالجملة هو نور إذا لمع في آفاق النفوس يكشف عنها غواشي الحجب فتنجلّى فيها صور المعقولات كما يتجلّى في العين صور المحسوسات والحياء خلق يمنع من ارتكاب القبيح وتقصير في الحقوق، وقال الزّمخشري هو تغيّر و انكسار يلحق من فعل ما يمدح به أو ترك ما يذمّ به وهو غريزة و قد يتخلّق به من يجبل عليه فيلتزم منه مايوافق الشرع و سيجيء تحقيقه و تحقيق أنّ ما في بعض الانسان من الكيفيّة المانعة له عن القيام بحقوق الله تعالى من الحياء

إن شاء الله تعالى. والدين هو الصراط المستقيم الّذي يكون سالكه قريباً من الخيرات بعيداً عن المنهيّات(١) وهو عبارة عن معرفة مجموع مايوجب القرب من الرّب و العمل بما يتعلّق به الأمر ومعرفة مجموع مايوجب البعد عنه وترك العمل بما يتعلّق به النهي (فقال آدم إنّي اخترت العقل) لايقال: اختياره للعقل لم يكن إلاّ لملاحظة أنّ حسن عواقب اُموره في الدارين يتوقّف عليه و إن نظام أحواله في النشأتين لايتمّ إلاّ به ولايكون ذلك إلاّ لكونه عاقلاً متفكّراً متأمّلاً فيما ينفعه عاجلاً و آجلاً، لأنّا نقول: المراد بهذا العقل العقل الكامل الّذي يكون للأنبياء والأوصياء و اختياره يتوقّف على عقل سابق يكون درجته دون هذا و للعقل درجات ومراتب وقد يقال هذه الاُمور الثلاثة كانت حاصلة له عليه السلام على وجه الكمال والتخيير فيها لا ينافي حصولها و الغرض منه إظهار قدر نعمة العقل و الحثّ على الشكر عليها (فقال جبرئيل للحياء والدين انصرفا و دعاه) أي انصرفا عن آدم و دعاه مع العقل معه (فقال يا جبرئيل) الظاهر أنّ هذا القول حقيقة بلسان المقال بحياة خلقها الله تعالى فيهما ولايبعد ذلك عن القدرة الكاملة وقد ثبت نطق اليد والرّجل على صاحبهما و نطق الكعبة والحجر وغيرهما. ويحتمل أن يكون ذلك مجازاً بلسان الحال أو يخلق الله سبحانه فيهما كلاماً أسمعه جبرئيل و آدم عليهما السلام كما قد خلق ذلك في بعض الأجسام الجماديّة وأسمعه من شاء من خلقه (إنّا اُمرنا أن نكون مع العقل حيث كان) أي حيث وجد أو حيث كان موجوداً، يفهم منه أنّ العقل مستلزم لهما وهما تابعان له، والأمر كذلك لأنّ بالعقل يعرف الله سبحانه وجلاله و جماله و كماله و تنزّهه عن النقايص و إحسانه و إنعامه و قهره و غلبته بحيث يرى كلّ جلال و جمال و كمال و إحسان و إنعام و قهر و غلبة مقهوراً تحت قدرته مغلوباً تحت قهره و غلبته بل لايرى في الوجود إلاّ هو فيحصل له بذلك خوف و خشية يرتعد به جوانحه كما قال سبحانه: « إنّما يخشى الله من عباده العلماء » ويحصل له بذلك قوّة وملكة تمنعه عن مخالفته طرفة عين وهذه القوّة هي المسمّاة

---

(١) في بعض النسخ [عن السيئات].

بالحياء ، ثمّ بتلك القوّة يسلك الصراط المستقيم و هو الدين القويم ، و من ههنا ظهر أنّ الحياء مستلزم للدين والدين تابع له ، ثمّ جبرئيل عليه السلام إن كان عالماً بكونهما مأمورين بذلك كان قوله : «انصرفا و دعاه» محمولاً على نوع من الامتحان لاظهار شرف العقل و نباهة قدره و إن لم يكن عالماً كان ذلك القول محمولاً على الطلب (قال فشأنكما و عرج) الشأن بالهمزة الأمر والحال والقصد أي فشأنكما معكما أو ألزما شأنكما ، و هذا الحديث و إن كان ضعيفاً بحسب السند لكن صحيح المضمون، و كذا الحديث الآتي مع ضعفه بالارسال أيضاً لاعتماده بالبرهان العقليّ و كذلك كثير من الأحاديث الواردة في الأحكام العقليّة من أصول المعارف ومسائل التوحيد.

((الاصل))

٣- « أحمدبن إدريس ، عن محمّدبن عبدالجبّار ، عن بعض أصحابنا رفعه إلى» «أبي عبدالله عليه السلام قال، قلت له : ما العقل ؟ قال: « ما عبد به الرحمن و اكتسب به» «الجنان ، قال : قلت : فالذي كان في معاوية؟ فقال : تلك النكراء تلك الشيطنة» «وهي شبيهة بالعقل و ليست بالعقل»

((الشرح))

(أحمد بن إدريس ، عن محمّد بن عبد الجبار ، عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال قلت له : ما العقل قال ما عُبد به الرّحمن و اكتسب به الجنان).

سأل سائل عن معرفة العقل مطلقاً سواء كان حقيقياً أو رسميّاً اولفظيّاً أو عن حقيقته وأجاب عليه السلام ببعض خواصّه و أغراضه المقصودة منه للتنبيه على أنّ معرفة هذا هو الأهم والأسهل له دون معرفة حقيقته وإشعاراً بأنّ عرفان حقيقته متعسر جدّاً فلايحصل له بسهولة، ولهذا اختلف العلمآء فيها وتحيّرت عقول الحكماء في تحديدها و هذا التعريف إشارة إلى القوّة النظريّة المسمّاة بالعقل النظري

وإلى القوّة العمليّة المسمّاة بالعقل العملي إذ بالأولى يعلم المعارف الالهية والأحكام الشرعيّة والأخلاق الحسنة النفسانيّة، وبالثانية يعمل بها ويهذّب الظاهر والباطن و بالعلم والعمل يتمّ نظام عبادة الرّحمن و اكتساب الجنان، و يمكن أن يكون إشارة إلى العقل بالمعنى الأوّل والأخير أيضاً لأنّ مقتضى النفس من حيث التجرّد و عدم معارضة الأوهام و سائر القوى البدنيّة و مقتضى الجوهر النوراني المجرّد عن شوائب المادّة من جهة إشراقاته على النفس عبادة الرّحمن و اكتساب الجنان كما يشهد به الذوق السليم ؛ و لمّا كان هذا الجواب من الخواصّ الشاملة للعقل من شأنها عدم تخلّفها عمّا هي خاصّة له وقد تخلّفت ههنا عمّا في بعض الأشخاص مثل معوية من مناط التدبير والتصرّف في الأمور الدّنيوية الموجبة لبعده عن عبادة الرّحمن واكتساب الجنان، والناس يسمّونه عقلاً وصاحبه عاقلاً ، سأل ثانياً حيث (قال : قلت : فالّذي كان في معوية) الموصول مبتدأ خبره محذوف و هو ما هو (فقال) كشفاً لغمّته وتوضيحاً لمسئلته (تلك النكراء) النكراء بالفتح والسكون والنكر بالضم و بضمتين : المنكر والأمر الشديد و كلّ ما قبّحه و كرهه العقل أو الشرع فهو منكر أي تلك القوّة الّتي كانت في معوية و كانت سبباً لتحصيله المصالح الدّنيوية و اكتساب الأمور الشرّية ، وانحرافه عن الله و عن أمر الآخرة قوّة منكرة شنيعة قبيحة (تلك الشيطنة) فيعلة من شطن عنه إذا بعد ، و منه الشيطان لبعده عن رحمة الله سبحانه والمراد بها رويّة نفسانية تكتسب بها أعمال الجاهلين و ملكة شيطانيّة يقترف بها أفعال الشياطين ، وقوّة داعية إلى الأغراض الفاسدة والشرور و تحصيل المطالب بالحيل والمكر و قول الزور (و هي شبيهة بالعقل) في أنّها حالة للنفس وقوّة محرّكة لها إلى منافعها كما أنّ العقل كذلك، توضيح ذلك أنّ العقل نورانيّة شريف الذات نقيّ الجوهر يدعو إلى ملازمة العلم والعمل واكتساب المنافع الاخرويّة الموجبة للسعادة الأبديّة وكلمّا زاد العلم و العمل زادت نورانيّته وصفاؤه حتّى يصير نوراً محضاً وضوءاً صرفاً يضيىء به سماء القلوب و أرض النفوس ، والشيطنة قوّة ظلمانيّة خسيس الذات مكدّر الجوهر تدعو إلى

ملازمة الشرور و اكتساب المنافع الدّنيويّة الموجبة للشقاوة السرمديّة واقتراف زهراتها الزائلة الفانية بالمكر والحيل والوساوس الشيطانيّة و كلّما زادت تلك الشرور والمنافع زادت ظلمتها و كثرت كدورتها حتّى تصير ظلمة صرفة و شيطنة محضة . ولكن لمّا كان التمايز بينهما و منافع العقل من الأمور المعنويّة و منافع الشيطنة و رويّتها من الأمور الحسّيّة صارت الشيطنة شبيهة بالعقل بل عقلاً عند الجهّال (و ليست بالعقـل) و لا شبيهة به عند أهل الفضل والكمال ، فالجهّال لفقدان بصـيرتهم عن تلك القوّة النورانيّة و عمـيان سريرتهم عن مشاهدة تلك الرّويّة الربّانيّة مع سماعهم بأنّ للانسان عقلاً هومبدء الفطانة والرّويّة يغصبون اسم العقل عن موضعه ويسمّون هذه الرويّة النكراء وهذه الفطانة العمياء عقلا ويعدّون معوية من جملة العقلاء، وأمّا أهل الفضل والكمال فانّهم يعرفون بنور البصيرة أنّ بين تينك القوّتين تبايناً بحسب الذات و الصفات لأنّ احديهما نور والأخرى ظلمة، وبين الحركتين تغايراً في الجهات لأنّ جهة إحديهما التقرّب بالحقّ والتنعّم وجهة الأخرى التقرّب بالشيطان والدخول في الجحيم و بين المغرضين تفاوتاً في الحالات لأنّ غرض إحديهما التلذّذ باللّذّة الرّوحانيّة وغرض الأخرى التلذّذ باللّذّة الجسمانيّة، ويمكن أن يقال: العقل على أيّ معنى كان يقع الاشتباه بينه و بين الشّيطنة عند الجهلة لأنّ في كلّ واحد منهما جودة الرّوية وسرعة التفطّن بما ينفع و يضرّ و عزم الانتقال إلى النافع والاجتناب عن الضارّ سواء كان متعلّقاً بأمر الدّنيا أو بأمر الآخرة تحقيق ذلك أنّ للعقل على الإطلاق بداءة و نهاية و كلتاهما تسمّيان عقلاً أمّا الأولى فهي جوهر مبدء للعلوم والأعمال و الخيرات كلّها و منشأ للرّوية والتفطّن بها والتمييز بينها و بين غيرها من أضدادها و أمّا الثانية فهي العلوم والمعارف الّتي بها يعبد الرحمن و يكتسب الجنان وهي ثمرة الأولى فاذا استعمل ذلك الجوهر مع ما فيه من الرّوية والتفطّن فيما خلق لأجلـه من اتّخاذ الزاد ليوم المعاد و اقتباس العلم والحكمة إلى غير ذلك ممّا هو نافع في الآخرة زادت رويّته و تفطّنه وعظمت قوّتهما ، وتسمّى تلك القوّة أيضاً عقلا

إمّا حقيقة أومجازاً ، و تتفاوت بحسب التفاوت في القوة والضعف و كثرة جنود العقل و قلّتها وشدّة معارضة الأوهام والقوى و عدمها وإن ترك مهملاً ولم يستعمل فيما ذكر ، بل استعمل في أضداده و صرف رويّته و فطانته بجميع أنحاء الحيل و والمكر إلى جمع متفرّقات الدّنيا وزهراتها و تحصيل جزئياتهاوضبط مزخرفاتها حتّى يكون أبداً في الحزن والأسف على فوات مافات وفي الخوف من ذهاب ماحصل و في الحرص على جمع مالم يحصل، وعاونته جنود الجهل صارت قوّة تلك الرّويّة والفطانة شيطنة ورويّة من الشيطان وهو عقل عند الجهله دون الكملة كما عرفت.

((الأصل)) :

٤ـ «محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن فضّال، عن الحسن بن الجهم قال : سمعت الرّضا عليه السلام يقول : صديق كلّ امرء عقله وعدوّه جهله »

((الشرح)) :

(محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن ابن فضّال)وهو الحسن بن علي ابن فضّال من أصحاب الرّضا عليه السلام وكان خصيصاً به . وكان جليل القدر عظيم المنزلة ورعاً ثقة و كان فطحيّاً يقول بامامة عبدالله بن جعفر في جميع عمره حتّى حضره الموت فرجع إلى الحقّ (جش) (عن الحسن بن الجهم قال : سمعت الرّضا عليه السلام يقول: صديق كلّ امرء عقله وعدوّه جهله) كما أنّ صديق كلّ رجل يجلب له الخير، و يدفع عنه الشرّ و عدوّه بالعكس كذلك عقله يجلب له المنافع و يدفع عنه المضارّ، و جهله بالعكس إذ بالعقل يعرف الحلال والحرام و أحوال المبدء و المعاد ، ويسلك سبيل الهداية والرشاد ، ويميّز بين الحقّ والباطل ، ويعبد الرحمن و يكتسب الجنان فهو أجدر باطلاق الصديق عليه و أولى إذ كلّ صديق غيره لاينفع بدونه و بالجهل يغفل عن جميع ذلك و يسلك سبيل الغيّ والجهالة و يسعى في طريق الشرّ والضّلالة و يعبد الشيطان و يكتسب غضب الرّحمن فهو أليق باطلاق

العدوّ عليه و أخرى إذ كل عدوّ غيره لايضرّه بدونه؛ و فيه إيماء إلى أنّه ينبغي أن لايتّخذ الجاهل صديقاً والعاقل عدوّاً لأنّ الجاهل إذا كان عدوّاً لنفسه فكيف يكون صديقاً لغيره والعاقل كما يكون صديقاً لنفسه يكون صديقاً لأخيه و يعينه فيما يعنيه فمن اتّخذه عدوّاً كان أثر عداوته خزياً بين يديه و مانعاً من وصول الخير إليه و لذلك كثر الأمر في الأحاديث بملازمة العالم و مفارقة الجاهل و كما أنّ صداقة الأصدقاء و عداوة الأعداء متفاوتة في الناس كذلك صداقة العقل وعداوة الجهل متفاوتة بحسب تفاوت مراتب العقل و الجهل في الشدّة و الضعف لكثرة جنودهما و قلّتها على ما سيأتي تفصيل ذلك في الحديث المتضمّن لذكر الجنود إن شاء الله تعالى .

((الأصل)):

٥- «و عنه ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن فضّال ، عن الحسن بن الجهم » « قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : إنّ عندنا قوماً لهم محبّة و ليست لهم تلك » « العزيمة يقولون بهذا القول؟ فقال : ليس أولئك ممّن عاتب الله إنّما قال الله : » «فاعتبروا يا أولي الأبصار».

((الشرح)) :

(وعنه) أي عن محمّد بن يحيى (عن أحمد بن محمّد) الظاهر أنّه أحمد بن محمّد بن عيسى الأشعري و يحتمل أحمد بن محمّد بن خالد البرقي لأنّ محمّد بن يحيى يروي عنهما إلاّ أنّ روايته عن الأوّل أكثر ورواية الأوّل عن ابن فضّال أشهر و كلاهما عدلان ثقتان (عن ابن فضّال عن الحسن بن الجهم قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام) الظاهر أنّه أبو الحسن الرضا عليه السلام و يحتمل أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام لأنّ الحسن بن الجهم يروي عنهما (إنّ عندنا قوماً) من الشيعة و التنكير للتكثير (لهم محبّة) لكم أهل البيت و التنكير للتحقير (و ليست لهم تلك العزيمة) الواو للعطف أو للحال والعزم إرادة

الفعل والقطع عليه والجدّ فيه يعني ليس لهم القطع واليقين بمحبّتكم كما يكون لخلّص شيعتكم و ذلك لعدم كمالهم في العقل والتمييز وعدم تمسّكهم في الدّين بالبرهان؛ يقولون بهذا القول) بمجرّد التقليد والنشوء عليه لا بالبصيرة والبرهان و هو تأكيد للسابق و لذا ترك العاطف (فقال ليس اولئك ممّن عاتب الله) للتقليد وترك الاستدلال لأنّ الاستدلال متوقّف على إدراك مقدّمات مناسبة للمطلوب و اعتبار الحدود فيها و ترتيبها على نهج الصواب واعتبار الشرايط المعتبرة في الانتاج و قوّة الانتقال منها ولا يتصوّر ذلك إلاّ فيمن له قوّة استعدادية و بصيرة عقليّة و مكنة ذهنية (١) وليس أولئك بهذه الصفة فلا يتعلّق بهم الخطاب بالاستدلال والعتاب بتركه (إنّما قال الله فاعتبروا يا أولى الابصار) خص الأمر بالاعتبار بأُولي الابصار والحثّ على الاستدلال بذوي الأفكار إذ لهم أذهان ثاقبة و عقول كاملة و بصائر نافذة تمكّنوا بها من معرفة غوامض الأمور من مباديها ، فأولئك مكلّفون بمعرفتنا والتصديق بولايتنا والاقرار بامامتنا والبلوغ إلى أعلى مراتب محبّتنا بمناهج البرهان و معارج التبيان ، فان فعلوا اتّصفوا بحقايق الايمان و صاروا رفقاءنا في الجنان وإن أهملوا تمسّكوا بعروة الكفران و استحقّوا عذاب النيران و مذلة الخذلان و هذا الحديث كما ترى صريح في أنّ التكليف عاجلاً و تحصيل كمال الرّضا و القرب عاجلاً و آجلاً متوجّه إلى العاقل الكامل ، وأنّ الضعفاء من الشيعة غير مؤاخذين بالتقليد في أُصول الدين ، وأنّ هذا الصنف دون الصنف الأوّل في الثواب والعقاب كما قال سبحانه «ورفع بعضهم فوق بعض درجات».

((الاصل))

٦ ـ « أحمد بن إدريس ، عن محمّد بن حسّان ، عن أبي محمّد الرازيّ ، عن سيف «ابن عميرة ، عن إسحاق بن عمّار قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : من كان عاقلاً كان له» « دين ، و من كان له دين دخل الجنّة ».

(١) في بعض النسخ [سمة ذهنية].

((الشرح)):

(أحمد بن إدريس ، عن محمّد بن حسّان) ضعيف (عن أبي محمّد الرازي) قيل هو جعفر بن محمّد بن يحيى القاضي بالرّي ويحتمل أحمد بن إسحاق الرّازي (عن سيف بن عميرة) بفتح العين ثقة عند الأكثر ، و قال محمّد بن شهر آشوب : هو واقفيّ ،وقال الشهيد في شرح الارشاد- في نكاح الأمة باذن المولى-: و ربّما ضعّف بعضهم سيفاً والصحيح أنّه ثقة (عن إسحاق بن عمّار) ثقة عند الكلّ شيخ من أصحابنا عند بعض و فطحيّ عند بعض ، و قال العلّامة : الأولى عندي التوقّف فيما ينفرد به .

(قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : من كان عاقلاً كان له دين و من كان له دين دخل الجنّة) هذا ضرب أوّل من الشكل الأوّل(١) مركّب من متّصلتين والنتيجة من كان عاقلاً دخل الجنّة؛ أمّا بيان الصغرى فاما مرّ في حديث عقل آدم عليه السلام من أنّ الدّين لازم للعقل و ذلك لأنّ العاقل يعرف أحوال المبدء و المعاد و ما هو خير له في الدّنيا والآخرة فيحصل له بذلك قوّة تمنعه من الخروج عن الصراط المستقيم، والدّين عبارة عنه، و بعبارة اُخرى العاقل من كان له علم بالمصالح و عمل بها إذ لو لم يكن الأوّل كان جاهلاً و لو لم يكن الثاني كان سفيهاً و هو أيضاً جاهلاً ، و هذا المعنى هو الّذي أشار إليه عليه السلام في الحديث السّابق من «أنّ العقل ما يعبد به الرّحمن و يكتسب به الجنان» فثبت أنّ من كان له عقل كان له دين و أمّا الكبرى فلأنّ الدّين كما عرفت عبارة عن الصراط المستقيم و هو طريق الجنّة ، فمن سلكه كان لامحالة غايته دخول الجنّة ولأنّ سالكه استحق دخولها و محال على فضل الله و إحسانه أن يمنعه من دخولها مع الاستحقاق ، و يلزم من مفهوم الشرط أنّ من كان جاهلاً لا دين له ولا يدخل الجنّة ولكن لابدّ من القول بأنّ هذا المفهوم غير معتبر لأنّ الجاهل قد يكون له دين وإن كان ضعيفاً و قد يدخل الجنّة بالتفضّل ، أو القول بأنّ المراد بدخول العاقل الدخول بلا

---

(١) الضرب الاول ان يكون الصغرى والكبرى موجبتين كليتين(ش).

تعذيب بعذاب يوم القيمة أو بلاحساب لأنّ العاقل يؤدّي حسابه في دار الدّنيا و يلزم أيضاً من قاعدة انتفاء الملزوم عند انتفاء اللاّزم أن لا يكون أحد من فرق الكفّار والمخالفين عاقلاً ، و أن لا يكون ما فيهم من قوّة التصرف و التفكّر والتدبير عقلاً وقد مرّ أنّها شيطنة ونكراء .

((الاصل))

٧ ـ « عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن الحسن بن » « علي بن يقطين ، عن محمّد بن سنان ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: » « إنّما يداقّ الله العباد في الحساب يوم القيـامة على قدر ما آتاهم من العقول » « في الدنيا ».

((الشرح))

(عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد) ثقة (عن الحسن بن عليّ بن يقطين) ثقة فقيه متكلّم (عن محمّد بن سنان) ثقة عند المفيد ضعيف عند الشيخ الطوسي و النجاشي وابن الغضايري، ممدوح بمدح عظيم عند الكشّي ولأجل ذلك قال العلاّمة والوجه عندي التوقّف فيما يرويه (عن أبي الجارود) اسمه زياد بن المنذر زيديّ أعمى مذموم بذمّ عظيم (عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّما يداقّ الله العباد في الحساب) المداقّة مفاعلة من الدّقة يعني أن مناقشتهم في الحساب وأخذهم على جليله و دقيقه (يوم القيمة على قدر ما آتاهم من العقول في الدّنيا) المعقل مراتب متفاوتة في القوّة والضعف والكمال والنقصان المرتبة العليا للأنبياء والأوصياء والمرتبة السفلى لمن يتميّز به عن ساير الحيوانات الخارجة عن رتبة التكليف و المتوسطات على كثرتها متوسّطات والمداقّة في الحساب بحسب تلك المراتب فحساب من فـي الدّرجة الثانية أشقّ و أدقّ من حساب من في الدرجة الأولى و أخفّ من حساب من في الدرجة الثالثة وهكذا وذلك لأنّ الحساب على حسب التكاليف والتكاليف

متفاوتة على حسب تفاوت العقول إذالأقوى عقلاً أشدّ تكليفاً من الأضعف هذا، و قال سيّدالحكماء الالهيين(١): «إنّما يداف الله العباد» بالدّال المهملة والفاء المشدّدة و يروى بالذّال المعجمة . و في بعض النسخ «يدافي» بابدال إحدى الفائين يـاء يقال : دفّ عليه دفيفاً أي وفد وقدم ، ودافقت الرّجل مدافّة و دفافاً أجهزت عليه وفي النهاية الأثيرية في حديث ابن مسعود«انّه داف أباجهل يوم بدر»أي أجهز عليه وحزّ رقبته، ويذاف بالذّال المعجمة بمعنى يداف،وأمّا يداقّ بالقاف فتصحيف تحريفي و تحريف تسقيمي هذا ملخص كلامه و إنّما كلامه مطوّل مبسوط كلّه لبيان معنى هذا اللّفظ بحسب اللّغة كما هو دأبه في تصحيح اللّغات و أسماء الرجال ولا أدري ما الباعث له على الحكم بتحريف «يداقّ» بالقاف و تسقيمه و ترجيح يدافّ بالفاء عليه .

((الاصل))

٨- « عليّ بن محمّد بن عبدالله ، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر ، عن محمّد بن» «سليمان الديلميّ ، عن أبيه قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام: فلان من عبادته و دينه » « و فضله ؟ فقال : كيف عقله؟ قلت : لاأدري ، فقال : إنّ الثواب على قدر العقل» « إنّ رجلاً من بني إسرائيل كان يعبدالله في جزيرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة» « الشجر ظاهرة الماء و إنّ ملكاً من الملائكة مرّ به فقال : يا ربّ أرني ثواب» « عبدك هذا فأراه الله تعالى ذلك ، فاستقلّه الملك فأوحى الله تعالى إليه : أن اصحبه» « فأتاه الملك في صورة إنسيّ فقال له : من أنت ؟ قال : أنا رجل عابد بلغني » « مكانك وعبادتك في هذا المكان فأتيتك لأعبدالله معك فكان معه يومه ذلك ، فلمّا أصبح » « قال له الملك: إنّ مكانك لنزه وما يصلح إلاّ للعبادة فقال له العابد: إنّ لمكاننا» « هذا عيباً فقال له : و ما هو ؟ قال : ليس لربّنا بهيمة فلو كان له حمار رعيناه» « في هذا الموضع فانّ هذا الحشيش يضيع ، فقال له [ذلك] الملك : ومالربّك» « حمار، فقال: لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش فأوحى الله إلى الملك»

---

(١) يعني السيد محمد باقر الداماد ـ رحمه الله ـ .

« إنّما اُثيبه على قدر عقله.»

((الشرح))

(عليّ بن محمّد بن عبدالله) (١) أبوالحسن القزويني وجه من أصحابنا ثقة في الحديث (عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر) النهاوندي ضعيف في حديثه متّهم في دينه، وفي مذهبه إرتفاع وأمره مختلط لا أعتمد على شيء ممّا يرويه (صه) (٢) (عن محمّد بن سليمان الديلمي، عن أبيه) سليمان بن زكريا الديلمي كذّاب غال كذا نقل عن ابن الغضايري، و كذا ابنه ضعيف في حديثه مرتفع في مذهبه (صه) و الحديث معتبر لأنّ الكذوب قد يصدق (قال قلت لابي عبدالله عليه السلام فلان) بمكان رفيع (من عبادته ودينه وفضله؟ فقال: كيف عقله) في القوّة والضعف (قلت: لا أدري) حال عقله فيهما (فقال: إنّ الثواب) المترتّب على العبادة والدّين والفضل (على قدر العقل) فإن كان كاملاً كان الثواب كاملاً و إن كان ناقصاً كان الثواب ناقصاً لأنّ زيادة الثواب بكمال العبادة و كمال العبادة بمعرفة المعبود و صفاته واستحقاقه للعبادة دون غيره، وبمعرفة حقيقة العبادة وأحكامها و شرايطها و كيفية فعلها، وبصدورها على الخوف والخشية ولا يحصل ذلك إلاّ بزيادة العقل و العلم فإذن زيادة الثواب على قدر العقل كما أنّ زيادة العقاب على قدره لقول الصادق

---

(١) قال الفيض القاشاني ـ رحمه الله ـ: كأنه ابن اذينة الذى هو من مشايخ الكلينى ويحتمل ابن عمران البرقى انتهى. أقول: كونه القاضى القزوينى فى غاية البعد لانه كما نص عليه النجاشى قدم بغداد سنة ست وخمسين وثلاثمائة وتوفى الكلينى ٣٢٨ والمشهور أنه رتب الكافى فى عشرين سنة و لازم ذلك أن يكون على بن محمد بن عبدالله أبوالحسن القزوينى أجاز الكلينى قبل خمسين عام و هذا بعيد جداً، والظاهر أنه ابن بندار أوعلى بن محمد ابن عبدالله القمى كما أن الظاهر اتحاد الرجلين.

(٢) رمز لخلاصة الاقوال للعلامة الحلي قدس سره.

عليه السلام: « يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد (١) » و لايقال: مجاهدة قليل العقل مع نفسه و دفعه للمخاطرات الشيطانية و اللّذات النفسانية أشقّ و أعظم لضعف الآلة من مجاهدة العاقل الكامل العالم الماهر فينبغي أن يكون ثواب عبادته أكثر و أعظم كما ورد « انّ الذي يعالج القرآن بمشقة و قلّة حفظه له اجران (٢) » لأنّا نقول: ذلك ممنوع بل الظاهر الحقّ الّذي لاريب فيه أنّ مجاهدة العاقل العالم أعظم لأنّ اللّذات النفسانية مشتركة والمخاطرات الشيطانية فيه أكثر وأعظم، و سيره في طرق تفاصيل المقامات العالية الدقيقة و تركه لأضدادها مع كثرة قطّاع الطريق والمختلس فيها أشدّ و أشقّ بخلاف قليل العقل فانّه إنّما يسمع أنّ هناك طرقاً و مقامات وهي معارك النفوس ولم يقع فيها ولم ير مشقّتها ولاصولة الأعادي فيها ، و أمّا تضعيف أجر من له قلّة حفظ على أجر من له قوّة حفظ فانّما هو بعد تساويهما في العلم بالقراءة و أحكامها فليس هذا من قبيل ما نحن فيه . (إنّ رجلاً من بني إسرائيل كان يعبدالله في جزيرة من جزاير البحر) قال المطرّزي في المغرب : الجزر انقطاع المدّ ، و يقال جزر الماء إذا انفرج عن الأرض أي انكشف حين غار ونقص ، منه الجزيرة . و قال الجوهري : الجزيرة واحدة جزاير البحر سمّيت بذلك لانقطاعها عن معظم الأرض (خضراء) بفتح الخاء و سكون الضاد أي فيها الفواكه والتفّاح والكمثّرى وغيرها أوالبقول كالكرّاث والكرفس والسداب و نحوها أو النبات والكلاء الأخضر أو جميع ذلك (نضرة) صفة بعد صفة ، والنضرة الحسن والرونق ، وقد نضر وجهه أي حسن و نضره الله يتعدّى ولايتعدّى (كثيرة الشجر، ظاهرة الماء) بالظاء المعجمة يعني أنّ ماءها كان جارياً على وجه الأرض وقد يقرأ بالطاء المهملة، وكان طهارة مائها كناية عن صفائه ولطافته وخلوّه عمّا يغيّر لونه أوطعمه ، والظاهر ظاهر

---

(١) سيأتي في كتاب فضل العلم باب لزوم الحجة على العالم تحت رقم ١ .

(٢) رواه الكليني في كتاب فضل القرآن باب من يتعلم القرآن بمشقة تحت رقم ١ .

الماء بلاتاء ، لأنّ الوصف بحال المتعلّق في التأنيث والتذكير تابع لفاعله دون الموصوف والفاعل هنا مذكّر (وإنّ ملكاً من الملائكة مرّ به فقال : يا ربّ أرني ثواب عبدك هذا) دلّ هذا و غيره من الأخبار على أنّ الملائكة لايعلمون ثواب أعمال العباد كمّاً أو كيفاً بل لايعلمون نفس الأعمال أيضاً إلّا ماشاء الله (فأراه الله تعالى ذلك فاستقلّه الملك) أي عدّه قليلاً بالنظر إلى عبادته (فأوحى الله تعالى إليه أن اصحبه فأتاه الملك في صورة إنسيّ) تلبّس الملائكة والشياطين والأجنّة الّذين هم أجسام شفّافة بل الأعراض أيضاً كالأعمال والعقايد بالصور الجسمانية الكثيفة ممّا لا ينكره العقل وقد ثبت ذلك من طرق العامّة و الخاصّة بأخبار معتبرة متكثّرة ، ولا يستلزم ذلك تبدل الحقايق ولاعبرة بانكار بعض أهل الظواهر (١) إذ الحقيقة الواحدة يختلف صورها باختلاف المواطن فيتحلّى في كلّ موطن بحلية ويتزيّا في كلّ نشأة بزيّ ، و هو مذهب الخواصّ من أهل التحقيق و توضيحه ما أشار إليه الشيخ في الأربعين من أنّ سنخ الشيء و أصله أمر مغاير لصورته الّتي يتجلّى بها على المشاعر الظاهرة ويلبسها لدى المدارك الباطنة وأنّه يختلف في تلك الصور بحسب المواطن والنشآت فيلبس في كلّ موطن لباساً و يتجلبب في كلّ نشأة بجلباب كما قالوا : إنّ لون الماء لون إنائه وأمّا الأصل الّذي يتوارد عليه هذه الصور و يعبّرون عنه تارة بالسنخ و تارة بالوجه و مرّة بالرّوح فلا يعلمه إلّا علّام الغيوب، فلابعد في كونه متلبساً في موطن بالصورة الملكيّة أو العرضية و في آخر بالصورة الانسانية أو الجوهرية ، و أيّده بمؤيّدات

---

(١) « بانكار بعض أهل الظواهر » هذا الكلام من الشارح تصريح بعدم كون ما يرى من الملائكة فى الصورة الجسمية عين صورتهم بل يتلبسون بها و كذلك تصريح بتجسم الاعمال، وقال الفاضل العلامة المجلسي رحمه الله فى حق اليقين ما معناه ان بعضهم قائلون بتجسم الاعمال و يقولون يجوز تبدل الصور باختلاف النشآت والعوالم كما يتمثل العلم فى الرؤيا باللبن او الماء و هذا شيء بعيد فى العقل ولا يوافق المعاد الذى يعتقده المسلمون ـ الى آخر ماقال ـ والحق ما قاله الشارح ، انه ليس بعيداً فى العقل (ش).

لايليق المقام ذكرها و إنّما أتاه بصورة إنسي لابصورة ملكيّة ليعرف ذلك العابد أنّه من جنسه ولايعلم أنّه ملك لأنّه أدخل في الامتحان أولعدم استعداد العابد لرؤية الملك بصورته الأصليّة أو لعدم قدرته على تحمّل هيبة الصورة الملكيّة ، و فيه دلالة على تحقق المكاشفة وظهور الأشياء الملكوتيّة والآثار الربوبيّة الّتي حجبتها الشواغل الجسميّة والعوايق البدنيّة والعلائق البشريّة من مشاهدتها على بعض النفوس العارية عن هذه الشواغل، الخاليّة عن تلك المواضع، المرتاضة بأنحاء الرّياضة، الممتازة بأنواع العبادة . والشواهد عليها من القرآن والاخبار كثيرة فلا عبرة بانكار المنكرين (فقال) أي العابد (له) أي للملك (من أنت؟ قال: أنا رجل عابد) لم يرد أنّه رجل بحسب الحقيقة حتّى يلزم انقلاب المهية بل أراد أنّه رجل بحسب الصورة و يصدق عليه مفهومه بحسب الرؤية و فائدة الاخبار باعتبار الوصف (بلغني مكانك) أي نزاهة مكانك أو منزلتك أو موضعك (و عبادتك في هذا المكان فأتيتك لأعبدالله معك) فيه ترغيب في الميل إلى الصالحين والرّفاقة معهم في العبادة (فكان معه يومه ذلك فلمّا أصبح قال له الملك : إنّ مكانك لنزه) بالغ في التأكيد(١) مع أنّ نزاهة المكان أمرمحسوس غيرقابل للانكار لأنّه رأى العابد مشتغلاً بعبادة ربّه معرضاً عمّاسواه بحيث لايخطر بباله المكان والمكانيات أصلاً بل كأنّه ينكر وجود غيره بالكلّية فهو بهذا الاعتبار صار منكراً مصراً فناسب الخطاب معه تأكيداً بليغاً (و ما يصلح إلاّ للعبادة) دلّ على أنّ مكان العبادة ينبغي أن يكون طاهراً نزهاً لأنّه يوجب نشاط النفس وسرورها و يدفع عنها انقباضها و كلّ ذلك يعدّها للحركة إلى المقامات العالية الموجبة لتحمّل مشاقّ العبادة ورياضاتها (فقال له العابد: إنّ لمكاننا هذا عيباً فقال له: وما هو؟ قال : ليس لربّنا بهيمة) أي في الوجود أو في هذا الموضع والأوّل أولى و أنسب و إنّما عدّ هذا عيباً للمكان باعتبار أنّه سبب لعيبه و هو ضياع حشيشه كما أشار إليه بقوله(فلو

---

(١) يعني «أن» و «اللام» في قوله «ان مكانك لنزه» مشتمل على التأكيد وانمايؤكد الكلام اذا كان المخاطب منكراً مع كون النزاهة محسوسة لايقبل الانكار فاجاب الشارح (ش)

كان له حمارٌ رعيناه في هذا الموضع ، فانّ هذا الحشيش يضيع) بيان للملازمة (فقال لهذاك الملك: وما لربّك حمارٌ) «ما» للاستفهام ويحتمل أن يكون للنفي أيضاً أي ليس لربّك حمارٌ لأنّه أجلّ و أرفع من أن يكون له حمارٌ و فيه أنّ النفي على تقدير صحّته لايناسب قوله (فقال: لوكان له حمار ماكان يضيع مثل هذا الحشيش) هذا قياس استثنائي أنتج برفع التالي رفع المقدّم و الملازمة ممنوعة لأنّ خلق كلّ حشيش لايجب أن يكون للحمار و نحوه إذ له منافع كثيرة و مصالح جمّة لايعلمها إلّا هو، فهذا الكلام من جملة ما دلّ على قلّة عقله (فأوحى الله إلى الملك إنّما اُثيبه على قدر عقله) فكما كان عقله قليلاً كان ثواب عمله أيضاً قليلاً ، و أمّا عقله فلعدم علمه بأنّه ما يفعل ربّه بالحمار و أي احتياج له إليه وأنّ العيب الّذي نسبه إلى المكان راجع بزعمه إلى عيب ربّه واعتراض عليه بضعف تدبيره لخلق الحشيش عبثاً بلا منفعة ولامصلحة، و أنّ خلق كلّ حشيش لايجب أن يكون لأجل حمار وأنّ لكلّ شيء منافع و أغراضاً لايعلمها إلّا هو و أن ليس لأحد أن يقول لربّه : لم خلقت هذا ، ولم تخلق ذاك ، و أنّ المقامات العلية والدّرجات الرفيعة إنّما هي للعابدين المعرضين عمّا سواه حتّى علّق قلبه بأخسّ المخلوقات وصرف همّته إلى أن يكون راعياً لئلا يضيع النباتات.

و فيه دلالة على أنّ أمثال هذه الاعتقادات الفاسدة والاعتراضات الباطلة و الاقتراحات الكاسدة لايضرّ في أصل الايمان ولا في الإثابة على الأعمال الصالحة إذا كانت مستندة إلى قلّة العقل و ضعف البصيرة كيف وقد دلّ الأحاديث الكثيرة على أنّ أكثر أهل الجنّة النساء و ضعفاء العقول ، لايقال: ترتّب الثواب على العبادة مشروط بصحّتها و صحّتها مشروطة بنيّة التقرّب إلى الله تعالى ونيّة التقرب إليه متوقّفة على معرفته و معرفته بهذا النحو و هو أنّه خالق الأشياء عبثاً بلامصلحة ولامنفعة ليست بمعرفة حقيقة فكيف يترتّب الثواب على عبادة هذا الرجل في الآخرة ؛ لأنّه يقال : أدنى المعرفة مع نفي الشريك يكفي في ترتّب أدنى الثواب على العمل و ذلك لأنّ العبد إذا عرف ربّه بقدر عقله و وسعه ولم يعتقد الشريك

له ولامشابهته لخلقه في الجسمية والمقدار وما يتبعهما كان قابلاً لرحمته الواسعة مع رجحان الرّحمة فإذا ضمّ معها عبادة عارية من الكبر والعجب والرّياء وغيرها من الآفات والمفسدات للعبادة صار جانب الرّحمة أرجح واستحقاق الثواب أقوى فوجب تحقّق الثواب ولو كان حصول أصل الثواب موقوفاً على كمال المعرفة فظاهر أنّ ذلك لايتيسّر إلاّ للعاقل الكامل الّذي هو فريد في العقل والكمال لزم أن لايكون من هو دونه من الضعفاء من أهل الرحمة. وهو خلاف ما نطقت به الرّوايات ودلّت عليه الآيات والظاهر أنّه لم يذهب إليه أحد أيضاً.

((الاصل))

٩ـ «عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن «أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا بلغكم عن رجل حسن حال» «فانظروا في حسن عقله؛ فانّما يجازى بعقله».

((الشرح))

(عليّ بن إبراهيم) ثقة معتمد صحيح المذهب له كتب (عن أبيه) إبراهيم ابن هاشم أبي إسحاق القمّيّ ولم يصرّحوا بجرحه وتعديله والأرجح قبول قوله (صه) (عن النوفليّ) الحسين بن يزيد بن محمّد بن عبدالملك وكان شاعراً أديباً وقال قوم من الكوفيين إنّه غلا في آخر عمره (عن السكونيّ) إسمعيل بن أبي زياد الشعيري له كتاب وكان عامياً (عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله) صرّح عليه السلام بهذه النسبة مع أنّ جميع ما روي عنه أخذه من مشكوة النبوّة للتشرّف بذكره صلى الله عليه وآله وللتأكيد والمبالغة في قبول مضمون الحديث ولاحتمال أن يكون السامع عامياً لايقبل منه بدون ذلك (إذا بلغكم عن رجل حسن حال) من فعل الصّلاة والزكاة والصيام والحجّ والصدقات وغيرها من الأعمال الدّينية والدّنيوية (فانظروا في حسن عقله) فان وجدتم عقله على وجه الكمال فاعلموا أنّ أعماله أيضاً على

وجه الكمال وأن الثواب المترتّب عليها على وجه الكمال. وإن وجدتم عقله ناقصاً فاعلموا أنّ جميع ذلك ناقص فلاتغترّوا بحسن أعماله و أفعاله و استقامة أحواله ظاهراً ولاتحكموا بمجرّد ذلك على صحّة عقيدته و سلامة قلبه و كمال عمله و ثوابه بل انظروا أوّلاً في حسن عقله و كمال جوهره (فانّما يجازى بعقله) أي بقدر عقله و للعقل مراتب متفـاوتة تفاوتاً فاحشاً وهو أصل العبادة و أساسها كما قال الصادق عليه السلام: «العبادة حسن النيّة من الوجوه الّتي يطاع الله منها»(١) و ظاهر أنّ ذلك لايحصل بدون العقل ففضل العبادة و كمال ثوابها بقدر فضل العقل و كماله، و فيه دلالة على أنّ ثواب العالم أفضل من ثواب الجاهل و إن كان الجاهل أعبد منه، و على اختبار حال الشاهد والراوي و كلّ مخبر و إن كانت أحوالهم حسنة بحسب الظاهر.

((الاصل))

١٠- «محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن «سنان قال: ذكرت لأبي عبدالله عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة و قلت: هو» «رجل عاقل، فقال: أبوعبدالله عليه السلام: وأيّ عقل له و هو يطيع الشيطان؟ فقلت» «له: و كيف يطيع الشيطان؟ فقال: سله هذا الذي يأتيه من أيّ شيء هو، فانّه يقول» «لك: من عمل الشيطان».

((الشرح))

(محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن سنان قال: ذكرت لأبي عبدالله عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء والصّلاة) أي بالوسواس في نيّتهما أو في فعلهما أو بالمخاطرات الّتي تشغل القلب عنها (و قلت هو رجل عاقل) التنكير للتعظيم والتفخيم (فقال أبوعبدالله عليه السلام: وأيّ عقل له وهو يطيع الشيطان)

(١) رواه الكليني في كتاب الايمان والكفر باب العبادة تحت رقم ٤.

إنكار لذلك القول على سبيل المبالغة ، فانّ من يطيع الشيطان كأنّه لاعقل له فضلاً عن أن يكون عقله كاملاً و يحتمل أن يكون نفياً لعقله حين الاطاعة فيكون ردّاً لذلك القول على أن يكون قضيّة دائمة ، و اعلم أنّ للشيطان تصرّفاً عجيباً في الانسان و عملاً غريباً معــه . فانّه إذا يئس من كفر من صحّ إيمانه قصده بالوسوسة ليشغل سرّه بحديث النفس يكرّر عليه أفعاله و يؤذيه فربّما يتصرّف فيه بأمر النيّة وهي القصد إلى الفعل المأمور به تقرّباً إلى الله تعالى فيقول له: إنّك لم تقصد قصداً معتبراً و يقول الملك الموكّل بقلبه لتسديده إنّك قصدت و يقع بينهما تعارض يوجب تردّده فعند ذلك يقول له الشيطان: كيف قصدت مع هذا التردّد فيبطله ويستأنف ، و هكذا دائماً وقد يقول له : لايكفيك هذا القصد الاجمالى بل يجب عليك القصد إلى ما ينحل به تفصيلا ، فيشرع في تفصيل معنى القصد و الفعل والأمر والقربة وغير ذلك، و كلّما خطر معنى من هذه المعاني بالبال غفل عن الآخر لأنّ مشرب القلب ضيق فيقول له حينئذ لابدّ لك من تدارك ذلك الاخر فيأمره بذلك دائماً فيبقى متردّداً بحيث لايدري ما يفعل فيصير ذلك سبباً لقلقه و اضطرابه حتّى كأنّه مجنون، وقد نقل عن ابن الباقلاني أنّه قال يجب على المصلّي في نيّة الصّلاة أن يستحضر العلم بالصانع و ما يجب له وما يستحيل عليه و ما يجوز له من بعثة الرّسل و تأييدهم بالمعجزات و وجه دلالتها على صدقهم و يستحضر مع ذلك الطرق الّتي وصل بها التكليف ، و يستحضر حدوث العالم وما يتوقّف عليه العلم بحدوثه من إثبات الأعراض و استحالة خلوّ الجوهر عنها و إبطال حوادث لا أوّل لها ويستحضر الصّلاة بجميع أجزائها و أفعالها وشرايطها. و قال المازري: إنّي أردت اتّباع ابن الباقلاني في ذلك القول فرأيت في منامي كأنّي أخوض بحراً من ظلام فقلت : هذه والله قول ابن الباقلاني . وربّما يتصرّف فـي قلبه و يشغله عن ذكر ربّه وعن أفعال العبادة وأجزائها ويقول له : اذكر كذا و كذا و افعل كذا و كذا إلى غير ذلك من المخاطرات الرديّة، فيصير بحيث لايعلم ما فعل وكم صلّى و قد قيل إنّ رجلاً شكا إلى بعض أهل العلم أنّه خبأ شيئاً

فلم يدر أين هو فأمر أن يصلّي ركعتين و يجتهد أن لا يحدّث فيهما نفسه ففعل فجاءه الخبيث فذكره أين خبأه ، ولايخفى أنّ سرعة قبول القلب لتلك المخاطرات و تأثّره بتلك التصرّفات إنّما هو لضعف العقل ، فانّ العاقل اللّبيب يعلم أنّ العبادة و مقدّماتها معراج العارفين و كلّما يمنعه و يشغله عن التذكر فهو من تدليسات ذلك اللّعين فيسدّ طرق تصرّفاته بالبصيرة واليقين و أنّ النيّة إنّما هي القصد بالشيء، ولامعنى لإنكاره بعد حصوله وأنّ التردّد إنّما ينشأ من العدوّ المبين وأنّ ملاحظة تفاصيلها وتمييز بعضها عن بعض خارجة عن الدّين و أنّ امتثال أمر الله سبحانه كامتثال العبد أمر سيّده و أنّ تعظيمه كتعظيمه فلو أمره سيّده بفعل معين في وقت معين فقام امتثالاً لأمره و فعله في ذلك الوقت كان ممتثلاً لأمره عرفاً وشرعاً ولو شرع في القيام وقال : أقوم امتثالاً لأمر مولاي قياماً مقارناً لتعظيمه وأمشي إلى ذلك المكان مشياً مطلوباً له و أفعل فيه في وقت كذا الفعل الّذي أجزاؤه كذا و كذا ، ويكرّر ذلك لينتقش في قلبه صور هذه المعاني لعدّ ضعيفاً في عقله وسخيفاً في رأيه لأنّ هذه الصور مخطوزة بالبال مندرجة تحت الامتثال على سبيل الإجمال كاندراج أجزاء العالم وعلّة حدوثها في قولك: «العالم حادث» فكما أنّ القصد إلى الأجزاء مثل الأرض والسماء إلى غير ذلك ممّا لا يحيطه العدّ والاحصاء خارج عن إفادة هذا القول بل زايد كذلك القصد إلى الصور المذكورة فيما نحن فيه (فقلت له و كيف يطيع الشيطان) مع اشتغاله بالعبادة واهتمامه بها و« كيف» للاستفهام عن وجه ذلك لا للإنكار (فقال سله هذا الّذي يأتيه) من الوسواس في الوضوء والصلاة والابتلاء بهما (من أيّ شيء هو) إنّما أحال البيان إليه للتنبيه على أنّ كون ذلك من الشيطان أمر بيّن يعرفه كلّ أحد حتّى صاحبه و ذلك لأنّ كلّ أحد يعلم أنّ الزيادة في الدين إنّما هو من عمل الشيطان اللّعين (فانّه يقول لك من عمل الشيطان) لعلمه بأنّه الباعث لهذا العمل دون الشرع أو العقل وتصديقه بذلك لايوجب كونه عاقلا كاملا كشارب الخمر والزّاني والسّارق وإنّما العاقل من ترك عمل الشيطان ولم يعمل بقوله ، و قيل قوله « من عمل الشيطان»

قول بلسانه ولم يؤمن به قلبه إذ لو عرف أنّه من عمل الشيطان لكان عاقلاً ولاموصوفاً و إنّما يقول ذلك تقليداً أو اضطراراً وذلك مثل ما حكى الله سبحانه عن الكفّار بقوله «و لئن سئلتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله» فانّ هذا قولهم بأفواههم ولم تؤمن به قلوبهم إذ لو علموا ذلك لم يكونوا كفّاراً و إنّما قالوا ذلك تقليداً أو سماعاً من الناس على الرّسم والعادة لاتحقيقاً و عرفاناً فلذلك لاينفعهم في الدّنيا والآخرة . وفيه نظر لأنّا لانسلّم أنّ علمه بأنّ ذلك من عمل الشيطان يستلزم أن يكون عاقلا لما عرفت ، ولانسلّم به أنّ علم الكفّار بأنّ الله تعالى خلق السموات والأرض يستلزم عدم كفرهم لجواز أن يكون كفرهم مع علمهم بذلك لأجل أمر آخر كاعتقادهم باستحقاق الاصنام للعبادة و نحوه فليتأمّل .

((الأصل)) :

١١- «عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن بعض أصحابه «رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما قسّم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم «العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل ولابعث «الله نبيّاً ولا رسولاً حتّى يستكمل العقل و يكون عقله أفضل من جميع عقول «أمّته وما يضمر النبيّ صلى الله عليه وآله في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، وما أدّى «العبد فرائض الله حتّى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم «ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولو الألباب، الذين قال الله تعالى : «و مايتذكر «إلّا أولوا الألباب».

((الشرح))

(عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن بعض أصحابه رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما قسّم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل) كما قال بالفارسيّة الهى آنرا كه عقل دادي چه ندادي و آنرا كه عقل ندادي چه دادى ؟ والمقصود أنّ

العقل أفضل من جميع ما قسمه الله تعالى للعباد و هذا المعنى يفهم من هذه العبارة بحسب العرف فإنّ المقصود من قولنا ليس في البلد أفضل من زيد هو أنّ زيداً أفضل من غيره وسرّ ذلك أنّ العقل مناط لجميع الفيوضات الدّنيويّة والاُخرويّة و ليس شيء من الأغيار بهذه المثابة، والجهل بحكم المقابلة أخسّ من جميع الأشياء فيظهر وجه التفريع في قوله (فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل) يعني للعبادة و ذلك لأنّ حقيقة السهر و إن كان أفضل من حقيقة النوم إلاّ أنّ النوم المقارن للعقل أفضل وأشرف من السهر المقارن للجهل بحكم المقابلة للملابسة و المجاورة ففيه زيادة مبالغة على شرافة العقل و خساسة الجهل أو لأنّ العاقل لاينام إلاّ بطهارة و دعاء والملائكة يستغفرون له و يكتبون له الصّلاة مادام نائماً ، كما نطقت به الأخبار و ظاهر أنّ استغفار الملائكة والصّلاة المكتوبة له أفضل من عبادة الجاهل أو لأنّ نوم العاقل قلّما ينفكّ عن رؤيا صالحة وهي جزء من ستّة و أربعين جزء من النبوّة كما دلّت عليه الرّوايات، فنوم العاقل في الحقيقة معراج له بخلاف سهر الجاهل أو لأنّ العاقل لاينام إلاّ بقدر الضرورة ويجعل نومه وسيلة إلى عبادة اُخرى ولاشكّ أنّ نومه على هذا الوجه عبادة مستندة إلى العقل وسهر الجاهل لأجل العبادة وعبادته غير مستندة إليه وظاهر أنّ العبادة المستندة إلى العقل أفضل من العبادة الغير المستندة إليه، وقد سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً من الحرورية أي الخوارج يتهجّد و يقرء فقال: «نوم على يقين خير من صلاة في شكّ»(١) والوجه فيه ظاهر لأنّ صلاة الشاك فيما يجب الاعتقاد فيه لاينفعه ونوم المؤمن له فوائد كثيرة(و إقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل) أي انتقاله من بلد إلى بلد في طاعة الله تعالى كالحجّ والجهاد و نحوهما مع أنّ في الشخوص مشقّة زائدة على الاقامة وذلك لأنّ عقل العاقل وإن كان جسمه مقيماً سائر في المقامات العالية الّتي لاتخطر ببال الجاهل أبداً وله في كلّ آن سفر روحانيّ و شهود ربانيّ، ولاشبهة في أنّ سير الرّوح في معارج العرفان

---

(١) أورده الشريف الرضي ـ رحمه الله ـ في النهج باب المختار من حكم امير المؤمنين(ع) تحت رقم ٩٧.

مع سكون الجسم أفضل من سير الجسم في البلدان مع سكون الرّوح أو لأنّ، إقامة العاقل و سكونه عبادة كشخوص الجاهل ولاريب في أنّ عبادة العاقل أشرف من عبادة الجاهل أو لأنّ روح الطاعة و اعتبارها هو النيّة و قصد القربة ولايحصل ذلك إلّا بالمعرفة واليقين والجاهل بمعزل عنهما (ولا بعث الله نبيّاً ولارسولاً) من باب ذكر الخاصّ بعد العام لأنّ النّبي أعمّ من الرسول كما سيجيىء في الباب الثالث من كتاب الحجّة (حتّى يستكمل العقل و يكون عقله أفضل من جميع عقول أمّته) لأنّه واسطة بينهم و بين الله تعالى فيستحيل أن يكون في اُمّته من هو أفضل منه عقلاً أو مساوياً له لاستحالة ترجيح المفضول على الأفضل وترجيح أحد المساويين على الآخر و فيه مدح عظيم للعقل والعقلاء حيث حكم بأنّ التفاضل في الدّرجة والتشريف بشرف النبوّة والرّسالة إنّما حصل به و لذلك صار خاتم المرسلين أشرف المخلوقات أجمعين و لولاه لما خلق الله السموات والأرضين ولا الملائكة المقرّبين لأنّ عقله نور ربّ العالمين به أخذ النور كلّ نبيّ و كلّ وصيّ في ديجور الإمكان كما أنّ الكواكب تستضيء بنور الشمس في ظلمة اللّيالي وإن كانت غائبة في الحسّ، فإذا طلعت قهر نورها على أنوار الكواكب و منه يظهر سرّ نسخ شريعته الغرّاء لشرايع الأنبياء (وما يضمر النّبي صلى الله عليه وآله في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين) لكون عقله أفضل و أرفع من عقولهم لأنّ عقله لشدّة اتّصاله بنور الحقّ جلّ شأنه كمال محض لانقص فيه قطعاً و نور صرف لايشوبه ظلمة أصلا وذلك الاتّصال بمنزلة اتّصال الحديد بالنار وتأثّره منها بحيث يصير ناراً صرفاً يمحو هويّته حتّى يؤثر في غيره مثل تأثيرها ، و به يشعر قوله تعالى ليلة المعراج خطاباً له صلى الله عليه وآله « و ما يتقرّب عبدي إليّ بشيء أحبّ ممّا افترضت عليه ، و إنّه ليتقرّب إليّ بالنوافل حتّى اُحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به ، و بصره الّذي يبصر به ، و لسانه الّذي ينطق به ، و يده الّتي يبطش بها إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته (١)» ولأجل ذلك الاتّصال التامّ يظنّ من ليس له معرفة وتمييز

(٢) رواه الكليني في كتاب الايمان والكفر باب من اذى المسلمين واحتقرهم تحت رقم ٨ .

أنّهما متّحدان و أمّا أرباب المعرفة فيعرفون أنّ بينهما مغايرة و أنّ هذا مخلوق اتّصل بكمالات الخالق كما أنّ ذلك حديد اتّصف بصفات النّار ، وهذه المرتبة هي المرتبة العظمى والدّرجة العليا من مراتب العقل و درجاته وهي مرتبة حقّ اليقين ، و هو فيما دون تلك المرتبة أعني مرتبة علم اليقين، وفي مرتبة عين اليقين يشاهد المعقولات كلّها مشاهدة عيان بحيث لا يعزب عنه شيء إلاّ ما شاء الله، هذا حال عقله صلى الله عليه وآله و عقل أوصيائه عليهم السلام إلاّ أنّ بين عقله و عقلهم تفاوتاً دقيقاً لا يعرفه إلاّ الله سبحانه ، و أمّا عقل غيرهم ممّن تمسّك بذيل عصمتهم فهو و إن كان كمالاً و نوراً في حدّ ذاته لكنّه استعداد محض ، وظلمة صرف بالنظر إلى عقلهم إذ غاية جهده و نهاية سعيه تحصيل تلك المعقولات على قدر الوسع من مباديها بالاجتهاد وهو في هذه المرتبة بمنزلة من استدلّ على وجود النّار بمشاهدة الدّخان ، و بين هاتين المرتبتين مسافة بعيدة كما لا يخفى على العارفين و إذا كان عقله صلى الله عليه وآله أكمل و أفضل من عقول المجتهدين كان إدراكاته و تعقّلاته أفضل و أتمّ من اجتهادات المجتهدين و تعقّلاتهم و لهذا يحكم بأنّ عقل الأعلم و إدراكاته أتمّ وأفضل من عقل العالم و إدراكاته ، و كذا عقل العالم و إدراكاته أتمّ و أفضل من عقل الجاهل و إدراكاته ، بل لا نسبة هنا، و يرشد إلى التفاوت المذكور قول الصادق عليه السلام «اعرفوا منازل الناس على قدر رواياتهم عنّا (٣)» (و ما أدّى العبد فرائض الله حتّى عقل عنه) أي عقل عن الله و عرفه حقّ معرفته و علم ما يصحّ عنه وما يمتنع عليه و حقّ أمره فيما أراده من الفرائض والأحكام وذلك ظاهر لأنّ أداء الفرائض لا يتصوّر بدون معرفتها المتوقفة على معرفته تعالى و معرفته لا يتصوّر بدون العقل هو الأصل لجميع ذلك (ولا بلغ جميع العابدين) أي مجموعهم من حيث المجموع أو كلّ واحد منهم (في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل) أي في فضل عبادته أو في عقله عن الله و أحكامه وعلمه بهما لأنّ العقل أصل للعبادة و روح لها إذ به يحصل الخوف والخشية والخضوع الموجبة لصعودها إلى محلّ القبول ، و

---

(٣) سيأتي في كتاب فضل العلم باب النوادر تحت رقم ١٣.

انحطاط الفرع عن الأصل وعدم صعود العبادة الفاقدة لروحها بيّن لاستترة فيه (و العقلاءهم أولو الألباب) في تعريف الخبر باللاّم وتوسيطه بضمير الفصل تنبيه على التخصيص والتأكيد أي على قصر المسند على المسند إليه كما هو الشايع في مثل زيد هو الأمير، أو على قصر المسند إليه على المسند ، فانّه قديجيء لهذا المعنى أيضاً كما في قولهم : الكرم هو التقوى أي لاكرم إلاّ التّقوى ، و هذا أنسب بالمقام لأنّ الظاهر أنّ المقصود حصر العقلاء بأنّهم ليسوا إلاّ أولو الألباب الّذين مدحهم الله تعالى في الكتاب ، و يحتمل أن يكون المراد بيان اتّحاد المفهومين يعني إذا حصلت مفهوم أولو الألباب وتقرّر ذلك في ذهنك و تصوّرته حق تصوّره فقد عرفت مفهوم العقلاء و حقيقتهم ، فانّه لامفهوم لهم وراء ذلك فليس هناك حمل بحسب المعنى ولاقصر ، وقد صرّح أئمة العربيّة بجواز إرادة هذا المعنى في مثل هذا التركيب منهم الشيخ في دلائل الاعجاز. (الّذين قال الله تعالى) في مدحهم والجملة صفة لأولي الألباب أو للعقلاء (و ما يتذكر إلاّ أولو الألباب) و هم الّذين اتّصفوا بنور البصائر وجودة الأذهان وشاهدوا المعارف مشاهدة العيان و اهتدوا إليها لتجرّد عقولهم عن غواشي الحواس و علايق الأبدان و صعدوا بسلالمة عقولهم معارج اليقين فصاروا أهل الذكر ومنبع العرفان الّذين فرض الله سبحانه رجوع العباد إليهم بقوله : « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون » فالمتمسّكون بهم متمسّكون بحبل الله وهم مهتدون.

((الاصل))

١٢ـ « أبوعبدالله الأشعري ، عن بعض أصحابنا ، رفعه عن هشام بن الحكم» « قال : قال لي أبوالحسن موسى بن جعفر عليهما السلام : يا هشام إنّ الله تبارك وتعالى» « بشّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال : « فبشّر عباد ۞ الّذين يستمعون القول» « فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

«ياهشام: إنّ الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيّين »

« بالبيان و دلّهم على ربوبيّته بالأدلّة فقال : « وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو »
« الرحمن الرحيم ¤ إنّ في خلق السموات والأرض و اختلاف اللّيل و النهار و »
« الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، و ما أنزل الله من السماء من ماء »
« فأحيى به الأرض بعد موتها و بثّ فيها من كلّ دابّة و تصريف الرّياح والسحاب »
« المسخّر بين السماء والأرض ، لآيات لقوم يعقلون ».

« يا هشام قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأنّ لهم مدبّراً ، فقال : « و »
« سخّر لكم اللّيل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره إنّ في ذلك »
« لآيات لقوم يعقلون » و قال : « هو الذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من »
« علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً و منكم من »
« يتوفّى من قبل و لتبلغوا أجلاً مسمّى و لعلّكم تعقلون » و قال : « إنّ في »
« اختلاف اللّيل والنهار و ما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الأرض بعد »
« موتها و تصريف الرّياح [والسحاب المسخّر بين السماء والأرض] لآيات لقوم »
« يعقلون » و قال : « يحيي الأرض بعد موتها ، قد بيّنّا لكم الآيات لعلّكم تعقلون »
« و قال : « و جنّات من أعناب وزرع و نخيل ، صنوان و غير صنوان يسقى بماء »
« واحد و نفضّل بعضها على بعض في الأكل، إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون »
« وقال : « ومن آياته يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينزّل من السّماء ماء فيحيي به »
« الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون » و قال : « قل تعالوا أتل ما »
« حرّم ربّكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً ولاتقتلوا أولادكم »
« من إملاق، نحن نرزقكم وإيّاهم ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا »
« تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحقّ ، ذلكم وصيّكم به لعلّكم تعقلون » . و »
« قال : « هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء »
« تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ».

« يا هشام : ثمّ وعظ أهل العقل ورغّبهم في الآخرة فقال : « وما الحيوة الدّنيا »
« إلاّ لعب و لهو و للدار الآخرة للّذين يتّقون أفلاتعقلون ».

« يا هشام : ثمّ خوّف الذين لايعقلون عقابه فقال تعالى : « ثمّ دمّـرنا »
« الآخرين و إنّكم لتمرّون عليهم مصبحين و باللّيل أفلا تعقلون » . و قال: «إنّا»
« منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السّماء بما كانوا يفسقون ولقدتركنا»
« منها آية بيّنة لقوم يعقلون».

« يا هشام : إنّ العقل مع العلم فقال : «وتلك الأمثال نضربها للناس و ما»
يعقلها إلاّ العالمون».

«ياهشام ثمّ ذمّ الذين لايعقلون فقال : « و إذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله »
« قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون» وقال:»
« «مثلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع إلاّ دعاءً ونداءً صمّ بكم عمي فهم »
« لايعقلون » . و قال : « و منهم من يستمع إليك أفأنت تسمع الصمّ ولو كانوا»
« لايعقلون » . و قال : « أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ »
« كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً » . و قال : « لايقاتلونكم جميعاً إلاّ في قرى »
« محصّنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً و قلوبهم شتّى ذلك »
« بأنّهم قوم لا يعقلون » . و قال : « و تنسون أنفسكم و أنتم تتلون الكتاب »
« أفلا تعقلون » .

« يا هشام : ثمّ ذمّ الله الكثرة فقال : « و إن تطع أكثر من في الأرض »
« يضلّوك عن سبيل الله. وقال : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن»
« الله قل الحمدلله بل أكثرهم لايعلمون » . و قال : « و لئن سألتهم من نزّل »
« من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولنّ الله قل الحمدلله بل »
« أكثرهم لايعقلون ».

« يا هشام ثمّ مدح القلّة فقال : « و قليل من عبادي الشكور » و قال : «و»
« قليلٌ ماهم » . و قال : «و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون»
« رجلاً أن يقول ربّي الله » . و قال : « و من آمن و ما آمن معه إلاّ قليل » . و»
« قال : « و لكنّ أكثرهم لايعلمون ». و قال : « و أكثرهم لايعقلون » . و قال:»

« و أكثرهم لايشعرون » .

« يا هشام ثمّ ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر و حلاّهم بأحسن الحلية»
« فقال : « يؤتي الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد اُوتي خيراً كثيراً و ما»
« يذّكّر إلاّ أولوالألباب » . و قال : « الرّاسخون في العلم يقولون آمنّا بـه »
« كلّ من عند ربّنا و مايذّكّر إلاّ أولوالالباب» . و قال : « إنّ في خلق السموات»
« والارض و اختلاف اللّيل والنهار لآيات لأولي الالباب » . و قال : « أفمن يعلم »
« أنّما اُنزل إليك من ربّك الحقّ كمن هو أعمى إنّما يتذكّر أولوالالباب» .
« و قال : « أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة»
« ربّه ، قل هل يستوي الّذين يعلمون والذين لايعلمون إنّما يتذكّر أولوالالباب» .
« و قال ، « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته و ليتذكّر أولوالالباب » .
« و قال : «لقد آتينا موسى الهدى ، و أورثنا بني إسرائيل الكتاب هدىً وذكرى»
« لأولي الالباب » . وقال : « و ذكّر فانّ الذُّكرى تنفع المؤمنين» .

« يا هشام إنّ الله تعالى يقول في كتابه : « إنّ في ذلك لذكرى لمـن »
« كان له قلب » يعني : عقل : و قال : « و لقـد آتينا لقمان الحكمة » . قـال :»
« الفهم والعقل » .

((الشرح))

(بعض أصحابنا رفعه) النسخ هنا مختلفة ففي بعضها هذا و في بعضها «أبو عبدالله الاشعري ، عن بعض أصحابنا رفعه » و اسمه الحسين بن محمّد و في بعضهـا أبوعبدالله الاشعريّ رفعه » وفي بعضها « أبوعليّ الأشعري رفعه (١) وضعف الخبر

---

(١) وفى بعضها «ابوعلى الاشعرى عن بعض أصحابنا رفعه » والاصح «أبوعبدالله الاشعرى عن بعض اصحابنا رفعه» وهوالحسين بن محمدبن عمران بن ابى بكرالاشعرى القمي المعروف بابن عامر و هو ثقة له كتاب يروى عنه الكليني بلاواسطة كمانص عليه النجاشي و غيره .

بحسب الاسناد لايضرّ بصحّة مضمونه لاشتماله على علوم عقليّة ، و حكم برهانيّة و آثار إلٰهيّة ، ودلائل وحدانيّة و شواهد ربوبيّة ، و مواعظ لقمانيّة ، هي مناهج الايمان ، ومعارج العرفان ؛ كما سيظهر ذلك من مطالع البيان و مشارق التّبيان (عن هشام بن الحكم) يروي عن أبي‌عبدالله و أبي الحسن موسى عليهما السلام و كان ثقة محقّقاً متكلّماً حاضر الجواب وله مدائح كثيرة جليلة عنهما عليهما السلام و سيجيىء في كتاب الحجّة بعض مدايحه ومهارته في صناعة الكلام و ماروي في ذمّه أجابوا عنه في موضعه ، و قال العلاّمة هو عندي عظيم الشأن رفيع المنزلة (قال قال لي أبوالحسن موسى بن جعفر عليهما السلام : يا هشام إنّ الله تعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه) لمّا كان الغرض من خلق الانسان معرفته تعالى والعبادة كماقال: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» وقال : « ما خلقت الجنّ والانس إلاّ ليعبدون» و ذلك الغرض لايتصوّر حصوله إلاّ باستعمال العقل والفهم خصّ الله سبحانه أهلهما بالبشارة تعظيماً و تكريماً لهم و أمّا غيرهم فلكونهم بمنزلة همج رعاع غير قابلين للبشارة والخطاب لأنّهم من أهل الضرر والزّمانة كما مرّ في صدر الكتاب (فقال فبشّر عباد الّذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) في إضافة العباد إليه سبحانه تشريف لهم بشرف الاختصاص والتكريم، وفي عدم ذكر المبشّر به دلالة على التفخيم والتعظيم ، و فيه مدح للسّالكين في منهج الصواب التابعين للحقّ في كلّ باب وقد سأل أبوبصير أباعبدالله عليه السلام عن هذه الآية فقال عليه السلام : «هم المسلّمون لآل محمّد الّذين إذاسمعوا الحديث لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه جاؤا به كما سمعوه(١)» ويمكن التعميم بحيث يندرج فيه المتردّدون بين الفريقين والناصحون بين المتخاصمين يسمعون من أحد الطرفين أقوالاً ينقلون إلى الآخر أحسنها يرفع التخالف عنهم ويوقع التوافق بينهم، ويندرج فيه الناظرون إلى جمال الحقايق بنور البصر والطامحون إلى قعر المعارف بغوص الفكر والمجتهدون في سبيل الحقّ بالاستدلال والنظر فانّ كلّ قول صدق و عقد حقّ له ضدّ ومعاند ، فانّ

(١) سيأتي في كتاب الحجة باب فضل المسلمين .

القول بأنّ الله تعالى موجود، عالمٌ قادرٌ حكيمٌ مثلاً ضدُّ أنّه ليس بموجود كما يقول الملاحدة، وأنّه ليس بعالم على الاطلاق كما يقوله من نفى عنه العلم بالجزئيات و أنّه ليس بقادر على إعادة الأجسام كما يقوله من نفى المعاد الجسماني اوأنّه ليس بحكيم كما يقوله من نفى التدبير عنه، و قس عليه غير ذلك ممّا يتعلّق بالأصول والفروع، ومن البيّن أنّ التمييز بين الصحيح والسقيم من هذه الاموروغيرها لايمكن بمجرّد الاستماع وإلاّ لما وقع الخلاف فيها و إنّما يمكن بما هو حجّة الله تعالى على عباده و هو العقل الصحيح السليم عن غواشي الأجسام و لوابس الأوهام وذلك التمييز يتصوّر بوجهين أحدهما أنّ العقل الصحيح إذا لاحظ الضدّين يجد منهما ما هو أحسن كما هو شأن المجرّدين من لواحق الأبدان مثل الأنبياء والأولياء، وثانيهما أن يدرك الاحسن من المبادي المتعلّقة به كما هو شأن المجتهدين والبشارة تشمل الجميع (أُولئك الّذين هداهم الله) يعني أولئك الموصوفون بالصفة المذكورة هداهم الله إلى خير الدّنيا والآخرة من أجل تلك الصفة، ويحتمل أن يكون جواب سؤال عن سبب تبشيرهم دون غيرهم كأنّه قيل: ما لهؤلاء العباد الموصوفين بالصفة المذكورة اتّصفوا بالتبشير لهم دون غيرهم؟ فأجيب بأنّ السبب هو اختصاصهم بالهداية واللّطف والتوفيق لسلوك سبيل الخيرات من الله سبحانه، وعلى التقديرين لامحلّ لهذه الجملة من الاعراب. و فيه دلالة على أنّ الهداية أمرٌ حادث من الله تعالى للعقول القابلة المستعدّة لها (و أولئك هم أولوا الالباب) أي ذو والعقول السليمة عن التأثّر بخبايث العلائق و مفاسد العادات، و أمّا غيرهم ممّن لم يفرّق بين الاقوال والعقائد الحسنة والقبيحة أو فرّق واتّبع القبيحة بحكم النفس الامّارة فهو من أهل الضلالة والجهالة بحكم المقابلة وإن كان له ما يحيل به في اقتناص الدّنيا و زهراتها فانّ ذلك عقل عند الجهلاء وشيطنة عند العقلاء

(ياهشام إنّ الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول) الحجّ القصد ومنه الحجّة أي البرهان وولاة أمر الله سبحانه لانّهما يقصدان و يعتمدان و بهما يقصد الحقّ المطلوب. وقد تطلق على العقل أيضاً كما في بعض الروايات: لله على

النّاس حجّتان إحديهما العقل و أُخريهما الرّسول(١) . ولايجوز إرادته هنا بخلاف الاوّلين ، فانّه يجوز إرادة الاوّل على أن يكون الباء المسببيّة يعني أكمل للناس براهين وجوده و وجوبه و قدرته إلى غير ذلك من الصفات بسبب العقول و خلقها و تركيبها فيهم و يجوز إرادة الثاني على أن يكون الباء للتعدية أوللسببية أيضاً يعني أكمل للنّاس حججه من الانبياء والاوصياء المرضيين بعقولهم الصافية و أذهانهم الثاقبة أو بسبب أن منحهم عقولاً زكيّة عارية عن شوائب النقصان مدركة لشواهد الرّبوبيّة بحقايق الايمان (ونصر النبيّين بالبيان) البيان الفصاحة لانّ نبيّ كلّ قوم أفصح منهم لساناً و يجوز أن يراد به مايتبيّن به الشيء من الكلام والآيات و غيرهما يعني نصرهم بالكلمات الفائقة والمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة الدالّة على ثبوت نبوّتهم ليكمل بهم أحوال عباده و ينوّر بهدايتهم أطراف بلاده و يخرج الناس من ظلمة الجهالة والغواية و ينجيهم من حيرة الندامة و الضلالة (و دلّهم على) طريق (ربوبيّته) عود ضمير الجمع إلى «النبيين» قريب وإلى «الناس» بعيد (بالادلّة) الدالّة على وجود ذاته ، والآيات الكاشفة عن جمال صفاته و تلك الأدلّة من آثاره العجيبة وأفعاله الغريبة لأنّ معرفة الشيء إمّا بمشاهدته و حضوره عند العارف كمعرفة هذا الرّجل وهذا الجبل و إمّا بمعرفة علّته و هذا الطريق يقال له برهان لمّي وإمّا بمعرفة معلوله ويقال له: برهان إنّي. ولاطريق للمعرفة غير هذه الثلاثة لأنّ مالايكون نفس الشيء ولاعلّته ولامعلوله لاتعلّق له بذلك الشيء فلادخل له في معرفته، ثمّ الطريق الأوّل لايتيسّر الوصول إليه إلاّ للمقرّبين المخصوصين بزيادة اللّطف والتوفيق وهم الّذين أخذت أيديهم العناية الأزليّة و أزالت عنهم الهويّات البشريّة و قطعت عنهم العوائق البدنيّة و أنزلتهم في أعلى منازل القدس وأرفع مقامات الأُنس، فصاروا بحيث يشاهدونه بلاحجاب ويكالمونه بلاسؤال ولاجواب ، كما هو وصف نبينا وأوصيائه عليهم السلام . والطريق الثاني لاأثر له في ساحة قدسه جلّ شأنه لأنّه بسيط صرف لاتركيب فيه أصلاً لاذهناً ولاخارجاً، واجب

(١) سيأتي مضمونها في هذا الباب تحت رقم ٢٢.

لذاته مبدء لجميع ماسواه و إليه ينتهي الآثار كلّها فلافاعل له خارجاً عن ذاته ولا سبب له داخلاً في ذاته تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، والطريق الثالث يشترك فيه الكلّ فلذا خصّه بالذكر و هو طريق يسلكه كلّ من له عقل سليم وطبع مستقيم ولكن سلوكهم و وصولهم و إيمانهم و إيقانهم على حسب تفاوت مراتب عقولهم أما ترى أنّك تستدلّ بملكوت السماوات و حركات الكواكب و بزوغها و اُفولها على وجود صانعها و مدبّرها كما استدلّ بها خليل الرّحمن و إن كان استدلاله بها للتعليم وقد حصل لك علم ضعيف شبيه بالجهل حتّى لووقعت في أدنى بليّة تلوذ بكلّ من زعمت أنّه ينجّيك منها ، و حصل له علمٌ ثابتٌ و يقينٌ جازمٌ حتّى قال له الرّوح الأمين حين رمي بالمنجنيق وكان في الهواء مايلاً إلى النار: ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا. فاعراضه عنه في تلك الحالة والتجاؤه إلى ربّه ليس إلاّ لأنّه رأى أنّ كلّ ماسواه محتاج إليه خاشع لديه خاضع بين يديه مقهور لعزّته مغلوب لقدرته بل لم يرموجوداً سواه و ملجأ إلاّ أيّاه ، ولوعاد ضمير الجمع في «دلّهم» إلى الناس أمكن أن يراد بالأدلّة معصومون المطهّرون عليهم السلام

(فقال وإلهكم إلهٌ واحدٌ) أي مستحق العبادة منكم واحد لاشريك له يصلح أن يعبد و يسمّى إلهاً . قيل : وحدة الشيء ما يوجب عدم انقسامه من جهة اتّصافه بها، فكلّ موجود متّصف بها فان الرّجل الواحد مثلاً يستحيل أن ينقسم إلى رجلين وإن أمكن أن ينقسم من وجوه اُخر وقيل: هي وجوده الخاصّ الّذي به يوجد ، و وحدته تعالى لمّا لم تكن مقيدة بجهة دون اُخرى بل هو متصف بها من جميع الجهات كانت وحدته راجعة إلى أنّه بسيط في الذّات يعني أنّ ذاته غير مؤلّفة من الأجزاء أصلاً ؛ وإلى إنّه فرد لاشريك له في الوجوب الذّاتي و الالهيّة ، و إلى أنّه واحد في أفعاله لاشريك له في المبدئيّة و في انتساب جميع الكائنات إليه إمّا بلاواسطة أوبواسطة ، وإلى أنّه واحد في صفاته لانّ صفاته عين ذاته، وبالجملة عالم الالهيّة والوجوب الذّاتي يتأبّى عن تحقّق الكثرة فيه ذاتاً وصفة والشركة والكثرة إنّما يتحقّق في عالم الامكان فمن قال بوقوع الكثرة في ذلك العالم كان ذلك

لقصور بصيرته وعدم تمييزه بين عالم الامكان و عالم الوجوب (لاإله إلاّ هو) قال القاضي و غيره: هذا تقرير للوحدانيّة وإن أحداً لايتوهّم أنّ في الوجود إلهاً ولكن لايستحقّ منهم العبادة ، وتوضيحه أنّه لما قال «وإلهكم إلهٌ واحدٌ» ومعناه أنّ مستحقّ العبادة منكم واحد أمكن أن يتوهّم أحد ويقول : إلهنا إله واحد يستحق العبادة منّا فلعلّ في الوجود إلهاً غيرإلهنا لايستحقّ العبادة منّا ، فأزال هذا الوهم ببيان التوحيد المطلق حيث نفى مهيّة الاله و أثبت فرداً منها فعلم أنّه لاوجود لها إلاّ في هذا الفرد وهو التوحيد التامّ (الرحمن الرحيم) أي المعطي لجميع النعم الدّنيويةوالاُخرويّة ،فهذا كالبرهان لما مرّ من أنّه يستحق العبادة دون غيره لأنّه لمّا كان هوالمعطي للنعم كلّها اُصولها وفروعها في الدّنياوالآخرة وما سواه إمّا نعمة أو منعم كانت الالهيّة و استحقاق العبادة منحصرة فيه لاتوجد في غيره أصلاً. قيل: كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستّون صنماً فلمّا سمعوا بهذه الآية تعجّبوا و قالوا إن كنت صادقاً فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت (إنّ في خلق السّموات) على مقادير متفاوتة و أبعاد مشاهدة في البعد البعيد لما في قربها من تحيّر الأبصار بمشاهدة شعاع الكواكب و سرعة دورانها كما يشاهد ذلك من البروق المتوالية المضطربة في الجوّ ومن المصابيح المتكثّرة الّتي تدور حول أحد دوراناً حثيثاً فانها تحيّر بصره حتّى يتحيّر لوجهه ، و على إدارتها مثل الدّولاب مع مافيها من الشمس والقمر والنجوم الثوابت والسّيارات على بسيط الأرض دائماً بهذا التقدير المشهود والتأثير المعلوم لصلاح الأرض ومن عليها، من غير انثلام ولاانكسار مع كمال لطافتها وانشفافها وعلى حركات مختلفة في الكمّ والكيف والجهة فبعضها سريع و بعضها بطيء و بعضها شرقي و بعضها غربي و بعضها ذاتي و بعضها عرضي وعلى تجزئتها بممثلات و متمّمات وحوامل، وخوارج المراكز والتداوير كلّ ذلك على أنحاء مخصوصة و أوضاع معلومة لأغراض مقصودة بعضها جليّ و بعضها خفيّ (والأرض) على حجمها و ثقلها و رسوبها في الماء و انكشاف بعضها ليكون مسكنًا للحيوانات البريّة و على سعتها و سكونها و توسطها بين

الصلابة والرّخاوة لتكون مأوى أنواع الوحوش و مسكن أصناف الناس ومزارعهم و منابت أخشابهم و أحطابهم ولا يكونوا بمنزلة المتحصّنين في حصار ضيق . و ليتمكّنوا من السعي فيها في مآربهم والجلوس فيها والنوم عليها والاتقان لأعمالهم فإنّها لوكانت متحركة رجراجة (١)لم يتمكّنوا من التعيّش فيها. كما يشاهدذلك فيما يصيبهم حين الزّلازل على قلّة مكثها ، و ليتمكّنوا من الزرع فيها و البناء عليها والمشي فيهاو يسهل خروج النبات والأشجار . فإنّها لوكانت شديدةالصلابة مثل الحجر أو شديدة الرّخاوة مثل الماء لما أمكن شيء من ذلك ، و على ما فيها و ما عليها من المياهوالجبال والمعادن مثل الياقوت والزبرجد والفيروزجوالذّهب والنحاس والحديد و غيرها كلّ ذلك لمنافع الخلق الّتي يعجز الوصّافون عن توصيفها و تحديدها و على كرويّتها الموجبة لاختلاف الآفاق والطوالع والمطالع والتعديلات والطلوع والغروب مستوياً ومعكوساً واختلاف أهوية الأقاليم الموجبة لاختلاف أمزجة سكّانهاواختلاف أحوالهم وأخلاقهم وألوانهم، وقيل: إنّماجمع السماء و أفرد الأرض لأنّ كلّ سماء جنس آخر بخلاف الأرض فانّها جنس واحد .

(واختلاف اللّيل والنهار) أي تعاقبهما على هذا النظام المشاهد من الخلفة بالكسر وهي أن يذهب أحدهما و يجيء الآخر خلفه و به فسّر قوله تعالى «وهو الّذي جعل اللّيل والنهار خلفة » و منه قولهم : و اختلفا ضربة أي ضرب كلّ واحد منهما صاحبه على التعاقب ، أو اختلافهما في النور والظلمة ، أو في الزيادة والنقصان و دخول أحدهما في الآخر على سبيل التدريج حتّى يبلغ كلّ واحد منهما منتهاه في الزّيادةوالنقصانوهي خمس عشر ساعة تقريباً أو في الطولوالقصر والحرّ والبرد باعتبار العروض و أهويتها فانّ العروض الشماليّة كلّما كانت أكثر كان قوس النهارأطول و قوس اللّيل أقصر فيكون النهار أطول من اللّيل بقدرضعف تعديل النهار ، والعروض الجنوبيّة بعكس ذلك و اختلاف كلّ واحد منهما بحسب الأمكنة فانّ الأرض لما كانت كروية فأيّة ساعة فرضت من النهار فهي صبح

(١) الرجرجة : الاضطراب .

لموضع و ظهر لآخر و عصر لثالث و مغرب لرابع ، وقس على هذا ولاختلافهما فوائد و منافع للخلق فانّه لو كان اللّيل أو النهار سرمداً إلى يوم القيمة أو كان مقدار النهار مائة ساعة أو مائتي ساعة أو أكثر كما في عرض تسعين ـ فان هناك مدّة كلّ منهما ستّة أشهر ـ كان في ذلك بوار كلّ ما في الأرض من حيوان و نبات ولو كان دخول أحدهما في الآخر دفعياً لأضرّ ذلك بالأبدان وأسقمها كما يضرّ الخروج من الحمّام إلى موضع بارد دفعة، ولو كانت العروض متساوية في الحرّ والبرد والأهوية لضاق الأمر على العباد بخلاف ما إذا كانت متفاوتة فانّه ينتقل منهم من أراد من موضع إلى موضع وجده موافقاً لمزاجه فهي كالخوان الموضوع بين يدي جماعة فيه ألوان مختلفة من الأطعمة والأشربة في الكمّية والكيفيّة يأكل منها كلّ واحد منهم ما أراد ووافق مزاجه ، وبالجملة آثار صنع الله تعالى وحسن تدبيره في اختلافهما و مصالحه و منافعه أعظم من أن يحيط بها علم الانسان أو يكتب في الدفاتر و يذكر باللّسان و لذلك ذكره الله تعالى في القرآن المجيد في مواضع عديدة و موارد كثيرة تنبيهاً لهم عن الغفلة و تذكراً لهم بالحكمة.

(والفلك الّتي تجري في البحر) الفلك بضمّ الفاء و سكون اللاّم واحد و جمع فاذا كان واحداً فالضمّة بمنزلة ضمّة قفل، و إذا كان جمعاً فالضمة بمنزلة اُسد ، فالضمّتان متّفقتان لفظاً و مختلفتان معنى أمّا الجمع فكما في قوله تعالى « حتّى إذا كنتم في الفلك و جرين بهم » و أمّا الواحد فقد يأتي للمذكّر بمعنى المركب كما في قوله تعالى « في الفلك المشحون » وقد يأتي للمؤنث بمعنى السفينة كما في قوله تعالى «والفلك الّتي تجري في البحر» ويحتمل أن يكون فيه جمعاً (بما ينفع النّاس) «ما» إمّا مصدريّة أي بنفعهم ، أو موصولة أي بالّذي ينفعهم من المحمولات والمجلوبات و غوص اللآلي ، و ضمير «ينفع» على الأوّل يعود إلى «الفلك» بمعنى المركب ففيه استخدام أو إلى الجرى أو البحر ، وعلى الثاني إلى الموصول و في موضع هذا المركوب المشكّل بالشكل المخصوص الداخل فيه الهواء و حمله للأمتعة الكثيرة و أصناف من الحيوان و جريه في الماء بسياق

الرياح ، و عدم رسوبه فيه و تقوية القلوب على ركوبه، وجعل البحر متوسطاً بين الكثيف و اللّطيف القابل لجريانه من لطايف الصنع و حسن التدبير في مصالح الناس و معاشهم مالا يخفى على ذوي البصائر الثاقبة ، ومن جملتها أنّه لولا هذا المركوب لعطّلت التجارات الّتي تجلب من البلاد البعيدة مثل ما يجلب من الصين إلى العراق و من العراق إلى الصّين و بقيت الأمتعة في بلدانها في أيدي صاحبها لأن أجر حملها على ظهور الدّواب كان يجاوز أثمانها فلايتعرض أحد لحملها على أنّ بعض المسافات كالبحر ممالايمكن قطعه بالدواب ، فتفقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها فينقطع المعاش ويتضيّق طرقه على النّاس ، فلأجل هذه الحكمة جعل الفلك بحيث يحمل مالا يحصى من الحمولة و الأفراس و الأفيال و هي تجرى بعنايته في موج كالجبال و جعل الرّيح سايقها و محرّكها و لولا الرّيح لركدت كما قال سبحانه « و من آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الرّيح فيظللن رواكد على ظهره إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور » و من جملتها أنّه لوجعل البحر لطيفاً محضاً مثل الهواء لما استقرّ الفلك على ظهره بل غاص فيه ، ولوجعله كثيفاً محضاً مثل الأرض لما أمكن من قطعه وشقّه فجعل متوسطاً بينهما لتكميل مصالحهم ، قال القاضي : القصد من هذه الآية إلى الاستدلال بالبحر و أحواله و تخصيص الفلك لأنّه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه و لذلك قدّمه على ذكر المطر والسحاب لأنّ منشأهما البحر في غالب الأمر ، و قيل : الحكمة في عدم رسوب السفينة إلى الماء و إن كان بعض أجزائه أو كلّها أثقل منه كالحديد هي أنّ الأجسام المتداخلة بعضها في بعض بمنزلة جسم واحد والمعتبر في الرسوب في الماء و عدمه ثقل المجموع بالقياس إليه و عدمه و لذلك لو كثرت الحمولة و قل الهواء الدّاخل بحيث يكون المجموع أثقل من الماء لرسب فيه وغرق أهلها، والضابطة فيه أنّه إذا فرض مع الماء جسم آخر فان كان نسبة حجمه إلى حجم الماء كنسبة ثقله إلى ثقل الماء فلايرسب فيه أصلاً بل يكون سطحه العالي مساوياً لسطح الماء في العلوّ والسفل و إن كانت نسبة حجمه إلى حجم الماء أقلّ

منها فيرسب فيه البتة و بقدر تفاوت ثقله يكون سرعة حركته و بطؤها في النزول إلى القعر، و إن كانت أكثر فلا يرسب على الطريق الأولى لكن يخرج منه شيء من الماء ثمّ بقدر أكثريّة هذه النسبة يكون خروج أبعاضه حتّى يستوفي جميع النسبة الّتي يتصوّر بينهما وإن لم يبق بينهما نسبة أصلاً وذلك بأن لايكون لذلك الشيء ثقل و ميل إلى المركز أصلاً و عند ذلك يكون مماسّاً له بنقطة إن كان كرة أو بخطّ أو سطح إن كان غيرها من الاشكال كلّ ذلك إذا كان غير طالب للعلوّ وإلاّ فيرفع منفصلاً على الماء ذلك تقدير العزيز العليم.

(و ما أنزل الله من السّماء من ماء) «من» الاولى للابتداء والثانية للبيان و السّماء يحتمل الفلك والسحاب المعلق وهذه من آيات وجوده سبحانه و قدرته و حكمته و حسن تدبيره من جهة كيفية نزول المطر و مبدء نزوله و فوائده . أمّا الأوّل فانّه ينزل متقاطراً متعاقباً ولو نزل متصلاً دفعة واحدة مثل البحر لأضرّ كلّ ما تصيبه وينزل في وقت دون وقت آخر على التعاقب بينه و بين الصحو لما في دوام أحدهما من فساد العالم و بطلان نظامه ، إذ لودام المطر عفنت البقول و النباتات و استرخت أبدان الانسان وساير الحيوانات و حسر الهواء فأحدث ضروباً من الأمراض والوباء و أفسد الطرق والمسالك والبلاد و أخرب البناء إلى غير ذلك من المفاسد الّتي لايحيط بها العدّ والاحصاء ، و لو دام الصحو جفّت الأرض و احترق النبات و غيض ماء العيون والأودية و غلب اليبس وحدث القحط والجدب و ضروب من الأمراض ، و فيه هلاك الأرض و من عليها و ما فيها جميعاً ، ففي هذا التعاقب على النحو المشاهد الّذي يوجب اعتدال الهواء ونظام الأشياء و صلاحها و استقامتها و دفع كلّ منهما عادية الآخر دلالة على اللّطيف الخبير ، و أمّا الثاني فقال بعض الطبيعيّين أنّ الشمس وغيرهما إذا أثّرت في الأرض يخرج منها أبخرة متصاعدة إلى الطبقة الزمهريريّة الّتي لايصل إليها أثر شعاع الشمس المنعكس من وجه الأرض وهي منشأ السحب والصواعق والرّعد والبرق، فاذا وصلت تلك الابخرة إلى هذه الطبقة تتكاثف بالبرد و تصير سحاباً ، فامّا أن لايكون البرد قويّاً فيتقاطر وهو

المطر أو يكون قويّاً بأن أثّر في الأجزاء المائيّة قبل اجتماعها يحصل الثلج وإن أثّر بعده يحصل البرد، و روي عن أمير المؤمنين عليه السلام «أنّ تحت العرش بحراً فإذا أراد الله أن ينبت به ما يشاء أوحى إليه فمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتّى يصير إلى السماء الدنيا فيلقيه إلى السحاب والسحاب بمنزلة الغربال فيمطر على النحو الّذي أمر به، و ليس من قطرة تقطر إلاّ و معها ملك حتّى يضعها موضعها» (١) والحديث طويل نقلنا بعض مضمونه و يؤيّده ما روي عنه عليه السلام قال: قال «رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ جعل السحاب غرابيل للمطر حتّى يذيب البرد حتّى يصير ماء كيلا يضرّ شيئاً يصيبه» (٢) و هذا و إن كان مما يستبعده الغافلون لكن وجب قبوله و إذعانه إذا أخبر به المخبر الصادق كما في سائر الأسرار الالهيّة(٣) وروي عنه عليه السلام أيضاً أنّه سئل عن السحاب أين يكون قال: «يكون على شجر على كثيب (٤) على شاطئ البحر يأوي إليه فاذا أراد الله عزّ وجلّ أن يرسله أرسل ريحاً و أثارته و وكّل به ملائكة يضربونه بالمخاريق و هو البرق ويرتفع ثمّ قرأ هذه الآية «هو الّذي يرسل الرّياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت» والملك اسمه رعد(٥)»

(١و٢) كلاهما في حديث واحد رواه الكليني في كتاب الروضة تحت رقم ٣٢٦ .

(٣) يعني يجب التصديق بظاهره وتفويض معناه الى الله تعالى، لان ظاهر الاية الكريمة ان المطر يخرج من خلال السحاب كما نقله الشارح عن بعض الطبيعيين ففي سورة النور «الم تر ان الله يزجي سحاباً ـ الى ان قال ـ فترى الودق يخرج من خلاله» فالمراد بالسماء في الاى الاخر أيضاً السحاب، نعم ورد في القرآن ان كل شيء نزل من السماء أي العالم الروحاني الى هذا العالم كما قال «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد» وقال: «انزل لكم من الانعام ثمانية أزواج» (ش).

(٤) الكثيب الرمل المستطيل، التل .

(٥) رواه الكليني في كتاب الروضة تحت رقم ٢٦٨ ـ والمخاريق كما في النهاية الاثيرية جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف به الصبيان بعضهم بعضاً و في حديث علي «ع» البرق مخاريق الملائكة أراد أنها آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه .

و فيه دلالة على أنّ السحاب تحمل الماء من بحار الارض و يتصاعد بأمرالله تعالى و يمطر في كلّ مكان تعلق به إرادته و مشيئته ويدلّ عليه أيضاً ظاهر ما نقله العامّة والخاصّة كما صرّح به الشيخ في مفتاح الفلاح من أنّ المأمون خرج يوماً من بغداد فأرسل صقره فارتفع في الهواء ولم يسقط على الأرض حتّى رجع وفي منقاره سمكة فتعجّب المأمون من ذلك فلمّا رجع إلى بغداد رأى في بعض طريقه محمّد بن علي بن موسى الرضا عليهما السلام و له في ذلك الوقت إحدى عشرة سنة و قيل عشرة فتقدم إليه المأمون و هو ضامّ كفّه على السمكة و قال له قل أيّ شيء في يدي فقال عليه السلام: إنّ الغيم حين يأخذ من ماء البحر يداخله سمك صغار فتسقط منه فيصيدها صقور الملك فيمتحنون بها سلالة النّبوّة ، فأدهش ذلك المأمون فنزل عن فرسه وقبّل رأسه و تذلّل له ثمّ زوّجه ابنته (١) و الظاهر أنّ جميع ذلك حقّ لأنّ الشيء الواحد قد يكون له أسباب متعدّدة و في جميع ذلك دلالة على الحكيم القدير المدبّر للاشياء على أحسن ما ينبغي.

فان قال قائل : إنّما ينزل المطر من السحاب بطبعه لأنّه ثقيل فأي دلالة فيه على ما ذكرتم ؟ قلنا : أولاً هذا الطبع له ليس من قبل نفسه بالضرورة فمن أعطاه إيّاه دون غيره من الأجسام الخفيفة مع اشتراكهما في الجسميّة ؟ و من أسكنه في جوّ السماء و كبد السحاب بحيث ينزل تارة دون اُخرى مع اقتضاء طبعه نزوله و عدم استقراره ؟ ومن ساقه من جوّ إلى جوّ مع اقتضاء طبعه الحركة إلى المركز ؟ و ثانياً أنّه إذا نزل بطبعه لثقله فلم يتصاعد إلى أعالي الشجر والأوراق والنباتات من المسامات الضيّقة والعروق الدّقيقة ليصل منافعه إلى كلّ جزء من أجزائها ؟ ولو قال : صعوده لجذب قواها الجاذبة إيّاه ، قلنا له : من أعطاها تلك القوى الّتي تقسره إلى الصعود المخالف لمقتضى طبعه فيرجع الكلام بالاخرة إلى وجود واجب الوجود الّذي بأمره و تدبيره يتحرّك الماء فيما بين الأرض و السماء ، من شرق إلى غرب و من غرب إلى شرق ، و من شمال إلى جنوب و من

(١) مطالب السئول ص٨٧ ، كشف الغمة ص٢٨٢.

جنوب إلى شمال ، ومن علوّ إلى سفل ، ومن سفل إلى علوّ ، ذلك تقدير العزيز العليم ، و أمّا الثالث فهو أشار إليه سبحانه بقوله (فأحيا به الأرض بعد موتها) أي بسبب ما يتبعه من النباتات والحيوانات والكلام هنا في ثلاثة اُمور الأوّل في كون النبات و الحيوان حيوة الأرض ، و مجمل القول فيه أنّ نسبة النبات و الحيوان إلى الأرض كنسبة النفس إلى الحيوان فكما أنّ الحيوان بلانفس ميّت عديم المنفعة ، كذلك الأرض بلانبات ولاحيوان ، و من ثمّ قيل : الأرض بمافيها من النبات والحيوان بمنزلة حيوان واحد تموت عند الجدب والشتاء و يحيى عند الخصب والرّبيع، والثاني في أنّ الماء سبب لحيوة النبات والحيوان وهمايحتاجان إليه احتياجا شديداً ، ووجهه ظاهر لأنّ القوى النباتية والحيوانية في جذب الغذاء والالصاق والتنمية تحتاج إلى ماء يرطب ذلك الغذاء و يعدّه للنفوذ في المنافـذ الضيّقة و يعين تلك القوى في أعمالها ، وإذا فقد الماء بطلت أعمالها و إذا بطلت أعمالها عدم الحيوان والنبات و بالجملة الانسان و سائر الحيوانات و الزّروع و ساير النبات يحتاجون إليه في الوجود والنموّ والبقاء احتياجاً شديداً. و قال صاحب العدّة روي أنّ بعض الوعاظ دخل على هارون الرشيد فقال له هارون عظني، فقال: أراك لومنعت شربة ماء عند عطشك بم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي، قال : أتراها لوحبست عنك عند خروجها بم كنت تشتريها؟ قال: بالنصف الباقي ، قال : لا يغرّنّك ملك قيمته شربة ماء ، و الثالث في دلالة إحياء الأرض بالمطر على وجود الصانع المدبّر للعالم و ذلك أنّ البرد في الشتاء يوجب كثافة الهواء و الأرض و الشجر و يبس ظاهرها فتعود القوى النباتيّة و الحـرارة الغريزية في الشجر و النبات ، و تستقرّ في بطونها و أصولها و تهيىء فيهما موادّ الثمار و تولد الأمثال فاذا نزل الماء وقت الرّبيع الّذي هو وقت بروز ما في البطون و ظهور ما في الكمون انتفخت الأرض و اهتزّت و تحرّكت القوى والحرارة وتتولد المواد الكامنة في الشتاء فيطلع النبات و يتنوّر الأشجار والأزهار ويخرج أصناف مختلفة مونقة رايقة من الثمار الّتي يتمتّع بها الانسان و غيره من أنواع الحيوان

كما قال سبحانه : «و ترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت و ربت و أنبتت من كلّ زوج بهيج» وقال : «وأنزلنا من المعصرات ماء ثجّاجاً لنخرج به حبّاً ونباتاً وجنّات ألفافاً» فالعاقل اللّبيب إذا نظر في هذه الحركات والانقلابات و في صنوف مختلفة من النباتات والأشجار والازهار والاثمار من حبّ و عنب وقضب و زيتون و نخل و رمّان و فواكه كثيرة على اختلاف أنواعها وأصنافها مختلفة الاشكال والألوان والطعوم والرّوايح يفضل بعضها على بعض في الأكل والمنافع مع أنّ جميعها يخرج من أرض واحدة و يسقى من ماء واحد ، و تفكّر ما في النباتات من ضروب المنافع وصنوف المآرب فالثمار للغذاء والنبات للعلف والحطب للوقود والخشب لكلّ شيء من أنواع التجارة و غيرها واللّحاء والورق والأُصول والعروق والصموغ و غيرها لضروب من المنافع فبعضها يقوى و بعضها يغذى ، و بعضها يقتل و بعضها يحيي ، و بعضها يسخن و بعضها يبرد ، و بعضها يدفع السوداء و بعضها يسهل الصفراء ، و بعضها يقدع البلغم إلى غير ذلك من الفوائد الغير المحصورة ، ورأى ما في الأوراق من شبه العروق مبثوثة في جرمها أجمع فمنها غلاظ ممتدّة في طولها وعرضها لامساكها وحفظها عن التمزّق والاضطراب ولإيصال الماء إلى أطرافها بمنزلة الجداول و منها دقاق تتخلّل تلك الغلاظ لايصال الماء والغذاء إلى كلّ جزء من أجزائها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن . علم أنّ جميع ذلك من فاعل قادر مختار عليم حكيم يوجد الأشياء بمجرّد إرادته لمصالح أو منافع غير محصورة (و بثّ) عطف على أنزل فهو صلة على حدة لموصول مقدرة بحكم العطف ويجوز عطفه على «أحيا» لأنّ الحيوان أيضاً ينمو بالماء و يعيش بالخصب والحبّ (فيها من كلّ دابة) مختلفة في الطبايع والأخلاق و الأشكال والادراك و الحواس والحركات و المنافع والاهتداء إلى طرق المعاش فمنها مايمشي على بطنه كالحيّات و منها ما يمشي على رجلين كالإنسان و منها ما يمشي على أربع كالفرس و منها مايمشي على أكثر كبعض الحشرات و منها ما يمشي تارة ويطير أُخرى كالطيور و منها مايدّخر قوته بحيلة و تدبير كالذرّة و العنكبوت ، ومنها ما يطلب قوته عند الحاجة كالطير

فإنّه يروح جايعاً و يرجع شبعاناً ، و منها ما في خلقه صنعة عجيبة كالبعوضة فانها مع صغرها على هيئة الفيل مع زيادة الجناحين تطير بهما . و منها مالايحتاج إلى بيت بل يبيت حيث كان من الأرض، و منها مايحتاج إليه و يبنيه على شكل عجيب غريب لايهتدي إليه المهرة من المهندسين كالنحل ؛ و كلّ ذلك و غيره مما يتعذّر عدّه و إحصاؤه دلّ على أنّ في الوجود موجوداً عالماً حكيماً يفعل ما يشاء كيف يشاء ، و إليه ينتهي الموجودات على تفاوت طبايعهم و مراتبهم الّتي أرفعها و أعلاها و أشرفها وأسناها المرتبة الانسانيّة لأنّ الأنسان على تفاوت الطبقات في العقل والإدراك خُلق له أكثر هذه الموجودات فبعضها لمأكله و مشربه و سائر منافعه و بعضها يستدلّ به على وجود صانعه و قدرته و علمه و حكمته بل لولم يكن في هذا العالم موجود سواه و تأمّل في مبدء نشؤه وصورته و أعضائه و منافع قواه الظاهرة والباطنة و في أحوال نفسه و عقله و علمه بالمعلومات الكلّية والجزئية و إحاطته بالمدركات العقليّة و الحسيّة علم أنّه مخلوق مغلوب مقهور له خالق غالب قاهر مصوّر عليم حكيم ، فإنّه إذا اعتبر مثلاً حاله حين كونه نطفة في الرّحم و صيرورته جنيناً حيث لاتراه عين ولاتناوله يد مع اشتماله على جميع ما فيه قوامه و صلاحه من الاحشاء والجوارح و سائر الاعضاء من العظام و اللّحم و الشحم والمخّ والعصب والعروق والغضروف و هو محجوب في ظلمات ثلاث ظلمة البطن و ظلمة الرّحم و ظلمة المشيمة ولا حيلة له في طلب غذائه ، ولا دفع أذاه ، ولا استجلاب منفعته ، ولادفع مضرّته ، وقد جرى إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذ والماء النبات فلايزال ذلك غذاه حتّى إذا كمل خلقته واستحكم بدنه و قوي أديمه على مباشرة الهواء و بصره على ملاقات الضياء هاج الطلق (١) بأمّه فأزعجه أشدّ إزعاج و اعنفه حتّى يولد ، وإذا ولد صرف ذلك الدّم الّذي كان يغذوه في الرّحم إلى ثديي أمّه وانقلب الطعم واللّون إلى ضرب آخر من الغذاء وهو أشدّ موافقة له من الدّم فيوافيه في وقت حاجة إليه و حين تولد قد تلمظ و حرّك شفتيه طلباً للغذاء

(١) الطلق وجع الولادة والمخاض .

فلايزال يغتذي باللّبن مادام رطب البدن دقيق الامعاء لين الاعضاء حتّى إذا تحرّك و احتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ و يقوى بدنه طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس ليمضغ بها الطعام فيلين عليه و يسهل له إساغته ، فلايزال كذلك حتّى يدرك فإذا أدرك و كان ذكراً طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر و عزّه الّذي يخرج به من حدّ الصبى و شبه النساء ، وإن كانت اُنثى يبقى وجهها نقيّاً من الشعر ليبقى لها البهجة والنضارة الّتي تحرّك الرّجال لما فيه دوام النسل و بقاؤه ، و اعتبر أنّه لولم يجر إليه ذلك الدّم و هو في الرحم لزوى وجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء ولولم يزعجه المخاض عند استحكامه لبقي في الرّحم كالموؤد في الأرض ؛ وفي ذلك هلاكه وهلاك اُمّه ، ولولم يوافقه اللّبن بعد الولادة لمات جوعاً ، ولولم يطلع عليه الأسنان في وقتها لامتنع عليه مضغ الطعام وإساغته أو يقيم على الرّضاع فلا يشتدّ بدنه ولايصلح للعمل مع أنّ ذلك يمنع اُمّه عن تربية غيره من الأولاد بل عن اُمورها مطلقاً ، ولولم يخرج الشعر من وجهه في وقته لبقي شبيهاً بالصبيان والنساء فلم يكن له جلالة ولا وقار ، و كذا إذا اعتبر في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير ، وفكّر في أنّ الطعام يصير إلى المعدة فتطحنه و تبعث بصفوه إلى الكبد منه في عروق دقاق قد جعلت كالمصفاة للغذاء لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها (١) و ذلك أنّ الكبد رقيقة لايحتمل العنف ثمّ إنّ الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً و ينفذ إلى البدن كلّه في مجاري مهيّأة لذلك بمنزلة المجاري الّتي للماء حتّى يطرد في الأرض كلّها ، و ينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفايض قد اُعدّت لذلك ، فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى إلى المرارة ، و ما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال ، و ما كان من البلّة و الرّطوبة جرى إلى المثانة ، وتأمّل في حكمة التدبير في تركيب البدن ، و وضع هذه الأعضاء منه في مواضعها ، و إعداد هذه الأوعية فيه لتحمّل الفضول لئلاّ تنتشر في البدن فتسقمه و تنهكه ، و فكّر في

---

(١) اى يقرحها و يثخنها .

أعضاء البدن أجمع و تدبير كلّ منها للارب والحاجة ، فاليدان للعلاج ، والرجلان للسعي ، والعينان للاهتداء ، والفم للاغتذاء ، واللّسان للتكلّم . والحنجرة لتقطيع الصوت و تحصيل الحروف ، والمعدة للهضم ، و الكبد للتخليص و المنافذ لتنفيذ الفضول ، والأوعية لحملها ، والفرج لإقامة النسل وفكّر في سائر الأعضاء والقوى و منافعها و أعمل فكره فيها ووجد كلّ شيء قد قدّر لشيء على صواب و حكمة و تقدير و تدبير يعجز العقل عن معرفة تفاصيلها علم أنّ له خالقاً عالماً قديراً عليماً حكيماً يوجد الأشياء بمجرّد إرادته بلا كلام ولا حركة ولا آلة لأغراض و مصالح لايعرف تفاصيلها إلاّ هو و هو اللّطيف الخبير.

(وتصريف الرياح) الرّياح جمع كثرة للرّيح وهي الهواء المتموّج المتحرّك بسبب مقدّر من الله العزيز العليم ، والعين فيهما واو قلبت ياء لكسرة ما قبلها و جمع القلّة أرواح بالواو إذ لم يوجد فيه ما يوجب الاعلال ، والمراد بتصريفها في مهابّها صباً و دبوراً وشمالاً و جنوباً ، أو في أحوالها حارّة وباردة وعاصفة ولينة و عقماً ولواقح ، أو جعلها تارة للرّحمة يرحم بها من أطاعه و تارة للعذاب يعذّب بها من عصاه و لكلّ واحدة من الرياح الأربع المذكورة ملك يهيّجها ويحرّكها بأمر الله سبحانه كما ورد في الرّواية الصحيحة عن أبي جعفر عليه السلام (١) «إنّ الرّياح الأربع الشمال والجنوب والصبا والدّبور إنّما هي أسماء الملائكة الموكّلين بها فإذا أراد الله أن يهبّ شمالاً أمر الملك الّذي اسمه الشمال فهبط على البيت الحرام فقام على الرّكن الشامي فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الشمال حيث يريد الله من البرّ والبحر ، و إذا أراد الله أن يبعث جنوباً أمر الملك الّذي اسمه الجنوب فهبط على البيت الحرام فقام على الرّكن الشامي فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الجنوب في البرّ والبحر حيث يريد الله ، فإذا أراد الله أن يبعث ريح الصبا أمر الملك الّذي اسمه

(١) رواه الكليني في الكافي ج٨ (كتاب الروضة) رقم ٦٣ في حديث بهذا الاسناد محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي ابن رئاب ، عن أبي بصير عن أبي جعفر (ع).

الصبا فهبط على البيت الحرام فقام على الرّكن الشامي فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الصبا حيث يريدالله في البرّ والبحر ، و إذا أراداللهُ أن يبعث دبوراً أمر الملك الّذي اسمه دبورفهبط على البيت الحرام فقام على الرّكن الشامي فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الدّبور حيث يريدالله من البرّ والبحر ، ثمّ قال عليه السلام : أما تسمع لقوله (١) ريح الشمال . و ريح الجنوب ؛ و ريح الدّبور ، و ريح الصبا . إنّما تضاف إلى الملائكة : الموكلين بها .

إذا عرفت هذا فنقول: في تصريف الرّياح ومنافعها دلالة واضحة على أنّ مُبدعها حكيم قادرٌ عليمٌ بمصالح العباد أمّا الأوّل فلأنّ حركة الهواء إلى الجوانب المختلفة إراديّة بالضرورة ولاطبيعيّة لأنّ الحركة الطبيعيّة إلى جهة واحدة هي العلوّ والسفل. وحركة الهواء إلى جهات متعدّدة فينبغي أن يكون لأمر خارج فان كان ذلك الخارج إرادة الواجب بالذات ثبت المطلوب و إن كان غيرها ننقل الكلام إلى ذلك الغير فيرجع بالآخرة إلى المطلوب ، و أمّا الثاني فلأنّ الرّيح تحيي الأبدان و تمسكها من داخل بما تستنشق منها و من خارج بما تباشر بها من روحها و تبلغ الأصوات و تؤدّيها إلى المسامع من البعد البعيد ولولا ذلك لبطل نظام العالم وتحمل الأرابيح الّتي تقوّي القلب والدّماغ من موضع إلى موضع ، ألاترى كيف تأتيك الرّائحة من حيث تهبّ الرّيح وتروح عن الأجسام وتدخل في فرجها و تصير مادّة لنشوء النباتات الّتي يحتاج إليها جميع الحيوانات في الاغتذاء والدّواء و غيرهما فلولا الريح لتعفّنت و فسدت و تعفّنها و فسادها يؤدّي إلى فساد الحيوان و الانسان جميعاً ، و تزجي السحاب من موضع إلى من موضع ليعمّ نفعه ثمّ تعصره حتّى يستكثف فيمطر ثمّ تنفضه حتّى يتخلخل و يستخفّ فيتفشّى و ينتشر ، و تلقح الشجر، و تسيّر السفن، و ترخي الأطعمة، وتبرد الماء و تشبّ النّار ، و تجفّف الأشياء النديّة ، و تعين في تصفية الغلاّت ولو ركدت دائماً لفاتت هذه المصالح الجليلة والمنافع العظيمة ، و حدث الكرب في النفوس ، و مرض الأصحّاء و

(١) أي لقول القائل .

نهك المرضى (١) وفسد الثمار ، و عفنت البقول ، وحدث الوباء في الأبدان ، و الآفة في الغلاّت ، و ركدت السفن ، و تحيّر التجار ، و بالجملة بطل نظام العالم بالكلّية ، ففيها من تدبير الحكيم و مصالح الخلق ما لايحصيه اللّسان ولا يحيط به العبارة والبيان ، و كلّ هذا شواهد صادقة و آيات ناطقة بلسان حالها ، مفصحة عن جلالة باريها و قدرته ، و معربة عن كمال صانعها و حكمته.

(و السّحاب المسخّر بين السماء و الأرض) و هو يحمل مع ما فيه من الصواعق الصادعة والبروق اللاّمعة والرعود القارعة ثقل الماء و كثّره مستقلاً في الهواء و يجمع بعد تفرّقه و ينفجر بعد تمسّكه ويرفع مرّة و يدنو اُخرى فتصفقه الرّياح و تسوقه و تفرّقه بأمر مدبّره و خالقه فيما بين الأرض و السماء إلى البلدان النائية فيخرج الودق من خلاله بقدر معلوم لمعاش و رزق مقسوم ، ويرسل قطرة بعد قطرة و شيئاً بعد شيء على رسله حتّى يغمر البرك و يملاء الفجاج ، و يعتلي الأودية و تحيى به الأرض الميتة فتصبح مخضرّة بعد أن كانت مغبرّة : و تعود معشبة بعد أن كانت مجدبة وتكسو ألواناً من نبات ناضرة زاهرة مزيّنة معاشاً للناس والأنعام ولو احتبس عن أزمنته و تخلّف عن وقته هلكت الخليقة و يبست الحديقة ، ثمّ إذا صبّ ما فيه أقلع و تفرّق و ذهب حتّى لايعاين ولا يدري أين يتوارى ، فعرف العاقل حين تفكّر في ذلك أنّ له مدبّراً حكيماً عالماً حيّاً قيّوماً و أنّ السّحاب لو تحرّك بنفسه و صبّ ما فيه بمقتضى طبعه لما مضى به ألف فرسخ و أكثر و أقرب من ذلك و أبعد ليرسل قطرة بعد قطرة بلا هدم ولا فساد ولا سارية إلى بلدة متجاوزاً عن الاُخرى (لآيات لقوم يعقلون) أي في كلّ واحد من الاُمور الثمانية آية ظاهرة و دلالة واضحة على وجود الصانع وقدرته وحكمته و وحدته و استحقاقه للعبادة لقوم ينظرون إليه بعيون عقولهم الصحيحة ويعتبرونه ببصاير أذهانهم السليمة . أو في كلّ واحد منها آيات كثيرة كما يظهر لمن تأمّل فيها تأمّلاً عارياً عن الأوهام الفاسدة وقد يوجّه بأنّ كلّ واحد منها يدلّ

(١) نهك الحمى فلاناً : أضنته و هزلته وجهدته .

من حيث وجوده على وجود الصانع ، ومن حيث حدوثه في وقت معيّن على إرادته وعلمه بالجزئيات ، و من حيث منافعه على حكمته و اتقان صنعه و حسن تدبيره ، و من حيث ارتباط بعضه ببعض على وجه الانتظام والتعاون على وحدانيّته.

و قال القاضي دلالة هذه الآيات على وجود الاله و وحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلاً ، والكلام المجمل أنّها اُمور ممكنة وجد كلٌّ منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة مثلاً إذا كان من الجائز أن لاتتحرّك السموات أو بعضها كالأرض و أن تتحرّك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارّة بالقطبين ، و أن لايكون لها أوج و حضيض أصلاً و على هذا الوجه لبساطتها و تساوي أجزائها فلابدّ لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما يستدعيه حكمته و تقتضيه مشيئته متعالياً عن معارضة غيره ، إذ لو كان معه إله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت إرادتهما فالفعل إن كان لهما لزم اجتماع مؤثّرين على أثر واحد و إن كان لأحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجّح و عجز الآخر المنافي لالهيته و إن اختلفت لزم التمانع والتطارد كما أشار إليه بقوله تعالى «قل لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا» و في الآية تنبيه على شرف علم الكلام و أهله و حث على البحث والنظر فيه .اه. وقيل: الأحقّ بذلك هو العلم الّذي فوق الطبيعة وهو الحكمة الالهيّة الحقّة .

(يا هشام قد جعل الله ذلك) أي المذكور من الآيات و مثلها أو مضمونها فانّ مضمونها مذكور تفصيلاً في الآيات الآتية (دليلاً على معرفته بأنّ لهم مدبّراً) لأنّهم إذا تأمّلوا فيها و نظروا إليها بعين البصاير و اعتبار الضمائر علموا أنّ لهم خالقاً خبيراً و صانعاً بصيراً خلقهم بعمد و تقدير، وصنعهم بقصد و تدبير ، و خلق لهم جميع ما يصلح لانتفاعهم و ينفعهم في وجودهم و بقائهم كما يظهر بعض ذلك ممّا ذكرناه آنفاً (فقال : و سخّر لكم الّليل والنهار) بأن قدّرهما لمنافعكم وهيّأهما مخصوصاً لمصالحكم ، وجزّء الزّمان بهما لصلاح بالكم و نظام حالكم فصارا يتعاقبان تعاقباً مخصوصاً و يتبادلان تبادلاً معلوماً ، لتسكنوا فيه و لتبتغوا

من فضله ، و متى نظر فيه اللّبيب البصير دلّه إلى وجود الصانع العليم الخبير.
و قيل : وجه دلالتهما عليه أنّهما أجزاء الزّمان الواحد المتّصل والزّمان مقدار حركة دوريّة غير مستقيمة ، فالحافظ لها لابدّ أن يكون جسماً كروياً إبداعيّاً و هو السماء فدلّ وجودهما على وجود السماء والسماء دلّ على وجود خالق الأشياء لأنّ السماء ممكنة مفتقرة إلى العلّة و علّتها ليست مادّتها ولاصورتها ولانفسها ولا جسم آخر حاوياً أو محويّاً فتعيّن أن يكون خارجاً عن الكون والمكان و هو المطلوب ، و فيه أنّ هذا على تقدير تمامه مبنيّ على مقدّمات كثيرة كلاميّة و ليس هذا المقام موضع ذكر أمثال هذا الكلام (والشمس والقمر) سخّر الشمس بأن جعلها ضياءً و أمرها بالارتفاع والانحطاط والسير في البروج لاقامة الفصول وتربية البقول و تنمية الحيوان والأشجار و تقوية الفواكه والأثمار إلى غير ذلك من المنافع الّتي يعجز عن ذكرها القلم واللسان ولايحيط بها الوصف والبيان ولوسارت دائماً على مدار واحد لأحرقت ما تحته و مايليه وفات أثرها فيما لايدانيه ، و لم يتحقّق الفصول الأربعة ، و منافعها المذكورة في الكتب مع أنّ المذكور منها ليس إلّا قليل من كثير . و سخّر القمر بأن جعله نوراً يستضيء به المسافرون في قطع المفاوز ، و يستعين به العاملون في حرث الزّرع و ضرب اللّبن وقطع الخشب و نحو ذلك . و سائراً في منازله المعروفة ليكون أثره في أقطار الأرض و فيضه على أهاليها على السواء ، و لغير ذلك من المنافع الغير المحصورة و مختلفاً في أحواله من الزيادة والنقصان والمحق والخسوف والوجود غالباً في بعض اللّيل دون بعض ليعلموا به عدد الشهور والسنين والحساب و لئلّا ينبسطوا في العمل والسير لشدّة الشره والحرص مثل انبساطهم بالنهار و يمتنعوا من الهدء و القرار فيهلكهم ذلك ، ولغير ذلك من المنافع الّتي يعلمها أرباب البصائر الثاقبة و أصحاب الضمائر النافذة ، ويحكمون بأنّها من لدن حكيم خبير فسبحان من نوّر بهما الظلم ، و أوضح بهما البهم ، و جعلهما آيتين من آيات ملكه ، و علامتين من علامات سلطانه (والنجوم مسخّرات بأمره) قرأهما حفص بالرّفع على الابتداء و الخبر فيكون

تعميماً للحكم بعد تخصيصه، و نصب ما قبلهما على المفعوليّة . و قرىء « الشمس والقمر » بالرّفع أيضاً و نصب اللّيل والنهار وحدهما ، و القراءة المشهورة عند الأكثر : نصب جميع الأسماء الستّة ، و أورد على هذه القراءة بأنّه ما الحاجة إلى مسخّرات بعد قوله «وسخّر لكم» وأجيب عنه بأنّ نصب الأخيرين بفعل مقدّر يعني و جعل النجوم مسخّرات بأمره خلقها و دبّرها كيف شاء ،أو نصب «مسخّرات» على الحالية للمفاعيل الخمسة على أنّ سخّر بمعنى صيّر يعني صيّر هذه الأشياء الخمسة نافعة لكم ، و نفعكم بها حال كونها مسخّرات بأمره لما خلقن له أوعلى المصدريّة يعني سخّرها لكم أنواعاً من التسخير على أن يكون مسخّر بمعنى تسخير ، كما في قولك سخّره مسخّر أمثل سرّحه مسرّحاً فجمع لاختلاف الأنواع و تلك التسخيرات في النجوم اختلاف أشكالها و صورها و نورها ومقاديرها ومواقعها و حركتها كمّاً و كيفاً وجهة و تقارنها وتفارقها و تثليثها وتربيعها و تسديسها و استقامتها ورجعتها ووقوفها وظهور بعضها دائماً و خفاء بعضها كذلك و ظهور بعضها في بعض السنة و احتجابها في بعضها (١) كلّ ذلك لمصالح كثيرة بعضها معلوم بالضرورة و بعضها بالنظر الصادق، و بعضها لايعلمه إلاّ هو . أما ترى أنّ الثريّا و الجوزا ، والشعريين والسهيل كلّ ذلك يطلع حيناً ويغيب حيناً لمصالح معروفة و منافع مشهورة و فوائد مذكورة ولو كانت بأسرها تظهر في وقت لم يكن لواحد منها على حياله دلالات يعرفها الناس و يهتدون بها لبعض اُمورهم كمعرفتهم بما يكون من طلوع الثريّا والجوزاء إذا طلعنا ومن احتجابها إذا احتجبتا فصارظهور

---

(١) التسديس هو أن يكون بين الكوكبين سدس الدور برجان، والتربيع ان يكون بينهما ربع الدور ثلاثة بروج ، والتثليث ثلث الدور أربعة بروج ، و الاستقامة أن يسير الكوكب من المغرب الى المشرق أي على التوالي ، والرجعة ان يسير من المشرق الى المغرب على خلاف التوالي وهي خاصة للخمسة المتحيرة، والوقوف أن يتوقف في موضع لايتحرك منه أياماً ، وخفاؤها لكونها قريبة من الشمس مختفية بضوئها وظهورها لبعدها عن الشمس فيظهر ليلا. (ش)

كلّ واحد منهما في وقت و احتجابه في وقت آخر لينتفع الناس بما يدلّ كلّ واحد منهما عليحدته و كما جعلت الثريّا و أشباهها تظهر حيناً و تحجب حيناً لضرب من المصلحة ، كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لايغيب لضرب آخر من المصلحة فإنّها بمنزلة الأعلام الّتي يهتدي بها النّاس في البرّ و البحر للطرق المجهولة و ذلك أنّها لاتغيب أبداً فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث توجّهوا و صارالأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحوالارب والمصلحة و فيهمامآرب اُخرى مع ما في تردّدها في كبد السماء مقبلة و مدبرة و مشرّقة و مغربة من العبرة لأولى الألباب ، وبالجملة خلق الله جلّ شأنه الانسان لمعرفته و عبادته وخلق لهم اللّيل والنهار والشمس والقمر والنجوم كلّها بل هذا العالم كلّه، وقدقال إمامنا و مولانا الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام في كتاب التوحيد للمفضل: أوّل العبر و الأدلة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم و تأليف أجزائها و نظمها على ما هي عليه ، فانّك إذا تأمّلته بفكرك و ميّزته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعدّ فيه جميع مايحتاج إليه عباده ، فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر و كلّ شيء فيها لشأنه معدّ والانسان كالمملّك ذلك البيت ، والمخوّل فيه وضروب النبات مهيّأة لمآربه و صنوف الحيوان مصروفة في مصالحه و منافعه ففي هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير و حكمة و نظام و ملائمة ، وأنّ الخالق له واحد وهوالّذي ألفه و نظمه بعضاً إلى بعض جلّ قدسه و تعالى جدّه و كرم وجهه ولا إله غيره تعالى عمّا يقول الجاحدون و جلّ و عظم عمّا ينتحله الملحدون لقصور أفهامهم عن تأمّل الصواب والحكمة فيما ذرأه الباري فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود و بضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود حتّى أنكروا خلق الأشياء و ادّعوا أنّ كونها بالاهمال لاصنعة فيها ولاتقدير ولاحكمة من مدبّر ولا صانع تعالى الله عمّا يصفون و قاتلهم الله أنّى يؤفكون (إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون) تأمّل أيّها اللّبيب كيف جعل الله سبحانه هذه الاُمور أدلّة على معرفته و دلّ العقلاء الرّاسخين في

علم على ربوبيّته و مدحهم بذلك الفضل والرّويّة ، ومنحهم بتلك النعمة والعطيّة فأولئك هم المقرّبون يوم التناد ، وأولئك هم المقصودون من الغرض في الايجاد (و قال : هو الّذي خلقكم من تراب) نسب خلق هذا النوع إلى التراب لأنّ خلق أوّل أفراده منه، ويحتمل أن يراد بالتراب الغذاء الّذي يتكوّن منه المني (ثمّ من نطفة) النطفة الماء القليل و منه سمّي نطفة لقلّته وجمعها نطف (ثمّ من علقة) هي قطعة جامدة منعقدة من الدّم يتغير بالتدريج إلى أن تصير مضغة هي قطعة من اللّحم قدر ما يمضغ وهي تنتهي بالتدريج إلى العظام المكسوة باللّحم المنتهية بالتدريج إلى خلق آخر و هو صورة البدن المشتملة على القوى والرّوح الانساني و لم يذكر بعض هذه المراتب هنا لذكره قبل ذلك في مواضع اُخر، و للانسان في انتقالاته و استحالاته إلى أوان خروجه من بطن الامّ الّذي هو العالم الأوّل و العالم الأصغر منازل غير محصورة والمعروف منها هذه الستّة الّتي أوّلها التراب يعني الغذاء، وثانيها العلقة، و رابعها المضغة، وخامسها العظام الكاسية باللّحم (١) و سادسها الصورة الانسانية الّتي فيها الرّوح والقوى ، ثمّ له بعد خروجه منه و دخوله في بطن الامّ الكبرى الّذي هو العالم الأوسط إلى دخوله في العالم الأكبر و هو عالم الآخرة و عالم لقاء الله تعالى أيضاً مراحل غير معدودة إلاّ أنّ المعروف منها أوّلها منزل الصبا والطفوليّة ، و ثانيها منزل تمام النموّ و كمال القوّة و هو

---

(١) جعل العظم واللحم فى منزل واحداذلايتقدم العظم علىاللحم زمانابان يكون الجنين فى وقت عظاما غير مكسوّة باللحم ثم تكسى به كما يتوهم من ظاهر قوله تعالى: «ثم كسونا العظام لحما» بل تقدم العظام تقدم طبعي اذيحتاج اللحم فى قوامه الى العظم و اللحم موخر عن العظم بهذا الاعتبار كتأخر الكل عن الجزء والمشروط عن الشرط وان اتحدا زماناً، فان قيل ظاهر التقدم والتأخر هو الزمانيان قلنا: نعم ولكن الظاهر معتبر حيث لايكون قرينة على خلافه وهنا نعلم يقيناً بالقرينة العقلية ان الجنين لايكون فى زمان عظما مجرداً ثم يكسى لحماً فى زمان آخر بعده و مثاله فى العرف تحرك المفتاح بعد تحرك اليد. (ش)

منزل الشباب ، وثالثها منزل الشيخوخة ، فأشار جلّ شأنه إلى الأوّل من هذه الثلاثة بقوله (ثمّ يخرجكم طفلاً) أي أطفالاً و إنّما أفرد لارادة الجنس والجنس يصدق على الكثير ؛ أو على تأويل ويخرج كلّ واحدمنكم ، أو لأنّه في الأصل مصدر و هو في هذا المنزل في التزايد والنموّ قوّة وكمّاً ، فيكمل قواه ويزيد مقداره شيئاً فشيئاً بحسبما يقتضيه الطبيعة فيلقي الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ثمّ لايزال يتزايد في المعرفة قليلاً قليلاً و شيئاً بعد شيء حتّى يألف الأشياء و يتمرّن عليها و يصل إلى غايته و يخرج من حدّ الحيرة فيها إلى التصرّف في المعاش بعقله و إلى الاعتبار و الطاعة والسّهو والمعصية و ذلك من تدبير الحكيم العليم ، إذ لو كان النموّ دائماً لعظمت الأبدان و اشتبهت المقادير حتّى لايكون لشيء منها حدّ يعرف ، ولو ولد فهماً عاقلاً كاملاً لأنكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل إذ رأى مالم يعرف و ورد عليه مالم ير مثله ولم يأنس به من اختلاف صور العالم والطيور والبهائم إلى غير ذلك ممّا يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم ولوجد في نفسه غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً معصباً بالخرق مسجّى في المهد، لانّه لايستغني عن هذا كلّه لرقّة بدنه ورطوبته حين يولد ولذهبت حلاوة تربية الأولاد للأب والأمّ ومايوجبه التربية من البرّ والعطف ولفاتت الألفة بين الأبوين والأولاد لأنّهم يستغنون عن تربيتهما فيتفرّقون عنهما قريباً من الولادة، فلايعرف الرّجل أباه و أمّه ، ولايمتنع من نكاح أمّه و أخته و ذوات المحارم إذ كان لايعرفهن ولأنّه يرى و يعقل حين الولادة من أمّه مالايحلّ له أن يراه ، فمن تفكّر في هذه الأمور و غيرها علم أنّ ذلك من تدبير اللّطيف الخبير الّذي أقام كلّ شيء من الخلقة على غاية الصواب و أشار إلى الثاني بقوله (ثمّ لتبلغوا) قيل : متعلّق بمحذوف أي ثمّ يبقيكم لتبلغوا (أشدّكم) أي كمالكم في القوّة و العقل، جمع الشدّة كالأنعم جمع النعمة و هو حدّ التكليف و وقت الشباب و كمال النشوء الّذي يكون القوى فيه أقوى من ساير أوقات العمر و يستمرّ إلى أوان شروع تلك القوى في الانحطاط وأشار إلى الثالث بقوله (ثمّ لتكونوا شيوخاً)

و هو حدّ ينتهي إليه الشباب ويتوجّه الباطن بسبب حدوث قوّة اُخرى من نوع آخر فيه إلى عالم الآخرة فيظهر أثر من آثار الضعف فيه و يتزايد على التدريج إلى أوان الفراغ من هذه الدّار الفانية (ومنكم من يتوفّى من قبل) أي من قبل الشيخوخة أو الأشدّ. و منشأ الموت عند الأطبّاء والطبيعيين أنّ الحرارة الغريزية الّتي هي آلة للطبيعة في أفعالها كالجذب والدفع و الهضم و غير ذلك ، و لذلك قيل: إنّها كدخداء البدن تفني الرّطوبة الغريزيّة شيئاً فشيئاً ثمّ تفنى هي بفناء الرّطوبة كما أنّ النار تفني الدّهن ، ثمّ تنطفي بانتفائه . و قيل : منشأه أنّ النطفة الّتي هي مادّة البدن جسمٌ مركّبٌ ذو نضج تامّ إذ وقع هضمه في خمس مراتب : أربعة منها لأن يصير الغذاء جزء من بدن المتغذي (١) والخامسة لأن يصير مادّة لتكون المثل فإن المادّة المنويّة فضلة الهضم الرّابع ، وإذا وقعت في أوعية التوليد كالخصية

---

(١) للهضم عند الاطباء مراتب أربع: الاول الهضم في المعدة فيصير الاغذية به كيلوساً اى مادة شبيهة بماء الكشك الثخين . والهضم الثاني في الكبد وبه ينتقل الكيلوس من طريق وريد الباب والعروق الماسار يقاوية الى الكبد فينطبخ فيه ويصير كيموساً. والهضم الثالث في الاوردة لان الدم الحامل للغذاء اذا خرج من الكبد الى الوريد المسمى بالاجوف و انشعب الى العروق الصغار والرواضع والعروق الشعرية ينطبخ فيها و يتبدل ماهيته بخروج مالا يناسب التغذية منه. والهضم الرابع في نفس الاعضاء لان الدم له طبيعة واحدة يجرى الى كل عضو من لحم وعظم وشحم و عصب ويحمل اليها غذائها فيتصرف كل عضو في هذا الدم و يغيره الى صورته وطبيعته فيصير الدم في العظم عظماً وفي اللحم لحما الى غير ذلك ولكل هضم من هذه الهضوم الاربعة فضلات يضر وجوده في بدن الانسان فوكل الله تعالى بعظيم حكمته قوة دافعة تخرجها عنها فتخرج فضلة الهضم الاول من طريق الامعاء و فضلة الهضم الثاني من طريق الكلى والمثانة بالبول والمرارة والطحال و فضلة الهضمين الثالث والرابع من طريق مسام البدن بالعرق والاوساخ و بالتنفس و مثل ذلك والنطفة من فضلات الهضم الرابع الا انها ليست مما يضر اجتماعه في البدن بل يمكن ان تحتبس في وعائه وتنجذب في البدن ولا يتضرر البدن بها بخلاف البول مثلا. (ش)

استحالات نطفة ببعض خامس، ثمّ يزيد مقدارها بورود الغذاء عليها بدلاً ممّا يتحلّل منها، و ليس حكم هذا الوارد في الاعتدال والنضج حكم ما ينقص منها بالتحليل فمادام شيء منها باقياً في البدن كانت الحيوة باقية و نسبة القوّة والضعف على نسبة ما بقي منها زيادة و نقصاناً و إذا تحلّلت بالكلّيّة تحقّق الموت، وهذا قريب ممّا قيل من أنّ الموت طبيعي و معناه أنّ الانسان عند نشأة منه تعالى يتوجّه بحسب الغريزة الفطريّة والأشواق الالهية نحو النشأة الآخرة و يسلك سبيله تعالى ليرجع إليه كما نزل منه فهو متحرّك دائماً على منازل و مراحل من طور إلى طور في دار البلية ودار الفراق إلى أن يبلغ تلك النشأة الّتي هي منتهى حركته في هذه الدّار، فاذا بلغها انتقل إليها وأوائلها القبر والبرزخ والحشر والنشر والعرض والحساب إلى غير ذلك، ثمّ بعد ذلك يرجع إمّا إلى نعيم مقيم أو إلى عذاب أليم يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد (و لتبلغوا) متعلّق بمحذوف أي يفعل ذلك لتبلغوا (أجلاً مسمّى) قيل : هو وقت الموت أو يوم القيمة، و قيل : يحتمل أن يراد به وقت لقاء الله تعالى في الجنة الّذي هو الغاية الأخيرة لخلق الانسان (ولعلّكم تعقلون) ما في هذه الاحوال العجيبة والأطوار الغريبة من العبر والحجج الدّالّة على أنّه سبحانه هو الّذي خلقكم على أطوار مختلفة و خلق مادّتكم و اُصولكم من الأشياء المذكورة و أودع الحيوة فيها وأبدعها ، ثمّ أبقاكم إلى أجل مقدّر و إنّ من كان قادراً على ذلك فهو قادرٌ على جميع تلك الموادّ و إحيائها ثانياً فالآية الكريمة دليل على التوحيد و البعث جميعاً . و قيل : معناه لعلّكم تصيرون بعد هذه الأحوال عاقلاً كاملاً بالفعل فيكون إشارة إلى أنّ غاية الخلقة و آخر النشأة والأطوار هي صيرورة الانسان جوهراً عقلياً (١) والحاصل أنّه إشارة إلى أنّ غاية هذه الأكوان وجود العقل و ذات العاقل مع قطع النظر عن تعقله (و قال إنّ في اختلاف اللّيل

---

(١) قوله «جوهراً عقليا » هذا تصديق منه بوجود العقل الجوهري كماسبق منه أيضا و أنه غاية الانسان ولاينافيه مامر منه آنفا بأن غايته أن يرجع الى نعيم مقيم أو عذاب اليم. (ش)

والنهار و ما أنزل الله من السماء من رزق) أي من ماء و إطلاق الرّزق على الماء من باب الحقيقة بالنظر إلى تفسيره لغة وعرفاً قال الجوهري : الرّزق ماينتفع به. و قالت الأشاعرة : هو كلّ ما ينتفع به حيّ غذاء كان أو غيره حلالاً كان أو حراماً و منهم من خصّه بالأغذية والأشربة فيخرج نحو اللباس والهواء الّذي ينتفع به المتنفس. و قالت المعتزلة : هو كلّ ما صحّ أن ينتفع به حي بالتغذي وغيره و ليس لأحد منعه منه فيخرج الحرام فالماء رزق على هذه التفاسير لأنّه ممّا ينتفع به و يحتمل أن يكون من باب المجاز تسمية السبب باسم المسبب ، و يؤيّده قول الجوهريّ وقد يسمي المطر رزقاً ، وذلك قوله عزّ وجلّ : «وما أنزل لكم من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها » « و في السماء رزقكم » و هو اتّساع في اللّغة كما يقال: التمر في قعر القليب يعني به سقي النخل (فأحيا به الارض بعد موتها) الظاهر أنّ المراد بالارض و الرزق معناهما الحقيقي و يحتمل أن يراد بالارض القلب لاشتراكهما في قبول الحيوة و بالرّزق العلم لاشتراكهما في السببية للحيوة. قال ابن الاثير في النهاية : الأرزاق نوعان ظاهرة للأبدان كالأقوات و باطنة للنفوس والقلوب كالمعارف والعلوم وقد شاع في القرآن العزيز و كلام الحكماء نسبة الحيوة بالعلم، والموت بالجهل إلى القلب (وتصريف الرياح [والسحاب المسخّر بين السّماء والأرض](١) لآيات لقوم يعقلون) أي يفهمون تلك الآيات بعقولهم الصافية ويستدلون بها على وجوده جل شأنه ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته ، وقد ذكرنا سابقاً مايناسب هذا المقام وقال: «يحيي الأرض بعد موتها قد بيّنّا لكم الآيات لعلكم تعقلون» (و قال و جنات) جمع جنّة وهي البستان سمّي بها لاجتنانه و استتاره بالأشجار والأغصان والأوراق و هذا التركيب دلّ على الاستتار ومنه الجنّ لاستتاره من الانس والجنون لأنّه يستر العقل والجنين لأنّه مستور في الرّحم والمجنّة والجنّة بمعني الترس لانّه يستر صاحبه وهي بالرّفع عطف على «قطع» في

(١) مابين القوسين زائد من النساخ .

قوله تعالى « و في الأرض قطع متجاورات » أي بعضها طيبة و بعضها سبخة و بعضها رخوة و بعضها صلبة و بعضها حجر و بعضها رمل و بعضها أبيض و بعضها أسود و بعضها أحمر و بعضها أصفر و بعضها معدن للجواهر المختلفة مثل الياقوت والعقيق والزبرجد والفيروزج والزّمرد والذّهب والفضة والنحاس والرّصاص والحديد و غيرها ممّا يستعمله النّاس في مآربهم و في هذا أيضاً دلالة على المطلوب لأنّ انقسام الأرض إلى هذه الأقسام و اتّصافها بهذه الأوصاف مع اتّحاد الطبيعة الأرضية في تلك الأقسام وتساوي الأجرام العلوية وأوضاعها بالنسبة إليها دلّ على وجود قادر مختار يوجد الأشياء الممكنة على وجه دون وجه(١) بلاضدّ ولاندّ له وحده لاشريك له (من أعناب وزرع و نخيل) أفرد الزّرع لأنّه في الأصل مصدر، و

(١) قوله «على وجه دون وجه» من تدبر في خلق العالم والحكم و المصالح فيه و اتقان الصنع فى كل شيء يراه من هذه المواليد، علم أن الامر ليس على ما يظنه المعطلة والملاحدة و أصحاب الطبايع و ليس هذا الاحكام والاتقان فى الصنع حاصلا بالبخت والاتفاق كما كان عليه ذيمقراطيس من القدماء و كثير من الافرنج والمتفرنجة فى عصرنا فان هذه المواد والعناصر التى يتركب منها الانسان والحيوان والنبات وسائر الاجسام ذوات الخواص يمكن أن تتركب على أنحاء كثيرة يلحق بغير المتناهي لكثرتها والمفيد الموجود منها واحد من آلاف الملايين، مثلا كل واحد من اللحم والعظم فى كل عضو من بدن الانسان والحيوان مركب من عناصر خاصة على نسبة خاصة لايحصل لو من أقل منها ولامن أكثر وليس اختيار واحد من انحاء التراكيب الغير المتناهية الا من فاعل حكيم عالم بكل شيء لوادعى صاحب مطبعة أراد طبع كتاب من الحروف المصنوعة أنه ملاء بيتاً معيناً من ألف ألف حرف من الهمزة الى الياء غير مرتبة بل ممزوجة مختلفة و أمر عاملا أعمى و دخل البيت و جمع من الحروف و رتبها كما يريد صاحب المطبعة و طبع كتاباً خاصاً فقبول دعواه مع كونه محالا أسهل من قبول دعوى الفيلسوف الطبيعى الذى يرى تركب أعضاء حيوان من الطبقة السفلى كالخراطين و البراغيث من عناصر كيف اتفق بيد طبيعة عمياء فكيف بسائر المواليد والانسان خاصة ولايلزم من ذلك القول بالارادة الجزافية الحادثة فى ذات المبدء بتأثير الملل الممكنة كما يدعيه قدماء المتكلمين و للبحث فى ذلك محل آخر (ش).

النخيل اسم جمع وهما إما مرفوعان معطوفان « على «جنات» أي في الارض قطع متجاورات و جنات من أنواع الاعناب و فيها زروع ونخيل. أومجروران معطوفان على «أعناب»أي في الارض بساتين مشتملةعلىأنواعالاعناب والزروع و النخيل و (صنوان) أي نخلات أصلهاواحد ، جمع صنو و هو أن تطلع نخلتان منعرقواحد و منه الصنو بمعنى المثل كما فيقولهم عمّ الرّجل صنو أبيه أي مثله لانّهماخرجا من أصل واحد (و غير صنوان) أي نخلات متفرّقات مختلفةأصولهاوعروقها،وقرأ حفص بضمّ الصّاد فيهما وهي لغة تميم (يسقى بماء واحد) في الطبيعة و الصورة والغرض من ذلك دفع توهّم اسناد هذا الأمور و الاختلاف إلى الماء، و يسقى بالتذكير فيقراءة عاصم و يعقوب وابن عامر على تأويل ما ذكر (ونفضل) بالنون في القراءة المشهورة و بالياء في قراءة حمزة و الكسائي (بعضها على بعض في الأكل) أي في الثمر شكلاً و قدراً و رايحة و طعماً كما هو المشاهد (إنّ في ذلك) المذكور (لايات لقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم السليمة عن شوائب النقص بالتفكر فيها و يستدلّون بها على وجود الصّانع الحكيم القادر المختار ، فان من تفكر في تلك الأشجار المختلفة في الهيئة والمقدار و خروجها من الأرض و اغتذائها منأجزاء أرضية و نموّها و في أوراقها المشتملة على العروق الصغار والكبار لاستقامة الحجم و وصول الغذاء إلى جميع الأجزاء و في أثمار ها حين كونها بمنزلة الأجنّة فيبطونهاثمّ خروجها بعد استكمال الموادّواستقرارها على رؤس الأغصان و انضياف ما ينميها آناً فآناً إليها من المنافذالضيّقة إلىوقت بلوغها حدّ الكمال لمنافع النّاس و غيرهم و في اختلاف أنواعها و أصنافها و أشكالها و أقدارها و روايحها و طعومها و في أن الطبيعة الأرضية مع اتّحاد ها و عدم شعورها لايمكن اسناد هذه الأمور إليها و كذا الطبيعة المائيّة ، و في الأوضاع الفلكيّة والاتّصالات الكوكبيّة و تأثيرات الأجرام السّماوية نسبتها إليها متساوية متشابهة سيّما القطعات المتجاورات علم أنّ ذلك من تدبير عليم بصير و قدير حكيم خبير يتعلّق قدرته بجميع الممكنات و يحيط علمهبكيفيّة

نظام جميع الكائنات فيوجب كلاً منها على أحسن وجه و أكمله على حسب الارادة والاختيار (وقال ومن آياته يريكم البرق) الفعل مصدر بتقدير « أن» أوصفة لمحذوف أي آية يريكم بها البرق (خوفاً) من الصاعقة أو تخريب المنازل و الزّروع أو من المسافرة ونحوها (وطمعاً) في الغيث والنبات وسقي الزّروع وغير ذلك و نصبهما على العلّة لفعل لازم للفعل المذكور فإنّ ارائتهم يستلزم رؤيتهم أو لفعل مذكور بتقدير مضاف أي إرادة خوف و طمع أو بتأويل الخوف والطمع بالاخافة و الاطماع ، و على التقادير يتّحد فاعلهما و فاعل عاملهما أو على الحال مثل كلّمته شفاهاً . وأمّا البرق آية من آياته فامّا لأنّ البخار الممتزج مع الدّخان إذا وصل إلى الكرة الزمهريريّة يحتبس فيما بين السّحاب فيميل إلى السفل للثقل و غلبة البرد أو إلى العلوّ لبقاء سخونته و زيادة لطافته فيمزق السّحاب تمزيقاً عنيفاً فيحصل الرّعد و يشتعل الدّخان بالتسخين الحاصل من المصاكة العنيفة فان كان لطيفاً ينطفي سريعاً و هو البرق و إن كان كثيفاً لاينطفي حتّى يصل إلى الأرض و هو الصاعقة. أو لأنّ السحاب فيه كثافة و لطافة بالنسبة إلى الهواء و الماء و إذا هبت ريح قويّة تخرقه بعنف فيحدث صوت الرّعد و يخرج منه النار للمصادمة بينهما كما تخرج من ضرب الحديد على الحجر ولاخفاء في أن خروج البرق الّذي هو نار محرقة من السحاب الرّطب المشتمل على الماء لأيّ سبب كان دلّ على وجود الصانع الذى رتب المسبّبات على أسبابها و آية من آياته و نقل عن العترة الطاهرة « أنّ الرّعد صوت ملك يزجر السحاب ويسوقه والبرق نار تحدث من حركة سوطه (١)» و قال بعض العارفين : من سمع هذا الصوت و رأى هذه النار و كان له رؤية قلبية و بصيرة ذهنيّة علم أنّ ما نقل عنهم عليهم السلام حق و صدق (٢) (و ينزل) قرىء بالتشديد (من السّماء ماء فيحيى به الأرض بعد

---

(١) راجع بحار الانوار ج ١٤ ص ٢٧٥ الى ٢٨٠ .

(٢) «قوله حق و صدق» ويقول اهل عصرنا ان الرعد والبرق من القوة الكهربائية في طبقات السحاب والشارح جمع بين السبب المادى والعلة الفاعلية الروحانية اذ ☆

موتها) بأنواع النباتات والحيوانات (إنّ في ذلك لايات لقوم يعقلون) أي يفهمونها و يتدبّرون بها في استنباط أسبابها و تكوّنها ، و كيفيّة ربطها بتلك الأسباب ليظهر لهم كمال قدرة الصانع و حكمته و علمه بحقائق الأمور خفيّها وجليّها.

و قال (قل تعالوا) أمر من تعالون قال القاضي و صاحب الكشّاف : هو من الخاص الّذي صار عامّاً فانّ أصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثمّ اتّسع فيه بالتعميم (أتل) مجزوم بشرط مقدر بعد الأمر (ما حرّم ربّكم) منصوب بأتل «و ما» إما موصولة والعايد محذوف أو مصدرية ويحتمل أن يكون استفهاميّة منصوبة بحرّم بمعنى أتل أي شيء حرّم (عليكم) متعلّق بأتل أو حرّم على سبيل التنازع (أن لاتشركوا به شيئاً) «أن» ناصبة «ولا» للنفي والجملة خبريّة لفظاً و إنشائيّة معنى بدلاً من «ماحرّم» أو من العائد المحذوف ، و يحتمل أن يكون مفسّرة لما حرّم ولا للنهي (و بالوالدين إحساناً) أى و أن تحسنوا بمعنى أحسنوا أو أحسنوا بالوالدين إحساناً ، فالجملتان المتعاطفتان إنشائيتان معنى فقط ، أو لفظاً و معنى جميعاً ، أو الأولى معنى فقط والثانية لفظاً و معنى ، أو بالعكس ويكونان في بعض الوجوه مثل قوله تعالى « و إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون إلاّ الله و بالوالدين إحساناً و ذي القربى واليتامى والمساكين و قولوا للنّاس حسناً» فإنّ لاتعبدون بمعنى لاتعبدوا و بالوالدين بتقدير و تحسنون بهما بمعنى أحسنوا أو بتقدير و أحسنوا بهما. وفي جعلهما خبريّتين لفظاً و إنشائيتين معنى فائدة لطيفة وهي المبالغة باعتبار أنّ المخاطب كأنّه شرع في الامتثال وهو يخبر عنه ورد صاحب الكشاف أن يكون «أن» ناصبة «ولا» للنفي بأنّه وجب أن يكون « لا تشركوا » نهياً لعطف الأمر عليه و هو قوله تعالى « و بالوالدين إحساناً » لأنّ التقدير و

---

*لايخالف أحدهما الاخر والسبب المادي، مدنظير تأثير الحرارة فى ذوب الحديد والعلة الفاعلية هو الله تعالى والملائكة المقربون مأمورون نظير الصانع الماهر الذى يصنع من الحديد المذاب بالحرارة آلات الصنعة و المكائن و غيرها والحرارة علة معدة والفاعل للالات هو الصانع (ش)

أحسنوا بالوالدين إحساناً. والجواب عنه يظهر بالتأمّل فيما ذكرناه ، بقي ههنا شيء وهو «أن لاتشركوا» وما عطف عليه لايصحّ أن يجعل تفسيراً لما حرّم لأنّ كلاً من ترك الشرك والاحسان بالوالدين واجب لامحرّم ، والجواب أن ايجاب ترك الشرك مستلزم لتحريم الشرك وإيجاب الاحسان بالوالدين مستلزم لتحريم الإساءة إليهما مع ما فيه الاشارة إلى أنّ ترك إساءتهما غير كاف بل لابدّ من الاحسان بهما والتفسير باعتبار اللازم . وفي ذكر الاحسان بهما عقيب النهي عن الشرك بالله دلالة واضحة على جلالة حقّ الوالدين على الولد لأنّ أعظم النعم على الانسان نعمة الايجاد و نعمة التربية و للوالدين مدخل في كلّ واحد منهما كما يقتضيان عدم الشرك بالله كذلك يقتضيان عدم إساءتهما والاحسان بهما و لذلك قال الله سبحانه و قضى ربّك أن لاتعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحساناً ـ الآية » (ولاتقتلوا أولادكم من إملاق) أي من أجل فقر (نحن نرزقكم و إيّاهم) فوجب على الوالدين تبقية الأولاد و تربيتهم والاتّكال في رزقهم على الله ، لايقال : يلزم جواز قتلهم عند عدم خوف الفقر لما تقرّر من أنّ النفي والاثبات في الكلام راجعان إلى القيد لأنّا نقول إذا لم يجز مع الفقر فعدم جوازه بدونه أولى فهذا من قبيل التنبيه بالأدنى على الأعلى على أنّ للتقييد فائدة اُخرى هي زجرهم عمّا كانوا عليه من الخصلة الذّميمة

(ولاتقربوا الفواحش) في النهي عن قربها مبالغة في المنع منها (ماظهر منها و ما بطن) بدل من الفواحش، قيل : المراد بها الزّنى سراً وعلانية : وقيل الكبائر مطلقاً (ولاتقتلوا النفس الّتي حرّم الله) لما نهى أوّلاً عن قتل الأولاد لعلّة مذكورة نهى ههنا عن القتل مطلقاً دفعاً لتوهّم الاختصاص إن قلت : قتل النفس المحرّمة داخل تحت الفواحش على تقدير عمومها فما الفائدة في ذكره عليحدة ؟ قلت: الفائدة هي الاشارة إلى تعظيمه و زيادة فظاعة عقوبته كما قال سبحانه «و من قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها» (إلا بالحق) كالقود و قتل المرتدّ ورجم المحصن و غيرها ممّا ثبت جوازه بدليل منفصل ، والاستثناء متّصل إن كان عن القتل المطلق و منقطع إن كان عن القتل المقيد بالتحريم ، هذا وقال سيد الحكماء

لعلّ معناه : ولا تميتوا النفس المجرّدة الّتي حرّم الله موت ذاتها بالجهل ، و هو أعظم داهية من موت بدنها بهلاك الرّوح الحيواني إماتة الجهالة و الغواية و الاضلال و الابعاد عن سمت الرّشد و سبيل القدس، ولا تخرجوها عن حياة جوهرها الحقيقية بالعلم والمعرفة إلاّ بحقّ سوء استعداد ها الفطري ونقص جبلّتها الغريزي (ذلكم) إشارة إلى ما مرّ ذكره مفصلاً (وصّيكم به) أي بحفظه و رعايته ولايخفى ما في التعبير عن التكليف بالتوصية من اللّطف المقرّب إلى القبـول (لعلكم تعقلون) فوايد هذه التكاليف و تبصرون بعيون البصائر منافعها المترتبـة عليها في الدّنيا والآخرة ، فانظر أيّها اللبيب كيف مدح الله سبحانه العقل والعقلاء الّذين هم الغايات الذاتية للايجاد بما لهم من الحكمة النظرية (١) الّتي هي إدراك السموات والأرض و ما بينهما من الأمور المذكورة والتّصديق بأحوالها والانتقال منها إلى مبدعها ، و في هذه الآية بما لهم من الحكمة العمليّة الّتي هي العلـم بأصول الشرايع و قوانينها والعمل بها للاشارة إلى أنّ كمال الانسان إنّما يحصل بتكميل القوّة النظريّة بصور الحقائق و تحلّيها بنور العرفان و تكميـل القـوّة العمليـّة بمعرفة الشرايع و تخلّيها عن الرّذايل والنقصان ليحصل له بذلك البهجة والسرور الدّنيويّة والفوز بالسعادات الأبديّة الأخرويّة (وقال: هل لكم)هذا

---

(١) الحكمة هي العلم باحوال الوجود بقدر الطاقة البشرية وقسموها الى مايبحث عن الموجودات التي ليست بقدرتنا و اختيارنا، والى ما يبحث عن الموجودات التي هي بقدرتنا وهي أعمالنا والاولى هي الحكمة النظرية والثانية الحكمة العملية . والحكمـة النظرية تنقسم الى الرياضي والطبيعي والالهي ، والرياضي آلة أو مقدمة لساير العلوم والعملية تنقسم الى الاخلاق و تدبير المنزل و سياسة المدن ، والوجه الذي يرغب به في تعلم العلوم الطبيعية التوسل بها الى معرفة الله تعالى فالطبيعي أيضاً مقدمة للعلم الا لهي و بالجملة فالطبيعي ينقسم الى سمع الكيان و علم العناصر والمواليد الثلاثة و كائنات الجو وعلم الافلاك وعلم النفس وأشار الى جميعها فيما مر من الايات الكريمة وان الحكمة علم مرغوب فيه ونبه عليه الشارح ـ رحمه الله ـ «ش»

بعض آية صدرها «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم» أي منتزعاً ذلك المثل من أحوال أنفسكم الّتي هي أقرب الأمور إليكم فالاعتبار بحالها أولى و أقرب من الاعتبار بحال غيرها وإنّما لم يذكره عليه السلام لأنّ ما ذكره لكونه مثلاً لايحتاج إليه و يتمّ المقصود بدونه و فيه دلالة على جواز الاستشهاد ببعض آية أو بعض حديث إذا كان تامّ الفائدة والمطلوب نفي شريك الباري، و هو كما يثبت بدلائل عقليّة و نقليّة توجب انتقال النفس من معقول صرف إلى معقول و إذعانها بها كمامرّ من الآيات والبينات الظاهرة . كذلك يثبت بالأمثال الجزئيّة المحسوسة لأنّها تكشف الممثّل له و ترفع الحجاب عنه و تبرزه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم والعقل و يتّفقا عليه فانّ المعنى الصرف إنّما يدركه العقل مع منازعة الوهم لأنّ الوهم من طبعه الميل إلى المحسوس و حكاية المعقول به، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء و إشارات الحكماء و كتب المصنّفين مشحونة بذكر الأمثلة الجزئيّة لأنّ أكثر الافهام قاصرة عن إدراك حقيقة الشيء إلاّ في مادّة مخصوصة محسوسة (ممّا ملكت إيمانكم) يعني عبيدكم و إمائكم (من شركاء) «من» زائدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي (فيما رزقناكم) من الأموال (فأنتم فيه سواء) متفرّع على الشركة و حمله على الاستفهام الإنكاري محتمل أيضاً (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) حال عن «أنتم» أو عن ضمير المخاطبين في «رزقناكم» أي والحال أنّكم تخافون من شركة مماليككم في أموالكم واستبدادهم بالتصرف فيها كما يخاف الأحرار بعضها من بعض في ذلك، والاستفهام ليس محمولاً على الحقيقة لأنّه على الله سبحانه محال فوجب صرفه إلى المجاز وهو إمّا إنكار أن يكون مماليكهم شركاؤهم في ملكهم لينتقلوا من ذلك إلى أنّه لاينبغي أن يكون مملوكه سبحانه شريكاً له بالطريق الأولى أو تقريرهم و حملهم على الاقرار بما يعرفونه من عدم شركة المماليك لأنّ الاستفهام عن أمر معلوم للمخاطب يستلزم حمله على الاقرار بما هو معلوم له أو استبعاد أن يكون مماليكهم شركاؤهم لأنّ الاستفهام عن الشيء يستلزم به وهو يناسب استبعاد وقوعه لأنّ ما هو قريب الوقوع شأنه أن

يكون معلوماً و المقصود على التقادير كلّها هو أنّه إذا لم يكن مماليككم مع نقصانكم و شدّة حاجتكم شركاءكم فيما لكم من أموالكم مع أنّهم مثلكم في الصورة والسيرة و قابليّة التصرّف لا يكون مماليك الحقّ جلّ شأنه مع شدّة ضعفهم و كمال نقصهم شركاءه في الالهيّة واستحقاق العبادة مع كمال قدرته و نهاية عظمته و عدم المشابهة بينه و بينهم بالطريق الأولى (كذلك) أي مثل ذلك التفصيل التمثيل الّذي يرفع الحجاب و يكشف المعاني ويوضحها (نفصّل الآيات) الدالّة على وحدة الصانع و استحقاقه للعبادة دون غيره (لقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم الصحيحة في تدبّر الأمثال ومعرفة حسن موقعها و مضربها والانتقال منها إلى المقصود، و فيه دلالة واضحة على شرف العقل وتعظيم العقلاء حيث جعل العقل باعثاً لتفصيل الآيات في الكتاب والعاقل مقصوداً من التكلّم والخطاب لأنّه ينتفع به دون غيره فلولم يكن عقل ولا عاقل لم يكن تفصيل ولا خطاب بل لم يكن كون و لامكان ولا إيجاد ولا زمان.

(ياهشام ثمّ وعظ أهل العقل) و زهّدهم عن الدّنيا (ورغّبهم في الآخرة) بعد دلالتهم على توحيد الذّات والصفات بالآيات والبينات (فقال: وما الحيوة الدّنيا إلاّ لعبٌ ولهو) شبّه التقلّب في الدّنيا والأعمال المختصّة بها باللّعب واللّهو ساعة قليلة لاشتراكهما في الاتعاب بلا منفعة و في المنع عمّا يورث منفعة أبديّة ولذّة حقيقيّة من الأعمال للآخرة (وللدّار الآخرة) خيرٌ من الدار الدنيا لعدم زوالها ودوام منافعها و لذّاتها بخلاف الدّنيا وذلك لأنّ الحقير الدّايم خير من العظيم المنقطع فكيف إذا كان الأمر بالعكس (للذين يتّقون) من الشرك والمعاصي، أو من الدنيا و زهرتها و أعمالها الشبيهة باللّهو واللّعب (أفلا تعقلون) التفاوت بين الدّنيا والآخرة ولا تعلمون أنّ الآخرة خير من الأولى أو التفاوت بين أعمالها ولا تعلمون أنّ أعمال الأولى بمنزلة اللّهو تعب بلا منفعة، و أعمال الثانية تورث منفعة دائمة غير منقطعة، و الهمزة للإنكار و إنكار النفي إثبات و المعنى أنتم تعقلون هذا التفاوت فوجب عليكم أن لا تستبدلوا الّذي هو أدنى بالّذي هو خير والغرض من الآية ذكر فضيلة

العقل ، ونحن نقدّم قبل بيانها الكلام في شيئين.

الأوّل : في الزّهد في الدّنيا و هو ضدّ الرغبة فيها وقد فسّر الزهد في بعض الأحاديث بأنّه الحبّ في الله والبغض في الله و ترك طول الأمل وترك حطام الدنيا و زينتها و عدم الالتفات إلى حرامها و هو يوجب معرفة القلب بحلاوة الايمان وتفرّغه للآخرة كماقال الصادق عليه السلام «حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الايمان حتّى تزهد في الدّنيا» (١) وقال: «ألا إنّه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتّى تزهدوا في الدّنيا» (٢) و قال : « كلّ قلب فيه شكّ أوشرك فهو ساقط و إنّما أرادوا بالزهد في الدّنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة» (٣) و من ادّعى رغبته في ثواب الآخرة و هو حريص على الدنيافهو كاذب لأنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال : « علامة الرّاغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدّنيا أما إنّ زهدالزاهد في هذه الدنيا لاينقص ممّا قسم الله عزّ وجلّ فيها وإن زهد، وإنّ حرص الحريص على عاجل زهرة الدّنيا لايزيده فيها و إن حرص ، فالمغبون من حرم حظّه من الآخرة (٤)» إنّ الزهد بالمعنى المذكور عمل يتوقّف على العلم بأحوال الدّنيا وانقلابها وعدم ثباتها ودوامها والعلم بأحوال الآخرة و دوامها ودوام سعادتها وشقاوتها فاذاحصل هذا العلم وصار ملكة أمكن الوصول إلى مقام الزهد بتوفيق الله تعالى.

الثاني في التقوى وقد فسّره الصادق عليه السلام : بأن لايفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك (٥) ، و بعبارة اُخرى ذكر الله عند ما أحلّ و حرّم فان كان طاعة عمل بها و إن كان معصية تركها فهوعبارة عن فعل الطاعات وترك المنهيّات والثاني أهمّ من الأول لأنّ الثاني يفيد في نفسه و ينمو معه الأوّل وإن قلّ ، والأوّل بدون الثاني لاينفع كما صرّح به صاحب العدّة (٦)، وفي خبر معاذ دلالة

(١و٢ و٣ و٤) الكافي كتاب الايمان والكفر باب ذم الدنيا والحرص فيها تحت رقم ٢ و١٠ و ٥ و ٦ على الترتيب .

(٥) المجلد الخامس عشر من بحار الانوار ج ١٥ ص ٩٥ من القسم الثاني.

(٦) أي عدة الداعي لابن فهد الحلي ـ رحمه الله ـ .

عليه و دلّ عليه أيضاً روايات اُخر، ثمّ التقوى خصلة عظيمة أوصى الله سبحانه بها الأوّلين والآخرين كماقال «ولقد وصينا الّذين أوتواالكتاب من قبلكم وإيّاكم أن اتّقواالله» و أثنى عليها كماقال : «و إن تصبروا و تتّقوا فانّ ذلك من عزم الأمور» وهي توجب حفظ النفس والمال من الأعداء كما قال: «و إن تصبروا و تتقوا لايضرّكم كيدهم شيئاً» وتوجب النصر من الله تعالى كما قال : « إن الله مع المتقين» و توجب محبته كما قال : « إن الله يحب المتقين » و توجب إكرامه كما قال : إنّ أكرمكم عندالله أتقيكم» و توجب إصلاح العمل كماقال : « ياأيها الّذين آمنوا اتّقوالله وقولواقولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم» و توجب قبول العبادة كما قال : « إنّما يتقبل الله من المتقين » و توجب البشارة عند الموت كما قال «الّذين آمنوا و كانوايتّقون لهم البشرى في الحيوةالدّنياوفي الآخرة » وتوجب النجاة من شدايد الدّنيا والرزق الحلال كما قال : « ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لايحتسب» و توجب تيسير الحساب كما قال : « و ماعلى الّذين يتّقون من حسابهم من شيء» و توجب النجاة من النّار كما قال : «ثمّ ننجّي الذين اتّقوا » وتوجب الخلود في الجنة كما قال : «اُعدّت للمتقين » و بالجملة هي حكمة عمليّة مركبة من العلم والعدل توجب محبّة صاحبهالله تعالى و محبّة الله تعالى لصاحبها ولاتحصل إلّا بمعرفة مصالح الجوارح والأعضاء و مفاسدها واكتساب الأوّل و ترك الثاني و ذلك بأن يعرف مثلاً مصالح القلب و مفاسدها و يكتسب العقائد الصحيحة و يجتنب عن العقائد الذّميمة و يعرف مصالح اللّسان و مفاسده و يكتسب الأقوال الصحيحة و يجتنب عن الأقوال الباطلة و على هذا القياس في ساير الأعضاء ولايكفي العمل بدون العلم لأنّه يوجب الخطأ والبعد عن الحقّ كثيراً مّا؛ ولا العلم بدون عمل فانّ من به داءٌ و علم أنّ هذا الدّواء ينفعه وذاك يضرّه و استعمل الثاني و ترك الأوّل لاينفعه علمه بل يصير سبباً لذمّه ولومه عرفاً و شرعاً بل اللّوم عليه أشدّ و أعظم من لوم الجاهل بمنافع الدّواء و مضارّه ، كما يرشد إليه قول مولانا الصّادق عليه السلام: يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم

ذنب واحد (٢).

إذا عرفت هذا فانظر إلى العقل كيف فضّله الله تعالى وشرّفه حيث جعله حاكماً على أفعال جميع الجوارح والأعضاء يميز بين صحيحها و سقيمها و حسنها و قبيحها ، ويقبل الصحيح والحسن ويردُّ السقيم والقبيح حتّى يحصل له بذلك السلطنة العظمى والفضيلة الكبرى وهي الوصول إلى غاية مدارج الزُّهد و نهاية مناهج التقوى ، فيمشي على بساط الحقّ في الآخرة والأُولى . وإلى العاقل كيف عظّمه و كرّمه حيث جعله مخاطباً بهذا الوعظ الشريف والخطاب المنيف تنبيهاً على تمامه و كماله و إنافة رتبته وحاله و على أنّه ينتفع به دون غيره ممّن صار لقوّة جهله و ضعف عقله ذليلاً و في عدم صلاحيّة الخطاب كالأنعام بل هو أضل سبيلاً .

(يا هشام ثمّ خوّف الّذين لايعقلون) أي خوّف الّذين لايستعملون عقولهم في الاتّعاظ بأحوال الماضين والاعتبار من استيصالهم للشرك وارتكاب المعاصي والقبايح ولايتبعون الرّسول فيما جاء به من التوحيد والصفات و غيرهما من المعارف و و الشرايع (عقابه) بتدمير أمثالهم و إنزال الرجز عليهم من السّماء ليمتنعوا عن الأعمال الشنيعة والأفعال القبيحة (فقال عزّوجل ثم دمّرنا الآخرين) بعد تنجية لوط و أهلـه إلاّ أمرأته فإنّها كانت من الغابرين ، و كيفية تدميرهم أنّه اقتلع جبرئيل عليه السلام قريتهم لسوء صنيعتهم بجناحه من سبع أرضين و معه من الملائكة ميكائيل و إسرافيل و كروبيل ثمّ رفعها حتّى سمع أهل السماء الدُّنيا نباح الكلاب و صياح الديكة ، ثمّ قلبها و أمطر عليها وعلى من حولها حجارة من سجّيل (وإنّكم) يا أهل مكّة أو أهل الضلالة (لتمرّون) في متاجرتكم و مسافرتكم إلى الشـام (عليهم) أي على منازلهم فإنّ قريتهم وهي سدوم بفتح السّين في طريقه بين القدس والكرك (مصبحين) أي داخلين في الصباح (وباللّيل)أي بالمساء يعني داخلين في هذا الوقت أو نهاراً وليلاً . قال القاضي و غيره : لعلّها وقعت قريب منزل يمرُّ بها المرتحل عنه صباحاً والقاصد لها مساء (أفلاتعقلون) أي أفليس لكم عقل تعتبرون

---

(٢) سيأتي في كتاب العلم انشاء الله تعالى .

به و تعلمون أن تدميرهم و إهلاكهم لمعصية ربّهم و مخالفة رسولهم لكي تطيعوا ربّكم وتتّبعوا رسولكم فيما جاء به من التوحيد والشرايع و تتركوا الشرك و المعصية و تنجوا من وبال الدّنيا و نكال الآخرة، والإنكار للتوبيخ على عدم استعمالهم العقول في الاعتبار والاستبصار بمثل هذه الآية الجليّة الدالة على وخامة حال أهل المعصية (وقال إنا منزلون) من الانزال على القراءة المشهورة و قرأ ابن عامر بالتشديد (على أهل هذه القرية) هي سدوم قرية قوم لوط عليه السلام وهذا خطاب الملائكة معه بدليل قوله تعالى قبله «ولمّا أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً و قالوا لاتخف ولاتحزن إنّا منجّوك و أهلك إلّا امرأتك كانت من الغابرين» و إنّما قدم التنجية على التعذيب لوجوه سنحت لي: الأوّل أن التنجية من آثار الرّحمة والتعذيب من آثار الغضب وقد سبقت رحمته غضبه. الثاني أنّ بشارة أحد بالنفع العايد إليه أدخل في السرور من بشارته بالضرّ العايد إلى عدوّه. الثالث أنّ في التنجية إشارة إجماليه إلى العذاب فاذا وقع العذاب بعده وقع بعد الطلب والواقع بعد الطلب أهمّ وأوقع في النفس و أدخل في التعظيم. الرّابع أن لايتطرّق الحزن إلى خاطره عليه السلام إذ لو قدم تعذيب أهل القرية على تنجية المؤمنين كان ذلك موهماً ابتداء لتعميم العذاب و شموله كلّ من فيها (رجزاً من السماء) أي عذاباً و اختلفوا فيه فقيل: هو حجارة من سجّيل، وقيل: هو نار، وقيل: هو تقليب الأرض وجعل عاليها سافلها والمراد بانزاله إنزال مبدئه والقضاء به من السماء لاعينه (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم و فيه دلالة على استمرارهم فيه و عدم انزجارهم عنه أصلاً، و إنّما علّل التعذيب بالفسق دون التنجية بالايمان و نحوه لأنّ الرّحمة بالذّات فلايحتاج إلى التعليل بخلاف الغضب فإنّه أمر عرضي نشأ لعلّة (ولقد تركنا منها) أي من القرية (آية بيّنة) دالة على سوء عاقبة الفاسقين، قيل: هي حكايتها الشايعة، و قيل: هي آثار الدّيار الخربة، و قيل: هي الحجارة الممطورة بعد تقليب الأرض فانّها كانت باقية بعده، و قيل: هي الماء الأسود فانّ أنهارها

صارت مسوّدة (لقوم يعقلون) أي لقوم لهم عقل و بصيرة فيستبصرون و يعتبرون أنّ الفسق يوجب خراب الدّيار وعقوبة الدنيا والآخرة.

(يا هشام إنّ العقل مع العلم) المراد بالعقل هنا نور يعرف به حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر وهو العقل بالفعل أو العقل المستفاد، والعلم هو هذه المعرفة ولا خفاء في التلازم بينهما و عدم انفكاك أحدهما عن الآخر و إنّما آكده مع ظهوره دفعاً لتوهّم ما هو المتعارف عند الجمهور حيث يقولون لمن له روّية و كياسة في أُمور الدّنيا أنّه عاقل فإنّ تلك الرويّة ليست بعقل بل هي شيطنة و نكراء وما هو المتعارف عندهم أيضاً حيث يطلقون العقل على الغريزة الّتي يتميّز الإنسان بها عن البهائم فإنّ ذلك يتحقق في الصبيان والجهّال مع أنّهم معزولون عن المدح والكمال بل المراد به ذلك النور الذي لا يفارق العلم والعرفان والعقلاء هم العلماء الربّانيّون والحكماء الإلهيّون (١) الّذين قال الله تعالى في شأنهم «يؤتي الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» (فقال و تلك الأمثال) لما مثل سبحانه حال الّذين اتّخذوا من دون الله أولياء و اتّكلوا عليهم و اعتمدوا بهم بحال العنكبوت اتّخذت بيتاً في الوهن والضعف فكما أنّ الثاني لا يقي الحرّ و البرد وينهدم بورود أدنى شيء عليه كذلك الأوّل لا يدفع حرّ العذاب عنهم يوم القيمة ولا يقيهم شرّ ذلك اليوم ولا ينهدم أساسه بالكليّة بورود صرصر غضب الله عليهم عقّبه بقوله وتلك الأمثال إشارة إلى المثل المذكور ونظايره من الأمثال المذكورة في القرآن المجيد (نضربها للناس) تقريباً لما بعد من أفهامهم و تفهيماً لما شرد

---

(١) قوله : «والحكماء الالهيون» مدح الحكماء و تعظيم الحكمة لا ينافي ما تقدم منه و ما يأتي في بعض عباراته من تخطئة الفلاسفة لان الغرض من ذم الفلاسفة المقلدة منهم كما ذكرنا لا الذين يستمعون القول و يتبعون احسنه . و الحكماء أنفسهم يتبرمون ممن يتناول الحكمة و ليس له بأهل وليس له هم الاحفظ الاصطلاح و سماهم الفارابي الفيلسوف البهرج . (ش)

عن أذهانهم إذ المثل يبرز المعقول بصورة المحسوس و ذلك أسهل في التفهيم وأجدر في التعليم لمن ألف طبعه بالمحسوسات و اشمأز عقله عن المعقولات و لذلك قال سيد المرسلين «نحن معاشر الأنبياء اُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»(١) (وما يعقلها إلاّ العالمون) لأنّهم يعرفون بنور بصيرتهم و ضياء سريرتهم حسن مبانيها ولطف معانيها و كيفيّة ارتباطها بالمقصود و طريق دلالتها على المطلوب و ينتقلون من ظاهرها إلى باطنها و من محسوسها إلى معقولها بل يجدون عالم المحسوس كلّه مثالاً لعالم المعقول و يعلمون أنّ كلّ صورة محسوسة في هذا العالم لها صورة حقيقيّة وحقيقة عقليّة في العالم المعقول يرشد إلى ذلك ما نقل عن أبي جعفر عليه السلام حين سأله النصراني فقال له: أخبرني عن أهل الجنّة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون أعطني مثلهم في الدّنيا فقال عليه السلام: «هذا الجنين في بطن اُمّه يأكل ممّا تأكل اُمّه ولا يتغوّط» (٢) وما نقل عن بعض أئمّتنا عليهم السلام حين سئل عن الأجساد المعادة يوم القيمة هل هي عين الأوّل أو غيره قال: لاعينه ولاغيره، فقيل: أخبرني عن مثله في الدّنيا فقال مثل اللّبنة المضروبة بقالب مخصوصة فإنّها إذا كسرت و ضربت تارة اُخرى بذلك القالب ليست عين الاُولى ولاغيرها «(٣) وبالجملة ما من صورة في الدّنيا إلاّ وله حقيقة في عالم العقول والآخرة (٤) و ما من معنى حقيقيّ فيهما

(١) الكافى كتاب العقل والجهل - ح ١٥ .

(٢) رواه الراوندى فى الخرائج والجرائح ص ١٩٧ فى حديث طويل .

(٣) راجع بحار الانوار المجلد الثالث باب اثبات الحشر وكيفيته ص ١٩٠ الى ٢٠٠.

(٤) قوله «فى عالم العقول والاخرة» ما فى عالم العقول وعالم الاخرة حقيقة وما فى الدنيا صورة لها وتلك الحكم والمصالح والجمال التى نراها فى الموجودات الدنيوية ليست الا ظلا لوجود حقايقها فى ذلك العالم الا ترى أن الخاتم اذا كانت كتابته حسنة جيدة كان النقش الذى يرتسم به على القرطاس خطاً حسناً وظل الجسم مثله فى الشكل كذلك كل موجود فى الدنيا كالنقش فى القرطاس من خاتم روحانى ولا يعرف ذلك الا الراسخون «ش»

إلاّ وله مثال وصورة في الدنيا ولايعلم ذلك إلاّ العلماء الراسخون في العلم الناظرون إليها بنور العقل، و أمّا الجهّال فهم الغافلون عن ذلك ولا يعلمون إلاّ ما هو ظاهر محسوس بل لايدركون من الظواهر إلاّ مايدركه سائر البهائم فأولئك كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً .

(يا هشام ثمّ الّذين لايعقلون) مدارك اُصول العقايد ولا يفهمون مانطقت به الشريعة من فروع القواعد (فقال: إذاقيل لهم) الضمير للناس في قوله تعالى: «ياأيّها النّاس كلوا ممّا في الأرض حلالاً طيّباً ولاتتّبعوا خطوات الشيطان» على سبيل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة للتنبيه على بعدهم عن رتبة الخطاب بسبب سلوكهم

☆ في العلم و سائر الناس يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون و أين الطبيعة من نقش ألوان ريش الطاووس لولا أن ذلك عكس اما كس جميل روحاني بدا صورته فيه كنقش الخاتم و لذلك نقول لاقبح ولاشر في الوجود كماهو، ويتبادر الى الذهن من هذه العبارة ان عالم المعقول و عالم الاخرة واحد في مقابل الدنيا و أن حقيقة واحدة تكون في الدنيا مثالا وصورة ، و في الاخرة اوعالم المعقول معنى حقيقياً و ربما يتوهم الجاهل من امثال هذه العبارات أن قائلها معتقد للمعاد الروحاني فقط دون الجسماني اذ جعل عالم الاخرة عالماعقلياً وأن عالم الاجسام عنده هوالدنيا دون الاخرة و ليس مرادهم نفي المعاد الجسماني قطعا بل الشارح و اترابه قائلون بتجسم الاعمال و المعاني المجردة والاعتقادات في الاخرة كما مر التصريح به منه و سيصرح به أيضا و تعبيراتهم هنا مبنية على ذلك فأجسام عالم الاخرة باعتبار ان منشأ وجودها هو الاعمال الصالحة و الملكات الحسنة أمر حقيقي معنوى و باعتبار أنفسها أجسام اخروية أيضاً و الاجسام الدنيوية تحفظ حقيقتها و ماهيتها في الاخرة و تبطل عنها صورتها و مثالها الدنيوى كما مثل باللبنة المضروبة بقالب فانها اذا كسرت بطلت عنها صورتها الأولى و يبقى حقيقتها و هي الطين فيضرب بصورة اخرى غير الصورة الدنيوية (ش) .

طريق التقليد الذي هو خارج عن منهج الصواب وإنّما عقّب الآية المذكورة بهذا الذمّ للتنبيه على التقليد من جملة خطوات الشيطان (اتّبعوا ما أنزل الله) قيل المأمورون بالاتّباع هم المشركون فالموصول حينئذ عبارة عن القرآن و ما اشتمل عليه من أصول الشرايع و فروعها ومواعظها و نصائحها ممّا ينتظم به نظام الدّنيا والآخرة وقيل : هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فالموصول على هذا يشمل التورية أيضاً لأنّ التورية أيضاً تدعو إلى الإسلام و الإقرار بنبيّنا ﷺ و بما أنزل الله سبحانه إليه (قالوا : بل نتّبع ما ألفينا) أي ماوجدنا (عليه آباؤنا) قدم الظرف على المفعول به لقرب المرجع أو لقصد الحصر أو للاهتمام لاشتماله على ضمير دينهم الّذي هو مستحسن عندهم (أولو كان آباؤهم) الهمزة لانكار فعل مقدّر والتّعجب منه والواو للحال و معناه أيتّبعون آباءهم و الحال أنّ آباءهم (لايعقلون شيئاً) من الحقّ مثل صفات الواجب و أفعاله و كتبه و رسله و ما جاء به رسله ممّا يكمل به نظام الخلق عاجلاً و آجلاً (ولايهتدون) إليه لعميان بصيرتهم و فقدان ضياء سريرتهم ويجوز أن يكون الواو للعطف على ذلك المقدّر و جزاء الشرط محذوف و معناه لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون لاتّبعوهم والآية تدلّ على وجوب النظر والمنع من التقليد أعني الرّجوع إلى الغير والاخذ منه بغير بصيرة مطلقاً خرجت الفروع بالاجماع كما قيل فبقيت الأصول مندرجة تحت المنع هذا إذا لم يعلم ذلك الغير صادقاً محقّاً و إمّا إذا علم كالأنبياء و الأوصياء فاتّباعه واجب ولايسمّى ذلك تقليداً في العرف بل هو اتّباع لما أنزل الله ، قيل : وجوب النظر شرعاً محال لأنّه لووجب النظر فأمّا على العارف و هو تحصيل الحاصل أو على غيره و هو دور لتوقّف وجوب النظر على معرفة إيجاب الله إيّاه وهي متوقّفة على معرفة ذاته وهي متوقّفة على معرفة وجوب النظر واُجيب بأنّ معرفة إيجابه متوقّفة على معرفة ذاته باعتبار مّا و بوجه من الوجوه والمتوقّف على وجوب النظر هو معرفة ذاته بوجه أتمّ أقول : هذا لوتمّ فإنّما يتمّ في وجوب النظر على صفاته و أفعاله و آثاره وأمّا على أصل وجوده فلا، لأنّ معرفة إيجابه

متوقّفة على معرفة ذاته والتصديق بوجوده كما لايخفى والأحسن أن يقال معرفة ذاته لايتوقّف على وجوب النظر لجواز حصولها بالنظر وإن لم يجب ومنهم من أوجب التقليد في الأصول و حرم النظر لأنّ الشبهات في الأنظار كثيرة والنظر مظنّة الوقوع (١) في الضلالة وهي في الأُصول كفر بخلاف التقليد فانّه أسلم لعدم مشاهدة المقلّد تلك الشبهات فوجب لوجوب الاحتراز عن مظنّة الضلالة إتّفاقاً و الجواب أنّه إن اُريد بالتقليد تقليد أهل العصمة عليهم السلام فلاينبغي النزاع فيه إلاّ أنّ ذلك لايسمّى تقليداً ولكن لامشاحة في الاصطلاح وإن اُريد به مطلقاً ففيه أنّ المظنّة

---

(١) قوله: «مظنة الوقوع في الضلالة» قال العلامة المجلسي في كتاب حق اليقين ما معناه «اختلفوا في انه يشترط في الايمان اليقين او يكفي الظن القوي وأيضاً في انه يجب ان يكون بالدليل او يجوز فيه التقليد وهذان الخلافان متقاربان و ظاهر كلام العلامة و اكثر العلماء انه يجب تحصيل اليقين بالبرهان و بعضهم ادعى الاجماع عليه الى ان قال في صدر الاسلام كانوا يكلفون الناس باظهار العقائد و يأمرونهم بالطاعات و العبادات ولا يعرضون عليهم دليل الدور والتسلسل لانه مادة التشكيك ولذلك نرى بعض العباد والزهاد الذين لم يمارسوا تلك العلوم يقينهم أكمل من اكثر المدققين من العلماء الذين صرفوا اكثر عمرهم في الشكوك والشبهات» الى آخر ماقال. أقول: ولاريب ان الصحيح ماذكره الشارح مع انا لم نر احداً نقل في كتاب حديث او تاريخ او سيرة ان رجلا من المسلمين في صدر الاسلام اكتفى في ايمان الكافر بالظن على ماادعاه المجلسي رحمه الله و شعار المسلمين اشهدان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله و لفظ اشهد يدل على اليقين ولو قال الكافر اظن ظنا قويا ان الله واحد واظن أن محمداً (ص) نبي لم يعد مسلماً في عهد ووقت، فالاجماع على وجوب تحصيل اليقين حق والناس مفطورون على بطلان الدور و التسلسل وان لم يعرفوا اسمهما ولم يقدروا على تقرير دليل بطلانهما لفظا وان قال رجل ولدني ابني ضحك منه الناس لانهم يبطلون الدور ولو قال انا املح الاطعمة كلا من الاخر من غير ان يكون لي ملح ضحكوا منه أيضاً والعالم الذي ايمانه اضعف من العوام ليس عالماً البتة بل هو حافظ للاصطلاحات من غير أن يفهم معناها وقد بين الشارح ذلك في شرح المقدمة أتم بيان (فليراجع صفحة ٥٢ وما بعدها) (ش).

أي مظنّة الضلالة تجري في التقليد أيضاً لأنّ المقلّد إمّا يقلّد ناظراً أو مقلّداً آخر فعلى الأوّل يلزم المحذور المذكور وهو الوقوع في الضلالة مع زيادة وهي احتمال كذب الناظر في صدور النظر منه، و على الثاني فامّا أن لا ينتهي سلسلة التقليد إلى ناظر فيلزم التسلسل وهو باطل أو ينتهي فيلزم ذلك المحذور مع احتمال كذب ذلك الناظر بخلاف ما إذا كان هو ناظراً بنفسه فانّه لا يجري فيه هذا الاحتمال لأن الانسان عالم بما أدّى إليه نظره فالتقليد أولى وأجدر بأن يكون حراماً (وقال مثل الّذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلّا دعاء ونداء) هذه الآية في القرآن متّصلة بالآية السابقة ولما ذمّ الكفرة في الآية السابقة بسبب التقليد لآبائهم وعدم متابعتهم لما أنزل الله وعدم التدبّر والنظر فيه ضرب لهم مثلاً متضمّناً لتشبيههم بالبهائم في عدم فهم المقصود من الخطاب توضيحاً لسوء حالهم، فان قلت : الّذين كفروا هم المدعوّون إلى دين الحقّ والّذي ينعق هو الداعي للبهائم فلا مطابقة بين المشبّه والمشبّه به؟ قلت : للناظرين في هذه الآية اختلاف في تفسيرها و حلّها ، فمنهم من قدّر مضافاً ومنهم من حملها على ظاهرها، فأمّا الّذين قدّروا مضافاً فمنهم من قدّره في جانب المشبّه و قال تقديره و مثل داعي الّذين كفروا و هو الرّسول و من يحذ وحذوه في إلقاء الخطاب إليهم وعدم فهمهم لما هو المقصود منه وعدم استبصارهم به لانهماكهم في التقليد و استحسانهم دين آبائهم كمثل داعي البهائم الّذي ينعق بها وهي لا تسمع إلّا دعاء و نداء الّذي هو تصويت بها ولا تقف على شيء آخر فقد شبّه الكفرة المقلّدين في عدم فهمهم لما يسمعون من الرّسول بالبهائم الّتي تسمع الصوت من الرّاعي ولا تفهم معناه ، و منهم من قدّره في جانب المشبّه به وقال : تقديره كمثل بهائم الّذي ينعق ، و معناه مثل الّذين كفروا في عدم فهم ما ألقى إليهم من الخطاب كمثل بهائم الرّاعي الّذي يتصوّت بها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه ، و تحسّ بالنداء ولا تفهم معناه والمعنيان متقاربان أو معناه ومثلهم في اتّباعهم آباءهم والتقليد لهم على ظاهر حالهم وعدم فهمهم أهم على حقّ أم على باطل كمثل بهائم الرّاعي الّتي لا تسمع إلّا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته .

و أمّا الّذين حملوها على ظاهرها فقيل : معناها مثل الّذين كفروا في دعائهم أصنامهم الّتي لاشعور لها بدعائهم و خطابهم كمثل الرّاعي الّذي يصوّت بالبهائم الّتي لاتسمع إلاّ دعاءً ونداءً ؛ فقد شبّه الأصنام بالبهائم في عدم الفهم المتحقّق في الطرفين ؛ وتحققه فيهما و إن لم يكن متوقّفاً على قوله إلاّ دعاءً و نداءً ، لكن الغرض من ذكره زيادة المبالغة في التوبيخ والذمّ إذ لاشبهة في أنّ من دعى بهيمة لاتسمع إلاّ دعاءً و نداءً عن جاهلاً ضعيف العقل سخيف الرأي، فمن دعا صنماً لايسمع شيئاً كان أولى بالذمّ والسخافة و بما قرّرنا ظهر اندفاع ما أورده القاضي وصاحب الكشّاف من أنّ هذا التفسير لايساعده قوله إلاّ دعاءً و نداءً لأنّ الأصنام لاتسمع شيئاً و أجاب عنه القاضي بأنّ التشبيه من باب التمثيل المركّب و التشبيه غير معتبر في مفرداته و هذا مدفوعٌ بأنّ التشبيه و إن كان مركّباً لكن المذكور في الجانبين لا بدّ أن يكون له مدخل في التشبيه و إن يكون ما اعتبر في أحد الجانبين ممّا له مناسبة في الجانب الآخر، وقيل: معناها مثل الّذين كفروا في قلّة عقلهم و ضعف حالهم في عبادة الأصنام كمثل الراعي الّذي ينعق بالبهائم فكما أنّ هذا يقضي على الرّاعي بقلّة العقل فكذا ذاك ، فوجه التشبيه قلّة العقل و قيل : معناها مثلهم في اتّباعهم آباءهم والرّسوخ في دينهم بالتقليد لهم كمثل الرّاعي الّذي ينعق بالبهائم فكما أنّ الكلام مع البهائم عديم الفائدة كذلك التقليد ، ثمّ بالغ في ذمّهم على التقليد و عدم النظر فيما أنزل الله إليهم .

بقوله (صمٌّ بكمٌ عميٌ) رفع على الذّم من باب التشبيه البليغ أي هم بمنزلة الصمّ حيث تركوا العمل بما سمعوه فكأنّهم لم يسمعوه لفوات الغرض الأصلي منه و هذا كما يقال لعالم لم يعمل بعلمه : إنّه ليس بعالم ، و بمنزلة البكم حيث لم يتكلّموا بالحقّ ولم يستجيبوا لما دعوا إليه و قالوا : « بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا » و بمنزلة العمي حيث أعرضوا عن الدّلائل الساطعة و البراهين القاطعة فكأنّهم لم يشاهدوها و بالجملة لمافات منهم الغرض من السماع والتكلّم والإبصار

فكأنّه فقد عنهم تلك الآلات، و يمكن حمل الكلام على الحقيقة و ذلك لأنّه كما يكون للإنسان مؤمناً كان أو كافراً سمعٌ ظاهريٌّ به يدرك المسموعات و نطقٌ ظاهريٌّ به يتكلّم بالكلمات و بصرٌ ظاهريٌّ به يدرك المبصرات كذلك يكون للمؤمن قوّة باطنيّة بها يفرق بين الحقّ والباطل وهي من حيث أنّها الحاكمة في المسموعات فارقة بين صحيحها و سقيمها تسمّى سمعاً عقليّاً ومن حيث أنّها فارقة بين الأقوال الصادقة والكاذبة تسمّى نطقاً عقليّاً، و من حيث أنّها فارقة بين المبصرات تسمّى بصراً عقليّاً ، وقد يطلق البصيرة على قوّة بها تدرك النفس صور الحقايق الكلّيّة بلا آلة و أمّا الّذين كفروا ، و اتّبعوا أقوال آبائهم ، و تركوا ما سمعوهُ من كلام داعي الحقّ و لم ينظروا فيما شاهدوه من الدّلائل فهم فاقدون لتلك القوّة العقليّة فهم صمٌّ بكمٌ عميٌ حقيقة حيث لم يكن لهم سمع و نطق و بصيرة عقليّة أصلاً ، و نسبة العمى إلى القلب أولى من نسبته إلى العين كما يشعر به قوله تعالى « لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصدور » (فهم لايعقلون)(١) أي لا يعقلون فرقاً بين الحقّ والباطل ولايتفكّرون فيما أنزل الله ولاينظرون إليه بعيون عقولهم ليعلموا أنّه الحقّ من ربّهم.

(و قال : و منهم) أي ومن المكذّبين الّذين سارعوا إلى تكذيب القرآن و ما اشتمل عليه من الحشر والنشر والثواب والعقاب، و سائر ما يخالف دينهم و دين آبائهم قبل أن يقفوا على معانيه وينظروا إلى مبانيه حتّى يتبيّن لهم أنّه صدق (من يستمع إليك) إذا قرأت القرآن و علّمت الشرايع ولكن لايقبلون كالأصم الّذي لايسمع أصلاً لغلبة الشقاوة عليهم وإحاطة الغواية بهم بسبب التقليد والالف بالباطل و معارضة الوهم (أفأنت تسمع الصمّ ولو كانوا لايعقلون) أي أفأنت تقدر على إسماعهم ولو انضمّ إلى صممهم عدم تعقّلهم شيئاً من الحقّ لقساوة قلوبهم و جمود طبايعهم و خمود أذهانهم حتّى صاروا بمنزلة البهائم ، فيه تنبيه على أنّ الإعراض عن نصح أمثالهم أولى لأنّ من شرائط النصيحة أن يكون للمنصوح قوّة سامعة و بصيرة قلبية فاذا انتفت إحداهما أو كلاهما فالاعراض عنها حريٌّ ولذلك

ترى الطبيب الحاذق إذا علم استيلاء المرض و عدم قبوله للعلاج يعرض عنه، قيل: هذه الآية تدلّ على أن السّمع أفضل من البصر لأنّه قرن ذهاب العقل بذهاب السمع لابذهاب البصر فالسّمع أفضل و يرشد إليه تقديمه فيما قبل أيضاً و يدلّ عليه أيضاً قوله تعالى: «إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع» فجعل السمع قرينا للقلب، والمراد به العقل دلّ على أنّه أفضل، و قوله تعالى: «لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير» فانّهم جعلوا السمع مثل العقل سبباً للخلاص عن السعير، و قيل: البصر أفضل من السمع لأنّ آلة القوّة الباصرة هي النور و آلة القوّة السّامعة هي الهواء، والنور أشرف من الهواء فالبصر أفضل من السمع، و لأنّ البصر يرى مافوق سبع سماوات والسمع لايدرك ما بعد عنه على فرسخ فكان البصر أقوى، ولأنّ محلّه الوجه وهو أشرف الأعضاء و للطرفين مؤيّدات و تزئيفات لايناسب المقام ذكرها.

(و قال أم تحسب) «أم» حرف عطف في الاستفهام و لها موضعان أحدهما أن يكون متّصلة بما قبلها وهي تقع دائماً معادلة لألف الاستفهام ولا تستعمل بدونها تقول: أزيد في الدّار أم عمرو و تعلم أنّ الكائن فيها أحدهما و تطلب التعيّن والمعنى أيّهما فيها، و شرطها أن يكون أحد المستويين يليها والآخر يلي الهمزة بلا فصل والثاني أن يكون منقطعة عمّا قبلها خبراً كان أو استفهاماً تقول في الخبر أنّها لابل أم شاة ياقتى، و ذلك إذا نظرت إلى شخص فتوهمّته إبلاً فقلت ما سبق إلى وهمك، ثمّ أدركك الظنّ أنّه شاة فانصرفت عن الأوّل و قلت أم شاة بمعنى بل أشاة إلاّ أنّ ما يقع بعد «بل» يقين، و ما بعد «أم» مظنون، و تقول في الاستفهام: هل زيد منطلق أم عمرو يافتى، إنمّا أضربت عن سؤالك عن انطلاق زيد وجعلته عن عمرو والمعنى بل عمرو منطلق، إذا عرفت هذا فنقول: «أم تحسب» عطف على قوله تعالى «أفأنت» في الآية المتّصلة به في القرآن العزيز و هي قوله تعالى: «أرأيت من اتّخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً» والاستفهام الأوّل للتقرير والتعجيب، والثاني لانكار الفاعل، والثالث لانكار الفعل و «أم» ههنا

ليست متّصلة لانتفاء الشرط المذكور، بل هي منفصلة إضراب عن الأوّل إلى ما هو أشدّ مذمّة منه حتّى حقّ بالاضراب عنه إليه، والمعنى بل أتحسب (أنّ أكثرهم يسمعون) آيات القرآن و الحجج المنزلة للتحدّي بها (أو يعقلون) معانيها الدّقيقة و لطائفها الخفيّة و حقايقها الجليّة و فيه قطع لاهتمامه بشأنهم و طمعه بإيمانهم و خصّ الأكثر بالذّكر لأنّ منهم من عرف الحقّ و آمن به، و منهم من عرفه و أنكره عناداً أو استكباراً أو خوفاً على فوات الرّياسة (إن هم إلاّ كالأنعام) و في عدم انتفاعهم بما يقرع آذانهم من الآيات و عدم تدبّرهم فيما شاهدوا من الدّلائل والمعجزات وفيه تنبيه على أنّ تميّز الانسان في الحقيقة عن غيره من الحيوانات ليس بحسب الصورة المحسوسة بل بحسب الحقيقة الانسانية الّتي بها يدرك المعقولات المفصّلة و يميّز بين الحقّ والباطل فاذافسدت تلك الحقيقة وبطل فعلها ارتفع التميّز وحصّل التشابه (بل أضلّ سبيلاً) من الأنعام لأنّها تنقاد لصاحبها و تميّز المحسن إليها من المسيء، و تطلب ما ينفعها و تجتنب عمّا يضرّها وهؤلاء لاينقادون لربّهم، ولايميّزون إحسانه من إساءة الشيطان ولا يطلبون ثوابه الّذي هو أعظم المنافع، ولايجتنبون عن عذابه الّذي هو أشدّ المضارّ ولأنّها لم تعتقد حقّاً ولم تكتسب خيراً ولم تعتقد باطلاً ولم تكتسب شرّاً بخلاف هؤلاء فانّهم اعتقدوا باطلاً و اكتسبوا شرّاً، و لأنّ جهالتها لاتضرّ باحد و جهالة هؤلاء تهيّج الفتن و تصدّ الناس عن الحقّ، و لأنّها تتخلّص بالموت و نفوسهم الشريرة باقية أبداً متألّمة محزونة منكوسة إلى أسفل السافلين، و لأنّها غير متمكّنة من طلب الكمال فلاتقصير منها ولاذمّ و هؤلاء مقصّرون مستحقّون للبعد عن حضرة القدس.

و توضيح ذلك أنّ للأنعام صورة ظاهريّة محسوسة وحقيقة باطنيّة معدّة لأفعال مخصوصة و آثار معلومة وتلك الصورة دائماً مطابقة لهذه الحقيقة لاتتعدّاها إلى غيرها، مثلاً الأسد أسدٌ بحسب الصورة و بحسب الحقيقة الباطنيّة السبعيّة، والذئب ذئبٌ بحسب الصورة وبحسب الحقيقة الباطنيّة الضاريّة، والحمار حمارٌ

بحسب الصورة و بحسب الحقيقة الباطنيّة الناهقيّة ، وتلك الحقيقة لا تقدر أن تبطل آثارها و خواصّها بخلاف الإنسان فإنّه إنسان بحسب الصورة والحقيقة الرّوحانيّة القلبيّة وهي مستعدّة لاكتساب الضدّين اكتساب الخير والشرّ و قابلة للتحلّي بالفضائل والتدنّس بالرّذايل ، فاذا اعتقد شيئاً أو فعل فعلاً و استمرّ فيه صار ذلك ملكة يصدر منها الأفعال بسهولة وتلك الملكة صورة باطنيّة فان كانت ملكة الفضايل طابقت الصورة الظاهرة تلك الصورة الباطنة ويترقّي بذلك الانسان إلى أن يتّصل بملاء الرّوحانيّين ويصير من أصحاب اليمين و يعدّ من السابقين ، و إن كانت ملكة الرّذايل والكفر والزّندقة خالفت الصورة الظاهرة تلك الصورة الباطنة ويتنزّل الانسان بذلك إلى أسفل السافلين و يصير من أصحاب الشمال ويعد من الخاسرين ، فصورته الظاهرة صورة إنسان و صورته الباطنة صورة كلب أو خنزير أو سبع أو شيطان أو أخسّ منها ولكن لا ترى هذه الصورة في الدّار الدّنيا لكونها دار التباس و دار تدليس و دار تكليف إلّا من منحه الله سبحانه و تعالى بزيادة بصيرة قلبيّة بمجاهدات نفسانيّة و رياضات جسمانيّة و مكاشفات روحانيّة ، فانّه قد يظهر له هذه الصورة على ما هي عليه في نفس الأمر لكن لا من حيث أنّه في هذا العالم بل كأنّه في عالم آخر بين العالمين (١) ولقد رأى بعض الصالحين ـ ممّن اُصدّقه في عقايده و أعماله ـ جماعة من الناس في جنب كلّ واحد منهم كلب بحقيقة الكلبيّة وصورته ، له ذنب و اُذن و عينان و رأس وفم وشعر مثل الكلب المشاهد . وأمّا دار الآخرة فلمّا كان موطن بروز الحقايق بصورها الذّاتيّة بلا التباس يحشر بعض الناس على صورة القردة والخنازير أو الكلاب أو الذّرّ ، فأولئك لعدم المطابقة بين ظاهرهم و باطنهم و إبطالهم الحقيقة الانسانيّة وإفسادهم قوة الاستعداد للسعادة الاُخرويّة أضلّ من الأنعام المطابقة بين ظاهرها و باطنها و عدم إبطالها الحقيقة الحيوانيّة و

(١) وهو عالم البرزخ المتوسط بين العالم المادى المحسوس وعالم الاخرة وصور عالم البرزخ ذات مقدار مجرد عن المادة بخلاف صور هذا العالم فانها مادية و بخلاف صور العالم الروحانى المجرد عن كل شيء (ش).

و القوّة الاستعداديّة.

(و قال لايقاتلونكم) ضمير الخطاب للرّسول و من معه من المؤمنين و ضمير الغائب لليهود والمنافقين إذ وعد المنافقون اليهود بالنصرة على قتال المؤمنين (جميعاً) أي مجتمعين في محاربتكم (إلاّ في قرى محصّنة) بالحصون والقلاع و الدّروب والخنادق (أومن وراء جدر) لشدّة رهبتهم منكم، واممّا توهّم منه أن يكون ذلك لضعف حالهم و قلّة عدّتهم و عُدّتهم دفعه على سبيل التكميل بقوله (بأسهم بينهم شديد) يعني ليس ذلك لضعف حالهم و قلّة شوكتهم إذ يشدّ بأسهم إذا حارب بعضهم بعضاً بل لأنّ الله تعالى قذف الرّعب في قلوبهم و الرّهبة في صدورهم (تحسبهم جميعاً) أي مجتمعين في المحاربة متّفقين على الاُلفة والمحبّة (وقلوبهم شتى) أي متفرّقة غير متّفقة في الأمر لاختلاف عقايدهم و افتراق مقاصدهم ، و ذلك يوجب اختلافهم في الاُمور و فيه تقوية للمؤمنين وتحريضهم على القتال (ذلك) أي تشتّت قلوبهم و هذا و إن كان معنى غير محسوس لكن لظهور آثاره أعني تباين كلمتهم و افتراق شملهم صار بمنزلة المحسوس فاستحقّ الاشارة إليه (بأنّهم) أي بسبب أنّهم (قوم لايعقلون) إذ العقلاء متوافقون في أمر ظاهراً و باطناً و قلوبهم غير متفرّقة فيه لأنّ دينهم واحد بخلاف الجهلاء ، لأنّ طرق الجهل متعدّدة فلاجرم قلوبهم متفرّقة متفاوتة بحسب تفاوت أغراضهم ، و لذلك قيل : العقل فنّ واحد والجنون فنون، ويحتمل أن يكون المراد أنّهم قوم لايفقهون ما فيه صلاحهم وبقاء شملهم وإنّ تشتّت قلوبهم يوجب وهنهم و افتراقهم ، ففي الأوّل إشارة إلى علّة التشتّت و في الثاني إلى عدم علمهم بغايته ، و لك أن تجعل ذلك إشارة إلى شدّة بأسهم بينهم واختيارهم قرىً محصّنة خوفاً من المؤمنين يعني أنّ كلّ ذلك لعدم عقلهم إذ العقلاء لابأس بينهم بل هم كنفس واحدة ولايخافون إلاّ الله ولايرهبون إلاّ منه ، وهؤلاء أشدّ رهبة في صدور المؤمنين من الله عزّ شأنه.

(و قال وتنسون أنفسكم) الواو للعطف على تأمرون في قوله تعالى «أتأمرون الناس بالبرّ» أو للحال عن ضمير الجمع والهمزة للتنبيه على الضلال أو للانكار و

والتوبيخ بمعنى لاينبغي أن يكون ذلك أو للتعجّب أو للتقرير والتثبيت ، والبرّ الصلاح. وقيل الخير، وقيل التوسع في الخير من البرّ وهو الفضاء الواسع ، وبالجملة هو يتناول كلّ خير والآية نزلت في جماعة كانوا يأمرون الناس بطاعة الله تعالى وهم كانوا يتركونها و يقدمون على المعاصي ، و قيل : كانوا يأمرونهم بالصّلاة و الزّكاة وهم كانوا يتركونهما ، وقيل : نزلت في أحبار اليهود كانوا يأمرون من نصحوه في السرّ من الأقارب و غيرهم باتّباع محمّد صلى الله عليه وآله وهم لايتّبعونه ، و قيل : كانوا يأمرون الناس قبل بعثة الرّسول باتّباعه فلمّا بعث أنكروه ، و على التقادير لايختصّ الذّم بمن نزلت الآية فيهم بل يجري فيمن يقتفي أثرهم إلى يوم القيمة لأنّا قد بيّنّا في اُصول الفقه أنّ خصوص السبب لايخصّص الحكم ، والمعنى أتأمرون النّاس بما فيه صلاحهم في الدّنيا والآخرة وتتركون أنفسكم منه كالمنسيّات و تفعلون ما فيه فسادها فيهما (و أنتم تتلون الكتاب) أي القرآن على أن يكون الخطاب لطائفة من المسلمين فإنّ فيه وعيداً على ترك البرّ والصلاح و مخالفة القول للعمل مثل قوله تعالى : « ياأيّها الّذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون * كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالاتفعلون » أو التورية على تقدير أن يكون الخطاب لأحبار اليهود فانّ الوعيد المذكور موجود في التورية أيضاً إذ الكتب الالهيّة كلّها نازلة لتكميل الخلق و مشتملة على ما فيه صلاحهم في الدّارين و أمّا تعميم الكتاب بحيث يشتمل الكتب المدوّنة في الأحكام كما زعم فغير مناسب إذ لم يعهد في القرآن إطلاق الكتاب عليها (أفلاتعقلون) أي أتصنعون ذلك فلاتعقلون قبحه و شناعته حتى يمنعكم عنه فكأنّه لاعقل لكم إذ العقل يمنع عن الاقدام به و لقبح ذلك وجوه الأوّل أنّ من ارتكب ذلك كان قوله مناقضاً لفعله وهو مستقبح من العاقل الثاني أنّ الغرض من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إرشاد الغير والاحسان إليه والاحسان إلى نفسه أولى من الاحسان إلى الغير فمن أمر و لم يأتمر ونهى و لم ينته فقد ترك ما هو الأحسن بالنسبة إليه ولايليق ذلك بالعاقل ، الثالث الغرض من الأمر والنهي ترويج الدّين و هو بفعله يريد عدم ترويجه فقد جمع بين المتناقضين

و هو غير واقع من العاقل ، الرّابع الآمر لامحالة يريد نفاذ أمره في القلوب و فعله يوجب عدم نفاذه لأنّه ينفر القلوب عن القبول فقد نقض مراده بفعله والعاقل لايفعل ذلك و لذلك ورد «أنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصفا(١)». الخامس أنّه إذا أمر بشيء أظهر للناس علمه بذلك الشيء فاذا تركه كان لومهم به أشدّ و ذمّهم به أبلغ من لوم من تركه تجاهلاً أو بلاعلم ، و لذلك ورد أنّ عقوبة العالم إذالم يعمل أعظم من عقوبة الجاهل (٢).

السادس أنّه بقوله يقول لهم افعلوا و بفعله يقول لهم لاتفعلوا فقدأتى بالمتناقضين والعقل يأباه . ثمّ المراد بالآية حثّ الواعظ على تزكية نفسه و تهذيبها والإقبال عليها بتقديسها و تكميلها ليقيمها أولاً ثمّ يقيم غيره و لذلك كان بعث الأنبياء بعد تكميل نفوسهم القدسيّة ، لامنع الفاسق عن الوعظ كما زعم لأنّه مأمور بشيئين أحدهما ترك المعصية و الثاني منع الغير منها و الاخلال بأحد التكليفين لا يوجب الاخلال بالآخر ، ودلالة الآية على النهي عن الجمع بينهما و تحريمه غير مسلّمة لجواز أن يكون النهي راجعاً إلى نسيان النفس مطلقاً لا إلى نسيانها منضمّاً إلى الأمر بالمعروف ويشعر بذلك قوله عليه السلام و قال : «و تنسون أنفسكم» حيث رتّب الذّم عليه ولم يذكر صدر الآية . و فيه دلالة أيضاً على جواز الاستشهاد ببعض الآية إذا كان تامّ الفائدة فيفهم جوازذلك في الحديث بالطريق الأولى.

(يا هشام ثمّ ذمّ الله الكثرة فقال : وإن تطع أكثر من في الأرض) في عقايدهم و أقوالهم و أعمالهم (يضلّوك عن سبيل الله) إذ الحقّ له سبيل واحد لايسلكه إلّا العارف العالم الرّاسخ في علمه و ورعه وهو قليل جدّاً و أمّا الباطل فله طرق متكثّرة يسلكها أكثر من في الأرض على مطايا الغواية والجهالة ومراكب الغباوة والضّلالة و يدعون إليها من اقتفى آثارهم و تتبّع أطوارهم ولايأمرونه إلّا بما

---

(١) سيأتي في كتاب العلم باب استعمال العلم تحت رقم ٣ .

(٢) راجع باب « لزوم الحجة على العالم و تشديد الامر عليه » فيما يأتي من كتاب العلم.

فيه هواهم ولا يرشدونه إلاّ إلى مقاصدهم ومناهم، كما دلّ عليه قوله تعالى «كلّ حزب بما لديهم فرحون» والآية كما دلّت على أنّ إطاعة الأكثر سبب للضلالة كذلك دلّت على أنّ مخالفتهم سبب للهداية وعلى هذا لا يجوز متابعة الأكثر إلاّ إذا كان هناك دليل على حقيّتهم فالمتّبع حينئذ هو الدّليل دون الكثرة من حيث هي و لا يجوز التمسّك في الأحكام بمجرّد الشهرة و كثرة القائلين بها ولا تأييدها به والله أعلم.

(و قال ولئن سألتهم) أي الّذين يعبدون غير الله سبحانه (من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله. أي ليقولنّ خلقهنّ الله فحذف المسند بقرينة سؤال محقّق و الدّليل على أنّ المرفوع فاعلٌ والمحذوف فعله أنّه جاء عند عدم الحذف في مثل هذا الكلام كذلك كقوله تعالى « و لئن سئلتهم من خلق السّموات و الأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم» و قوله تعالى «قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة» ويحتمل أن يكون المرفوع مبتدأ و المحذوف خبره أي الله خلقهنّ ليطابق السّؤال في الاسميّة و لأنّ السؤال عن الفاعل لا عن الفعل و تقديم المسؤول عنه أولى وأهمّ، و إقرارهم بذلك على سبيل الالجاء و الاضطرار لوضوح الدّليل المانع من اسناد خلقهنّ إلى غير الله تعالى (قل الحمد لله) على إلزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان عقائدهم وأعمالهم في باب الشريك أو على حفظك وعصمتك من مثل هذه الضلالة (بل أكثرهم لا يعلمون) أي لا يعلمون أنّ ذلك يلزمهم، أولا يعلمون ما اعترفوا به ببرهان عقليّ و دليل قطعي لأنّ كونه تعالى خالق السماوات والأرض نظريّ لا يعلم إلاّ بالبرهان وهم معزولون عن العلم به و إنّما اعترفوا به اضطراراً و كلّ من ادّعى علماً نظريا بلا نظر استحقّ أن يلام بالسفاهة و يذمّ بالجهاله، أولا يعلمون ما تريد بتحميدك عند مقالتهم، أولا يعلمون أنّهم يتناقضون حيث يقرّون بأنّه خالق السموات والأرض ثمّ يشركون به غيره، أولا علم لهم أصلاً حتّى يقرّوا بالتوحيد بعد ما أقرّوا بما يوجبه، وفيه ذمّ عظيم للجهلة الّذين انصرفوا عن طريق الحقّ و سلكوا طريق الضلالة، و مدح بليغ للعلماء الّذين يميّزون بين الحقّ و الباطل و يسلكون

سبيل الهداية،وإرشاد إلى كيفيّة الاستدلال على التوحيد.

(و قال : ولئن سئلتهم من نزل من السمآء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولنّ الله قل الحمدلله بل أكثرهم لايعقلون) هذا مثل السابق فيما ذكرناه وفيه دلالة على شرف العقل و عظم قدر الايمان و وجوب معرفة المنعم و أداء حقوقه و أنّ أكثر الناس معزولون عن هذه الأمور لايعقلون أنّ المنعم الحقيقي هو الله تعالى شأنه ولايعرفون أنّ الحمد على النّعمة لايستحقّه إلاّ هو.

(يا هشام ثمّ مدح القلّة) يعني أن الممدوح من الناس وهو المؤمن الحقيقي العالم العامل المهذّب للظاهر والباطن قليلٌ نادرٌ جدّاً وقد دلّت على قلّته الآيات المتكثّرة والرّوايات المعتبرة المتواترة كما يظهر ذلك لمن تأمّل في أحاديث الكفر والايمان و دلّت عليه التجربة أيضاً (فقال و قليل من عبادي الشكور)قيل: الشكر في اللّغة فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بسبب إنعامه ، و في العرف صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه فيما أنعمه لأجله . أقول : الظاهر أنّ النسبة بينهما عموم من وجه لتحقّق الأوّل في صرف اللّسان وحده مثلاً في مقابلة النعمة دون الثاني إذ قد اعتبر فيه صرف جميع الجوارح ، و تحقّق الثاني في صرف الجميع لافي مقابلة النعمة بل لأجل كمالاته الذّاتيّة وتحقّقهما جميعاً في صرف الجميع بازاء النعمة ولكنّ القوم صرّحوا بأنّ الأوّل أعمّ مطلقاً من الثاني لأنّه كلّما يتحقّق صرف الجميع بازاء النعمة يتحقّق صرف واحد بازائها أيضاً من غير عكس ،وأورد عليه بأنّ هذه النسبة إنّما يتمّ لو اعتبر في الثاني كونه في مقابل النعمة ولا إشعار به في التعريف : و اُجيب عنه تارة بأنّ هذا القيد يستنبط من تعليق الحكم بوصف الانعام الصّالح للعلّيّة، وردّ ذلك بأنّه يلزم منه أن لايكون الخلّص شاكرين ولا واسطة بين الشكر والكفران، وتارة بأنّ المراد بكونه في مقابل النعمة أن يكون بازائها و إن لم تكن ملحوظة للشاكر ومحصّله أنّ إنعامه هنا عرفيّة لاحقيقيّة، ويمكن دفعه أيضاً بأنّ مفهوم التعريف مطلق والايراد المذكور واردٌ بالنظر إلى ظاهره ، إذا عرفت هذا فنقول : الشكر بكلا المعنيين منزلة عظيمة ومرتبة جليلة

والمانع فيه قليلٌ جدّاً، و بالمعنى الثاني أعظم لأنّ حصوله يتوقّف على العلم بالله و صفاته و أفعاله والتصديق بالرّسول و خواصّه و كمالاته و بجميع ماجاء به من الشرايع والآداب مع العمل بها وتهذيب الظاهر والباطن عن الأخلاق الرّذيلة ورداها، و مجاهدة النفس الأمّارة بدفع متمنّياتها و هواها، وقال الشريف في حاشية المطالع قيل: وبهذا المعنى يعني بالمعنى الثاني ورد قوله تعالى «وقليل من عبادي الشكور» و قال بعض المحقّقين: بل الظاهر أنّه بالمعنى الأوّل و تكون القلّة ناشئة عن المبالغة المستفادة من الشكور كما هو المعروف من أنّ النفي والاثبات في الكلام راجعان إلى القيد، و أمّا المعنى الثاني فلايتصوّر فيه المبالغة، لأنّ المراد به صرف الجميع في الجميع فيكون الشكور بهذا المعنى ممتنع الوجود لاقليلاً، ولو سلّم استقامة حمله على هذا المعنى فلا يتعيّن لجواز حمله على المعنى الأوّل أيضاً، و أجاب عنه المحقّق الدّواني بأنّ صرف الجميع في الجميع يتفاوت بحسب استغراق الأوقات و عدمه و تحقّق المبالغة في استغراق الأوقات بأن يتحقّق صرف الجميع في الجميع في أكثر الأوقات أوفي جميعها، ثمّ أورد على نفسه بأنّ صرف الجميع في الجميع في أكثر الأوقات أو في جميعها ممّا لايتصوّر ضرورة أنّه لايمكن صرف جارحة اللّسان مثلاً في وقت من الأوقات في جميع ما خلق لأجله كالذّكر والنصيحة و إنذار الأعمى من البئر إلى غيرها، و أجاب بأنّ جميع ما خلق لأجله هو جميع ما كلّف به و في ذلك الوقت فهو شاكرٌ بالمعنى الثاني وإذا استمرّ على ذلك الوصف في جميع الأوقات أو في أكثرها فهو شكور، و أجاب عن المنع المذكور بأنّ المعنى اللّغوي غير محتمل لأنّ المبالغة فيه ليس قليلاً لصدور البسملة و الشهادتين و غيرها من الأفعال والأقوال المنبئة عن تعظيمه سبحانه عن كثير من العباد.

أقول: كما أنّ صرف الجميع في الجميع يتفاوت بحسب استغراق الأوقات و عدمه كذلك صرف البعض فيتحقّق المبالغة فيه أيضاً بأن يصرف البعض في أكثر الأوقات أو في جميعها ولاشبهة في أنّ الصّارف بهذا الوصف قليلٌ بالنسبة

إلى الصارف في وقت مّا ؛ نعم هو كثير في حدّ ذاته و بالنسبة إلى صارف الجميع في الجميع في معظم الأوقات ولايقدح شيء من ذلك كونه قليلاً بالنسبة إلى الصارف في وقت مّا فكما يجوز إرادة المعنى الثاني في الاية يجوز إرادة المعنى الأوّل أيضاً فليتأمّل (وقال : و قليل ماهم) الضمير راجع إلى الموصول في قوله تعالى : « إلاّ الّذين آمنوا و عملوا الصالحات»أي المؤمنون العاملون للصالحات قليلون جدّاً، و«ما» مزيدة للابهام والتعجب من قلّتهم وسبب القلّة أنّ الله سبحانه خلق أعضاء الانسان على مقتضى حكمته البالغة بحيث تصلح أن تناول الخير والشرّ فانّ اليد تتناول الضرب والبطش والاعطاء والمنع و غيرها من الأفعال الصادرة منها ، و الرّجل يتناول المشي إلى سبيل الحقّ والباطل ، والبصر يقدر أن يدرك المصنوعات العجيبة والمبدعات الغريبة الّتي دلّت على وجود صانعها و قدرته و حكمته . وأن يدرك المحرّمات من الصّور وغيرها والسمع يصلح أن يسمع الآيات والبيّنات المحرّكة للسير إلى الله تعالى ، و أن يسمع الهزل واللّغو والأقوال الكاذبة الموجبة للبعد منه ومن رحمته. وقس عليها البواقي و جعل النفس واسطة بين القوّة الشهويّة و الغضبيّة وغيرهما من القوى الطبيعية الحيوانيّة وبين القوّة العاقلة والملكيّة، و هي بالأولى تحرص على تناول اللّذات البهيميّة الفانية كالقهر والغلبة و الشره والشبق (١) و العداوة ، والتهجّم على الغير بالضرب و الشتم وتستعمل الأعضاء و الجوارح في وجوه الشرّ والضّلالة و إذا استمرّت على ذلك صارت شيطاناً والحقت بزمرة الشياطين و ترجع إلى أسفل السافلين ، و بالثانية تتناول اللّذات الملكيّة الباقية مثل العلوم الحقيقية والخصال الحميدة المؤدّية إلى السعادات الأبديّة و تستعمل الأعضاء والجوارح في وجوه الخير و تستكمل السّياسة البدنيّة و إذا استمرّت على ذلك شاركت الملائكة المقرّبين في فضائلهم ، و زاحمت الأنبياء و المرسلين في منازلهم ، و تستحقّ أن تخاطب بياأيّتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربّك راضية مرضية ـ وإلى هذين الطريقين أشارسبحانه بقوله « و هديناه النجدين»

---

(١) اى الشهوة الفاسدة.

و بقوله «إنا هديناه السّبيل إمّا شاكراً و إمّا كفوراً» ولكن النفس باللذّات لما كانت مايلة إلى اللّذّات آنسة بالمحسوسات، واللّذات الفانية الدّنيويّة لذات حاضرة محسوسة ظاهرة واللّذات الأخروية لذات غائبة عقليّة مخفيّة صارت النفوس كلّها مايلة إلى الدّنيا و زخارفها باغواء الشياطين و غلبة الشقاوة و الهوى عليها حتّى خرجوا عن الدّين ، و اندرجوا في سلك الشياطين ، و اتّصفوا بالخسران المبين ، أوخلطوا عملاً صالحاً و آخرسيئاً ، و صاروا من المذنبين إلّا من عصمه الله و أخذت بيده العناية الأزليّة و نوّر قلبه بنور الحكمة والايمان و أفاض عليه مياه الكرامة والاحسان وطهّر ظاهره بالأعمال الصّالحة وحلّى باطنه بالأخلاق الفاضلة و هذا القليل الوجود جداً كما أشار إليه مولانا الصادق عليه السلام بقوله : «المؤمنة أعزّ من المؤمن والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر ، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر» (١) .

(قال : وقال رجل مؤمن من آل فرعون) من أقاربه ، قيل: هو ابن عمّه ، و قيل : كان قبطياً من قومه ، و قيل : كان من بني إسرائيل ويرجّح الأوّل لفظ الآل لأنّه يطلق على القريب كما قال سبحانه : « إلّا آل لوط نجيّناهم بسحر» وهو صفة ثانية لرجل، و قيل : هو متعلق بقوله (يكتم إيمانه) هذا صفة ثالثة على ما قلنا ، و صفة ثانية على ماقيل ، و هذا القول بعيدٌ لأنّه يلزم الفصل بين الصّفة والموصوف بأجنبي ، اللّهمّ إلّا أن يجعل « يكتم إيمانه » حالاً و هو بعيد جدّاً . و لأنّه لو كان كذلك لكانت تأخيره أولى إذلاوجه لتقديمه إلّا الحصر و هو غير مناسب للمقام و لأنّ كتمان الايمان دلّ على ثبوت الايمان مثل مؤمن ، فكان الأنسب أن يذكر بعده بلافصل ، فان قلت: فعلى هذا لو كان صفة كان الأنسب أيضاً تأخيره عن الصفة الثالثة ، قلت : نعم ولكن في تأخيره إخلال ببيان المعنى المقصود لأنّه يتوهّم حينئذ أنه من صلة «يكتم» فلم يفهم أنّ ذلك الرّجل كان من آل فرعون فقدم لدفع هذا التوهّم على أنّ تقديمه أهمّ لأنّ إيمانه مع كونه من آل

---

(١) رواه الكليني في كتاب الايمان والكفر باب قلة عدد المؤمنين تحت رقم ١.

فرعون كان مستبعداً (أتقتلون رجلا)و هوموسى عليه السلام والهمزة للانكار إمّا للتوبيخ أو المتعجب و حملها على حقيقة الاستفهام بعيد (أن يقول) أي لأن يقول أو وقت أن يقول (ربّي الله) وحده لا شريك له و هو يفيد قصر الرّبوبية على الله ردّاً لقول فرعون « أنا ربّكم الأعلى » فهو من قبيل صديقي زيد والغرض من ذكر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وصف رجلين من بين كثيرين لايعلم عددهم إلاّ هو بالايمان و مدحهما به (وقال ومن آمن)عطف على أهلك في قوله تعالى «قلنا احمل فيها من كلّ زوجين اثنين و أهلك إلاّ من سبق عليه القول» ولمّا أوحى إلى نوح عليه السلام أنّه لن يؤمن من قومك إلاّ من قد آمن و أمره بعمل السفينة و أخبره باهلاك قومه بالغرق شرع عليه السلام في عمل السفينة ، فلما تمّ عمله و جاء أمر الله تعالى و فار التنّور أمره بأن يحمل معه في السفينة من كل نوع من الحيوان ذكراً و أنثى و أهله إلاّ ابنه كنعان و اُمّه و أن يحمل فيها المؤمنين فحمل عليه السلام فيها زوجين من كلّ حيوان و كلّ من آمن (وما آمن معه إلاّ قليل) قيل : كانوا ثمانين مقاتلاً و في ناحية الموصل قرية يقال لها قرية الثمانين سميّت بها لأنّ هؤلاء لما خرجوا من السفينة بنوها و هذا القول بعيد و قال في الكشاف روي عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : كانوا ثمانية نوح و أهله و بنوه الثلاث و نساؤهم ، و عن محمد بن إسحق كانوا عشرة خمسة رجال و خمسة نسوة وقيل : كانوا اثنين و سبعين رجلا وامرأة و اولاد نوح سام و حام و يافث و نساؤهم والجميع ثمانية و سبعون نصفهم رجال و نصفهم نساء و قال :

(ولكنّ أكثرهم لايعلمون) أي لايوجد لهم حقيقة العلم ولايعلمون استقامة هذا الدّين لعدم تدبّرهم فيه حتّى يحصل لهم العلم باستقامته و بما يتبعها من نظام أحوالهم في الدّنيا والآخرة (وقال أكثرهم لايعقلون) أي ليس لهم فضيلة العقل او لايعقلون الحلال و الحرام وما جاء به رسولهم من المصالح و الأحكام ليهذّبوا ظاهرهم و باطنهم و يتّصفوا بكمال الانسان و يتركوا ما سوّلت لهم أنفسهم وزيّنه

لهم الشيطان (وقال أكثرهم لايشعرون (١)) بما فيه صلاحهم في الدّارين و كمالهم في النشأتين و هذه الآيات الثلاث يستلزم مدح القليل و هوالمقصود في هذا المقام. و اعلم أنّ الآيات والرّوايات الدّالة على ذمّ الكثير و مدح القليل أكثر من أن تحصى ، والغرض من ذكر بعضها هنا أمران : أحدهما بيان أنّ الضلالة والطغيان صارتا كالطبيعة الثانية للانسان إلاّ من عصمه الله من سلوك سبيل الشيطان و نوّر قلبه بنور المعرفة والايمان وهذا الصنف قليل جدّاً بل ينحصر في بعض الأعصار في فرد كما قيل في تفسير قوله تعالى «إنّ إبراهيم كان أمّة» إنّه كان وحده مؤمناً و كان سائر الناس كفّاراً ، الثاني التنبيه على أن ماوقع بعد نبيّنا صلّى الله عليه وآله من ارتداد أكثر النّاس و خروجهم عن الدّين و بقاء قليل منهم مثل عمّار و سلمان و أبي ذرّ و أضرابهم غير مستبعد (يا هشام ثمّ ذكر اُولى الألباب) أي ذوي العقول الخالصة عن لواحق الوهم و الفشل ، الكاملة بفضيلتي العلم و العمل (بأحسن الذّكر) الذكر نقيض النيسان و يطلق أيضاً على الصيت والثناء والشرف كما في قوله تعالى «والقرآن ذي الذّكر» أي ذي الشرف (وحلاّهم بأحسن الحلية) أي زيّنهم بأحسن الزّينة ، أو وصفهم بأحسن الصفة، والحلية بكسر الحاء المهملة و سكون اللاّم تطلق على الصّفة مثل العلم والشجاعة والسخاوة و نحوها و على الزينة من ذهب أوفضة أو لؤلؤ أو نحوها وفي التنزيل «وتستخرجون حلية تلبسونها» ومن حليّ بضم الحاء وكسر اللاّم وشدّ الياء جمع حلي بفتح الحاء وسكون اللاّم وهي مايتحلّى به المرأة، جمع الحلية حلى مثل اللحية ولحى وربّما ضمّ (فقال يؤتي الحكمة) قال أبوعبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : «هي طاعة الله ومعرفة الامام»(٢) وهذا القول منه عليه السلام إشارة إلى الحكمة النظرية والعملية (٣) وهما خروج النفس من القوّة الاستعداديّة إلى

(١) ليس في القران بلفظ لايشعرون ولعله مصحف. (٢) راجع تفسير البرهان ذيل الاية.

(٣) هذه الحكمة هي التى آتاها الله لقمان ولم يكن لقمان نبياً ولم ينزل اليه وحي بل كان يعرف الامور بعقله وروى أنه لم يقبل الوحي والنبوة و اختار الحكمة و ليست الحكمة أيضاً أخذ علوم الشريعة من نقل رواة الاحكام عن النبي المعصوم اذ لم يختص ذلك بلقمان بل هو حاصل لكل أحد «ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيراً» خاص ببعض عباد الله «ش»

حقيقة العلم والعمل لأنّ معرفة الامام إشارة اجمالية إلى معرفته على ماينبغي ومعرفة الرّسول وماجاء به ومعرفة الله ومايليق به، وهذه المعارف عبارة عن الحكمة النظريّة. وطاعة الله إشارة إلى تخلية الظاهر والباطن عن الرّذائل وتحليتها بالفضائل وهذه هي الحكمة العمليّة ويرجع إلى هذا التفسير قول القاضي: هي تحقيق العلم والعمل. وقول صاحب الكشاف: هي العلم والعمل بهوالحكيم عندالله هوالعالم العامل. وقول المازري: هي العلم النّافع المصحوب بإنارة البصيرة وتهذيب النفس. وقول ابن دريد: هي كلّ ما يؤدّي إلى مكرمة و يمنع من قبيح. وقال شيخ العارفين بهاء الملّة والدّين: هي مايتضمّن صلاح النشأتين أوصلاح النشأة الأخرى من العلوم والمعارف وأمّا ماتضمّن صلاح الحال في الدّنيا فقط فليس من الحكمة في شيء. وقال مالك: الحكمة هي الفقه في الدّين (١) و هذان التعريفان لا يصدقان على الحكمة العمليّة كما لا يصد، تعريف من قال: هي الإصابة في القول ومن قال: هي طاعة الله تعالى على الحكمة النظريّة. (من يشاء) مفعول أوّل أخّر للاهتمام بالمفعول الثاني وللدّلالة على تعظيمه في أوّل الأمر (و من يؤت الحكمة) بفتح التاء في القراءة المشهورة على البناء للمفعول لأنّ المقصود بيان حال المفعولين بخلاف الأوّل لأنّ المقصود هنا تعلّق الفعل بالفاعل أيضاً ليتبيّن أنّ الحكمة فضيلة الهيّة وموهبة ربّانية

---

(١) بعض مسائل الفقه يتضمن صلاح الحال في الدنيا فقط وروعي فيه المصالح الدنيوية كالقضاء بالشاهد واليمين فانه لايحرم حلال الله ولا يحلل حرامه بل المصلحة فيه قطع التنازع و مثله التمسك باصالة الصحة والسلامة و عدم الغفلة في العقود والمعاوضات والانكحة فانه لايغير الاحكام فاذا أوقع البيع والنكاح غافلا عن معناهما أو سهواً ونسياناً لم يحل به شيء واقعاً و يحكم بصحة المعاملة ظاهراً، و منه الحدود والتعزيرات للمصالح الدنيوية و لذلك اذا اسر المعصية لم يكن عليه حد و كذلك الصلاة وانواع العبادات، فان الفقيه يحكم بصحتها ونظره الى اسقاط القضاء وهو امر دنيوي والمتكلم نظره الى ترتب الثواب عليه وهو امر اخروي و هكذا و بين ذلك الغزالي في الاحياء اتم بيان «ش»

للنّفوس المستعدّة لها ولاتحصل بمجرّد الاكتساب وإن كان للاكتساب مدخل فيها (فقد اوتى خيراً كثيراً) التنكير للتعظيم والتكثير جميعاً والوصف بالكثرة للمبالغة والتأكيد و كثرته باعتبار اشتماله على خير الدّنيا والآخرة، و فيه دلالة على كمال العلم و علوّ منزلته و عموم فوائده . لايقال هذا ينافي قوله تعالى: «و ماأوتيتم من العلم إلاّ قليلاً» لأنّ قلّته بالاضافة إلى علم الواجب لاينافي كثرته بالنظر إلى ذاته و مدّة بقائه وبقاء السّعادة اللاّزمة له (و ما يذّكّر) أي ومايعلم الحكمه الّتي أعطاها للنفوس القابلة ولايعرف قدر تلك النعمة ، أو وما يتفكّر في القرآن و ما فيه من حقايق العلوم و دقايقها (إلاّ أولو الألباب) أي ذووالعقول الكاملة المائلة عن الدّنيا وزهراتها، الآمنة من مكايد النفس ومتمنّياتها، وقدنقل في هذاالكتاب عن الرّضا عليه السلام في فضل الامام و صفاته في حديث طويل : «إنّ الأنبياء عليهم السلام يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمته مالايؤتيه غيرهم فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم ثمّ قرأ هذه الاية(۱)(وقال: والراسخون في العلم) رسخ الشيء رسوخاً ثبت و كل ثابت راسخ و منه الرّاسخون في العلم أي الّذين ثبتوا فيه و استقرّوا بحيث لايؤزّهم شيء من مكايد الشيطان و متمنّيات النفوس و زهرات الدّنيا على الخروج عن سبيل الحقّ بوجه من الوجوه (يقولون آمنّا به) أي بالكتاب الّذي منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب واُخر متشابهات أوبالمتشابه و هو كلام يحتمل وجوهاً متعددة لايتّضح المقصود منه لاجمال أو مخالفة ظاهر إلاّ بالفحص الشّديد والنظر الدّقيق. والمحكم كلام لايحتمل إلا وجهاً واحداً (كلّ من عند ربّنا) أي كلّ واحد من المحكم والمتشابه نزل من عند ربّنا وهذا كالتأكيد للسابق فلذا فصل عنه (و مّا يذّكّر إلاّ أولو الألباب) أي و ما يعلم المتشابه إلاّ الكاملون في العقول وهم الرّاسخون في العلم أو و ما يعلم الرّاسخين في العلم وهم النّبي صلى الله عليه وآله والائمة الطاهرون عليهم السلام وما يذكر أحوالهم إلاّ اُولو الألباب الّذين هم شيعتهم. روى أبوبصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «نحن الرّاسخون في

---

(۱) الكافي كتاب الحجة باب نادر جامع في فضل الامام وصفاته تحت رقم ۱ .

العلم ونحن نعلم تأويله» (١) وروى عبدالله بن بكير عنه عليه السلام قال: «الرّاسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام» (٢) وروى بريد بن معوية عن أحدهما عليهما السلام «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الرّاسخين في العلم قد علّمه الله جميع ما أنزله عليه من التنزيل و التأويل و ما كان لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه الحديث (٣)» روى جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى «هل يستوي الذين يعلمون والّذين لايعلمون إنّما يتذكّر أولوا الألباب» قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّما نحن الّذين يعلمون والّذين لايعلمون عدوّنا وشيعتنا أولوا الألباب» (٤).

(و قال إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار لآيات) أي لعلامات ظاهرة وأدلة واضحة على وجود الصّانع ووحدته وقدرته وحكمته وتدبيره (لأولي الألباب) أي لذوي العقول الثاقبة والبصاير النافذة لانهم لصفاء ضمايرهم و نور بصايرهم هم القادرون على التفكر في خلق السماوات و ما فيها من الثوابت و السّيارات و حركاتها شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً إجتماعاً و افتراقاً إلى غير ذلك من أحوال السمآء والسّماويّات وما يترتّب عليها من المنافع والمصالح، وفي خلق الأرض وما فيها وما عليها من أنواع المعادن والنباتات والحيوانات و منافعها و في اختلاف اللّيل والنهار و تعاقبهما و تفاوتهما في الزّيادة والنقصان و فوايدها وعلى الاستدلال بهذه الأمور و أمثالها ممّا لايحصى على أنّ لها صانعاً لطيفاً عليماً خبيراً حكيماً قادراً موجداً لها بمجرّد إرادته ومشيّته بلامشاركة ولامعاونة و أمّا غيرهم ممّن ضعف ضمائرهم وعمت بصايرهم فهم إنّما ينظرون إليها نظر البهائم ويدركون منها ما يدركه المعلوفة و السوائم، ذاهلين عمّا فيها من عجائب الفطر ولطائف التقدير و غرائب الصنع وبدايع التّدبير. قال القاضي: و لعلّ الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لأنّ مناط الاستدلال هو التغيّر، والتغيّر إما أن يكون في ذات

(١ و ٢ و ٣) الكافي كتاب الحجة باب أن الراسخين في العلم هم الائمة عليهم السلام.

(٤) رواه البرقي في المحاسن ص١٦٩. وسيأتي في كتاب الحجة باب من وصفه الله بالعلم.

الشيء كتغيّر اللّيل والنهار ، أو في جزئه كتغيّر العناصر بتبدّل صورها ، أوفي الخارج عنه كتغيّر الأفلاك بتبدّل أوضاعها ، و قال بعض أهل الاشارة : وخلق السّماوات (١) إشارة إلى خلق الأرواح و أطوارها العالية و خلق الأرض إشارة إلى خلق النفوس البشريّة و قرارها و تسفّلها في مراكز الأبدان ، و اختلاف اللّيل والنهار إشارة إلى اختلاف ظلمة النّفوس البشريّة والأنوار الرّوحانيّة فإنّ هذه الأمور أدلّة واضحة على وجود الصانع لأولي الألباب ، و هم الّذين عبّروا بقدم الذّكر والفكر عن قشر الوجود الظلماني الفاني إلى لبّ الوجود الرّوحاني الباقي فشاهدوا بعيون البصائر و نواظر الضمائر أنّ لهم إلهاً قيّوماً قادراً حيّاً عليماً سميعاً بصيراً متكلّماً حكيماً له الأسماء الحسنى والصّفات العليا (و قال : أفمن يعلم أنّ ما اُنزل إليك من ربّك الحقّ كمن هو أعمى) لما ضرب الله سبحانه مثلاً للّذين استجابوا لربّهم استجابة حسنة وهم المؤمنون العالمون العاملون والذين لم يستجيبوا له وهم الكافرون والجاهلون تارة بالماء وزبده وهو وضره و درنه ، و تارة بالفلزات كالذّهب والفضّة والحديد والنحاس و زبدها و هو خبثها ورديّها و أوضح الفرق بين الفريقين بأنّ الأوّل بمنزلة الماء والفلزّات الخالصة الّتي تبقى في الأرض و ينتفع بها انتفاعاً عظيماً والثاني بمنزلة زبدها و درنها يرمي به الماء والفلزّات المذابة الخالصة أنكر على من زعم التساوي بينهما بعد ضرب المثل و الايضاح و بيّن أنّه لا مساواة بين من يعلم أنّ ما اُنزل إليك من ربّك وهو القرآن و ما اشتمل عليه من التوحيد و صفات الواجب والأحكام و أحوال الحشر والنشر والثواب والعقاب والأمثال و غيرها حقّ و صدق و يذعن به إذعاناً جازماً ثابتاً ، و بين من هو أعمى القلب فاقد البصيرة لا يهتدي إلى الحقّ منكراً له أو جاهلاً به بل بينهما مباينة تامّة و بعد مفرط كبعد ما بين الماء والزّبد والفلزّات الخالصة و أخباثها (إنّما يتذكّر) أي ما يعلم ذلك أولا يتفكّر فيه إلّا (اُولو الألباب) و

---

(١) السماء قد يطلق على العالم الروحاني والمجردات في القرآن والاخبار كما هو ظاهر للمتتبع . (ش)

أمّا الكفرة والجهلة الفاقدون للبصاير الذّهنيّة والأنوار العقليّة و السّالكون سبيل الغيّ والضلالة فهم بمنزلة البهائم، بل هم أضلّ فطمع التذكّر والتفكّر منهم في المطالب العالية كطمعه من البهائم.

(وقال أمّن هو قانت) أي قائم بوظايف الطاعات من القنوت و هي الطاعة والدّعاء والقيام في قوله ﷺ : «أفضل الصلوة طول القنوت(١) » والمشهور الدّعاء و قولهم دعاء القنوت إضافة بيان كذا في المغرب ، و قال الجوهري : « القنوت الطاعة هذا هو الأصل ؛ و منه قوله تعالى « والقانتين والقانتات » ثمّ سمّي القيام في الصلاة قنوتاً و في الحديث «أفضل الصلوة طول القنوت» ومنه قنوت الوتر» . وقال ابن الأثير في النهاية : « قد تكرّر ذكر القنوت في الحديث و يرد بمعان متعدّدة كالطاعة و الخشوع و الصلاة و الدّعاء و العبادة و القيام و طول القيام و السكوت فيصرف في كلّ واحد من هذه المعاني إلى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد فيه » قرأ حمزة « أمن » بتخفيف الميم بمعنى أمن هو قانت كمن هو ليس بقانت ، و المقصود نفي المساواة بينهما وإثبات الفضل للأوّل ، وقرأ الباقون بتشديد الميم أصله أم من ادغمت الميم في الميم و«أم» متّصلة معطوفة على محذوف دخل عليه حرف الاستفهام تقديره أتارك القنوت خير أمّن هو قانت مثل قولك أزيدٌ أفضل أم عمرٌ وأو منقطعة بمعنى بل والمعنى بل أمّن هو قانت كمن ليس كذلك قيل: فيه دلالة على أنّ العمل الّذي يتّصف بسببه الانسان بالكمال هو ما كان الإنسان مواظباً عليه ، فإنّ القنوت عبارة عن كون الرّجل قائماً عليه من الطاعات فما لا مواظبة فيه من الأعمال ليس فيه كثير فائدة (آناء اللّيل) أي ساعاته خصّها بالذّكر مع أنّ العبادة في كلّ وقت فضيلة يتقرّب بها العبد إلى الله تعالى ، و يتميّز بها عن غيره لوجوه أوّلها أنّ القلب في اللّيل فارغ عن المحسوسات المانعة عن السّير إلى الله سبحانه، فيتوجّه إلى ذكره مشاهداً له و لصفاته الذّاتيّة والفعليّة ، و كمال قدرته و غلبته على جميع الممكنات فيحصل له بذلك خوف وخشية بحيث لايغفل عنه طرفة عين وهذه

(١) رواه احمد ج٣ ص٣٠٢ ، ومسلم، والترمذى ، وابن ماجه .

الحالة أفضل الحالات والطاعة الواقعة فيها أفضل الطاعات لأنّ التفاوت في مراتب الطاعات بحسب تفاوت مراتب القلب في القرب والبعد ، و ثانيها أنّ الليل وقت النوم والاستراحة فيكون القيام أشقّ فيكون الطاعة فيه أفضل وقد دلّ على هذين الوجهين قوله تعالى : « إنّ ناشئة اللّيل هي أشدّ وطأً و أقوم قيلاً » وثالثها أنّ القيام في اللّيل لكونه أقرب من الخلوص و أبعد من الرّياء أفضل من القيام في النهار و رابعها أنّ النهوض في الليل للعبادة لما كان غير مدافع بطلب المعاش و نحوه كان أكمل من النهوض في النهار و أفضل (ساجداً و قائماً) حالان من فاعل «قانت» ونقل أيضاً قراءتهما بالرّفع والخبريّة وتعدّد الخبر بدون العطف جائز والواو للجمع بين الصفتين ، و تقديم السجود على القيام للاهتمام به لأنّ السجود أرفع منازل العارفين و أعلى معارج العابدين كما نطق به الأخبار عن الأئمّة الطاهرين (يحذر الآخرة)أي عذابها (و يرجو رحمة ربّه) استيناف للتعليل كأنّه قيل ما سبب قنوته و سجوده و قيامه فاُجيب ببيان سببها أو في موضع النّصب على الحال ولابدّ من نكتة في إيراد بعض الأحوال مفرداً و بعضها جملة فعلية ولعلّ النكتة فيه هو التنبيه على اعتبار استمرار الحذر والرّجاء و وجود كلّ واحد منهما في زمان وجود الأخرى بخلاف السجود والقيام و إنّما أثر الحذر على الخوف مع أنّ الخوف في مقابل الرّجاء على ما هو المتعارف لأنّ الحذر أبلغ من الخوف لأنّه خوف مع الاحتراز عن المعاصي و إنّما أضاف الحذر إلى الآخرة لا إلى عذابه وأضاف الرّجا إلى رحمته للتنبيه على أنّ الرّجاء أفضل وبحضرة الرّبوبيّة أليق ولذلك أيضاً أضاف الرّحمة إلى الربّ والربّ إلى الضمير مع مافيه من الدّلالة على الاستعطاف والاختصاص ورجحان الرّحمة على العذاب (قل هل يستوي الّذين يعلمون) وهم القانتون الموصوفون بالصفات المحمودة المذكورة (والّذين لا يعلمون) و هم التاركون للقنوت، و هذه الآية على هذا التفسير بيانٌ للسابق و إشارة إلى أنّ منشأ تلك الصفات هو العلم ومنشأ عدمها هو الجهل و تنبيه على شرف العلم والفضيلة و فضل العلماء على الجهّال ونفي لاستواء الفريقين باعتبار القوّة العلميّة كما أنّ

السّابق نفي لاستوائهما باعتبار القوّة العمليّة للاشعار بأنّ الحقيقة الإنسانيّة إنّما تتّسم بالنباهة والجلال و تتّصف بالفضيلة والكمال باعتبار العلم والعمل فمن لم يتّصف بهما ليس له من وصف الإنسانيّة إلاّ اسم ولا من حقيقتها إلاّ اسم، وإنّما أخّر العلم عن العمل مع أنّ العمل تابع له، متوقّف عليه للتنبيه على أنّ العمل هو الغرض الأصليّ من العلم حتّى أنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه كانت الحجّة عليه أعظم والحسرة عليه أدوم، أو للدّلالة باختلاف الآثار الظاهرة أعني العبادة وعدمها على اختلاف مباديها الباطنة أعني العلم و الجهل فكان من قبيل اثبات معقول بمحسوس، و قيل: وجه الترتيب بين الأوصاف المذكورة أنّ الإنسان عند قيامه بوظايف الطاعات ومواظبته عليها ينكشف له في اوّل الامر مقام القهر المقتضي للخوف والحذر ثم ينكشف له بعده مقام الرّحمة الباعث للرّجاء ثمّ يحصل له بعده أنواع العلوم والمكاشفات فالعلم على هذا تابع للأوصاف المتقدّمة و لذلك أخّره عنها (إنّما يتذكّر أولوا الألباب) يعني أنّ هذا التفاوت العظيم بين العالم والجاهل و بين القانت و غيره لا يعرفه إلاّ ذو والعقول الكاملة الخالصة عن غواشي الأوهام لأنّهم القادرون على التمييز بين الحقّ و الباطل بما لهم من بصيرة عقليّة وقوّة روحانيّة دون غيرهم ممّن كان على بصائر عقولهم غشاوة و في صفحات قلوبهم قساوة وقد روي عن الباقر عليه السلام أنّه قال في تفسير هذه الآية: «نحن الّذين يعلمون وعدوّنا الّذين لا يعلمون و شيعتنا اُولوا الألباب» (١) وعن الصادق عليه السلام «أنّ الآية نزلت في وصف عليّ عليه السلام و ذمّ أبي الفصيل (٢)» يعنى أنّ علياً عليه السلام لكونه قانتاً بالأوصاف المذكورة و عالماً بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله رسول الله ليس مثله، وهو لا يقنت ولا يعلم ذلك ويقول باطناً أنّه ساحر كذّاب وما نقلناه معنى الحديث والحديث المذكور في كتاب الروضة قبل حديث الصيحة.

---

(١) رواه البرقي في المحاسن كما تقدم.

(٢) روضة الكافي تحت رقم ٢٤٦.

(وقال: كتاب أنزلناه إليك مبارك) مبارك بالرّفع على القراءة المشهورة صفة للكتاب أو خبر بعد خبر، و بالنصب على الحاليّة في بعض القراءة و معناه نفّاع من البركة و هي في الأصل الزّيادة والنمو (ليدّبّروا آياته) فيعرفوا ما فيه من الشرايع والأحكام والمواعظ والنصائح والعبر الّتي بها يتمّ نظامهم في الدّارين و يصلح حالهم في النشأتين (و ليتذكّر اُولوالألباب) أي و ليعلم ما فيه من الأسرار الالهيّة الرّبانيّة الّتي لايهتدي إليها إلاّ ذو والعقول الكاملة و الأذهان الثاقبة وهم أهل العصمة عليهم السلام فانّ علوم الكتاب بعضها ظاهر سهل المأخذ يعرفه أكثر العلمآء بالتدبّر والتأمّل فيه ، و بعضها خفيّ لايصل إليه إلاّ اُولوالألباب و ذو و العقول الكاملة العارية عن شوايب النقصان ، و قيل : الكتب الالهيّة بيان لمالايعرف إلاّ بالشرع و إرشاد إلى مايستقلّ به العقل والتدبّر للأوّل والتذكّر للثاني ، و قيل : الكتاب مشتمل على أسرار عظيمة و معارف لطيفة و فائدة إنزاله أن يتدبّر المتدبّرون ويتفكّر المتفكّرون آياته ، و الغرض الاصليّ من التدبّر والتفكّر وهوالنظر و التأمّل أن يحصل لهم التذكّر أي المعرفة اليقينيّة بتلك الأسرار والمعارف. والتدبّر لايستلزم التذكّر إذ ربّ متفكّر لاينتهي بفكره إلى المطلوب فالتدبّر غيرمختصّ باُولي الألباب ، بل يعمّهم و غيرهم بخلاف التذكّر فانّه مختصّ بهم ، فقد ثبت أنّ غاية إنزاله ليس إلاّ التذكّر المختصّ باُولي الألباب ، و هذا غاية المدح والتعظيم لهم، و فيه أنّ ظاهر العطف يقتضي أنّ كلاّ من التدبّر والتذكّر غاية مستقلّة لانزاله (قال: ولقد آتينا موسى الهدى) أي الدّلالة على الدّين أو ما يهتدي به إليه من المعجزات والصّحف والشرايع (و أورثنا بني إسرائيل الكتاب) أي التوربة يعني تركناه بعده عليهم يتوارثونه و يأخذونه بعضهم من بعض و يحملونه و يحفظون ألفاظه و مدلولاته اللّفظيّة و معانيه الأوّليّة و أحكامه الظاهريّة (هدى وذكرى) مفعول له لقوله أورثنا أو حال عن فاعله أو عن الكتاب أي أورثناه لأجل الهداية والتذكير أو هادياً ومذكّراً (لاُولي الألباب) أي لذوي العقول الصحيحة السليمة وهم الرّاسخون في العلم العارفون بالله و صفاته و أفعاله العالمون بأحوال المبدء و المعاد المشاهدون لها بعيون البصائر

المهذّبون لأخلاقهم الظاهرة والباطنة و ملخصه أنّ غير اُولي الألباب من أهل الكتاب بمنزلة الخدمة لهم يحفظون الكتاب لئلاّ يندرس بطول الأزمنة فيبقى محفوظاً لهؤلاء الكاملين في العقول وهم أوصياء موسى عليه السلام وعلماء اُمّته فهم الممدوحون غاية المدح والتعظيم المقصودون من الثناء والتكريم ، وفيه تنبيه على أنّه سبحانه أورث القرآن في هذه الاُمّة بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله هدى و ذكرى لأولي الألباب وهم العلماء الرّاسخون من اُمّته والأوصياء المرضيّون من عترته لا يفارقهم القرآن ولا يفارقونه حتّى يردوا عليه يوم القيمة كما قال صلى الله عليه وآله « إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزّ وجلّ و عترتي أهل بيتي ألا وهما الخليفتان من بعدي و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض(١)».

(وقال و ذكّر) لمّا أمر الله سبحانه نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله بالتولّي والاعراض عن مجادلة المشركين المنكرين لنبوّته المصرّين على إنكار دعوته إلى ما فيه صلاحهم في الدّارين وبيّن أنّه ليس بملوم على ذلك الاعراض لبذل جهده في التبليغ بقوله « فتولّ عنهم فما أنت بملوم » وأمره ثانياً بالتذّكير و التعليم تسليةً و بشارةً له بقوله «ذكّر» يعني لاتدع التذكير والموعظة الحسنة (فانّ الذكرى تنفع المؤمنين) أي الّذين يؤمنون بك ممّن هو في أصلاب الآباء و أرحام الاُمّهات إلى يوم القيمة ، أو الّذين آمنوا بك فانّها تنفعهم وتزيد بصيرتهم و تحيي أرواحهم و تنوّر قلوبهم وتصقّل إذهانهم كما أنّ المطر في الأراضي القابلة توجب حيوتها، و في ذكر هذه الآية في مقام مدح اُولي الألباب إشارة إلى أنّهم هم المؤمنون بالايمان الحقيقي و هذا غاية المدح والتعظيم لهم.

(يا هشام إنّ الله تعالى يقول في كتابه : إنّ في ذلك) أي فيما ذكر من

---

(١) أما من طريق العامة اخرجه مسلم ج ٧ ص١٢٢ والدارمي ج ٢ ص ٤٣٢ و مستدرك الحاكم ج٣ص١٠٩ وخصائص النسائي ص٣٠ ومسند أحمد ج ٣ ص ١٤ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩ و ج ٤ ص ٣٥٦ و ٣٨١ بالفاظ مختلفة و أما من طريق الخاصة فمروى بطرق متعددة .

خلق السماء و بنائها بلا عمد و تزيينها بالكواكب و مدّ الأرض و إلقاء الجبال الرّواسي فيها و إنبات أنواع النباتات الحسنة المبهجة و تنزيل الأمطار و إنبات الزّروع والأشجار والجنّات الرائقات والنخيل الباسقات و إحياء البلاد و إهلاك بعض القرون السابقة بسبب تكذيب رسلهم مثل قوم نوح و أصحاب الرسّ وثمود و عاد و فرعون و إخوان لوط و أصحاب الايكة و قوم تبّع إلى غير ذلك من الأمور المذكورة في سورة ق (لذكرى) أي لتذكرة (لمن كان له قلب) أي عقل و إطلاق القلب على العقل شايع لغة و عرفاً و بذلك فسّره القرّاء أيضاً في هذه الآية و من قال: قلب واع يتفكّر في الحقايق. أراد به ما قلنا لأنّ التفكّر من صفات العقل (١) دون العضو المخصوص المتشكّل بشكل مخصوص صنوبريّ لأنّ ذلك موجودٌ في الصبيان والمجانين مع عدم تحقّق التذكّر لهم وفيه دلالة واضحة على أنّ غاية إيجاد هذه العالم وإنزال المواعظ الرّبانيّة والنصايح القرآنيّة ليست إلاّ أصحاب العقول الرّاسخة و هذا كمال المدح والتعظيم لهم.

(و قال و لقد آتينا لقمن الحكمة قال الفهم و العقل) الفهم العلم تقول : فهمت الشيء إذا علمته والعقل الجوهر المجرّد (٢) الذي يدرك المعاني الكلّيّة والحقايق المعنويّة من عقل البعير عقلاً إذا شدّ بالعقال سمّي به لأنّه يمنع صاحبه عن ارتكاب مالاينبغي مثل العقال وإطلاق الحكمة عليهما إن كانت عبارة عمّا يمنع

---

(١) قال الحكماء القوة المتخيلة او المتصرفة ان كان تصرفهما بتدبير العقل سميت مفكرة و ان كان بتدبير الوهم سميت متخيلة فالتفكر و ان كان قوة من القوى الجسمانية لكن لايكون تفكراً الا بالعقل (ش).

(٢) العقل: الجوهر المجرد هو الذى يقول به الحكماء و الشارح قائل به كما صرح مراراً و اما ما يفهم من بعض عباراته من عدم الدليل على وجود العقل الذى يقول به الحكماء فالمراد به بعض ما يلتزم به المشاؤن من كون عدد العقول عشرة و ان كل عقل صدر منه ذلك عقل وما يتوهمه الجاهل من تفويض الواجب فعله و قدرته الى العقل وغير ذلك (ش) .

من الجهل كما صرّح به في المغرب أو ما يمنع من قبيح ويؤدّي إلى مكرمة كما صرّح به ابن دريد ظاهر لأنّهما يمنعان صاحبهما عن الجهل و القبيح و إطلاقها على الفهم إن كانت عبارة عن العلم مطلقاً كما صرّح به بعض أرباب اللّغة أو عن العلم بالدّين كما صرّح به بعض العلماء أو عن معرفة حقائق الأشياء و أحوالها و التخلّق بالأخلاق الحسنة على قدر الطاقة البشريّة كما هو المعروف أيضاً ظاهر و على العقل يعني العقل بالفعل من قبيل إطلاق الحال على المحلّ أو إطلاق الأثر على المبدء والمؤثّر أو على اعتبار اتّحاد بين العقل والمعقول(١) وقال القاضي: هو ابن اُخت أيّوب أو خالته و عاش حتّى أدرك داود و أخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه ، و قال بعض الأفاضل ناقلاً عن كتاب عين المعاني : إنّه تولّد في عشر سنين من سلطنة داود عليه السلام وعاش إلى أن أدرك يوسف عليه السلام وقيل : إنّه عاش ألف سنة ، واختلف في نبوّته فأكثر العلماء على أنّه لم يكن نبيّاً ، و قيل : كان حبشياً أسود اللّون غليظ الشفتين و قيل : ذكر السجاوندي نقلاً عن أهل السّير أنّه كان في بيته وقت القيلولة إذ دخل جمع من الملائكة وسلّموا عليه فأجابهم ولا يرى أشخاصهم ، فقالوا : يا لقمان نحن ملائكة الله نزّلنا إليك لنجعلك خليفة في الأرض لتحكم بين الناس بالحقّ قال: إن كان هذا أمراً حتمياً فالسّمع والطاعة وأرجو منه أن يوفّقني و يسدّدني وإن جعلني مخيّراً فإنّي أريد العافية لا التعرّض للفتنة فاستحسنه الملائكة و أحبّه الله و زاده في الحكمة والمعرفة (٢) و من حكمته أنّه

(١) يعنى اطلاق الحكمة على العقل لايخلو عن تجوز بوجه لان الحكمة هى المعقولات و اما العقل فهو آلة درك الحكمة لانفس الحكمة الا ان يقال باتحاد العاقل والمعقول فيصح حقيقة فان المعقولات نفس العقل حينئذ والاتحاد مذهب صدرالمتألهين قدس سره و الشارح يرتضى آرائه غالباً و يختارها فى هذا الشرح و يعرض عما يحتاج اثباته الى دفع المناقشات و تزييف الاعتراضات . (ش)

(٢) هذا صريح فى ان الحكمة التى اوتيها لقمان لم يكن من النبوة و لاعلوم الشريعة المبنية على التعبد بالمنقول فانها لاتختص برجل دون رجل بل كل أحد يستاهل☆

صحب داود شهوراً و كان يسرد الدّرع فلم يسأله عنها فلمّا أتمّها لبسها وقال : نعم لبوس الحرب أنت ، و قال : الصمت حكمة و قليل فاعله و إنّ داود قال له يوماً : كيف أصبحت فقال : أصبحت في يدي غيري مرتهناً بعملي ، و أنّه أمره بذبح شاة و أن يأتي بأطيب مضغتين منها فأتى باللّسان والقلب ثمّ بعد أيام امر بأن يأتي بأخبث مضغتين فأتى بهما أيضاً فسأله عن ذلك فقال: هما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا .

((الأصل)) :

« يا هشام إنّ لقمان قال : لابنه : تواضع للحقّ تكن أعقل الناس و إنّ »
« الكيّس لدى الحقّ يسير، يا بنيّ إنّ الدّنيا بحر عميق، قد غرق فيها عالم كثير »
« فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان و شراعها التوكّل وقيّمها العقل »
« ودليلها العلم وسكّانها الصبر » .

« يا هشام إنّ لكلّ شيء دليلاً و دليل العقل التفكّر ، و دليل التفكّر »
« الصمت ، و لكلّ شيء مطيّة ومطيّة العقل التواضع و كفى بك جهلاً أن تركب »
« ما نهيت عنه ».

« يا هشام ما بعث الله أنبياءه و رسله إلى عباده إلاّ ليعقلوا عن الله فأحسنهم »

---

*أن يؤتيه الله علم الشريعة المنقولة بالسماع و الحفظ وفي سورة لقمان حجة قاطعة على من ينفر عن النظر والحجة والادلة العقلية و علم الكلام والحكمة وأمثالهما وربما يتعسف متعسف و يأول الحكمة الممدوحة في القرآن بعلم الشريعة نقلا وقد ذكرنا في حواشي منهج الصادقين أن مجلة لقمان الحاوية لبعض حكمه كانت معروفة عند العرب و كانت عند سويد بن صامت نسخة منها أراها رسول الله «ص» فقال: عندي أحسن منه وقرأ عليه أشياء من القرآن. و قلنا هناك أيضا ان لقمان في رواية كان مصرياً و نقل الطنطاوي أسامي جماعة من حكماء مصر القدماء كشفوا أسماءهم و صحفهم في هذه العصور واحدهم اسمه قاقمه والله أعلم «ش».

«استجابة أحسنهم معرفة ، و أعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا ، و أكملهم عقلاً أرفعهم»
« درجة في الدّنيا والآخرة».

« يا هشام إنّ لله على الناس حجّتين : حجّة ظاهرة و حجّة باطنة، فأمّا »
«الظاهرة فالرّسل والأنبياء والأئمّة عليهم السلام ، وأمّا الباطنة فالعقول».

« يا هشام إنّ العاقل الّذي لايشغل الحلال شكره ولايغلب الحرام صبره».

« يا هشام من سلّط ثلاثاً على ثلاث فكأنّما أعان على هدم عقله : من أظلم»
« نور تفكّره بطول أمله و محا طرائف حكمته بفضول كلامه و أطفأ نور عبرته»
« بشهوات نفسه فكأنّما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه»
« و دنياه » .

« يا هشام كيف يزكو عندالله عملك و أنت قدشغلت قلبك عن أمر ربّك »
« وأطعت هواك على غلبة عقلك».

« يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوّة العقل ، فمن عقل عن الله اعتزل »
« أهل الدّنيا والراغبين فيها و رغب فيما عندالله ، و كان الله اُنسه في الوحشة و»
« صاحبه في الوحدة و غناه في العيلة و معزّه من غير عشيرة»

« يا هشام نصب الحقّ لطاعة الله ، ولا نجاة إلاّ بالطاعة ، والطاعة بالعلم ، »
« و العلم بالتعلّم ، و التعلّم بالعقل يعتقد ولا علم إلاّ من عالم ربّانيّ ، و معرفة »
«العلم بالعقل ».

« يا هشام قليل العمل من العالم مقبول مضاعف و كثير العمل من أهل »
« الهوى والجهل مردود».

« يا هشام إنّ العاقل رضي بالدّون من الدنيا مع الحكمة ، ولم يرض »
«بالدّون من الحكمة مع الدّنيا ، فلذلك ربحت تجارتهم» .

« يا هشام إنّ العقلاء تركوا فضول الدّنيا فكيف الذّنوب و ترك الدنيا »
« من الفضل و ترك الذنوب من الفرض».

« يا هشام إنّ العاقل نظر إلى الدّنيا و إلى أهلها فعلم أنّها لاتنال إلاّ »

« بالمشقّة ونظر إلى الآخرة فعلم أنّها لا تنال إلاّ بالمشقّة فطلب بالمشقّة أبقاهما »
« يا هشام إنّ العقلاء زهدوا في الدّنيا و رغبوا في الآخرة، لأنّهم علموا »
« أنّ الدّنيا طالبة مطلوبة والآخرة طالبة و مطلوبة ، فمن طلب الآخرة طلبته »
« الدّنيا حتّى يستوفي منها رزقه و من طلب الدّنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت »
فيفسد عليه دنياه و آخرته ».

« يا هشام من أراد الغنى بلا مال و راحة القلب من الحسد و السلامة في »
« الدّين ، فليتضرّع إلى الله عزّ وجل في مسألته بأن يكمّل عقله ، فمن عقل »
« قنع بما يكفيه و من قنع بما يكفيه استغنى و من لم يقنع بما يكفيه لم يدرك »
« الغنى أبداً »

((الشرح)):

(يا هشام إنّ لقمان قال لابنه : تواضع للحقّ تكن أعقل الناس) التواضع التذلّل من الوضع و هو خلاف الرفع و يحصل ذلك بالاجتناب عن التكبّر والافتخار و سائر المنهيّات والاتيان بالأوامر والمصالح و سائر الخيرات والتمسّك بحول الله و قوّته في الحركات والسّكنات ولاريب في أنّ هذه خصلة عظيمة دلّت على أنّ صاحبها من أعقل الناس لأنّ العقل هو الدّاعي إليها و يمكن أن يكون المراد أنّ تواضعك سبب لصيرورتك من أعقل الناس ، و يؤيّده ظاهر الشرط المقدّر و توجيه ذلك أنّ العقل من أفضل النعماء و شكرها التواضع و شكر النعمة يجلب الزّيادة كما قال سبحانه « و لئن شكرتم لأزيدنّكم » فالتواضع سبب لازدياد العقل و كماله (و إنّ الكيّس لدى الحق يسير) الكيّس ـ بفتح الكاف وتشديد الياء مع كسرها ـ من دان نفسه و عمل لما بعد الموت أي العاقل الذكي المتأنّي في الأمور و حسن عاقبتها ، وقد كاس يكيس كيساً و كياسة يعني أنّ العاقل الّذي يعمل بمقتضى عقله و يطلب ثواب الله و رضاه بتسديد قوّتي العلم والعمل عند الحقّ قليل لظهور أنّ أكثر الناس تابع للنفس وهواها مشتغل بلذّات الدّنيا و مقتضاها

كما نطق به الكتاب العزيز في مواضع عديدة والسّنّة النبويّة في مواطن كثيرة ، و هذا الحكم وإن كان ظاهراً لكن لمّا كان خلافه أولى صار بهذا الاعتبار محلاً للانكار ، فلذا أكّده ، ثمّ لا يبعد أن يكون الغرض من هذه الأخبار هو التنبيه على أنّ الاعتزال عن أكثر الناس أولى و أهمّ والفرار عنهم أحرى و أسلم ، ويحتمل أن يكون الكيس - بفتح الكاف وسكون الياء - وهو العقل والذكاء و حسن التأنّي في الأمور. واليسير أيضاً بمعنى القليل يعني أنّ عقل الرّجل وذكاء و حسن تأنّيه و تدبّره عند ظهور الحقّ و موافاته قليل كما هو المشاهد في أكثر الناس والمعلوم بالنظر إلى أحوالهم . قيل : اليسير ضدّ العسير و معناه أنّ كياسة الإنسان و هي عقله و فطانته سهل هيّن عند الحقّ لاقدر له و إنّما الّذي له قدر عند الله تعالى هو التواضع والمسكنة والخضوع والعجز والافتقار ، فكلّ علم و كمال لايؤدّي بصاحبه إلى مزيد فقر و حاجة إليه سبحانه يصير و بالاً عليه و كان الجهل و النقيصة أولى به ولذلك قيل غاية مجهود العابدين تصحيح جهة الامكان والفقر إليه تعالى فكلّ عالم كيس [زعم] أنّ له وجوداً وكمالاً غير ما هو رشح من رشحات بحر وجوده وتفضّله(١) فهو في غطاء شديد وحجاب عظيم عن درك الحقيقة.

(يا بني إنّ الدّنيا بحر عميق) هذا تشبيه بليغ بحذف الأداة وحمل المشبّه به على المشبّه للمبالغة في الاتّحاد ووجه التشبيه تغيّرها وانقلابها واضرابها وعدم ثبات ما فيها من صور الكاينات كتغيّر البحر و انقلابه و اضطرابه بالأمواج المتعاقبة أو إهلاك من دخل فيها و ركن إليها و مشى عليها بقدم الضلالة والطغيان و أخذها بيد الجهالة والعصيان و هذا الوجه أظهر و لما كان وجوده في الأصل

(١) حققه صدر المتالهين فى اكثر كتبه و عليه مبنى حكمته فوجود الممكن ليس وجوداً فى نفسه و بنفسه ولنفسه بل هو نظير المعنى الحرفى الذى لااستقلال له ولايمكن أن يتصور وحده من غير ان يتصور معه اسم أو فعل و أصل الوجود و حقيقته هو الله تعالى و ما سواه ليس بشيء و من لم يعرف ذلك فلم يعرف شيئا علىٰ ما ذكره الشارح (ش).

ظاهراً محسوساً بخلاف وجوده في الفرع أوضحه بقوله (قد غرق) أي هلك (فيها عالم كثير) لانهماكهم في لذّاتها و انغمارهم في زهراتها و اشتغالهم بشهواتها و إغماض بصيرتهم عن الآخرة و أحوالها و تركهم ما يوجب النجاة عن عقباتها و الخلاص من عقوباتها و جعلهم قوله تعالى «ولاتغرّنّكم الحيوة الدّنيا ولايغرّنّكم بالله الغرور» من وراء ظهورهم ورضائهم باللّذات الحاضرة الهالكة والمنافع المغوية الباطلة بغرورهم فكأنّهم لم يسمعوا قوله سبحانه «وعدالله لايخلف الله وعده ولكنّ أكثر الناس لايعلمون» «يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا وهم الآخرة هم غافلون» وإنّما خصّ العالم بالذكر لأنّ هلاكه محلّ التعجّب و أمّا الجاهل فلااعتناء به لعدم اتّصافه بالحقيقة الإنسانيّة واللّطيفة الرّوحانيّة ، أولانّ حكمه يعلم بالأولويّة و في الكلام استعارة تبعيّة لأنّه شبّه الهلاك بالغرق و اشتقّ منه فعل فوقع التشبيه في المشتق بتبعيّة المصدر وهي تأكيد لتشبيه الدّنيا بالبحر باعتبار أنّه أثبت المشبّه ما هو من خواصّ المشبّه به ، ثمّ في تشبيه الدّنيا بالبحر إيماء لطيف إلى أنّه يجب لأهلها أن لايقصدوا الإقامة فيها والرّكون إليها ، بل يجب لهم أن يقصدوا المرور منها إلى ساحلها أعني دار الآخرة كما أنّ راكب البحر لا يقصد الإقامة فيه والرّكون إليه بل غرضه المرور إلى ساحله ، و امّا شبّه الدّنيا بالبحر وكان سائر البحر يحتاج إلى آلات للنجاة منه و الوصول إلى السّاحل سالماً غانماً كان السائر في الدّنيا أيضاً محتاجاً في المرور منها والوصول إلى جناب الحقّ و نعيم الأبد إلى اُمور للنجاة منها . و قد بيّن هذه الاُمور و شبّهها بتلك الآلات في كونها أسباباً للنجاة بقوله (فلتكن سفينتك فيها تقوى الله) وهي ملكة التجنّب عن المعاصي والتنزّه عمّا يشغل السّرّ عن الحقّ و إنّما شبّهها بالسفينة لأنّ من اتّصف بالتقوى و جلس فيها يطفوا الدّنيا ويأمن من الرّسوب فيها كما أنّ جالس السفينة يطفوا البحر و يأمن من الرّسوب فيه (وحشوها الإيمان) بالله و بصفاته و أفعاله و بجميع ما أنزله إلى رسوله و إنّما شبّه الايمان بما في السفينة من المتاع و أنواع ما يتّجر به لأنّه حافظ للمتقوى عن الانقلاب والاضطراب مثل ما

في السفينة أولانّه ينفع بعد الخروج من الدّنيا ، كما أنّ ما في السفينة ينفع جالسها بعد الخروج من البحر إذ لوخلت سفينة التقوى عن الايمان بقي صاحبها بعدخروجهمن الدّنيافقيرأمضطرّاً متحيراًفي أمرهمستحقّاًللعذاب(وشراعهاالتوكّل) شراع السفينة بالفارسيّة بادبان كذافي المغرب والشين مكسورة ، والتوكّل إظهار العجز والاعتماد على الله والوثوق به في جميع الأمور و تفويضها إليه وهو درجة عليّة للعارفين و منزلة رفيعة للسالكين ، من وصل إليها بطلت عنه قيود الرموم ، و تقشّعت عنه سحائب الغموم ، و ارتفعت بواعث الاضطراب ، و انقطعت عنه دواعي الاكتساب ، و سبحت عليه مزن الأمن والايمان ، و جلس على موائد الرّحمة والرّضوان وارتوى من حياض الفيوضات الرّبّانيّة و شبع من موائدالكرامات الرّحمانيّة و إنّما شبّهه بالشراع لأنّ سفينة التقوى المحشوّة بالإيمان لاتسير بدونه ، إذ من لم يعتقد أنّ الأمور كلّها يجري بأمرالله والأرزاق كلّها بيدالله و أنّه المتكفّل لها يعتقد بأسبابها و يشتغل بتحصيل تلك الأسباب فيمنعه ذلك عن السير إلى المقامات العالية و طلب الوصول إليها بالطاعات و يضعف اعتقاده بالمبدء كما أنّ غير المتوكّل من المسافرين في هذه الدّنيا يشتغل بتحصيل الأسباب و ينتظر وجود القوافل والرّفيق حذراً عن عدم القوت و خوفاً عن قاطع الطريق فيبقى مقيماً في آونة من الزّمان منتظراً في مدّة لحصول الأسباب و اجتماع الإخوان (وقيّمها العقل) العقل (١) جوهر قلبي قابل لمعرفة الصانع و مايتعلّق به ، أي معرفة الآخرة و ما يتعلّق بها ، و هو مبدء التقوى و به ضبطها و حفظها وسيرها و نقل صاحبها إلى ساحة حضرةالقدس و قرب الحقّ فهوبمنزلة قيّم السفينةو ربّانها (٢) في إصلاحها و ضبطها و حفظها من المفاسد والخلل الواردة عليهافكما

---

(١) العقل عند العامة عرض من العوارض النفسانية و عند الحكماء جوهر مستقل و هو الذى اختاره الشارح و امور الاخرة تدرك بالعقل كما أن المبدء أيضاً يعرف به و لذلك لم يكلف الحيوان و ان قوى حواسه المدركة للجسمانيات بمعرفة المبدء و المعاد (ش).

(٢) ربان ـ كرمان ـ من يجرى السفينة .

أنّه لولم يكن للسفينة قيّم لفسدت أمورها و بطلت أوضاعها و تعطّلت أحوالها بحيث لاتصلح لقطع البحر الزاخر و يصير أهلها مشرفاً بالهلاك كذلك لولم كن للمتّقي عقل ينهدم أساس تقواه إذ لم يتميّز عنده الحقّ من الباطل ، والصحيح من الفاسد ، و مخاطرات الشيطان من إلهامات الرّحمن (و دليلها العلم) الدّليل ما يهديك إلى شيء ، سمّي العلم دليلاً لأنّه يدلّ العقل على الطريق المستقيم ويهديه إلى المنهج القويم كما أنّ دليل المسافرين يهديهم إلى سواء السّبيل والكواكب دليل قيّم السفينة و به يهتدي إلى الطريق بل النسبة بين العلم والعقل آكد من النسبة بين الكواكب والقيّم إذ العقل لاينفكّ عن العلم فانّ نسبته إلى العقل كنسبة النور إلى السراج و نسبة الرؤية إلى البصر (و سكّانها الصبر) السكان ذنب السفينة لأنّها به تقوم وتسكن ؛ و الصبر في الأصل الحبس يقال : صبرت نفسي على كذا أي حبستها ، ويطلق على حبسها على الطاعة بأن يربطها عليها ليلاً و نهاراً ويقدم عليها سرّاً و جهاراً ، و على المصيبة بأن لايجزع ولايشكو ، و على الفاقة والمسكنة بأن يرضى بها ولايسأل غيرالله سبحانه أصلاً ، وعلى الغنى بأن لايغترّ به ولايتكبّر و يؤدّي الحقوق الماليّة و على المجاهدات الطويلة و الرّياضات الشديدة بأن يقوم عليها طلباً للوصول إلى المقامات العالية و على الأمراض والبلايا بأن يرضى بها ولايشكولها وإنّما شبّهه بالسكان لأنّه كما يتوقّف سير السفينة و تقويمها و تسديدها و تسكينها و ثباتها بالسكان يعرف ذلك ربّانها و قيّمها بعلمه و تدبيره كذلك يتوقّف سير سفينة التقوى إلى حضرة القدس و قرب الحقّ في تقويمها و تسديدها و تسكينها وثباتها بالصبر على الأمور المذكور لظهور أنّ ارتقاء النفس من حدّ النقص إلى حدّ الكمال ومن المنازل البشريّة إلى المنازل الالهيّة لايتحقّق إلّا بتحوّلات كثيرة(١) وانتقالات عديدة وانقلابات شديدة و مجاهدات عظيمة في مدّة طويلة مع النفس المايلة إلى الرّاحة فيحتاج إلى صبر كامل وعزم ثابت

(١) تعبير قريب التناول قابل لفهم اكثر الناس عن الحركة الجوهرية التي حققها صدر المتألهين وهى أحد اركان حكمته(ش).

و لذلك أمر الله سبحانه أشرف الكاملين الصدّيقين الرّاسخين بقوله «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرّسل» و تلك الأمور سنّة ضرورية (١) للنجاة من العقوبة الدّنيوية و الأخرويّة، و الفوز بالسّعادة الدّايمة الأبديّة.

(يا هشام إنّ لكلّ شيء) و هو يطلق على الموجودات أو على المعدومات أيضاً عند المحقّقين (دليلاً) و هو للموجودات عبارة عمّا يقتضي وجودها أو العلم بها من الأسباب و الشرائط و الآثار، و إنّما سمّي هذا دليلاً لأنّ الأشياء بسببه تنتقل من العدم إلى الوجود كما أنّ المسافر بالدّليل ينتقل من بلد إلى بلد، و أمّا المعدومات فدليلها (٢) عدمي أعني عدم ما يقتضي وجودها فإنّه سبب لنقل العدم من آن إلى آن آخر، و من زمان إلى زمان آخر (و دليل العقل التفكّر) في أبواب المعارف و أحوال المبدء و المعاد و ما يتبعهما و إنّما صار التفكّر دليل العقل لأنّ العقل بسببه ينتقل من عالم الجهالة و السفالة الّذي هو منزل الإدبار و المسخ عند أصحاب القلوب النورانيّة إلى العلم الحقيقي و العالم العلوي فيستريح عن اللّواحق الناسوتيّة و يتحلّي بالفضايل اللاهوتيّة و هذا المعبّر عنه بالإقبال كما في بعض الأحاديث (و دليل التفكّر الصّمت) أي السّكوت عمّا لا يعني لأنّ التفكّر أعني حركة الرّوح النورانيّة القابلة للمطالب العالية من المبادي إلى تلك المطالب إذا أخذت في الاستدلال أو إدراكهما معاً إذا كانت لها رتبة المكاشفة يتوقّف على سدّ طرق الحواسّ و يحتاج إلى المنع من دخول الأغيار

---

(١) السنة الضرورية عند الاطباء هي الهواء و الطعام الشامل للمشروب و النوم و اليقظة و الحركة و السكون و الاستفراغ و الاحتباس و الاعراض النفسانية و هي ضرورات الحيوة الجسدانية و التحول و الانتقال و الانقلاب و المجاهدة مع الصبر و العزم سنة ضرورية للحيوة العقلانية (ش)

(٢) الدليل سبب لانتقال الذهن الى المدلول و بهذا الاعتبار يسمى دليلا و العدم الصرف لايمكن ان يتصور فلاينتقل اليه الذهن اذ التصور نحو من الوجود و المعدم اذا تصور و دل عليه فله نحو من الوجود (ش).

في القلب أمّا على الأوّل فلأنّ مشرب القلب على ذلك التقدير ضيق جدّاً فلا يرد فيه من لطايف المعاني إلّا واحد بعد واحد فإذن دخول الغير من طرق الحواسّ يمنع ورودها فيه قطعاً، و أمّا على الثاني فلأنّ القلب لغاية صفائه و نهاية ضيائه يتأثّر سريعاً من أنفاس تلك الأغيار و أكدارها فلا ينطبع فيه صور هذه المطالب و من جملة الحواسّ اللّسان و هو أعظمها فإنّه يتناول كلّ موجود ومعدوم ومعلوم و موهوم ويتعرّض له بنفي و إثبات و هذه الحالة لا توجد في غيره فانّ اليد لا تصل إلى غير الأجسام والأذن لا تصل إلى غير الأصوات و كذا القياس في البواقي فلذلك خصّ الصّمت بالذكر تنبيهاً على اعتبار حال سائر الحواسّ أيضاً فإذن الصمت ممّا يتوقّف عليه التفكّر و هو دليله في انتقاله من القوّة إلى الفعل.

(و لكلّ شيء مطيّة ومطيّة العقل التواضع) المطيّة الدّابّة الّتي تمطو في سيرها أي تجدّ وتسرع والجمع المطايا والمطي والامطاء ، و في النهاية هي الناقة الّتي يركب مطاها . أي ظهرها يعني لكلّ شيء في انتقاله من العدم إلى الوجود أو من القوّة إلى الفعل أو من حالة أنقص و أدنى إلى حالة أرفع و أعلى سبب هو كالمطيّة له وسبب انتقال العقل من القوّة الذّاتيّة الفطريّة إلى العقل بالفعل ومن عالم الغواشي الجسمانيّة إلى عالم المجردات (۱) هو التواضع لله سبحانه والتذلّل له عند الوقوف على معارفه والعكوف على نواهيه و أوامره فمن ورد في مكان المعارف والأحكام و لم يتواضع له تعالى فقد فقد مطيّته المحركة إليه و النزول بين يديه فيبقى تائهاً متحيّراً في ذلك المكان أو يرجع مدبراً بتطاول الأعادي و إغواء الشيطان .و قيل تحقيق هذا الكلام أنّ لكلّ شيء طبيعة متوجّهة إلى غايتها و له مادّة حاملة لقوّتها و استعدادها نحو كمال هي بمنزلة الراحلة (۲) له ومادّة

(۱) اشار الى ما حققه الحكماء من أن لنفس الانسان اربع مراتب من العقل الهيولانى الى العقل بالفعل و من التجسم الى التجرد و ان النفس فى هذه المرتبة مجردة (ش).

(۲) الممكن قسمان أحدهما ما يتغير عن حاله و يطلب كمالا آخر كالبذر يصير☆

العقل هي النفس و كلّ مادّة تستعدّ لكلّ صورة كماليّة فإنّما تستعدّها لكونها في نفسها خالية عن الفعلية والوجود الّذي من جنسها و إلّا لم تكن قابلة فكذلك النفس ما لم تصر موصوفة بصفة التواضع والفقر لم تصر مطيّة للعقل الّذي هو الصورة الكماليّة الّتي بها تصير الأشياء معقولة للانسان فليتأمل وفي صدر هذا الكلام استعارة مصرّحة و في آخره تشبيه بليغ (و كفى بك جهلا أن تركب ما نهيت عنه) ارتكاب المنهي عنه من آثار الجهل و علاماته وقد شبّهه بالمركوب لأنّ الانسان بسببه يتقلّب في عالم اللّذات الجسميّة و ينتقل إلى أسفل السّافلين كما أنّه بالتواضع لله و انقياد أحكامه والعمل بها يتقلّب في عالم المجرّدات و يرتقي إلى أعلى علّيّين، ففي الكلام استعارة مصرّحة وذكر الركوب ترشيح وقيل في بيان هذا الكلام أنّ جميع المناهي أمور محسوسة و لذّات جسمانيّة و اشتغال النفس بها يوجب تقيّدها بالصور الجسميّة فيحجب العقل عن إدراك الصور العقليّة لأنّها تضادّ تلك الصور، و ينبغي أن يعلم أنّ العقل إمّا مستقيم أو راجع أو مقيم والاستقامة بأن يسير إلى أعلى علّيّين ومركبه التواضع ، و الرجوع بأن يسير إلى أسفل السافلين و مركبه المناهي ، والاقامة بأن يقف في هذا العالم ويشتغل بالمباحات، و هذا و إن كان مذموماً من حيث أنّه مفوت للمقصود و لكنّه غير مذموم من حيث أنّه لم يشتغل بالمناهي و غير ممدوح من حيث أنّه لم يتصف بالتواضع فلذا لم يذكره عليه السلام و اقتصر على الأولين لأنّ المدح والذّم إنّما يتعلّقان بهما وينبغي أن يعلم أيضاً أنّ الجهل عند العترة عليهم السلام هو ارتكاب المناهي و إن كان المرتكب لها عالماً بل هو عندهم في الحقيقة أجهل و الذّم المتعلّق به أشنع و أكمل فمن ادّعى كونه عالماً عاقلاً واختار الدّنيا و شهواتها و آثر الزهرات الفانية و لذّاتها فهو

☆نباتا ، والثانى مالا يتغير وجميع مايمكن له من الكمال حاصل من اول خلقته والقسم الاول يحتاج الى مادة بها يستعد لقبول الكمال كما ثبت فى الحكمة و الانسان قابل للكمال فله مادة و مادته النفس الهيولانية وهى جسمانية اذا المراد به النفس المنطبعة لاالنفس المجردة والنفس المنطبعة عقل بالقوة لابالفعل . (ش)

مفتونٌ بالضّلالة و ملتبس بلباس الجهالة .

(يا هشام ما بعث الله أنبياءه و رسله إلى عباده إلاّ ليعقلوا عن الله) أي ليعرف العباد و يعلموا بتعليم الرُّسل وتفهيمهم من الله مالا يعلمون من عند أنفسهم أو ليؤدّي الرُّسل عنه مالزمه من هداية عباده و إرشادهم إلى دين الحقّ من عقلت عن فلان إذا أدّيت عنه مالزمه (فأحسنهم استجابة) أي أحسن العباد أو أحسن الرُّسل استجابة لله تعالى بالطاعة والاجتهاد والصّبر والانقياد و كذا ضمير الجمع في الفقرات الآتية يحتمل الأمرين إذ كما أنَّ درجات العباد متفاوتة كذلك درجات الرُّسل كما نطقت به الآيات والرّوايات الكثيرة (أحسنهم معرفة) بالله و آياته وغيرها من مصالح الدُّنيا و الآخرة ، و ذلك لأنَّ حسن الاستجابة تابع لحسن المعرفة فكلّما زاد حسن الأصل زاد حسن الفرع (و أعلمهم بأمر الله) يعني أحسنهم معرفة بأحكامه وشرايعه (أحسنهم عقلاً) لأنَّ حسن العلم والمعرفة تابع لحسن العقل (و أكملهم عقلاً) يعني أحسنهم عقلاً و إنّما عبّر عنه بذلك للتفنّن و للتنبيه على أنّ حسن العقل بكماله في العلم بالموجودات والاحاطة بالمعقولات (أرفعهم درجة في الدّنيا و الآخرة) لأنّ تفاوت الدّرجات فيهما غاية أخيرة للأمور المذكورة و تفاوت الغاية في الكمال والنقصان باعتبار تفاوت ذي الغاية فيهما وهذا الحديث على ماقرَّرناه من باب القياس المفصول النتايج ينتج أنَّ أحسنهم استجابة أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة (١) و فيه مدح عظيم للعقل حيث جعله أصلاً لجميع الخيرات و مبدء للتفاضل في الدّرجات كما يظهر ذلك بالتأمّل الصادق لأنّه جعل كمال الدّرجات في الدّنيا والآخرة الاستجابة كما يقتضيه مضمون النتيجة ، و جعل كمال الاستجابة تابعاً لكمال المعرفة و كمال المعرفة تابعاً لكمال العقل فيفهم منه أنّ العقل أصل لجميع الكمالات و مبدء للتفاضل في الدّرجات .

(يا هشام إنّ لله على النّاس حجّتين) أي دليلين (حجّة ظاهرة) مشاهدة (و حجّة باطنة) مستورة (فأمّا الظاهرة فالرّسل و الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، و أمّا الباطنة

---

(١) والعاقل اكثر ثواباً في الاخرة كما يأتي انشاءالله تعالى (ش)

فالعقول) لما خلق الله جلّ شأنه النّفوس البشريّة واسطة بين النّجدين ، مستعدّة لسلوك الطريقين طريق الخير وطريق الشرّ . قابلة للضدّين من الصفات الشريفة والسّمات الرّذيلة مايلة إلى اكتساب الحسنات متشوّقة إلى اقتراف السيئات لما فيها من اللّذة الحاضرة والمنفعة الظاهرة وأيّدها بالقوى الشهوية والغضبيّة وغيرها من القوى الطبيعيّة الدّاعيّة إلى الشرّ النّاهية عن الخير كانت النّفوس لذلك ولما يوحي إليها إبليس وجنوده من الشرّ أقرب ومن الخير أبعد فالله سبحانه أخذ باعهم برحمته في تيه الضّلالة بتبيين المنهج و تعيين الحجج ، فجعل عليهم حجّتين إحديهما ظاهرة والأُخرى باطنة ، أمّا الظاهرة فهم الأنبياء والرّسل والأئمة عليهم السلام لأنّهم أنوار ساطعة في بلاده و براهين ظاهرة في عباده يدعونهم إلى سبيل النجاة ويخرجونهم من غياهب الظلمات (١) ويحرّكونهم من حضيض النقص والوبال إلى أوج الفضل والكمال ، فمن تبعهم فقد اهتدى و من تخلّف عنهم فقد غوى ، وأمّا الباطنة فهي العقول لأنّ بها تميّز الحقّ من الباطل والصواب من الخطاء و السعادة من الشقاوة ، والحسن من القبيح والخير من الشرّ و تأمرهم في كلّ ذلك باتّباع أشرف المناهج و أقوم السّبل و استماع ما يتلو عليهم الأنبياء و الرّسل ؛ ويحكم بأنّ في ذلك حسن عاقبتهم و سعادة خاتمتهم كلّ ذلك ليحيى من حيّ عن بيّنة و يهلك من هلك عن بيّنة .

(يا هشام إنّ العاقل الّذي لايشغل) من شغل لامن أشغل فانّه لغة رديّة و الموصول خبر « إنّ » (الحلال) و هو كلّ مايجوز التصرّف فيه والانتفاع به شرعاً وعقلاً من الأموال والأزواج و غيرها (شكره) أي صرف اللّسان في مدح المنعم والثناء عليه ، و صرف جميع الجوارح فيما خلقن لأجله كصرف اللّسان في الثناء والتعظيم و صرف البصر في مطالعة المصنوعات ليستدلّ به على وجود الصّانع و وحدته وقدرته وحكمته وتدبيره وصرف القلب في التفكّر في ذاته وصفاته ودقائق حكمته و آثار قدرته ، وبالجملة العاقل من لايمنعه كثرة نعم الله عليه ووفور أياديه لديه

(٢) الغيهب ـ كزبرج ـ الظلمة، الشديد السواد من الخيل والليل. جمعه غياهب .

عن ذكر الله في جميع الأحوال والأزمان، و عن الاقرار له بالعظمة والجود و الاحسان، وعن التذلّل له والتخشّع لديه و جلب المزيد منه، والتضرّع إليه كما قال سبحانه «يا أيّها الّذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولاأولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فاُولئك هم الخاسرون» (ولايغلب الحرام) وهو كلّ مالايجوز التصرّف فيه شرعاً أو عقلاً (صبره) في الفاقة والجوع والشدايد، ولايخرجه التمكّن من اكتساب الحرام عن سنن الشرائع واصول القواعد ولايقطع عنان اصطباره شموس النفس و جموح (١) الطبيعة بل يقمع نفسه بالمواعظ الحسنة و مقامع النصيحة ويرجو في ذلك أجر الصابر الحزين ومحبّة ربّ العالمين كما قال سبحانه «إنّ الله يحبّ الصابرين».

(يا هشام من سلّط ثلاثاً على ثلاث فكأنّما أعان على هدم عقله) كأنّما أصله أنّ دخلت عليه كاف التشبيه وألحقت بها ما الكافة فلذلك وقع بعده الفعل. والهدم مصدر، هدم البناء أي نقضه و كسره، ففيه إستعارة تمثيليّة لتشبيه الصورة المعقولة بالصورة المحسوسة لزيادة الايضاح و التقرير أو استعارة مكنيّة لتشبيه العقل بالبيت في أنّه يكنّ صاحبه و يصونه من المكاره و استعارة تخييليّة باثبات الهدم له، وإنّما أدرج لفظ كأنّ وأعان ولم يقل: فقد هدم عقله للتنبيه على أنّ تسليط الثلاث على الثلاثة إنّما يوجب هدم المسلّط عليه حقيقة إلاّ أنّ المسلّط عليه لمّا كان من خصال العقل كما ستعرفه في التفصيل فكان هدم ذلك هدمه ويحتمل أن يكون كان ههنا مستعملاً للعلم بثبوت الخبر من غير قصد إلى التشبيه و يؤيّده قوله في آخر التفصيل «ومن هدم عقله أفسد عليه دينه و دنياه» (من أظلم نور تفكّره) في أحوال المبدء والمعاد، والاضافة من باب لجين الماء، لأنّ التفكر يشبه النور في الايصال إلى المطلوب أو بتقدير اللام والمراد بالنور العلوم الحاصلة من التفكّر (بطول أمله) فيما لاينبغي من المقتنيات الفانيّة الموروثة لنسيان الآخرة وخمود التفكّر و هو معنى الاظلام و ذلك لأنّ طول توقّع الاُمور المحبوبة الدّنيوية يوجب دوام

---

(١) الشموس و الجموح بضم الشين والجيم مصدران لهما بفتحهما و زان جموش و بمعناه.

ملاحظتها الموجب لدوام إعراض النفس عن ملاحظة أحوال الآخرة و هو يوجب انمحاء ماتصوّر في العقل من تلك الأحوال وذلك معنى النسيان وخمود نور التفكر و لذلك قيل : الدّنيا والآخرة ضرّتان لأنّ محبّة إحديهما (١) توجب الاضرار بالاخرى (و محا طرايف حكمته) عن لوح العقل ، قال بعض الحكماء : الحكمة شيء يجعله الله تعالى للقلب فينوّره حتّى يدرك به المشروعات والمحظورات ويعلم المعقولات والمستحيلات ، كما أنّ البصر شيء يرى به المحسوسات ، و سمّى ذلك الشيء المنور للقلب حكمة تشبيهاً له بحكمة اللّجام وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس في منع صاحبه من الخروج عن طريق الصّواب . والطرائف جمع طريف و هو كلّ شيء مستحدث يعجبك ، والاضافة إمّا بيانيّة أو من باب جرد قطيفة أو لاميّة بأن يراد بالطرائف العلوم والادراكات التابعة لذلك النّور (بفضول كلامه) الفضل الزّيادة وقد غلب جمعه على ما لاخير فيه حتّى قيل : شعر فضول ، و قيل : لمن يشتغل بما لا يعنيه : فضولي ، والتكلّم بما لا يعني سبب لمحو الحكمة و طرائفها لأنّ اللّسان ينبوع القلب فاذا اعتاد المتكلّم باللّغو وتقاطر منه ذلك أفاض ذلك على القلب و هو يغسل الحكمة عنه ويمحوها ، و لأنّ مشرب القلب ضيق كلّما دخل فيه شيء يخرج منه ضدّه ولو لم يخرجه بقي شيء مختلط من الحقّ والباطل و هذا ليس بحكمة كما أنّ قليلاً من الماء إذا خالطه دمٌ كثيرٌ لا يسمّى هذا المختلط ماء ، و أكثر الشّبهات مبدؤها ذلك المختلط ، و أيضاً من أكثر الكلام في مجلس العوام يجد لنفسه في تأثير قلوبهم حلاوة ولذّة فاذا دام على ذلك يميل طبعه الخسيس إلى كلّ كلام مزخرف يروّجونه و إن كان باطلاً و يتنفر عن كلّ كلام يستثقلونه و إن كان حكمة فيصرف همّته إلى ما تحرّك قلوبهم ليعظم منزلته عندهم فلامحالة ينمحي طرائف الحكمة عن قلبه لأنّ الّذي يؤثر في قلوبهم ليس إلاّ ما فهموه

(١) ان التوجه الى الامور الدنيوية يوجب انمحاء ما تصور في العقل من احوال الاخرة . فالدنيا ضرة للاخرة والضرتان امرأتان تحت زوج واحد اذا اقبل على احديهما اعرض عن الاخرى ، و العقل يناسب الاخرة و الحس يناسب الدنيا فان الامور الاخروية لاتدرك هنا الا بالعقل والحس خاص بادراك ما في الدنيا (ش) .

ومافهموه ليس من الحكمة في شيء (وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه) العبرة هي ملاحظة أحوال الماضين والاتّعاظ بما كانوا فيها من نعيم الدنيا و لذّاتها والمباهات بكثرة العشيرة والاولاد والافتخار بكثرة أسبابها و مقتنياتها ، ثمّ مفارقتهم لذلك كلّه بالموت الّذي هو هادم اللّذات و كاسر الفقرات و بقاء الحسرة والندامة لهم حجباً حائلة بينهم و بين الرّحمة الالهية؛ و كلّ من اتّصف بالعبرة و مارسها حتّى صارت ملكة يحصل في قلبه نور يهديه إلى الآخرة و ما يوجب تعميرها من الأعمال الصالحة والصفات الفاضلة و من تبع النفس الأمارة بالسّوء و شهواتها ورتع في مرعى ضلالتها ولذاتها حصل في قلبه ظلمة شديدة وغشاوة عظيمة مانعة عن دخول نور الاعتبار و نور الاستبصار ، و من سلّط هذه الخصال الثلاث الّتي بناء الهوى والجهل عليها أعني طول الأمل و فضول الكلام و الشهوات النفسانيّة على الخصال الثلاث التي بناء العقل عليها أعني نور التفكّر و طرائف الحكمة و نور العبرة (فكأنّما أعان هواه) و هو ميل النفس الأمّارة بالسوء إلى ما يقتضي طباعها من اللّذات الدّنيوية الفانية إلى حدّ الخروج من حدود الشريعة (على هدم عقله) وهو نور يسلك به الانسان طريق الجنان وعبادة الرحمن فيصل إلى السّعادة التامّة الكبرى وهي مشاهدة الحضرة الرّبوبيّة و مجاورة الملاء الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، و ذلك لظهور أن اتّباع النفس الأمّارة بالسوء لميولها الطبيعيّة و سيرها في سبيل هواها و اشتغالها باستيفاء مقتضاها أشدّ صدمة على العقل و أقوى ظلمة في طمس نوره ، وأكمل جاذب له عن طريق الحقّ ، و أظهر سادّ له عن قصد الكمالات والترقّي في ملكوت السّموات كما نقل عن سيّد المرسلين ﷺ «ثلاث مهلكات شحّ مطاع وهوى متّبع وإعجاب المرء بنفسه (١)» (ومن أفسد عليه عقله أفسد عليه دينه و دنياه) أمّا إفساد الدّين فلانّ استقامته إنّما هي بادراك أحوال المبدء والمعاد والتّصديق بها والعمل بما ينبغي أن يعمل والانزجار عمّا ينبغي أن يترك ، و المدرك لهذه الأمور والدّليل عليها و الحاكم بحقيقتها إنّما هو العقل فاذا فسد

(١) رواه الصدوق في الخصال أبواب الثلاثة.

العقل فسد الدّين، و أمّا إفساد الدّنيا مع أنّه روي عن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: «وكل الرزق بالحمق، و وكل الحرمان بالعقل (١)» وروي عن أبي عبدالله عليه السلام «أنّ العقل ماعبد الرّحمن وا كتسب به الجنان (٢)» وأمّا الّذي يتوصّل به إلى الأغراض الدّنيوية بالمكر والحيل مثل ما في معوية وأضرابه فتلك شيطنة ونكراء وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل فوجهه أمران الأوّل أنّ الدّنيا المعتبرة عند أهل البيت عليهم السلام هي الّتي تكون معبرة يعبر بها إلى الآخرة كما دلّ عليه قولهم: «الدّنيا مزرعة الآخرة (٣)» فالدّنيا عندهم ما يهيىء به المؤمن أمر آخرته ويجعله وسيلة إلى تحصيل فوائدها وذريعة إلى تكميل عوائدها، و ظاهر أنّ هذه الدّنيا لايمكن استقامتها ولا يتيسّر استفادتها بدون العقل، إذ غير العاقل لا يأمن وقوعه في الشبهات و وروده على المحرّمات و استقراره في المهلكات، الثاني أنّ كثرة الرّزق و حصول الدّنيا و إن كان منوطاً بالبطالة والحماقة ومربوطاً بالسفاهة والجهالة لكن الأحمق لايأمن وقوعه في أشنع المهالك و سلوكه في أقبح المسالك و تورّطه في أعظم الشدائد والمكاره الموجبة لهلاكه و فساد دنياه كما يشهد به المشاهدة.

(يا هشام كيف يزكو) أي كيف يطهر عن اعراض الدّنيا وشوائب النقصان أو كيف يزيد و ينمو عندالله (عملك وقد شغلت قلبك عن أمر ربّك وأطعت هواك على غلبة عقلك) بالتسليط المذكور في الكلام المتقدّم يعني لايكون عملك طاهراً أومطهّراً أو نامياً زاكياً عندالله تعالى و أنت على هذه الصفة لأنّك إذا قمت بين يديه ولايكون قلبك متوجهاً إليه بل يكون شاغلاً عن أمر الله وفارغاً عن ذكر الله و غافلاً عن عظمة الله و تاركاً لأحكام العقل و مقتضاها و تابعاً للنفس الأمّارة و هواها كنت تعبد

(١) رواه الكليني في كتاب الروضة تحت رقم ٢٧٧ وزاد «و وكل البلاء بالصبر».

(٢) الكافي كتاب العقل والجهل تحت رقم ٣.

(٣) اخرجه الديلمي في مسند الفردوس كما في كنوز الحقايق للشيخ عبد الرؤف المناوي تحت عنوان الدال.

بحسب الظاهر إلهاً و بحسب الحقيقة إلهاً آخر لأنّ أصل العبادة هو الطاعة و الانقياد و لذلك جعل الله سبحانه اتّباع الهوى و الانقياد له عبادة فقال جلّ شأنه «أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه» و جعل طاعة الشيطان عبادة له فقال: «ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لاتعبدوا الشيطان» و في بعض الرّوايات «إنّ اطاعة أهل المعاصي عبادة لهم(١)» «وإنّ من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يؤدّي عن الله فقد عبد الله وإن كان يؤدّي عن الشيطان فقد عبد الشيطان»(٢) وهذا هو الشرك الخفي عند العارفين ولئن نزلنا عن ذلك فلاشبهة في أنّه يفوتك حينئذ حقيقة العبادة و روحها الّذي به تصعد العبادة إلى الدّرجة العليا والمرتبة العظمى من الشرف و القبول فلايكون عبادتك مأمونة عن طرء البطلان ولامصونة عن شوائب النقصان ولا قابلة للزّيادة والنماء عند ما يأخذ العابد بواحدة عشرة أمثالها أو مازاد في يوم الجزاء. فلا بدّ لك أيّها العاقل أن تقتل هواك بسيف عقلك وتوجّه قلبك إلى أمر ربّك و تعبده كأنّك تراه، و هذه المرتبة مقام المشاهدة وهي أعلى منازل العابدين ولولم يكن لك هذه المرتبة فلاأقلّ تعبده و في قلبك أنّه يراك و هذه المرتبة مقام المراقبة وهي أوسط منازل المقربين و مع ذلك تكون خايفاً خاشعاً متضرّعاً راجياً إلى رحمته، لعلّك تكون من المفلحين، وفي هذا الكلام دلالة واضحة على أنّ قبول الأعمال وصلاحها و كمالها و طهارتها و نموّها إنّما هو بالعقل الكامل المتأمّل في عظمة الله و قدرته و سطوته و سلطنته و غلبته على جميع الممكنات، و أمّا الجاهل المغرور المطيع للنفس و هواها الغافل عن أو امر ربّه و مقتضاها فهو عبد لئيم، و عمله ساقطٌ هابط سقيمٌ، يوم لاينفع مال ولابنونٌ إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

---

(١) روى الكليني في الكافي كتاب الايمان و الكفر باب الشرك تحت رقم ٨ عن أبي عبدالله «ع» «من أطاع رجلا في معصية الله فقد عبده».

(٢) رواه الحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول ص ٤٥٦ عن ابي جعفر الثاني «ع» وفيه «ابليس» مكان «الشيطان» في الموضعين.

(يا هشام الصّبر على الوحدة علامة قوّة العقل) لأنّ الانسان مدني بالطبع وله ميل إلى بني نوعه في التألّف والتودّد والاستيناس بهم والمشاركة معهم في طلب المعاش و ساير مايحتاج إليه فاذا ترك ذلك كلّه لعلمه بأنّه يوجب منقصة في دينه وضعفاً في يقينه و آثر الوحدة على الكثرة ورجّح الفرقة على الاُلفة للتحرّز عن مشاركتهم في أفعالهم الشنيعة وأطوارهم الدّنيّة علم أنّه قويّ في العقل و التدبير في اُمور الآخرة لأنّ ذلك من آثار العقول الكاملة (فمن عقل عن الله) أي فمن عرف الله و عرف ذاته و صفاته و مايجوز له وما يمتنع عليه و أحكامه و شرايعه وأحوال الآخرة و شدّة فاقة النّاس و كثرة احتياجهم إليه يوم القيمة الّذي يشتغل فيه الأبرار بأنفسهم فضلاً عن الأشرار (اعتزل عن أهل الدّنيا والرّاغبين فيها) و هم الّذين يؤثرون الدّنيا و زهراتها و يبذلون الجهد في اقتنائها و ادّخار ثمراتها كما هو المشاهد من أبناء الزّمان الّذين يجيبون دواعي النفس في منازل الطغيان ويقتفون آثارها و يسمعون وساوس إبليس في مراحل العصيان ويطأون أدبارها كما هو المعلوم من أرباب الفسوق والكفران، وفيه دلالة على شيئين أحدهما أنّ الاعتزال إنّما للعاقل العالم بمعالم دينه و أمّا الجاهل فالأليق بحاله أن يخالط الناس ويشتغل بطلب العلم فان أمكنه في بلده وإلاّ فليطلبه في بلد آخر كما قيل: «اطلبوا العلم ولو بالصين (١)» الثاني أنّ الاعتزال مطلوب عن أهل الدّنيا و أهل العصيان لاعن أهل الآخرة، فانّهم أولياء الله و أنصاره في دينه، والتوصّل بهم يوجب الاستنارة بنورهم والاستضاءة بضوئهم (و رغب فيما عندالله) من الخيرات والأنوار الإلهيّة و الاشراقات العقليّة والابتهاجات الذوقيّة والترقّيات الروحيّة، إلى غير ذلك ممّا لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر، ولا بأس أن نشير إلى العزلة و أقسامها وشيء من فوائدها و منافعها إذ ذكر جميع فوائدها متعذّر لأنّها ذوقيّة حاصلة لأرباب

---

(١) ظاهر كلام المؤلف أنه من كلام غير المعصوم لكن رواه العقيلي في الضعفاء و ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب من حديث عائشة، وابن عبدالبر وفي العلم من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله.

العزلة بعد الممارسة في مدّة طويلة لمجاهدات شديدة فنقول :

العزلة من الناس أقسام:

الأوّل و هو أدناها أن يكون بينهم ولايكون معهم بل يكون وحيداً غريباً مستوحشاً منهم ولا يجالسهم وإن جالسهم أبغضهم كماروى عن الصادق عليه السلام قال: «إذا ابتليت بأهل النصب و مجالستهم فكن كأنّك على الرضف(١) حتّى تقوم فان الله يمقتهم و يلعنهم فاذا رأيتهم يخوضون في ذكر إمام من الأئمة فقم فانّ سخط الله ينزل هناك عليهم (٢)».

الثاني و هو أوسطها أن يسكن في بيته ولايخرج إليهم أصلاً ولا يركن إلى مجالستهم و مقاولتهم كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال « يا أيّها النّاس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس فطوبى لمن لزم بيته ، و أكل قوته ، و اشتغل بطاعة ربّه، و بكى على خطيئته(٣) » وكما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله حين سأله عن عقبة بن عامر الجهني عن طريق النجاة أنّه قال له: « ليسعك بيتك وأمسك عليك دينك وابك على خطيئتك(٤)».

الثالث أن يخرج إلى الصّحاري وقلل الجبال و شعبها و يعبدالله ربّه حتّى يأتيه اليقين كماقيل له صلى الله عليه وآله أيّ الناس أفضل : فقال : «رجل في شعب من الشعاب يعبد ربّه ويدع الناس من شرّه» (٥) و قال عليه السلام: «إنّ الله يحبّ العبد التقيّ النقيّ

---

(١) الرضف: الحجارة المحماة على النار.

(٢) الكافي كتاب الايمان والكفر باب مجالسة اهل المعاصى تحت رقم ١٣ .

(٣) اورده الشريف الرضى فى النهج فى خطبه عليه السلام تحت رقم ١٧٤ أوله « انتفعوا ببيان الله » و قال بعض الشراح فى هذا الكلام ترغيب فى العزلة عن اثارة الفتن واجتناب الفساد و ليس ترغيباً فى الكسالة و ترك العامة و شأنهم فقد حث أمير المؤمنين «ع» - فى غير هذا الموضع - على مقاومة المفاسد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(٤) رواه الترمذى ج٩ ص٢٤٧ و حسنه، و احمد ج ٤ ص١٤٨ .

(٥) تمام الخبر كما رواه احمد فى مسنده ج٣ ص ٤٧٧ باسناده عن كرز بن علقمة الخزاعى قال أتى النبى «ص» أعرابى فقال يا رسول الله هل لهذا الامر منتهى، قال☆

الخفيّ (١)» والاخبار الدالّة على مدح المعتزلين من طرقنا وطرق العامّة أكثر من أن تحصى و فوائدها كثيرة منها الفراغ لعبادة الله تعالى والذكر له والاستيناس بمناجاته والاستكشاف لأسراره في اُمور الدُّنيا والآخرة من ملكوت السموات والأرض و لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبّد بجبل حراء و يعتزل به حتّى أتته النبوّة.

و منها الإخلاص في العبادة وتبعيدها عن تطرّق احتمال السمعة والرّياء كما روي عن الباقر عليه السلام: «لا يكون العبد عابداً لله حقّ عبادته حتّى ينقطع عن الخلق كلّهم إليه فحينئذ يقول: هذا خالص لي فيقبله بكرمه (٢)».

و منها صرف القلب عن غير الله و هي نعمة عظيمة و فائدة جليلة كما قال الصادق عليه السلام «ما أنعم الله عزّ وجلّ أجلّ من أن لا يكون في قلبه مع الله عزّ وجلّ غيره».

و منها الأمن من نزول العذاب عليه عند نزوله بساحة الظالمين كما روي عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام أنّه نهى رجلاً من أصحابه عن مجالسة خالد وهو من أهل الضلال فقال: أيّ شيء عليّ منه إذا لم أقل ما يقول؟ فقال عليه السلام: أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً، أما سمعت بالّذي كان من أصحاب موسى و كان أبوه من أصحاب فرعون، فلمّا لحقت خيل فرعون موسى تخلّف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسى فمضى أبوه و هو يراغمه حتّى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً، فأتى موسى الخبر فقال عوفي: رحمه الله ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن

☆ «نعم فمن أراد الله به خيراً من أعجم أو عرب أدخله عليهم ثم تقع فتن كالظلل يعودون فيها اساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض و افضل الناس يومئذ مؤمن معتزل فى شعب من الشعاب يتقى ربه تعالى و يدع الناس من شره» و رواه البخارى ج ٤ ص١٨ و ابن ماجه تحت رقم ٣٩٧٨ كما فى المتن.

(١) أخرجه أحمد فى مسنده من حديث سعد بن ابى وقاص بسند صحيح كما فى الجامع الصغير.

(٢) نقله ابن فهد الحلى فى عدة الداعى فى مبحث الاعتزال عن الناس.

قارب المذنب دفاع (١)».

و منها الاتّقاء عن مواضع التهمة والرّيبة كما روي عن الصادق عليه السلام قال: « لاتصحبوا أهل البدع ولاتجالسوهم فتصيروا عند النّاس كواحد منهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله و قرينه (٢) و عنه عليه السلام قال: قال « أمير المؤمنين عليه السلام: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايقوم مكان ريبة (٣)».

و منها التخلّص عن المعاصي إذ الخاطة لا يخلو عنها غالباً كالغيبة و الكذب والسبّ والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحوها.

و منها الخلاص من شرّهم فإنّهم كثيراً مايؤذون جليسهم بالاستهزاء والغيبة والتهمة والبهتان و افتراء الأقوال والأعمال عليه

و منها النجاة من خبث مشاهدة الثقلاء والحمقاء و قبح ملاحظة أطوارهم و أخلاقهم فقد قيل للأعشي: لم أعشت عيناك؟ قال: من النظر إليك ومن النظر إلى الثقلاء ولهذه الوجوه من الأدلّة والفوائد ذهب جماعة من المحقّقين والعارفين إلى أنّ العزلة أفضل من المخالطة وذهب طايفة إلى العكس لقوله تعالى: «وألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً» و قوله تعالى: «ولاتكونوا كالّذين تفرّقوا و اختلفوا» و معلوم أنّ العزلة تنفي تألّف القلوب و توجب تفرّقها و لقوله صلى الله عليه وآله «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه (٤)» وقوله صلى الله عليه وآله «لاهجرة فوق ثلاث (٥)» و قول الصادق عليه السلام «لاخير في المهاجرة» (٦) إلى غير ذلك من الأخبار الدالّة

---

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب مجالسة أهل المعاصي تحت رقم ٢ .

(٢) الكافي كتاب العشرة باب من يكره مجالسته ومرافقته تحت رقم ١٠ .

(٣) الكافي كتاب الايمان والكفر باب مجالسة أهل المعاصي تحت رقم ١.

(٤) أخرجه احمد في مسنده كما في كنوز الحقائق للشيخ عبدالرؤف المناوي .

(٥) رواه الكليني في الكافي كتاب الايمان و الكفر باب الهجرة عن أبي عبدالله «ع» عن النبي «ص» ، و روى البخاري في صحيحه ج ٨ ص ٢٣ من حديث أنس بن مالك «لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» .

(٦) رواه الكليني في الكافي كتاب الايمان والكفر باب الهجرة تحت رقم ٤ .

على الأمر بالتصافح والتعانق والتعاشر والاجتماع ، و على النهي عن المهاجرة و قطع الرّحم والتباعد والافتراق ولكثرة منافع الخلطة و فوائدها الّتي لا توجد في العزلة مثل التعليم، التعلّم والتأديب والتأدُّب والنفع والانتفاع والإمداد في المهمّات و فضيلة الجمعة والجماعة والزّيارة والتبرّك برؤية العلماء والصلحاء والعبرة بمشاهدة الأحوال و كسب الأخلاق المرضيّة من أهلها و ثواب التأهل والنكاح و تكثير الأولاد إلى غير ذلك من المنافع الدّنيويّة والأخرويّة ، و ينبغي أن يعلم أنّ كلا الاحتجاجين صحيح ولكن ليست العزلة أفضل من المخالطة مطلقاً ولا المخالطة أفضل من العزلة مطلقاً ، بل كلّ في حقّ بعض الناس و في بعض الأوقات بحسب المصالح ، إذ لكلّ منهما مصالح وشرائط متفاوتة بحسب تفاوت الأشخاص والأوقات وقد مرّ أنّ من شرايط الاعتزال أن يبلغ الإنسان رتبة الكمال في القوّة النظريّة و العمليّة ويستغني عن مخالطة كثير من الناس و أن يعتزل المنهمكين في الدنيا الراغبين في حطامها السالكين سبيل العصيان التابعين لوساوس الشيطان فلو لم يبلغ المعتزل تلك المرتبة أو لم تكن الجماعة موصوفين بالصفات المذكورة كانت المخالطة أفضل والاجتماع لتحصيل المحبّة والألفة أجدر و أكمل ، وبالجملة النّبي ﷺ ومن يقوم مقامه علماء حكماء وقد بيّنوا ما فيه صلاح الناس عاجلاً وآجلاً جليّاً وخفيّاً ولا ينافي تفاوته في أفرادهم كما أمروا بالنكاح تارة ونهوا عنه تارة وأباحوه تارة لتفاوت ذلك في أفراد البشر و من أراد أن يعرف مقاصدهم من أوامرهم ونواهيهم وتدبيراتهم وتقديراتهم ينبغي أن يعلم طرفاً من قوانين الأطبّاء و مقاصدهم من العبارات المطلقة، فإنّه كما أنّ الأطبّاء معالجون للأبدان بأنواع الأدوية و العلاجات لغاية بقائها على صلاحها أو رجوعها إلى العافية من الأمراض البدنيّة كذلك النّبي ﷺ و من يقوم مقامه أطبّاء النفوس و هم مبعوثون لعلاجها من الأمراض النفسانيّة كالجهل و الحقد و الحسد و الرّياء و سائر رذايل الأخلاق بأنواع الكلام من الآداب والنصائح والمواعظ والأوامر والنواهي و الضرب والقتل والاعتزال والاختلاط ، و كما أنّ الطبيب قد يقول إنّ الدّواء الفلاني نافع من المرض

الفلاني ولايعني به في كلّ الأمزجة وفي كلّ الأوقات و في كلّ البلاد بل في بعضها ، كذلك النبيّ صلى الله عليه وآله والقائمون مقامه إذا أطلقوا القول في شيء أنّه نافع كالعزلة مثلاً فإنّهم لايريدون أنّه نافع لكلّ إنسان و في كلّ زمان (١) و كما أنّ الطبيب قديصف لمريض دواء ويصف شفاء فيه و يرى أنّ ذلك الدّواء بعينه لمريض آخر كالسمّ القاتل و يعالجه بغيره ، كذلك النبيّ صلى الله عليه وآله و القائمون مقامه قد يرون أنّ بعض الأمور دواء لبعض النفوس فيقتصرون عليه و يأمرون به كالعزلة وقد يرون أنّ ذلك مضرّاً لغير تلك النفس فيأمرون بضدّ ذلك مثل المخالطة وإن أردت أوضح من ذلك فنقول : إمّا أن لا يكون في الخلطة خير أصلاً أو يكون فيها خير والخير إمّا للطرفين أولأحدهما ، فهذه أربعة أقسام ، ثمّ الخير إمّا خير في الدّنيا فقط ، أو في الآخرة فقط ، أو فيهما ، فينبعث منها أقسام يرجّح في بعضها الخلطة و في بعضها العزلة و يتساوي في بعضها الأمران ، فللعاقل العالم المتدرّب أن يختار منها مايقتضيه عقله و تدبيره والله أعلم بحقايق الأمور (٢) .

(١) فان قيل ان الاطلاق يفيد التعميم فمن اين يفهم التخصيص ويعرف المورد الذى يخصص الحكم به؟ قلنا جميع ما ورد من هذه الامور مقرون بقرائن و مبين بأسباب و معلل بعلل يظهر منها المراد مثلا ورد في مدح العزلة «يعبد ربه و يدع الناس من شره» و يعلم منه أن حسن العزلة للعبادة و سلامة الناس من شر المعتزل و يعرف من ذلك أن المعاشرة اذا كانت عبادة كتعلم الدين والقرآن اوتعليمهما أو كسب الرزق الحلال للانفاق في سبيل الخير مع الامن من اضرار الناس واذاهم فلا يرجح العزلة عليها و كذلك المعاشرة والصحبة مظنة الوقوع في المعاصي والحسد والغيبة و طول الامال وبعث الشهوات الدنية والرغبة في حطام الدنيا و اعانة اهل الظلم والمعصية و تحسين افعالهم السيئة والتسامح معهم بترك النهي عن المنكر واذا لم تكن مستلزمة لهذه الامور وامثالها فلا ومثل ذلك الترغيب في كسب المال و مدح القناعة باليسير كلاهما معلل بعلل يعلم منها وجه كل منهما «ش».

(٢) راجع تفصيل الكلام في مدح العزلة وذمها و فوائدها وغوائلها و كشف الحق فيها المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء كتاب العزلة.

(و كان اللّٰه أُنسه في الوحشة) الأُنس مصدر قولك آنست به أُنساً من باب حسب أو من باب ضرب و هو ضدّ الوحشة، و المشهور فيه ضمّ الهمزة و سكون النون وقد جاء بكسرة الهمزة قليلاً و بفتح الهمزة والنون جميعاً، و الحمل على سبيل المبالغة أو الأُنس بمعنى الأُنيس و يؤيّده أنّه نقله صاحب العدّة بلفظ الأُنيس و يحتمل أن يقرأ آنسه على وزن الفاعل و أصله آنساً به أُضيف إلى الضمير بعد حذف الجار من باب الحذف والايصال، و صحّ إطلاق الآنس عليه سبحانه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في دعائه: «اللّهمّ إنّك آنس الآنسين بأوليائك» والوحشة بمعنى الخلوة أو بمعنى الهمّ والحزن الحاصلين له بسبب فقد الأُلفة بينه و بين بني نوعه وعشيرته أو بسبب الغربة والانفراد من جهة العزلة خصوصاً في مباديها أو بسبب عدم تعاهده لذلك المكان إذ غير المألوف من المكان يوجب الوحشة كما يحكم به التجربة، و محصّل معناه أنّ المعتزل لوحصلت له وحشة ما لأجل تركه صحبة بني نوعه و عشيرته و سلوكه طريق الحقّ بالمحبّة الرّاسخة والنيّة الصادقة و الرّغبة الكاملة كان اللّه أنيسه الّذي يرفع وحشته و يدفع عنه حزنه و كربته و يصرف وجه قلبه إلى شطر كعبة وجوده و يسرّه بمطالعة أنوار كبريائه و مشاهدة إضافات جوده حتّى يرى كلّ خير حاضراً و كلّ كمال ظاهراً، فهو بكرمه يألف، وبفضله يستزيد، وبرحمته يستفيض كلّ ما يريد (و صاحبه في الوحده) واللّه سبحانه و إن كان صاحب الكلّ في كلّ الأوقات كما قال اللّه تعالى: «ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولاخمسة إلاّ هو سادسهم ولاأدنى من ذلك ولاأكثر إلاّ هو معهم أين ما كانوا» لكن المقصود هنا إفادة الاختصاص كما يفيده الإضافة ووجه ذلك أنّ الرّجل إذا ترك متاع الدّنيا وأبناءها، و أعرض عن الاستماع به و اقتنائه، و اختار الوحدة والانفراد، و تمرّن على الطاعة والانقياد، وأقبل بحسن الطويّة إليها وحبس نفسه بزمام المشيّة عليها وفكّ عنه أغلال اللّذات الدّنيويّة و قطع عنه أنواع العلاقات النفسانيّة والهيئات البدنيّة بحيث لايبقى معه شيء إلاّ التفكّر في ذاته وصفاته تعالى و ما يوجب قربه يستقبله حينئذ نور الحقّ كمال قال: «من

تقرّب إليّ بذراع تقرّبت إليه بباع(١)» ويبزله على بساط العزّ والمصاحبة ويشرّفه بشرف الأُنس والمكالمة ويكرمه بأنواع التعظيم والمخاطبة حتّى إذا ناداه أجابه بلبّيك وإذا سكت ناداه يا عبدي أنا مشتاقٌ إليك لم سكت عن عرض الحالات والمقالات بعد الترخّص لك بالأجوبة والسؤالات و عند ذلك ينكشف عنه الحجاب و يسكن فيه عروق الاضطراب ، ويزول عنه لواحق الوحشة والاغتراب ، فيقول : لا إله إلاّ أنت ولا أُشرك بك أحداً ، و تسيل عليه الكرامات الإلهيّة والسّعادات الربّانيّة والكمالات النفسانيّة مالم يكن يخطر بباله أبداً(٢) (وغناه في العيلة) الغناء بالفتح و المدّ النفع ، و قيل : الكفاية و بالكسر والقصر اليسار والحمل على سبيل المبالغة او المصدر بتأويل الفاعل، والعيلة بالفتح الفقر والفاقة يعني أنّه سبحانه نفس غناه أو مغنيه في وقت حاجته و فقره لا غيره إذ عين افتقاره حينئذ لا تنفتح إلاّ إليه ويد اضطراره لا تتحرّك إلاّ بين يديه ولا ملجأ له سواه حتّى يتكل عليه . و اعلم أنّه يحتمل أن يراد بالفقر والغناء ما هو المعروف بين النّاس و هو أن يجد من متاع الدّنيا ما يعيش به و يسدّ خلله و يقيم أمره و يكمل نظامه و يصون وجهه و أن يفقد ذلك و يحتمل أن يراد بهما الغنى والفقر الأُخرويّين وقد شاع إطلاقهما عليهما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الغنى والفقر بعد العرض على الله سبحانه»(٣) يعني هما يتبيّنان يوم القيمة ويتحقّقان بعد العرض على الله سبحانه و بعد الفراغ من الحساب والفقير في ذلك اليوم من تحيّر في خسارة نفسه و حرم من كرامة ربّه والغنيّ من تحلّى نفسه بالأخلاق والكمالات

---

١ - الباع ضعف الذراع والخبر رواه البخاري في صحيحه ج٩ص١٩٢.

٢ - وقد روي عن عمران بن الحصين وهو من اصحاب رسول الله «ص» أنه قال: كان يسلم علي يعني الملائكة كانوا يسلمون عليه في خلواته فاكتويت يعني عالج نفسه في مرض طرى عليه بالكي و انقطع السلام منهم لكراهة العلاج بالكي ثم منع الراوي ان يروى حديثه مادام حيا لانه خشي ان يهجم عليه الناس للتبرك به فيؤذوه او يتوقعوا منه شيئا لا يقدر عليه و عمران هذا كان ممن رجع الى امير المؤمنين و كان يندد على من قال برايه في المتعة و كشف الامور الملكوتية لا يحصل الا لمن يعتزل الناس و يانس بالوحدة(ش)

(٣) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٤٥٢ .

و استحقّ الفوز بالسعادات والكرامات و نظر إليه ربّه بعين الرّحمة و الغفران و أنزله أعلى درجات الفردوس و أشرف منازل الجنان ، و هذا الاحتمال أقرب من الأوّل لأنّ الفقر بمعنى الإفلاس في الدّنيا سهل لأنّه ينقطع شدائده بالموت بخلاف الفقر والإفلاس في الآخرة فإنّه يوجب الهلاك الدّايم والشقاء الأبد (و معزّه من غير عشيرة) المعزّ من العزّ خلاف الذّل أو خلاف الضعف بمعنى القوّة والشدّة ، والمعنى وكان الله معزّه في الآخرة بالثواب الجزيل أو في الدّنيا بالذكر الجميل والمدح الجليل و بإفاضات الأسرار الغيبيّة و كشف الحقائق العينيّة، والثاني أنسب بقوله «من غير عشيرة» لأنّ العشيرة و هي القبيلة المتأكّدة بينهم العشرة والصحبة توجب العزّ في الدّنيا .

(يا هشام نصب الحقّ لطاعة الله) نصب إمّا على البناء للمفعول أي أُقيم الحقّ يعني الدّين بإرسال الرّسل و إنزال الكتب لأجل طاعة الله في أوامره و نواهيه، ولو تركت الطاعة صار الحقّ موضوعاً والدّين مخفوضاً و هو يوجب زواله بالكلّيّة و إمّا على البناء للفاعل لكن بحذف الفاعل أو استتاره أي أقام الله تعالى الحق يعني الدّين لطاعته ،وهذا قريب ممّا ذكر بحسب المعنى أو بحذف المفعول ، والمراد بالحقّ هو الله تعالى أي أقام الله تعالى خلقاً أو ديناً لطاعته في الأوامر والنّواهي و إمّا على المصدر و المراد بالحقّ الدّين كما في الأوّل أي إقامة الدّين الحقّ بتحقيق لطاعة الله بفعل ما أمره و ترك مانهاه (ولا نجاة إلاّ بالطاعة) أي لا نجاة من الشدايد الأبديّة والعقوبات الأُخرويّة على سبيل الحتم والجزم إلاّ بطاعة الله و انقياده و أوامره و نواهيه أو الحصر إضافي بالنسبة إلى المعصية ، و على التقديرين لاينافي ذلك حصول النجاة في بعض الأحيان بالعفو و الغفران كما دلّ عليه بعض الأخبار و آيات القرآن ، و يحتمل أن يراد أنّه لا نجاة للإنسان من الظلمات البشريّة والهويّات النّاسوتيّة في عالم الأجسام و عالم الأشباح و لا يحصل لهم الترقّي إلى مشاهدة الأنوار الرّبوبيّة والأسرار اللاّهوتيّة في عالم المجرّدات ، و عالم الأرواح إلاّ بالطاعة إذ هي مرقاة للإنسان في البلوغ إلى غاية

مرامهم والوصول إلى نهاية مهامّهم وهي التشبه بالرّوحانيّين و الدّخول في زمرة المقرّبين . و اعلم أنّ الغرض من هاتين الفقرتين بيان أنّ الطاعة أصل عظيم إذ بها يتحقّق إقامة الدّين والنجاة من العذاب المهين كما عرفت ثمّ بين أنّها متوقّفة على العقل بثلاث مقدّمات آتية على سبيل القياس المفصول النتايج ليظهر لك شرافة العقل و أصالته بالنّسبة إلى جميع المقاصد و هذا غاية المدح والتعظيم له و لمن اتّصف به (والطاعة بالعلم) أي الطاعة متوقّفة على العلم إذ هي عبارة عن فعل المأمور به و ترك المنهيّ عنه و كسب الأخلاق المرضيّة والأطوار الحسنة للتقرّب بالحقّ فلابدّ من العلم بهذه الأمور و بصفات الحقّ ممّا يجوز له و ما يمتنع عليه و بأحوال المعاد (والعلم بالتعلّم) أي العلم بالأمور المذكورة موقوف على التعلّم إمّا بلاواسطة بشر كالأنبياء والرّسل و معلّمهم هو الله سبحانه أو بواسطة بشر كما للأمّة فإنّ معلّمهم هم الأنبياء والرّسل عليهم السلام بالإرشاد والهداية ، وأمّا مفيض العلوم والصور فليس إلّا هو و يحتمل أن يراد بالعلم معناه على الاطلاق تصوّريّاً كان أو تصديقيّاً ، ضروريّاً كان أو نظريّاً دينيّاً كان أو غيره ، فإنّ حصول كلّها للبشر متوقّف على التعلّم من المعلّم الحقيقي و هو الله سبحانه بالافاضة أو الإلهام أو التعليم بواسطة أو بدونها (والتعلّم بالعقل يعتقد) من اعتقاد الشيء إذا اشتدّ و صلب أو من عقدت الحبل فانعقد والزيادة للمبالغة ، و في بعض النسخ «يعتقل» باللّام من اعتقل الرّجل أي حبس ومنع والظرف متعلّق بيعتقد قدم للحصر ، أو للاهتمام يعني تعلّم الأحكام والمعارف معقود بالعقل و محكم به ، أو محبوس عليه ملازم له لايحصل بدونه لأنّ العقل هو القابل لجميع العلوم فلو لم يكن للمتعلّم عقل منفعل بالقوّة قابل لفيضانها من المعلّم العالم بها بالفعل كان تعلّمه بلافائدة وسعيه بلاأثر كالراقم على الماء.

(و لاعلم إلّا من عالم ربّاني) في النهاية الرّبّاني منسوب إلى الربّ بزيادة الألف والنون للمبالغة و قيل : هو من الرّبّ بمعنى التربية كانوا يربّون المتعلّمين بصغار العلوم قبل كبارها ، والرّبّاني العالم الرّاسخ في الدّين أو الّذي يطلب

بعلمه وجه الله و قيل : العامل المعلّم و في الصّحاح و القاموس الربّاني المتألّه العارف بالله تعالى و في الكشّاف الرّبّاني هو شديد التمسّك بدين الله تعالى وطاعته و في مجمع البيان هو الّذي يربّ أمر الناس بتدبيره له و إصلاحه إيّاه و هذه الجملة اعتراضيّة وقعت بين كلامين متّصلين معنى لنكتة وهي التنبيه على أنّه يجب على المتعلّم أن يأخذ العلم من العالم الربّاني دون غيره أو يقال لأنّه وقع حقيقة في آخر الكلام لافادة نكتة يتمّ أصل المعنى بدونها و هي زيادة المبالغة و التأكيد لما يستفاد من قوله والعلم بالتعلّم فانّه يفهم منه أنّ حصول العلم موقوف على التعلّم من العالم الربّاني إذ المراد بالعلم العلم الالهي فظاهر أنّ العلم الالهي إنّما يستفاد من العالم الربّاني، و إنّما قلنا حقيقة لأنّ ما بعدها نتيجة للسابق فكان الكلام قد انتهى وتمّ قبل ذكره من غير حاجة إليه.

(و معرفة العلم بالعقل) هذا في الحقيقة نتيجة للكلام السابق وهو قوله: « والعلم بالتعلّم والتعلّم بالعقل » فقد ثبت ممّا ذكر أنّ العلم والطاعة مع كونهما أصلين للوصول إلى الدّرجة العظمى والبلوغ إلى المرتبة القصوى يتوقّفان على العقل و فيه غاية التعظيم للعقل و نهاية التكريم لأهله، و من العجائب أنّ اُمّة من من السفهاء، وزمرة من الحمقاء في عصرنا هذا (١) يعتقدون أنّهم الغاية الكبرى من الايجاد والتكوين ويجالسون العلماء والعقلاء بصفة المنافقين «وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزؤن ۞ الله يستهزء بهم و يمدّهم في طغيانهم يعمهون».

١- كانه يريد بهم المتظاهرين بالتصوف من اهل الدنيا من غير ان يكون لهم بصيرة في الدين و معرفة بالله ولا يعلمون الاصطلاحات المتداولة عند العرفاء فضلا عن المعاني وذلك لان الدولة في ذلك العصر كانت للصوفية ، والسلطان منهم وكل من كان يريد التقرب اليهم يتظاهر بالتصوف حتى يفوز بالمقامات والمناصب من غير ان يعرف شيئا منه و هكذا كل علم يكون وسيلة لنيل الجاه والمال في زمان كالطب والفقه يكثر المتشبهون بالعلماء فيه ومالا يكون وسيلة اليهما لا يدعى به العلم الا المحقون به ولا يتشبه الجاهل بعالم لا يكون علمه طريقا الى تحصيل الدنيا. (ش)

(يا هشام قليل العمل من العالم مقبول مضاعف) لأنّ العالم يعرف ربّه وما يليق به و مالايليق وماصنع من إكرامه و إنعامه الّذي يعجز عن ذكره اللّسان ولا يحيط على وصفه البيان و ما شرع من الأوامر والنواهي والأعمال والعبادات وشرائطها ومحسّناتها و ما يتخلّص به العبد عن مخالفته و كيفيّة التخلّص منها، و بالجملة يعرف حقيقة العمل و مصالحه و شرائطه و فوائده و مفاسده و يكون لأنوار تلك المعارف قلبه تقيّاً نقيّاً زكيّاً صافيّاً طاهراً مضيئاً . و يكون عمله و إن كان قليلاً خالصاً كاملاً مشتملاً على جميع الأُمور المعتبرة في قوامه و كماله و اعتباره و قبوله و تصاعده و تضاعفه فيكون مقبولاً مضاعفاً لأنّ الله سبحانه حكيمٌ كريمٌ لا يردّ عملاً صالحاً و إن كان قليلاً إذ الكثرة ليست من شرائط القبول كيف وقد مدحه في القرآن العزيز في مواضع عديدة و وعد الوفاء به مع الزّيادة كما قال: «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره» و قال : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» (و كثير العمل من أهل الهوى و الجهل مردودٌ) لأنّ الجاهل لاعلم له بشيء من الأمور المذكورة بل ينظر إليها بعين عمياء فيخبط في كثير منها خبط عشواء وذلك لأنّ لصلاح العمل طريقاً واحداً لايعرفه إلّا ذوفطنة ثاقبة و بصيرة كاملة ، ولفساده طرق متكثّرة فمن أراد أن يسلك طريق العمل الصالح بلا بصيرة ولا دليل مع مرافقة الجهل والهوى النفسانيّة والوساوس الشيطانية ضلّ عنه و سلك أحد هذه الطرق المضلّة ، ثمّ كلّما بالغ فيه و أكثر صار أبعد من الحقّ و أقرب من الباطل و أفسد عليه سعيه وعمله فيكون عمله مردوداً عندالله تعالى إذ لا يصعد إليه إلّا العمل الصالح ، ولوفرض أنّ عمله مشتمل على جميع الأمور المعتبرة في صلاحه نادراً كان ذلك مثل الكثير لأنّ الاتّفاقيّات من الأعمال غير معتبرة بل لابدّ من وقوعها على ايقان وتصديق هذا ولبعض النّاظرين في هذا الكلام كلام طويل في تفسيره و ظنّي أنّ المقصود منه ليس ما ذكره و هو أعرف بما قال، وحاصله بعد حذف الزّوايد (۱) أنّ العلوم الحقيقيّة والمعارف الإلهيّة تطلب لذاتها لاللعمل ثمّ هي

(۱) لخصه ايضاً صاحب الوافي بلفظ أجمع واخصر قال: قليل العمل من العالم☆

تصلح القلب و تصقله لأنّه ينكشف جلال الله و عظمته في ذاته و صفاته و أفعاله و الأعمال لما كانت وسيلة إليها . معينة لها ' حافظة إيّاها تطلب لأجلها ، ففضيلة كلّ عمل إنّما هي بقدر تأثيره في صفاء القلب و إزاله الحجاب عنه فكلّ عمل كان تأثيره أكمل من غيره فهو أفضل، و مراتب الانسان في ذلك مختلفة ، فربّ إنسان يكفيه قليل العمل في تأثير قلبه للطافة طبعه ورقّة حجابه وربّ إنسان بخلافه لغلظة طبعه و كثافة حجابه فربّما يؤثّر كثير العمل فيه تأثيراً قليلاً ، و بعد تقرير هذا يتبيّن معنى قوله عليه السلام «قليل العمل من العالم مقبول مضاعف» لأنّ معنى كونه مقبولاً أنّه مؤثّر في صفاء قلبه و إزالة الحجاب عنه ومعنى كونه مضاعفاً أنّ تأثيره في قلبه أضعاف تأثيره في قلب غيره ، و ذلك لأنّ ارتفاع أكثر الحجب عنه بممارسة العلوم فإنّ كلّ مسألة يحقّقها العالم تجلّي قلبه وتصقله، فإذا ترادفت المسائل والعلوم يبلغ قلبه في الصفاء إلى حدّ لايحتاج إلى كثير عمل لكن مادام الانسان في دار الغرور لايستغني بالكلّيّة عن عمل و كسب لا لأجل إنشاء أصل التصقيل الّذي قدفعل بل للمحافظة عليه و حراسته من الآفات و هي ممّا يكفيه

☆مقبول لانه يؤثر فی صفاء قلبه وارتفاع الحجاب عنه مالايؤثر أضعافه فی قلوب اهل الهوی والجهل لممارسة العلوم والافكار المجلية لقلبة والمصيقلة له عن الرين والغين المعدة له لاستفاضة النور عليه بسبب قليل من العمل وقسوة قلوب اهل الهوی والجهل وغلظ حجبهم و جرمانية نفوسهم و بعدها عن قبول التصفية فلايؤثر فيها كثير العمل انتهی . وهذا معنی لطيف وتفسير معقول يصح أن يحمل عليه عبارة الحديث ولاموجب لظن الشارح أن مراد الحديث غيره وماذكره الشارح من التفسير أيضاً لابأس به مع نقصه وحاصله ان عمل أهل الهوی باطل غير جامع لشرائط الصحة و لذلك يرد و أما عمل أهل العلم فصحيح جامع لشرائط الصحة و لذلك يقبل، وهذا يبين وجه كون عمل العالم مقبولا ولايبين وجه كونه مضاعفاً والحق أن عملا واحداً جامعاً لشرائط الصحة يكون ثوابه للعالم افضل و اكثر من غير العالم ولابد لتصور معنی التضاعف ان يكون للعمل ثواب غير مضاعف لعامل ما و هذا العامل ليس هو العالم لان ثوابه مضاعف فهو جاهل غير معاند ولاتابع لمعاند (ش).

القليل من الأعمال و معنى قوله عليه السلام و كثير العمل من أهل الهوى و الجهل مردود أنّه لايؤثّر الأعمال الكثيرة في تلطيف قلوبهم و إزالة الحجاب والغشاوة عنها لأنّ قلوبهم قاسية ونفوسهم جرمانيّة وسدّهم شديد.

(يا هشام إنّ العاقل رضي بالدّون من الدّنيا مع الحكمة) للنفس حيوتان و موتان بإزاء كلّ حياة موت ، الحيوة الاولى للنفس تعلّقها بهذا البدن و تصرّفها بهذا النحو من التعلّق و التصرّف المعلومين ، و موتها انتقالها من هذا البدن و انقطاع تعلّقها وتصرّفها فيه. الحياة الثانية ابتهاجها بكمالاتها و صفاتها وأعمالها و أخلاقها المرضيّة الموجبة لقرب الحقّ جلّ شأنه ، وموتها فقدها لتلك الكمالات والأعمال والأخلاق و تحيّرها في ظلمات أضدادها ، والعاقل يعلم قطعاً أنّ الحياة الأُولى حياة مجازيّة لسرعة انتقال النفس عن البدن وقلّة مدّتها ، و أنّ الاحتياج إلى زهرات الدّنيا الّتي هي سبب لهذه الحياة إنّما هو بقدر بقائها في تلك المدّة القليلة و إنّ الزائد على ذلك وبال عليه و تضييع العمر فيما لايحتاج إليه، ويعلم أنّ الحياة الثانية حياة حقيقيّة أبديّة لعدم انصرامها أبد الآبدين و إنّ سبب هذه الحياة هي الحكمة و قد عرفت تفسيرها آنفاً فيرضى مع الحكمة الموجبة للحياة الأبدية بالدون من الدّنيا والقليل منها الّذي هو سبب للحياة المجازيّة (ولم يرض بالدّون من الحكمة) و قليل من العلم والمعرفة (مع الدّنيا الكثيرة) الزائدة الّتي لا يحتاج إليها في بقاء الحياة الدّنيويّة ، فأولئك اشتروا الأشرف بالأخسّ والأعلى بالأدنى حيث استبدلوا الحكمة الّتي قال الله تعالى في وصفها «و من يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً» بما لا يحتاجون إليه من فضل الدّنيا و اختاروها عليه (فلذلك ربحت تجارتهم) ضمير الجمع باعتبار إرادة الجماعة من الجنس و إسناد الربح و هو الفضل على رأس المال إلى التجارة وهي طلب الرّبح بالبيع والشرى إسناد مجازيّ لأنّ الرّبح حقيقة للتّاجر إلّا أنّ التجارة لما كانت متعلّقة بالتاجر ومتلبّسة به و سبباً للرّبح أسند الرّبح إليها اتّساعاً . وفيه حثّ بليغ على الزّهد في الدّنيا و زهراتها إلّا القدر الّذي له مدخل في البلغة والحياة فإنّ زهراتها مع عدم الاحتياج إليها شاغلة للفكر مانعة للقلب عن التوجّه إلى حضرة القدس ، باعثة لشدّة الحساب ؛ مقرّبة إلى العقاب ، محرّكة للآمال ، منسئة

للآجال ، مذهبة للعبادة وحلاوتها داعية للنّفس الأمّارة إلى شقاوتها، وحضٌّ عظيم على طلب الحكمة (١) فانّ السّعادة في الدّارين والتفاضل في النشأتين إنّما تحصل بها بل هي عين السّعادة العظمى والغاية القصوى والفضيلة الكبرى ، بها يتمّ نظام الدّين ؛ و يحصل قرب ربّ العالمين ، والوصول إلى أعلى منازل المقرّبين ، و لذلك أمر الله سبحانه حبيبه و صفيّه بعد تشرّفه بشرف الرّسالة و تحلّيه بلباس الكرامة فقال : عزّ شأنه و جلّ برهانه « قل ربّ زدني علماً » ولو كان شيء أعظم من العلم لأمره بطلب زيادته.

(يا هشام إنّ العقلاء تركوا فضول الدّنيا) وهي المباحات (فكيف الذنوب) الموبقة المورثة لخزي الوبال و شدايد النكال، فانّهم تركوها بالطريق الأولى وأعلم أنّ امور الدّنيا على تكثّرها مندرجة تحت الأحكام الخمسة ، لأنّها إمّا حرام أو حلال . والحلال إمّا واجبٌ أو مندوبٌ أو مكروهٌ أو مباحٌ ، والمراد بالفضول هو الأخيران ، و بالذّنوب هو الأوّل و أمّا الواجب وهو تحصيل القدر الضروري الّذي لا يمكن التعيّش والبقاء بدونه ، والمندوب و هو الزّائد على ذلك ممّا يتوسّع به الرّجل على نفسه و عياله على حدّ القانون الشرعي الّذي يسمّونه كفافاً فليس بمذموم بل هو واجب أو مستحسن عقلاً و نقلاً ، إذا تبيّن ذلك فنقول : العقلاء تركوا فضول الدّنيا لا لأنّها مذمومة إذ لا ذمّ فيها بل لغاية تنزّههم ونهاية تقدّسهم و كمال حراستهم صرف العمر فيما يشغل القلب عن ذكر الله تعالى ومشاهدة عظمته و جلاله و مخافة أنْ ينجرّ ذلك إلى الحرام كما قال ﷺ: «لا يكون الرّجل من

---

(١) سبق أن الحكمة ـ وهي العلم باحوال الموجود على ماهو عليه بقدر الطاقة البشرية ـ علم مرغوب فيه شرعا وهي تشمل الحكمة النظرية من الطبيعي و الرياضي والالهي و الحكمة العملية كل ذلك بالدليل و اما التقليد و هو أخذ الشيء من غير دليل من غير المعصوم فمذموم والضلال يحصل من ترك التمسك بالثقلين فقط فكما ضل بعض الفلاسفة لذلك العلة فقد ضل اقوام لم تكونوا عارفين بالحكمة اصلا (ش)

(٢) الكافي باب

المتقين حتّى يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس »و ذلك مثل الاجتناب عن التحدّث بأحوال الناس لمخافة أن ينجرّ ذلك إلى الغيبة ، و إذا تركوا الفضول لهذه الأمور تركوا الذّنوب الموجبة للعذاب المهين ، والبعد عن رحمة ربّ العالمين، المحرّكة للنفس إلى أسفل السّافلين ، والدّاعية لها إلى الخسران المبين اوترك الدّنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض) الجملة حاليّة وهي كالتأكيد للسابق و الدّليل عليه، لانّ ترك فضول الدّنيا إذا كان من باب الفضل والكمال دون الفرض و ترك الذّنوب والاجتناب عنها من باب الفرض الّذي يطلب به النجاة عن عقوبات الدّنيا والآخرة فهم إذا ارتكبوا ما ليس بفرض ارتكبوا ما هو فرض قطعاً و إنّما قال: و ترك الدّنيا ، ولم يقل : و ترك فضول الدنيا للتنبيه على أنّ غير الفضول و هو القدر الضروريّ ليس من الدّنيا في شيء لأنّ المقصود منه حفظ النفس والاستعانة به على العمل للآخرة في طلبه عبادة كما روي «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله(١)» والعبادة لاتعد من الدنيا .(٢)

(يا هشام إنّ العاقل نظر) بعين البصر والبصيرة (إلى الدنيا و إلى أهلها) الطالبين لزهراتها ، الغارقين في شهواتها ، المائلين إلى لذّاتها (فعلم أنّها لاتنال إلاّ بالمشقّة) لما رأى من أهلها في تحصيلها من خوض اللّجج و سفك المهج و قطع البحار وطيّ القفار في التجارات وصرف الأعمار و قصر الأفكار في الزّراعات

(١) الكافي ج٥ ص٨٨ رقم تحت١ .

(٢) جميع ماعدهناه من مناقضات العقل هي من آثار الوهم وماعده من علائم العقل هو من مناقضات الوهم وعليك بالتامل فيها بعدما نتبه عليه انموذجا ومثلا فحب المال والجاه والتجمل والرياسة و امثال ذلك مما يسمى بالدنيا انما هو من الوهم والوهم حس يدرك به المعاني الجزئية كما يدرك الغنم وحشة من الذئب وعداوة فيه يبعثه على الفرار منه والام تدرك محبة للولد تبعثها على ارضاعه و حضانته و اهل الدنيا يدركون في انفسهم محبة للمال والجاه يبعثهم على الخيانة والفساد والسعي في جمع المال من اي وجه كشهوة تجرهم من غير اختيارهم الى شيء يضرهم (ش).

إلى غير ذلك من أنحاء الأسباب و أنواع الاكتساب ، و في حفظها من دوام السهر ليلاً و نهاراً وجعلها نصب العين سرّاً و جهراً إلى أن يموتوا أو يقتلوا ذلاّ وصغاراً (و نظر) بعين البصيرة (إلى الآخرة) و مقاماتها الرّفيعة ، و منازلها الشريفة ، و مثوباتها الجزيلة ، و منافعها الجميلة وإنّما لم يقل هنا «و أهلها» كما قال في قرينته للتنبيه على قلّتهم بل على عدم وجودهم (فعلم أنّها لاتنال إلاّ بالمشقّة) الحاصلة من صرف الفكر في المعارف الالهيّة والأحكام الرّبّانية في جميع الأوقات و حبس النفس والجوارح على الطاعات في آناء اللّيل و أطراف النهار و أشرف السّاعات ، و علم مع ذلك أنّ الدّنيا و الآخرة كضرّتي إنسان في أنّ محبّة إحديهما إسخاط للأخرى ، أومثل كفّتي ميزان في أنّ رفع احديهما وضع للأخرى (فطلب بالمشقّة أبقاهما) لما جبلت النفوس عليه من عدم تحمل المشاق إلاّ لأجل المنافع والمنافع الأخرويّة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأدوم زماناً من المنافع الدّنيوية بل لانسبة بينهما إذا المتناهي لايقاس بغير المتناهي كما قال عزّ شأنه حكاية عن قوم حين شاهدوا أهوال القيمة و علموا طول زمانها و سئلوا عن كميّة زمان تلبّثهم في الدّنيا « قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسئل العادين » و قال أمير المؤمنين عليه السلام «لو كانت الدّنيا من ذهب والآخرة من خزف لاختار العاقل الخزف الباقي على الذّهب الفاني» كيف والأمر على العكس هذا حال العاقل ، وأمّا الجاهل فلكونه ضريراً يرى أمر الدّنيا عظيماً و أمر الآخرة حقيراً ، و ربّما يخطر من تدليس إبليس بباله القاصر و ذهنه الفاتر أنّ النقد خيرٌ من النسيئة فيختار الدّنيا على الآخرة ولايعلم لعميان قلبه (١) ونقصان بصيرته أنّ النقد خير من النسيئة

---

(١) عميان القلب و نقصان البصيرة من غلبة الوهم على العقل ومثل لذلك المنطقيون بان العقل يركب مقدمات صحيحة يعترف بها الوهم فاذا اراد الاستنتاج نكص الوهم على عقبيه كالشيطان ؛ مثلا يقول العقل الميت جماد و هو حق والجماد لايخاف عنه وهو أيضاً حق يعترف به الوهم والنتيجة الميت لايخاف عنه يعترف به العقل دون الوهم فان كان الانسان تابعا لوهمه خاف ، وان كان تابعاً لعقله لم يخف . والوهم هو السلطان المطلق ☆

إذا كان مماثلاً لها في الكميّة والكيفيّة و ليس الأمر ههنا كذلك إذ هذا النقد لاقدرَ له أصلاً ولاوزنَ له قطعاً عند هذه النسيئة على أنّ أصحاب الايمان وأرباب العرفان لكثرة عبادتهم وشدّة رياضتهم يجدون نقداً من الفيوضات الإلهيّة والإشراقات الرّبانيّة مالا يرضون بعوض واحد منها أخذ الدّنيا وما فيها .

(يا هشام إنّ العقلاء زهدوا في الدّنيا) و أعرضوا عن حطامها و زهراتها الفانيّة و طهّروا ساحة قلوبهم عن طول الأمل و لوث العوائق و قطعوا عن رقاب نفوسهم زمام التمنّي وحبل العلائق (و رغبوا في الآخرة) وطلبوا ثوابها باستعمال العبادات و استكمال الطاعات و اجتهدوا في الوصول إلى أشرف المنازل و أرفع المقامات فتاهت أرواحهم في مطالعة الملك والملكوت ، و كشفت لهم حجب العزّ والجبروت ، و خاضوا في بحر اليقين ، و تنزّهوا في رياض المتقين ، و ركبوا سفينة التوكّل و أقلعوا بشراع التوسل ، و ساروا بريح المحبّة في جداول قرب الغرّة وحطوا بشاطىء الإخلاص(١) حتّى نزلوا في ساحة الجلال ومنزل الاختصاص (لأنّهم علموا أنّ الدّنيا طالبة) لمن فيها لتوصل إليه ما عندها من رزقه المقدّر و قوته المقرّر (مطلوبة) يطلبها أهلها حرصاً في جميع مالايحتاج إليه و ذخر ما

☆والحاكم في الحيوان و يعرف في زماننا في لسان العوام بالغريزة والفطرة وقد يطلق عليه العواطف في الانسان والوهم مع غليطه و معارضته العقل له شأن كبير ومصالح عظيمة خلق الله تعالى لملك المصالح فلولا الخوف والوهم لم يرض الناس بدفن اعزتهم واحبتهم في التراب ولما تحمل احد مشقة تربية الاولاد ولما دافع الناس عن اعراضهم واموالهم و اقاربهم ولما خاطروا بانفسهم في سبيل جمع المال و تحصيل الجاه فان ذلك كله ناش من تصور معنى جزئي كالمحبة والعداوة ينبعث منه الغضب والشهوة لكن الانسان مأمور بتسخير وهمه لعقله وأن يستعمله حيث يجوزه العقل وساير الحيوان مجبولة بمتابعة اوهامهم ولاعقل يردعهم عمايامر به وهمهم (ش).

(١) و حطوا أى انزلوا رحالهم والدنيا لاتطلب الا بالوهم فانها مال و جاه و رياسة و غلبة و تلذذ و امثال ذلك من القوة الواهمة والعقل معارض لها (ش).

يكون نفعه لغيره و ضرّه عليه (والآخرة طالبة) لمن في الدّنيا لتؤتيه ما عندها من وقته المقرّر وأجله المقدّر، إذ الأجل مثل الرزق مكتوب مقدّر (ومطلوبة) يطالبها أهلها للوصول إلى أشرف درجاتها و أرفع طبقاتها بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، وفي ترك عطف «مطلوبة» على «طالبة» في الأوّل وعطفها في الثاني تنبيه على أنّ المتحقّق من نسبة الطالبيّة و المطلوبة إلى الدّنيا والواقع منهما في نفس الأمر هو المطلوبية بناء على أنّ النفي والاثبات في الكلام راجعان إلى القيد كما هو المقرّر في العربيّة و وجهه ظاهر لظهور أنّ الناس كلّهم إلاّ من شذّ طالبون للدّنيا بخلاف نسبتهما إلى الآخرة ، فإنّ طالبيتها أيضاً متحققّة في نفس الأمر هذا إن جعلت « مطلوبة» صفة « لطالبة » و قيداً لها و إن جعلت خبراً بعد خبر كما هو الأنسب بالقرينة الثانية فالوجه في ترك العطف هو الايماء إلى كمال اتّصال مطلوبيّة الدّنيا بطالبيّتها ، و نهاية ربطها بها ، وعدم افتراقها عنها باعتبار أنّ الدّنيا في الواقع مطلوبة للكلّ فلاحاجة هنا إلى رابطة مستفادة من العطف بخلاف مطلوبيّة الآخرة فإنّه لا اتّصال بينها و بين طالبيّتها لوقوع الافتراق بينهما باعتبار قلّة طالب الآخرة فاحتيج في ربط إحديهما بالأخرى إلى العطف هكذا فافهم ، ثمّ الطالبيّة والمطلوبيّة في كلّ واحدة من الدّنيا و الآخرة يمكن أن تتصوّر على وجهين أحدهما أنّ كلّ واحدة من الدّنيا والآخرة متّصفة بهما مع قطع النظر عن الأخرى ، و ثانيهما أنّ كلّ واحدة منهما طالبة عند كون الأخرى مطلوبة ومطلوبة عند كون الأخرى طالبة ، والوجه الثاني هو المراد هنا كما يرشد إليه قوله عليه السلام (فمن طلب الآخرة) و سعى لها سعيها طالباً لمقاماتها العالية ، و إنّما قدّم هنا طلبها على طلب الدّنيا للاهتمام به ، والتنبيه على أنّه هو الّذي يجب رعايته، وعكس في السابق باعتبار تقدّم الدّنيا على الآخرة و ملاحظة وقوع طلبها في نفس الأمر (طلبته الدّنيا حتّى يستوفي منها رزقه) كما قال الله سبحانه « و في السّماء رزقكم و ما توعدون . فوربّ السّماء والأرض إنّه لحقّ مثل ما أنّكم تنطقون » و قال : « و ما من دابّة في الأرض إلاّ على الله

رزقها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الرّوح الأمين نفث في روعي أنّه لايموت نفس حتّى تستكمل رزقها (۱)» و قال الصّادق عليه السلام «لو كان العبد في جحر لأتاه الله برزقه (۲) » وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الرّزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن أنت لم تأته أتاك » و قال: « يا ابن آدم لاتحمل همّ يومك الّذي لم يأتك على يومك الّذي أتاك فإنّه إن يك من عمرك يأتي الله فيه برزقك (۳)» و قيل لبعض الأكابر: قد غلا السعر ، فقال : لو كان وزن حبّة من الطعام بمثقال من ذهب ما باليت فإنّ علينا أن نعبده كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا. ومن ثمّ قيل : أترك الدّنيا و خذها فانّ تركها في أخذها وأخذها في تركها (و من طلب الدنيا) وسعى لها سعيها و صرف عمره الّذي هو رأس ماله في ادّخار متقنياتها (طلبته الآخرة) حتّى يستوفي منها أجله (فيأتيه الموت فتفسد عليه دنياه و آخرته) أمّا فساد دنياه فلانقطاعها عنه وعدم وفائها وزوال تصرّفه فيها وعود ماجمعه إلى غيره حتّى كأنّه كان عبداً لذلك الغير ، و أما فساد آخرته فلأن صلاح الآخرة إنّما هو باكتساب الأعمال المرضيّة وصرف الفكر في الأحكام النّافعة الشرعيّة ، و هما إنّما يكونان قبل الموت و في دار الدّنيا ، و هو قد كان في الدّنيا عاملاً للدنيا ، ومكتسباً لزخارفها ، ومتفكّراً في منافعها ، وعبداً لغيره ، فقد ظهر من هذا الحديث أنّ طالب الآخرة له الدّنيا و الآخرة و طالب الدّنيا خاسر فيهما ونظيره قول أمير المؤمنين عليه السلام: « الناس في الدّنيا عاملان عامل في الدّنيا للدنيا قدشغلته دنياه عن آخرته ، يخشى على من يخلفه الفقر و يأمنه على نفسه ، فيفني عمره في منفعة غيره، و عامل عمل في الدّنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدّنيا بغير عمل ، فأحرز الحظّين معاً ، و ملك الدارين جميعاً فأصبح وجيهاً عند الله تعالى

(۱ و ۲) رواه الكليني في الكافي ج ٥ ص ٨٠ باب الاجمال في الطلب من كتاب المعيشة.

(۳) النهج ابواب الحكم تحت رقم ۳۷۹ بأدنى اختلاف .

لايسئل الله حاجة فيمنعه (١)» وفيه ترغيب فى تفويض الرزق إلى الله تعالى والتوكل عليه وتنبيه على أنّه لايبلغ هذه المرتبة إلاّ العقلاء لأنّهم الّذين إذا تأمّلوا بعقولهم الصحيحة و نظروا إلى لطف الله تعالى فى باب الارزاق و تفكروا في رزق الطيور والاجنّة فى بطون الامّهات و رزق المجانين وساير الحيوانات بلاتكلّف ولا حيلة علموا أنّ وصول الرّزق منوط بالمشيئة الالهيّة وما قدّر للشخص فهو يأتيه قطعاً ويطلبه جزماً ، فيكون طلبه عبثاً لافائدة فيه و تضييعاً للعمر فيما لايعنيه ، وصرفوا عنان الهمّة نحو الآخرة ساعين عابدين خاشعين متضرّعين لعلمهم بأنّ الاخرة و درجاتها لاتناول إلاّ بالأعمال الصالحة، فنسأل الله تعالى الاقتفاء بآثارهم والتمسّك باطوارهم إنّه على ذلك قديرٌ و بالاجابة جدير .

(ياهشام من أراد الغنى بلامال) (٢) الغنى الدنيوي على وجهين أحدهما مايدفع ضرورة الحاجة بحسب الاقتصاد والقناعة، وثانيهما المفهوم المتعارف بين أرباب الدّنيا من جمع المال و ادّخاره و الاتّساع به فوق الحاجة و الغنى على الوجه الاول ممدوحٌ عقلاً ونقلاً ، و علي الوجه الثاني مذمومٌ والغنى الدّيني - وهوما يدفع النزول فى عذاب الجحيم ويوجب الوصول إلى جنات النعيم - مع تفاوت مراتبه كلّه ممدوحٌ و الأنسب هنا هو الوجه الأول بقرينة التفريع الآتي و التنكير فى قوله «بلامال» حينئذ للتكثير لأنّ الاقتصاد والقناعة يحتاج إلى قليل من المال وحمله على المعنى الأخير محتمل لكنّه بعيد جدّاً (وراحة القلب من الحسد) تارة بأنّه تمنّى الرجل زوال النعمة من ذوى النعمة وعودها إليه ، و اُخرى بأنه اغتمامه بخير يناله غيره من حيث لامضرّة عليه، واتّفق أرباب القلوب على أنّه من أعظم

---

(١) أورده الشريف الرضى فى النهج أبواب الحكم تحت ٨ قم ٢٦٩.

(٢) الغنى بلامال هو القناعة و مقابله الطمع و توهم الحاجة الى التجمل وادخار المال وهو من القوة الواهمة المعارضة للعاقلة فاذا غلب العقل ذهب الوهم و كذلك الحسد من حب الغلبة والاستكثار وتصور العداوة وهى معانى جزئية تدركه الواهمة تبعث به الانسان على الاضرار و تمنى زوال النعمة والوساوس والافات النفسانية المضرة بالدين كلها من الواهمة ودافعه العقل . (ش)

أبواب الشيطان التى يدخل بها على القلب، وعلى أنّه من أقبح العوارض الرديّة للقلب و يتولد من البخل والشرّ و يراد بالشرّ التذاذ الطبع بما يضرّ الناس و اغتمامه بما يوافقهم، وعلى أنّه مضرّ بالقلب. والحسد إما بالقلب فلأنّه يصرف فكره إلى الاهتمام بأمر المحسود والاعتماد بشأنه حتّى لايفرغ للتصرّف فيما يعود نفعه إليه وينسى ماحصل له من الملكات الخيرية التي هي الحسنات المنقوشة في جوهره فتضمحلّ تلك الملكات على طول الحسد و اشتغال الفكر في المحسود و طول الحزن و الهمّ في أمره و يتضيّق وقته و يتوقى عقله من تحصيل الحسنات والخيرات، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام «لاتحاسدوا فإنّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب»(١) وإمّا بالجسد فلأنّه يعرض له عند حدوث هذه الأعراض الشنيعة و الأمراض الرديّة طول السهر و سوء الاغتذاء ويعقّب ذلك رداءة اللّون و سوء السحنة و فساد المزاج والقوى (والسلامة في الدّين) من الافات النفسانيّة و الوساوس الشيطانية (فليتضرّع إلى الله عزّ وجلّ في مسئلته بأن يكمل عقله) أي علمه أو جوهره المجرّد القابل (٢) له و فيه دلالة على أنّ العقل موهبة الهيّة و عطية ربانيّة لايزداد ولا يكمل إلابعنايته، وعلى أنّه سبب للامور الثلاثة المذكورة أمّا للثاني فلانّ العاقل الكامل يعلم أنّ الحسد لاينفعه بل يضرّه و أنّه صفة موجبة للمقت من الله جل شأنه لعلمه بأنّ الحاسد مضادّ لارادته لأنه تعالى هو المتفضل للكلّ و هو المفيض للخير إلى كل أحد بما يليق به و يصلح له فيعلم أنّ كلاً من الاعطاء والمنع وقع على وفق الحكمة والمصلحة فيطمئنّ قلبه بقسمة ربّه، و أما للثالث فلأنّ العاقل يعلم بنور عقله طريق الحقّ و كيفية سلوكه إلى حضرة

---

(١) رواه الكلينى فى الكافى كتاب الايمان والكفر باب الحسد.

(٢) يعنى نفسه والنفس الناطقة جوهر مجرد قابل للعلم كما سبق و القول المقابل لذلك هو ان النفس والعقل قوة جسمانية حالة في الدماغ ويلزمه ان يضمحل بالموت وفساد الدماغ كالنور يفنى بفناء الدهن وهو قول الملاحدة والزنادقة وربما يتفوه به غير البصير من المنتحلين الى الاسلام والملحد المتظاهر بالدين. (ش)

القدس ويعلم آفات الدّين و كيفيته اجتنابه عن تلك الآفات و يعمل بمقتضى عقله الصريح و ذهنه الصحيح فيتمّ له بهذين العلمين مع العمل نظام الدين و كمالاته ، ويسلم عن مفاسده وآفاته ، وأما للأوّل فلما أشار إليه بقوله (فمن عقل قنع بما يكفيه) لأنّ العاقل إذا نظر إلى جلال الله و آثار ملكه وملكوته و إلى أحوال الآخرة ومافيها من المقامات العالية واللّذات الروحانية وإلى ماحصل له عجالة من الأنوار العقليّة والفيوضات القلبيّة و إلى أن كماله فطام النفس عن الشهوات ونزع القلب عن الأماني والشبهات وترك مايمنعه من التوجّه إلى الاخرة من الزهرات وخلو السرّ عن النظر إلى الدنيا وما فيها من المقتنيات استحقر الدّنيا وما فيها و رجع بالكلّية إلى حضرة الحق وما في الاخرة من المقامات فيقنع من الدنيا بقدر الكفاف وبما يقيم به بدنه وقواه ويقدر به على الإقامة بالطاعات إذ التعرّض للزّايد على ذلك لقصور العقل وضعف اليقين وفتور النيّات وخلو النفس عن المعارف النورانية وإلفها بالمحسوسات و انفتاح عينها إلى الامور الدنيويّة والصور الوهمية و احتباسها في الظلمات وغفولها أنّ الدّنيا كسراب بقيعة يحسبه الظلمآن ماءً حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً فيضيع سعيه ويزداد عليه الندامة والحسرات (ومن قنع بما يكفيه استغنى) بما يكفيه عن الزّايد أو بالاخرة عن الدّنيا أو بالحقّ عن الخلق فانّ من رضي بالقوت وتوكّل على الحيّ الذي لايموت لم يفتقر إلى غيره لأجل المسكنة (ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً) لأنّ الغنى هو الكفاف فمن لم يكفه الكفاف فجميع مافي الأرض لا يكفيه ، ولأنّ طلب الزّيادة منوط بالحرص ، ومراتب الحرص غير محصورة ، فاذا حصلت له مرتبة من تلك المراتب طلب ما فوقها فلذلك قال عيسى عليه السلام لأصحابه : يامعشر الحواريين لأنتم أغنى من الملوك ، قالوا : و كيف ياروح الله؟ وليس نملك شيئاً ، قال : أنتم ليس عندكم شيء ولا تريدونه وهم عندهم أشياء ولا يكفيهم .

((الاصل)):

«ياهشام إنّ الله حكى عن قوم صالحين أنّهم قالوا: «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد»
«إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب» حين علموا أنّ القلوب»
«تزيغ وتعود إلى عماها ورداها، إنّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل»
«عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ولا يكون أحد»
«كذلك إلاّ من كان قوله لفعله مصدّقاً وسرّه لعلانيته موافقاً. لأنّ الله تبارك»
«اسمه لم يدُلّ على الباطن الخفيّ من العقل إلاّ بظاهر منه وناطق عنه.»
«ياهشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من العقل وما»
«تمّ عقل امرء حتّى يكون فيه خصال شتّى: الكفر والشرّ منه مأمونان، والرشد»
«والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدّنيا»
«القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذلّ أحبُّ إليه مع الله من العزّ مع غيره، والتواضع»
«أحبّ إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقلّ كثير المعروف من»
«نفسه، ويرى النّاس كلّهم خيراً منه وأنّه شرّهم في نفسه وهو تمام الأمر.»
«ياهشام إنّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه.»
«ياهشام لا دين لمن لا مروّة له ولا دين لمن لا عقل له، وإنّ أعظم النّاس قدراً الّذي»
«لا يرى الدّنيا لنفسه خطراً، أما إنّ أبدانكم ليس لها ثمن إلاّ الجنّة فلا تبيعوها بغيرها.»
«ياهشام إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إنّ من علامة العاقل أن يكون»
«فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ويشير بالرأي الذي»
«يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق» ١
«إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يجلس في صدر المجلس إلاّ رجل فيه هذه الخصال»
«الثلاث أو واحدةٌ منهنّ فمن لم يكن فيه شيء منهنّ فجلس فهو أحمق.»
«وقال الحسن بن علي عليهما السلام: إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها، قيل: يا ابن»
«رسول الله ومن أهلها؟ قال: الّذين قصّ الله في كتابه وذكرهم، فقال: إنّما يتذكّر»

« أولوا الألباب قال: هم أولوا العقول. »

« و قال علي بن الحسين عليهما السلام : مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح »
« وآداب العلماء زيادة فى العقل ، وطاعة ولاة العدل تمام العز ، واستثمار المال »
« تمام المروة ، وإرشاد المستشير قضاء لحق النعمة، و كف الأذى من كمال العقل »
« وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً . »

« ياهشام إن العاقل لايحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد »
« مالا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه. »

((الشرح)):

(ياهشام إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا ربنا لاتزغ) أي لاتمل من الازاغة وهي الامالة (قلوبنا) من الحق إلى الباطل أومن الايمان إلى الكفر أومن اليقظة إلى الغفلة أومن العلم والهداية إلى الجهل والغواية ، وقال صاحب الكشاف لاتبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا (بعد إذهديتنا) إلى الخيرات المذكورة و«بعد» نصب على الظرف و«إذ» في موضع الجر بالاضافة ، وقيل: «إذ» ههنا بمعنى أن ولما كان بين الرهبة والرغبة تلازم وقد صدر منهم الدعاء بالنظر إلى الأولى أولاً صدر منهم الدعاء بالنظر إلى الثانية ثانياً طلباً لزيادة الافضال والاحسان و رجاء لمزيد النعمة والامتنان (فقالوا : وهب لنا من لدنك رحمة) أي كرامة توجب قربنا منك والزلفى إليك والفوز بالفلاح لديك أو توفيقاً للثبات على الحق أو الايمان أو مغفـرة الذنوب ، ثم قالوا لتأكيد رجائهم في إجابة دعائهم (إنك أنت الوهاب) فـي النهاية: الهبة العطية الخالية عن الأعواض فاذا كثرت سمي صاحبها وهاباً ، وهو من أبنية المبالغة، يعني أنت الوهاب لكل طلبة و مسئلة أو لوجود كل شيء و حقيقته و ماهيته و خواصه وآثاره و كماله من غير عوض ، وفيه دلالة على أن السلامة من آفات الدنيا والهداية إلى المولى والنجاة من الضلالة والعمى و الاستقامة علـى سبيل الرشاد من الله المتفضل برحمته على العباد (حين علموا) ظرف لقالوا (أن

القلوب تزيغ) بفتح التاء من زاغ بمعنى مال ، أي تميل عن طريق الصواب (و تعود إلى عماها)(١) أي جهلها يقال :رجل عمي القلب أي جاهل ، و أصل العمى ذهاب البصر وإذا أُضيف إلى القلب يراد به ذهاب البصيرة ، وقد يجعل كناية عن الجهل (ورداها) أي هلاكها من ردى الدّابة في البئر إذا سقط فيها ، أو من ردى فلان في الأرض إذا ذهب و تاه فيها ، أو من ردي فلان بالكسر يردى ردياً إذا هلك ، وفيه إشارة إلى شيئين أحدهما أنّ القلوب يعني النفوس البشريّة كانت في مبدء الفطرة جاهلة للمعارف الإلهية، غافلة عن الأنوار الرّبانية ، هالكة ساكنة في تيه الجهالة قابلة لنور الهداية و ظلمة الغواية ، كما يظهر ذلك لمن تفكّر في أطوار الإيجاد والتكوين فانّه يعلم أنّها كانت صوراً جمادية ، ثمّ صارت صوراً نباتيّة،ثمّ صارت صوراً حيوانيّة ، ثمّ صارت بتلك الاستحالات صوراً إنسانية مستعدّة للخير والشرّ قابلة للهداية والضّلالة، ثم حصلت لها بالترقيات الالهيّة والتوفيقات الرّبّانيّة كما يرشد إليه قوله بعد إذ هديتنا جملة من العلوم و زمرة من المعارف و نبذة من الأحوال والأعمال فخرجت بذلك من حدّ النقص على الاطلاق في قوّتي العلم و العمل إلى مرتبة الكمال، الثاني أنّ هذه المرتبة ليست لازمة للنفس ثابتة لها غير منفكّة عنها لأنّ النفس الحرون قد تقف من الجرى في ميدان العلم والعمل ، بل ترجع القهقرى إلى حالتها الأُولى ، وسرّ ذلك أنّها ما دامت في الدّنيا متعلّقة بهذا البدن مائلة إلى الهوى ودواعي الشيطان ذاكرة لأصناف الباطل وأنواع العصيان فربّما تأخذ يد الشقاوة زمامها و تسوقها إلى ما هو مطلبها و مرامها ، وتجذبها عمّا

---

(١) « تزيغ وتعود الى عماها » ربما غلب العقل على الوهم و دفعه الى تسليم الحقيقة و ربما يقوى الهوى فيرجع الوهم الى ماكان و يزيغ عن الهدى مثلا في الشبهات الاعتقادية ربما يدخل على الوهم شبهة ان الموجود محسوس فيشكك في المبدء بعد أن كان معتقداً وربما يشتغل بالعبادة ويمضى على ذلك مدة ثم يغلب عليه الهوى وحب الشهوات فيرجع عما كان عليه و يشتغل باللذات و هذا أيضاً من القوة الواهمة المدركة للمعاني الجزئية في غير تدبير العقل. (ش)

هي عليه من العلوم والأعمال الصالحة وتوردها في تيه الجهالة والضلالة ، وقد روى أبو بصير و غيره قال : قال الصادق عليه السلام : «إنّ القلب ليكون السّاعة من اللّيل و النهار ما فيه كفر ولا إيمان كالثوب الخلق ، قال ثمّ قال لي: أما تجد ذلك من نفسك ، قال : ثم تكون النكتة من الله في القلب بما شاء من كفر ولا إيمان» (١) و لذلك خاف الصالحون و وجل المتّقون و طلبوا بالتضرّع و الابتهال حسن العاقبة بقولهم « ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » والأدعية المأثورة في هذا الباب أكثر من أن تحصى ،ولمّا بيّن أنّ بقاء النفس على كمالها العملي والعلمي مادامت في الدّنيا و مسكن الشياطين غير لازم ، بل ربّما تعود إلى عماها ورداها وتترك العمل و تنسى العلم والآخرة أراد أن يبيّن ذلك فيمن لم يكن قلبه مستضيئاً بنور الله و عقله مهتدياً بهداية الله و لم يأخذ علمه من الله تعالى إمّا بلا واسطة كالأنبياء والرّسل أو بواسطة كالمتمسّكين بذيل عصمتهم والراجعين في كيفيّة العمل والعلم إلى معدن طهارتهم فأشار إلى الأوّل بقوله (إنّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله) لأنّ من لم يكن علمه بذات الله وصفاته وشرائعه وأركان الاعمال و شرائطها وأحوال الآخرة مستنداً إلى الله تعالى بأحد الوجهين المذكورين كان علمه إمّا تقليداً محضاً كما في أكثر العوام و إمّا رأياً وقياساً كما في أكثر الناس وإمّا ظنّاً وتخميناً وجدليّاً كما في أكثر المتكلّمين (٢) الّذين وضعوا لأنفسهم دلائل على هذه الأمور واستحسنوها و كلّ ذلك لايوجب الخوف من الله سبحانه والخشية من عذابه، أمّا التقليد فظاهر لأنّه لم يحصل لهم من الحقيقة الإلهيّة إلّا الاسم ومن حقيقة الأحكام الشرعيّة وأركانها وشرائطها إلّا الرسم ، ومن أحوال الآخرة و شدايد أهوالها إلّا اللّفظ، والخوف منوط بادراك حقائق هذه الأمور، و أمّا القياس فهو أيضاً ظاهر و كذا تخمين المتكلّمين على أنّ أكثرهم القائلين بالفاعل المختار

---

(١) رواه الكليني في الكافي في كتاب الايمان والكفر باب سهو القلب تحت رقم ١

(٢) ذم التقليد وهو الاخذ من غير دليل وذم الكلام ايضاً وهو الاخذ بدليل جدلي اوظني فبقي أن يكون الدين مستنداً الى دليل برهاني او كشف عرفاني . (ش)

ينكرون السببيّة في الممكنات (١) ويجوزون مغفرة الكافر الشقي ومعاقبة المؤمن السعيد فلايحصل لهم خوفٌ وخشية، وإذا انتفى الخوف انتفى العمل وكماله والجدُّ فيه، وأمّا العلماء الرّاسخون الآخذون علومهم من مشكوة النبوّة فهم يعلمون الحقائق كماهي وصفات الواجب ومايجوز له ومايمتنع عليه وأحكام الدّين وأركانها وشرائطها وأحوال الآخرة وشدائد أهوالها كأنّهم يشاهدونها ويعلمون أنّ الله تعالى لايظلم أحداً مثقال ذرّة وأنّ ما يرجع إليهم من الخير والشرّ فهو من نتايج نفوسهم ولوازم أخلاقهم وتبعات أعمالهم (٢) وأفعالهم فيخافون من الله عزّ شأنه غاية الخوف

---

(١) هذا مذهب اكثر المتكلمين وهم الاشاعرة واتباعهم من غيرهم فانهم ينكرون التسبيب يقولون مثلا ليس النار علة للحرارة ولا الماء للبرودة ولا الشمس للنمو ولا السموم للقتل وهكذا ولكن عادة الله جارية بالاحراق عند ملامسة النار وغير ذلك.

وهذا مذهب باطل بل جعل الله لكل شيء سببا لايجاوز والفاعل المختار بالارادة الجزافية غير حكيم والله تعالى حكيم فلايفعل شيئا بالارادة الجزافية فان قيل قد صرح صاحب التجريد نصير الدين الطوسي ره والعلامة وغيرهما بانه تعالى فاعل مختار فكيف يخطئه الشارح مع انه مذهبنا قلت الفاعل المختار عند متكلمي الشيعة ومن يعتد بقوله منهم و يؤخذ العلم عنه ويقول مايقول عن تدبر وبصيرة هو مايكون مقابل الفاعل المضطر والفاعل بلاشعور فان صدور الفعل عن الله تعالى ليس كصدور النور عن الشمس بلا شعور مضطرا ولايريدون أن فعله تعالى كفعل الانسان المختار بفكر وروية تارة يختار هذا وتارة يختار ذلك في ظرف و أمد ولايخفى أن مثل هذا الكلام من الشارح وغيره من الحكماء صار منشأ لان ينسب اليهم القول بان الله فاعل موجب وهذا من قلة التأمل والشارح مع تصريحه هنا بالقدح في الفاعل المختار صرح في كلامه كثيراً بالقادر المختار كما مر وكل بمعنى. (ش)

(٢) هذا ايضا متفرع على ماسبق من التسبيب فلايفعل الله تعالى شيئاً في الدنيا والاخرة الا باسبابها ولايكون ارادته ارادة جزافية و ليس فاعلا مختاراً بالمعنى الذي يفهمه بعض المتكلمين فكما أن سبب نمو النبات في الدنيا البذر والماء والحر والشمس ولاينبت الحنطة من بذر الشعير كذلك ثواب الاخرة مسبب عن ملكات النفوس واخلاقها ومارسخت فيها من الصفات بالاعمال الصالحة والسيئة (ش)

كما قال سبحانه «إنّما يخشى الله من عباده العلماء» فلاجرم يعملون في الدّنيا للآخرة ويسعون لها غاية السعي ويحصلون مايوجب نجاتهم من النّار وفوزهم بالجنة وأشار إلى الثاني(١) بقوله :

(ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها و يجد حقيقتها في قلبه) يعني من لم يأخذ علمه من الله سبحانه بأحد الوجهين المذكورين لم يكن إيمانه ثابتاً ولا علمه باقياً لانّهما يزولان بأدنى شبهة بخلاف من أخذ علمه منه تعالى فانّ إيمانه ثابت وعلمه راسخ لايزول بوجه من الوجوه كما قال العالم عليه السلام من: « أخذ دينه من كتاب الله وسنّة نبيّه صلوات الله عليه و آله زالت الجبال قبل أن يزول ومن أخذ دينه من أفواه الرّجال ردّته الرّجال» (٢) وقال عليه السلام «من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكّب الفتن» (٣) (ولا يكون أحد كذلك) أي يعقل عن الله ويعقد قلبه على معرفة ثابتة ويبصرها ويجد حقيقتها في قلبه (إلّا من كان قوله لفعله مصدقاً) بأن يكون عاملاً بالمعروف آمراً به، وتاركاً للمنكر ناهياً عنه، فانّ العلم الحقيقي والإيمان الكامل يحكمان بالتلازم بينهما وحمل القول هنا على الاعتقاد بعيد(وسرّه لعلانيته موافقاً) بأن يكون صفاته و كمالاته الباطنة موافقة لصفاته و كمالاته الظاهرة مثل الأعمال الحسنة وحسن الخلق وطلاقة الوجه وإكرام المؤمن و أمثال ذلك (لانّ الله تبارك اسمه لم يدلّ على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه) أي مخبر عنه ومشعر به هذا دليلٌ على مايفيده الاستثناء من أنّ من كان قوله لفعله مصدّقاً وسرّه لعلانيته موافقاً تجده عاقلاً عن الله ثابتاً على معرفته راسخاً في إيمانه وعرفانه ويجد حقيقة ذلك في قلبه بيان ذلك أنّ العلم بخفيّات الأمور وصفات القلوب ليس إلّا لعلّام الغيوب لأنّه العليم بذات الصدور وأما غيره فقد يعلم الباطن من الظاهر، فكما يعلم من حمرة الوجه وانتفاخ العروق وغلظ الصوت شدّة الغضب

(١) أى نسيان العلم و الاخرة ان لم يكن علمه مستنداً الى الله باحد الوجهين (منه).
(٢) و(٣) تقدما في مقدمة الكتاب.

وإرادة الانتقام، ومن اصفرار الوجه وتضايل البدن وتحرّك الفرائص شدّة الخوف كلّ ذلك للتناسب بين الروح والبدن بحيث يصل أثر أحدهما إلى الآخر كذلك يعلم الصفات النفسانية والكمالات الرّوحانية والعلوم والعقائد الرّاسخة القلبية من الأعمال والأفعال الصادرة من الاعضاء الظاهرة مثلاً يقول فلان عليمٌ مؤمن راسخ في علمه وإيمانه و كريمٌ حليمٌ رحيمٌ إذا صدر منه الافعال التابعة للعلم والايمان وأفعال الكريم والحليم والرّحيم مراراً كرّة بعد اُخرى ، والسرّ في ذلك أنّ تلك الصفات أسباب لهذه الافعال والأعمال لانّه ينبعث منها الشوق والارادة والعزم ويتحرّك بسبب هذه الاُمور الاعضاء نحو المتشوّق والمراد ، فيظهر منهـا الافعال والاعمال، ودلالة هذه الاعمال والافعال على تلك الصفات كدلالة الأثر على المؤثّر وبالجملة ظاهر الرّجل عنوان لباطنه ومعرفة باطنه تابعة لمعرفة ظاهره ، فان كان جميع أفعاله الظاهرة دائماً مستقيمة واقعة على القوانين الشرعيّة دلّ ذلك على ثبوت معرفته وإيمانه و كمالهما ورسوخهما وإن كان جميعها غير مستقيمة أو كان القول مستقيماً وغيره من الأفعال غير مستقيم أو كان عكس ذلك دلّ ذلك على عدم ثبوت معرفته وإيمانه وعدم كمالهما ومثل هذه المعرفة والايمان في معرض الزّوال.

(ياهشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ماعبدالله بشيء أفضل من العقل)

المقصود أنّ العقل أفضل مايتقرّب به العبد إلى الله تعالى وكلّ مايتقرّب به سواه دونه في الفضل وهذا كمال المدح له ولأهله واعلم أنّ للعقل اطلاقات والمشهور منها أمران : الاوّل القوّة المهيّأة للعلوم الكلّيّة ضروريّة كانت أو نظريّة تصوريّة كانت أو تصديقيّة ولا نعني مجرّد القوّة والاستعداد بل نعني بها القوّة الحاصلة معها كمالاتها بالفعل، والثاني العلم والحكمة الّتي هي ثمرته ويمكن حمله هنا على كلّ واحد منهما لانّ كلّ واحد منهما أصل يتوقّف عليه غيره ممّا يتقرّب به العبـد إلى الله تعالى مثل الصلوة والصّيام والحجّ والزكوة و نحوها فكلّ واحد منهما أفضل ممّا عداه وهو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : « ياعلي إذا تقرّب الناس إلى خالقهم بأبواب البرّ فتقرب أنت بعقلك تسبقهم بالدّرجات

والزّلفى عند الناس في الدّنيا وعند الله في الآخرة(١) (وماتمّ عقل امرء حتّى تكون فيه خصال شتّى) الخصال بالكسر جمع الخصلة بالفتح وهي المرة من الخصل وهو الغلبة في النضال، والخصلة أيضاً الخلّة وهي المراد هنا وكأنّها منقولة عن الأولى لجامع الغلبة والفضيلة بينهما، وشتّى جمع شتيت وهو التفرّق، يقال ثغرٌ شتيتٌ أي مفلج (٢) وقوم شتّى وأشياء شتّى وجاؤا أشتاتاً أي متفرّقين واحدهم شتّ وقد ذكر ههنا اثنتى عشر خصلة :

(الكفر والشرّ منه مأمونان) والناس آمنون من كفره وشرّه (٣) والكفر يطلق على خمسة معان كما يأتي في باب الكفر: الأوّل إنكار الربّ، الثاني إنكار الحقّ مع العلم بأنّه حقّ، الثالث ترك ما أمر الله تعالى به، الرابع كفران النعم قال «هذا من فضل ربّي ليبلوني ءأشكر أم أكفر» الخامس كفر البراءة قال «كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء» يعني تبرّأنا منكم، والشرّ يطلق على كلّ خبيث ومنقصة كما يرشد إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام والشرّ جامع مساوي العيوب والحاصل أنّه امرٌ كلّيٌ تحته أفراد كثيرة كلّها من العيوب والخبائث وقد يقسم إلى شرّ مطلق كعدم العقل مثلاً وإلى شرّ مقيّد كعدم كلّ واحدة من الصفات

---

(١) رواه ابو نعيم فى الحلية من حديث على عليه السلام هكذا «اذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها الى ربنا عزوجل فاكتسب أنت من انواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب» وأورده الشيخ ابو على سينا فى الرسالة المعراجية ص ١٥. ونقله المحقق الداماد فى كتاب الصراط المستقيم بهذا اللفظ «ياعلى اذا عنى الناس انفسهم فى تكثير العبادات والخيرات فانت عنّ نفسك فى ادراك المعقولات حتى تسبقهم».

(٢) الانفراج بين الاسنان.

(٣) الكفر باى معنى فرض لايجتمع مع العقل فان انكار الرب مبنى على قاعدة وهمية وهى أن كل موجود محسوس ولا يعرف بشىء لايحس به وانكار الحق مع العلم بانه حق وظيفة الواهمة كما عرفت من المثال المتقدم من أن الميت لايخاف لانه جماد، وكذلك ساير المعانى الذى ذكره كما يظهر بالتأمل. (ش)

المرضيّة والشرايع النبويّة ووجود أضدادها.

(والرُّشد والخير منه مأمولان) يعني العقلاء آملون صدورهما منه، والرّشد الهداية و خلاف الغي، والخير لفظٌ جامعٌ لجميع الأمور الحسنة كما أنّ الشرّ جامع لجميع الأمور القبيحة فهو أيضاً مفهوم كلّي تحته أفراد كثيرة ويقسم إلى خير مطلق كوجود العقل وإلى خير مقيّد كوجود كلّ واحدة من الصفات المرضيّة والشرايع النبويّة. ولعلّ المقصود أنّ من اتّصف بالخير والرّشد والهداية و اجتنب سبيل الشرّ والغيّ والضّلالة، وكان جميع أفعاله وأعماله بالفعل على الوجه المستقيم بحيث يأمل العقلاء منه خيراً ورشداً في غابر عمره و يستنبطون منه ذلك في بقيّة دهره، فهو تامّ العقل و يجعل ذلك دليلاً على كماله، و إنّما قلنا المقصود ذلك لأنّ كونه قابلاً لمطلق الرّشد والخير في حيّز الاستعداد و كونهما مأمولين منه بالقوّة من جميع الوجوه لايدلّ على تمام عقله وكماله لأنّ عقله حينئذ في المرتبة الهيولانيّة.

(و فضل ماله مبذول) يحتمل أن يراد بالفضل مازاد على القوت والكفاف و إنّما خصّ بالفضل لأنّ بذل الكفاف قد لاتطيب به نفس أكثر العقلاء بل قد ورد النهي عنه في بعض الرّوايات، و يدلّ عليه أيضاً قوله تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً» ويحتمل أن يراد به الصدقات المفروضة مثل الزكوة وغيرها وفي الخبر «أنّ السخي هو من أدّى فرايض ماله» (١) واعلم أنّ لبذل المال ومنعه غايات و بين غاياتهما تفاوت والفضل لغايات البذل والحاكم بذاك هو العقل الصحيح والنصّ الصّريح، أما غايات البذل فمنها الذّكر الجميل بين النّاس و هو مطلوب عقلاً و شرعاً لقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام «و اجعل لي لسان صدق في الآخرين» (٢) وقول أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) راجع الكافي كتاب الزكاة باب معرفة الجود والسخاء.

(٢) و ذلك ان الناس لايذكرون احداً بخير الا لملكاته الفاضلة وصفاته الحسنة او لانه افادهم فائدة اودفع عنهم ضرا و جميع ذلك مطلوب في الشرع، فان كان فاعله مؤمنا يستحق الثواب والايدفع اليه اعواض كتخفيف عذاب ان كان يستحق العقاب(ش).

« ولسان صدق يجعله الله للمرء في النّاس خيرٌ له من المال يورّثه غيره (١) » ، ومنها رعاية حال الفقراء الّذين هم ودائع الله و عيال رسوله و جبر كسر قلوبهم و مواساتهم وقد وقع الحث عليها في روايات متكثّرة ، ومنها جلب قلوب الناس إلى المحبّة والمودّة ، و منها تحصيل رضوان الله تعالى و طلب الدّرجات العالية في الآخرة ، و منها أنّه يأخذ بدل واحد أضعافاً كثيرة قال الله تعالى : « من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة (٢) » يعني من يعطي يسيراً يجزى به كثيراً واليدان عبارتان عن النعمتين ، و في طرق العامّة قال أبوذرّ : «يا نبي الله أرأيت الصدقة ماذا هي ؟ قال: أضعاف مضاعفة وعند الله المزيد » قوله : « و عند الله المزيد » هي الزيادة على الثواب لمن يشاء بما يشاء كما قال سبحانه : « للّذين أحسنوا الحسنى و زيادة» وأما غايات المنع وترك البذل فيعرف ممّا ذكرنا بالتضادّ و أيضاً المنع يورث البخل والشغل عن ذكر الله تعالى و محبّة الدّنيا إلى غير ذلك من المفاسد فمن آثر البذل على الجمع مع أنّ من مقتضى النّفوس البشريّة و الأوامر الشيطانيّة ، فإنّ الشيطان دائماً يأمر الإنسان بالمنع و الجمع و يعدهم بالفقر بسبب الاحسان و البذل علم أنّ ذلك من تمام عقله و متانته و كمال رأيه و رزانته .

(و فضل قوله مكفوف) لأنّ العاقل هو الّذي يضع الأشياء في مواضعها و من جملة ذلك أنّ يتكلّم بمايحتاج إليه و يترك مازاد عليه (٣) و هو المراد بالفضل ، ولأنّه يعلم أنّ الاكثار يوجب الاهجار ، و من ثمّة قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

---

(١) اورده الشريف الرضى فى النهج أبواب الخطب تحت رقم ٢٣ .

(٢) النهج ابواب الحكم تحت رقم ٢٣٢ .

(٣) الكلام اما ان يكون حكمة ولافضل فيه والفضل هو الزيادة التى لا يحتاج اليه و ان كان غير الحكمة فهو محصول الوهم ولايحوم حوله العاقل . (ش)

«من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر ذنوبه ومن كثر ذنوبه فالنار أولى به(۱)» و إنّ الكلام في وثاقه مالم يتكلّم به فاذا تكلّم صار هو في وثاق الكلام فلا يتكلّم إلاّ بالاحتياط . ولذلك قيل: لاتتكلّم بلسانك ما تكسر به أسنانك و أنّ الجوارح مسؤولة يوم القيمة فلا تتكلّم إلاّ بالحكمة والموعظة الحسنة . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «من علم أنّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه (۲)» .

(ونصيبه من الدّنيا القوت) لأنّ العاقل الكامل يعلم بعين الاعتبار والبصيرة أنّ المال مادّة الشهوات و حبالة الشيطان فلا يطلبه حذراً من الدّخول فيها وأنّ من اقتصر على القوت لايفتقر أبداً و أنّ من رضى به كان مستريحاً في الدّنيا ناجياً في الآخرة و إلى الوجهين الأخيرين أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : «لا مال أذهب للفاقة من الرّضا بالقوت، ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الرّاحة، و تبوّأ خفض الدّعة (۳)» يعني من قنع فقد ألزم الرّاحة فلهذه الوجوه و غيرها رضي العاقل بالقوت و كفّ نفسه عن طلب الزايد عليه.

(لايشبع من العلم دهره) دهره منصوب بنزع الخافض أي في دهره يعني تمام عمره، والمراد بالعلم العلم المتعلّق بأحوال المبدء والمعاد و غير ذلك من الامور الدينيّة والأحكام الشرعيّة ، و هذا العلم هو الّذي يكسب به الانسان الطاعة في حياته والذّكر الجميل والثواب الجزيل بعد وفاته ، و إلى مدح هذا العلم و أهله أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «هلك خزّان الأموال والعلماء باقون مابقي الدّهر (٤)» يعني لتنوّر قلوبهم بأنوار الهيّة وفيوضات ربّانيّة أولاشتهار صيتهم

---

(۱) اخرجه الطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عمر كما فى الجامع الصغير .

(۲) رواه الكلينى فى كتاب الايمان والكفر من الكافى باب الصمت و حفظ اللسان تحت رقم ۱۹ من حديث ابى عبدالله عليه السلام عن النبى صلى الله عليه و آله لكن فى النهج من كلامه عليه السلام فى أبواب الحكم تحت رقم ۳٦۹ .

(۳) أورده الشريف الرضى فى النهج أبواب الحكم تحت رقم ۳۷۱ .

(٤) النهج أبواب الحكم تحت رقم ۱٤۷ .

و انتشار فضلهم فيما بين فرق الأنام إلى يوم القيمة ، و في قوله « لايشبع » اشارة إلى أنّ العلم غذاء القلب و حيوته و به يتغذّى و يتقوى و يكمل كما أنّ الطعام غذاء البدن و حيوته و قوامه ، و بالجملة شبّه العلم بالغذاء إذ كما أنّ الغذاء سببٌ لبقاء البدن و حياته في مدّة العمر كذلك العلم سببٌ لبقاء النفس و سعادته في الدّارين ، و لذلك يقال : الجاهل ميّت . والسّرفي أنّ جوع العاقل في تحصيل العلم لايسكن هو أنّ مراتب شوقه غير متناهية و كذا مراتب العلم كماقال سبحانه «فوق كلّ ذي علم عليم» فكلّما وصل إلى مرتبة من مراتب العلم و استضاء قلبه بنور تلك المرتبة و كمل به و استشرق ، رأى فوقها مرتبة اُخرى أكمل منها و أنور فيسوقه الشوق إليها و يستضيء بنورها و هكذا إلى ماشاءالله و من ههنا ظهر أنّ للعاقل في كلّ آن ترقيّات و في كلّ زمان انتقالات و ابتهاجات و تلك الترقيّات حقيق بأن تسمّى معارج النفوس .

(الذّل أحبّ إليه مع الله من العزّ مع غيره) لعلّ المراد أنّ ذلّ نفسه وهو مع الله بأخذ زمامها كيلا تتجاوز عن حدود الشريعة أحبّ إليه من عزّ نفسه وهو مع غيره بإرسال زمامها لكي تجري في ميدان مرامها ، فلايرد أنّه إذا كان مع الله كان عزيزاً لاذليلاً لقوله تعالى : « ولله العزّة و لرسوله و للمؤمنين ، ولكنّ المنافقين لايعلمون» و يحتمل أن يراد بالعزّ والذّل ماهو المتعارف عند الناس أعني الرّفعة فيمابينهم و عدمها يعني إذا كان المماشاة مع الناس موجباً لرفعة القدر فيمابينهم والسير في سبيل الله والتمسّك بحبل الله موجباً للذّل و وضع القدر عندهم فالعاقل هو الّذي يحبّ هذا الذّل و يختاره على ذلك العزّ لعلمه بأنّ في هذه الرّفعة مفاسد غير محصورة ، و أنّها رفعة دنيويّة و ذلك الذّل رفعة أخرويّة ، والرّفعة الدّنيويّة مثل الدّنيا داثرة داحضة ، بخلاف الرّفعة الاُخرويّة ، فانّها باقية أبداً .

(والتواضع أحبّ إليه من الشرف) التواضع التذلّل من الوضع وهو خلاف الرّفع. والشرف الترفّع بالنسب أو بالحسب . والمعنى أنّ العاقل هو الّذي يؤثر

التواضع لله على الشرف والرفعة (۱) لأنّه لما عرف عظمة الله و نظر إلى جلال قدره و كمال قدرته على جميع المقدورات و شدّة استيلائه على جميع الممكنات بالايجاد والافناء و غاص في بحار وجوده و كماله و قدرته و تفكّر في قهره و منه و جوده احتقر نفسه و وجوده و كماله وقدرته بل لايرى لنفسه وجوداً و كمالاً و قدرة، وإنّما يرى هذه الأمور الجاهل الّذي لم يخطر بباله ذات الباري وصفاته فيرى لنفسه وجوداً و لوجوده آثاراً نظير ذلك أنّ من لم يرماء أبداً ثمّ رأى جدولاً صغيراً فانّه يستعظمه فاذا وقف هناك بقي له ذلك الاستعظام، و أمّا إذا جاوزه و رأى نهراً عظيماً فانّه يزول عنه ذلك الاستعظام و يستعظم هذا النهر، ثمّ إذا جاوزه و رأى بحراً زاخراً زال عنه استعظام ماسواه قطعاً. و إلى ما ذكرنا أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «إنّه لاينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظّم(۲)» فانّ رفعة الّذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له في هذا التعليل إشارة إلى أنّ التواضع له سبحانه عين الرّفعة و ذلك لأنّ الله سبحانه هو العظيم المطلق و كلّ عظمة ورفعة فمستفادة من وجوده والقرب منه فكما كانت العادة جارية من الملوك في حقّ من يتواضع لهم و يوفّيهم حقّهم من الاجلال والاكرام و حسن الانقياد أن يرفعوه و يعظّموه كذلك عادة مالك الملوك جلّ شأنه، يرشد إلى ذلك رفعة حال الأنبياء والأوصياء والصالحين عليهم صلوات الله أجمعين، و يدلّ عليه قول الصادق عليه السلام «إنّ

---

(۱) الشرف والرفعة معنى جزئي يدركه الوهم و يحبه الانسان بهذه القوة الخبيثة والعقل لايصدق بحسن ذلك الا أن يكون وسيلة الى دفع ظلم عن مظلوم أو ترويج حق كما قال سليمان(ع) «رب هب لي ملكا لاينبغي لاحد من بعدي» أراد ذلك لانفاذ الحق و ترويج التوحيد وحينئذ فلايكون الشرف مطلوبا لذاته بل اذا علم ان مقصوده الديني يحصل بالتواضع والخمول والضعة كان طالباً له دون الشرف و بالجملة فطلب الرفعة من علامات ضعف العقل وغلبة الوهم (ش).

(۲) النهج أبواب الخطب تحت رقم ۱٤٥ ـ اوله «فبعث محمد صلى الله عليه و آله بالحق».

في السّماء ملكين موكّلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه و من تكبّر وضعاه (١)» وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لاحسب كالتواضع (٢)» يعني في إيجاب الرّفعة هذا حال التواضع لله سبحانه وأمّا التواضع للفقراء والصالحين فمن شعب تواضعه لله تعالى شأنه لأنّ من أحبّ أحداً و تواضع له فانّه يجب أن يحبّ محبوبيه و يتواضع لهم على أنّ التواضع لهم يوجب ازدياد المودّة . وقال أمير المؤمنين عليه السّلام «التودد نصف العقل (٣)» و وجه ذلك أنّ العقل نصفان نصف عقل المعاد و نصف عقل المعاش ، و قال الصادق عليه السلام : «من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس ، و أن تسلّم على من تلقى ، و أن تترك المراء و إن كنت محقاً ولاتحب أن تحمد على التقوى (٤)» و في حديث آخر: «التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزل منزلتها بقلب سليم لايحبّ أن يأتي إلى أحد الاّ مثل مايؤتى إليه ، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ عاف عن الناس والله يحب المحسنين(٥)» و ينبغي أن يعلم أنّ الأولى والاحسن بحال الفقراء أن يتركوا تواضع الاغنياء و يعتزلوا عنهم و يتّكلوا على الله سبحانه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عندالله ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتّكالاً على الله (٦)» والتيه التكبر ، و لعلّ المراد به ما ذكرناه من الاعتزال عنهم وترك التواضع لهم وإلاّ فالتكبّر قبيحٌ من كلّ أحد لأنّ الكبرياء إنّما يليق بالحقّ عزّ شأنه إذ الخلق محلّ النقص، فاذا تكبّر تكلّف أن يتّصف بما لايليق به ، ومن ثمّ قيل : هتك ستره من جاوز قدره.

(يستكثر قليل المعروف من غيره) العاقل يؤثر ذلك من وجوه : الأوّل

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب التواضع تحت رقم ٢ .

(٢) النهج أبواب الحكم تحت رقم ١١٣ .

(٣) النهج أبواب الحكم تحت رقم١٤٢ .

(٤ و ٥) الكافي كتاب الايمان والكفر باب التواضع تحت رقم٦و١٣ .

(٦) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٤٠٦ .

التّشبه بالباري، جلّ شأنه فانّه يقبل قليل الحسنات من عباده و يضاعفه أضعافاً كثيرة و في الأدعية المأثورة «يا من يقبل القليل و يعفو عن الكثير». الثاني استكثاره تعظيم للنعمة والمنعم، و كلاهما مطلوب و استقلاله تحقير لهما و هو مذموم جدًّا. الثالث استكثاره نوعٌ من الشكر و هو يوجب الزّيادة لقوله تعالى: «ولئن شكرتم لأزيدنّكم» و لما رواه مسمع بن عبدالملك قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام بمنى و بين أيدينا عنب نأكله فجاء سائل فسأله فأمر بعنقود فأعطيه فقال السائل: لاحاجة لي في هذا إن كان درهم، قال: يسع الله عليك، فذهب ثمّ رجع فقال ردّوا العنقود فقال: يسع الله لك و لم يعطه شيئاً، ثمّ جاء سائل آخر فأخذ أبوعبدالله عليه السلام ثلاث حبّات عنب فناولها، إيّاه فأخذ السائل من يده ثمّ قال: الحمدلله ربّ العالمين الذي رزقني، فقال أبوعبدالله عليه السلام: مكانك فحثا ملأ كفّيه عنباً فناولها إيّاه، فأخذها السائل من يده ثمّ قال: الحمد لله ربّ العالمين. فقال أبوعبدالله عليه السلام: مكانك، يا غلام أيّ شيء معك من الدراهم فاذا معه نحو من عشرين درهما فيما حرزناه (١) أو نحوها فناوله إيّاها، فأخذها ثمّ قال: الحمدلله هذا منك وحدك لاشريك لك فقال أبوعبدالله عليه السلام: مكانك فخلع قميصاً كان عليه فقال: البس هذا، فلبسه، ثمّ قال: الحمدلله الّذي كساني و سترني يا اباعبدالله أو قال: جزاك الله خيراً، لم يدع لأبي عبدالله عليه السلام إلاّ بذا ثمّ انصرف، فذهب فظننا أنّه لو لم يدع له لم يزل يعطيه لأنّه كلّما كان يعطيه حمد الله أعطاه (٢)».

(و يستقلّ كثير المعروف من نفسه) لأنّ العاقل يعلم أنّ في استعظام ما أعطاه من المعروف مفاسد شتّى منها أنّه يؤذي الآخذ وأذاه يحبط الأجر لقوله تعالى «قول معروفٌ و مغفرةٌ خيرٌ من صدقة يتبعها أذى و الله غنيّ حليم» و منها أنّه

(١) الحرز تعيين مقدار شيء بالتخمين. (ش)

(٢) رواه الكليني في الفروع كتاب الزكاة أبواب الصدقة باب النوادر تحت رقم ١٢.

يوجب منّاً عليه والمنّ يهدم أجره لقول الصادق عليه السلام «المنّ يهدم الصدقة (١)» و منها أنه يستلزم البخل لأنّه لايستعظم إلاّ ما عظم في عينه و كثر في نظره فيشقّ عليه إخراجه ، و من ثمّ قيل : الجواد لايستعظم ولو أعطى الدّنيا بحذافيرها ، و منها أنّه يوجب العجب والفخر وهما من الصفات الرّذيلة الّتي لايرتكبها العاقل و أيضاً العاقل إذا شاهد نعم الله تعالى على الفقراء ظاهرة و باطنة ممّا لايعدّ ولا يحصى ، و علم أنّه تعالى مع ذلك يستصغرها ويخاطبهم يوم القيمة بالاعتذار ويقول: يا عبادي مامعتكم في الدّنيا لهواني بكم بل لاكرامي لكم في هذا اليوم» (٢) و قاس معروفه على نعماء الله تعالى يجده شيئاً قليلاً بل لا شيئاً محضاً ، فلا يخطر بباله استعظام ذلك قطعاً، ثمّ الاستعظام بأن يقول مثلاً : لي عليك نعمة عظيمة، أو أعطيتك مالاً كثيراً ، أو أحييتك باعطاء كذا و كذا، أو خذ هذا المال الكثير، أو يعدّ نعماءه و يكرّرها عليه، أو نحو ذلك ممّا دلّ عليه صريحاً أو ضمناً أو كناية.

(ويرى الناس كلّهم خيراً منه) لحسن الظن بهم و عدم علمه بخفيات أمورهم ولاجتنابه عن رذيلة العجب المانع من الترّقي في الكمالات والتودد في الالتيام و لأنّ هذا نوع من التواضع لله تعالى و لعباده والتواضع يوجب السّعادة في الدّارين والرفعة في النشأتين ومحبتهم إيّاه، ولأنّ الخيرية الحقيقة لكلّ أحد باعتبار قربه بالمبدء ولطف المبدء به ولايعلم ذلك إلاّ الله سبحانه ، ومراتبهما مختلفة متفاوتة في الزّيادة والنقصان ، والعاقل يجوّز أن يكون القرب واللّطف في غيره أكمل فلذلك يراه خيراً منه وحكاية موسى عليه السلام مع الكلب مشهورة و في الكتب مذكورة.

(و أنّه شرّهم في نفسه) لمافيه من التواضع والتذلّل و إهانة نفسه و عدم إكرامها وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «طوبى لمن ذلّ نفسه (٣)» ولانّ العاقل عارف بعيوبه و عجزه و قصوره لابعيوب غيره (وهو تمام الأمر) أي هذا الأخير و هو

---

(١) الفروع من الكافي كتاب الزكاة باب المن و فيه « المن يهدم الصنيعة».

(٢) الكافي كتاب الايمان والكفر باب فضل فقراء المسلمين تحت رقم ٩ .

(٣) النهج أبواب الحكم تحت رقم ١٢٣ .

أن يرى العاقل أنّه شرّ الناس في نفسه تمام العقل و كماله إذ به يحصل الاستكانة و التضرّع و الخضوع لله تعالى و الرّجوع إليه بالكليّة ، و التعرّي عن جلبات الوجود و الهويّة المجازيّة و التوصّل إلى الفناء في الله و الهويّة الحقيقيّة ، و يحتمل أن يكون الضمير راجعاً إلى جميع ما تقدّم من الخصال المذكورة فهو حينئذ بمنزلة إعادة ما أفاده عليه السلام بقوله : « و ماتمّ عقل امرء حتّى يكون فيه خصال شتّى».

(يا هشام إنّ العاقل لايكذب و إن كان فيه هواه) قريب منه قول أمير المؤمنين عليه السلام : « علامة الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك (١) » قال في المغرب : الهوى مصدر هويه إذا أحبّه و اشتهاه ثمّ سمّى به المهوى المشتهى ، محموداً كان أو مذموماً ، ثمّ غلب على غير المحمود فقيل : فلان اتّبع هواه إذا اُريد ذمّه ، و في التنزيل « ولاتتّبع الهوى » « ولاتتّبع أهواء قوم » و منه فلان من أهل الأهواء إذا زاغ عن الطريقة المثلى من أهل القبلة كالجبريّة والحشويّة والخوارج . والمعنى أنّ العاقل لايكذب فيما فيه هواه و نفعه تحرّزاً من الفضيحة و وقوع الناس في أعراضه عند ظهور خلافه أو من عقوبة الله والبعد من رحمته فكيف إذالم ينفعه الكذب ولا يهويه و فيه ترغيب في إيثار الصدق على الكذب و مبالغة في أنّ العاقل لايكذب أصلاً ، و قال بعض الحكماء : الكذّاب و الميّت سواء لأنّ فضيلة الحيّ النطق فاذا لم يوثق بكلامه فقد بطلت حياته .

(يا هشام لادين لمن لا مروءة له) في المغرب المروءة كمال الرّجوليّة و منها تجافوا عن عقوبة ذي المروءة وقد مرأالرّجل مروءة، وفي الصحاح المروءة الانسانيّة (ولامروءة لمن لاعقل له) الظاهر أنّ النفي في المواضع الأربعة وارد على الحقيقة كما يقتضيه وقوع النكرة في سياق النفي، والمعنى لاتتحقّق حقيقة الدين ولاتوجد لمن ليس له حقيقة المروءة ، ولاتتحقّق حقيقة المروءة لمن ليس له حقيقة العقل

---

(١) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٤٥٢ .

ينتج لايتحقّق حقيقة الدّين لمن ليس له حقيقة العقل، والمقدمتان ظاهرتان ضرورة أنّ من كان له مروءة في الجملة كان له دين في الجملة ومن كان له عقل في الجملة كان له مروءة في الجملة ، ويحتمل أن يكون النفي فيها وارداً على الكمال كما هو الشايع في استعمال نحو هذا الكلام ، والمعنى لايتحقّق كمال الدّين لمن ليس له كمال المروءة ولايتحقّق كمال المروءة لمن ليس له كمال العقل ، ينتج لايتحقّق كمال الدّين لمن ليس له كمال العقل ، والمقدمتان أيضاً ظاهرتان ولا يجوز أن يراد في الأولى نفي الحقيقة و في الثانية نفي الكمال أو بالعكس لفقد الارتباط حينئذ بين الفقرتين و عدم الانتاج لعدم تكرّر الأوسط. والأوّل أظهر لما مرّ ، و الثاني أنسب بما بعده ، ولمّا بيّن عليه السلام أنّ المروءة والانسانية بالعقل وكان كلّ واحد منهما مستوراً لايدركه الحواس و كانت الظواهر أدلّة على البواطن كما مرّ أشار إلى أنّه يعرف ذلك بترك الدّنيا و عدم الرّكون إليها ، و إلى أنّ مراتبه متفاوته في الشدّة والضعف بقوله :

(وإنّ أعظم النّاس قدراً الّذي لايرى الدّنيا لنفسه خطراً) الخطر: الحظ والنصيب والقدر والمنزلة والسّبق الّذي يتراهن عليه ، وقد أخطر المال أي جعله خطراً بين المتراهنين، ويجوز إرادة كلّ واحد من هذه المعاني هنا ، أما الأوّلان فظاهران لأنّ أقدار النّاس عندالله سبحانه في الدّنيا والآخرة متفاوتة في الفضل والكمال والقرب والبعد و أعظمهم قدراً من لايرى الدّنيا حظاً و نصيباً و قدراً و منزلةً لنفسه ولا يلتفت إليها أصلاً لتنوّر قلبه بضوء عقله وإشراق لبّه بنور ربّه؛ فعاد بحيث لاينظر إلّا إليه ولايرغب إلّا فيما لديه ولعلمه بأنّ الدّنيا والآخرة عدّوان متفاوتان وسبيلان مختلفان و هما بمنزلة المشرق والمغرب، وأنّ من أحبّ الدّنيا و تولّاها أبغض الآخرة وعاداها، و أنّ من مشى إلى إحديهما بعد عن الأخرى ، و أنّ مرارة الدّنيا حلاوة الآخرة ، وحلاوة الدّنيا مرارة الآخرة . و أنّ الدّنيا موبقة زهراتها مهلكة شهواتها، باقية آفاتها ، دائمة كدوراتها ، حائلة بين المرء والطاعة لذّاتها، فلذلك ترك الدّنيا من وراء ظهره و سار إلى حضرة المولى فصار عنده أعظم قدراً

و أرفع مكاناً و أعلى شأناً و وجيها في الدّنيا والآخرة ، و من المقرّبين الّذين لاخوفٌ عليهم ولاهم يحزنون ، و أمّا الاخير فلأنّ النّاس في هذه النشأة بمنزلة أهل السّباق والرّهان يتسابقون لأغراض مطلوبة و غايات مقصودة و أعظمهم قدراً عندالله تعالى من شرق عقله و كمل علمه فصار بحيث لايرى الدّنيا وزهراتها الغائلة (۱) و لذّاتها الزّايلة و مقتنياتها الباطلة خطراً و سبقاً لنفسه أصلاً بل غرضه من السباق و غايته من الاستباق هو الفلاح بالسعادات الأُخرويّة والفوز بالمكاشفات الرّبوبيّة والدّخول في زمرة الأبرار و في جنات تجري من تحتها الأنهار ، و بالجملة ترك الدّنيا دلّ على كمال العقل والعلم، و ظاهر أنّ العالم الكامل العقل أعظم قدراً عندالله تعالى من غيره (أما إنّ أبدانكم ليس لها ثمن إلّا الجنّة) فيه تنبيه المغافلين و ايقاظ لهم عن نوم غفلتهم و ترغيب للسالكين في الزّهادة عن الدّنيا و تحريضٌ للعاملين على تحمّل المشقّة والفناء بتوقّع رفع المنزلة وعظيم الجزاء بنوع من التشبيه والتمثيل، و تلميح إلى قوله تعالى « إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنّة أي استبدل من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنّة حيوتها السرمديّة بالأنفس و نعيمها الأبديّة بالأموال فالمشتري هوالله تعالى ، والبايع هو النفوس البشريّة ، والمبيع هو الأبدان ، و الثمن هو الجنّة العالية، الباقية، والدّنيا أو ان التسليم ، فارتضوا بهذا البيع و استبشروا ببيعكم الّذي بايعتم به و سلّموا المبيع إلى المشتري لتستفيدوا الرّبح العظيم فإنّ البايع إذا قصر في تسليم المبيع حتّى هلك انفسخ البيع و بطل الرّبح، قيل: و في جعل الجنّة ثمن الأبدان إشارة إلى أنّ ثمن النفوس المجرّدة هوالله تعالى فكأنّه عليه السلام قال: أما أنّ أبدانكم ثمنها الجنّة فلا تبيعوها بغيرها و أمّا نفوسكم المجرّدة و أرواحكم القدسيّة فإنّما ثمنها هوالله سبحانه والفناء المطلق فيه (۲) و في مشاهدة الوجه الكريم فلاتبيعوها

(۱) في بعض النسخ [زهراتها الفانية] .

(۲) الفناء شيء لايعرفه الا الراسخون في العلم فمن تفوه به ولايعرف معناه خيف عليه الضلال ولا يعترف احد بعدم المعرفة و اما من عرف معنى الفناء فهو غاية مقصود☆

بغيرها ولما كان البيع منوطاً بالرضا و كان عليه السلام هو الناصح الأمين رغّبهم في هذا البيع لما فيه من المصالح الدّنيويّة والمنافع الاُخرويّة و نهاهم عن بيع أبدانهم بالدّنيا الفانية الزّائلة الخاسرة الغدّارة المكّارة بقوله (فلاتبيعوها بغيرها) يعني يجب عليكم أن لاتعاملوا الشيطان ولاتبيعوا الأبدان بالدّنيا وشهواتها فإنّ من آثر مبايعة الرّحمن على مبايعة الشيطان فأولئك هم الرّابحون، ومن عكس فما ربحت تجارتهم و اُولئك هم الخاسرون . و ينبغي أن يعلم أنّ العبد في الدّنيا تاجرٌ و هو في محلّ الخطر بنفسه و ماله فلابدّ أن لايغفل لمحة من حاله ، فانّ الشيطان قاطع الطريق ، مترصّد في اغتياله ، منتهض الفرصة في إضلاله ، و المشتري و هو الله تعالى عالم بأحواله ولا يقبل إلاّ السليم والجيّد من أعماله و أقواله و أفعاله فيجب عليه أن يبتهل أن لايكون من الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم و ما كانوا مهتدين .

(يا هشام إنّ امير المؤمنين عليه السلام كان يقول :إنّ من علامة العاقل) علامة الشيء ما يعرف به ذلك الشيء، و للعاقل علامات كثيرة كما يظهر لمن تصفّح أحاديث هذا الكتاب و غيرها والمذكورهنا ثلاثة كلّها للتكميل الغير اثنان منها لتكميل العلم و الآخر لتكميل العمل أو لتكميل العلم والعمل جميعاً (أن يكون فيه ثلاث خصال)

العارفين ففي الحديث « يتقرب العبد الى بالنوافل حتى احبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و لسانه الذي ينطق به و يده التي يبطش بها » نقلناه من كتاب عين الحيوة للمجلسي عليه الرحمة مترجما ثم بعد نقله هذا الحديث تكلف اتاويل الفناء بما يوافق مذاقه و أطال الكلام فيه جداً و يمكن تلخيص كلامه في جملتين الاولى ان المراد كنت مسموعه و مبصره فقال السمع و اراد المسموع، الثانية ان الله تعالى يده التي يبطش اى يفعل الشيء في زمان يريد العبد فعل ذلك الشيء ولا يسع المقام البحث في ذلك ولعل الله يوفقنا في مكان أليق، واما على اصول الشارح فلايحتاج الى التأويل لان وجود الممكنات بالنسبة الى وجود الواجب كالفيء من الشيء و وجود تعلقي صرف فاذا وصل العارف الى ادراك ذلك بالوجدان لا بالقول فقط فقد وجد فناءه (ش).

يريد أنّ كلّ واحدة منها علامة بدليل ما بعده (يجيب إذا سئل) لأنّ الجواب على نهج الصّواب عقيب السّؤال دلّ على كمال المجيب وإنارة عقله و نضارة ذهنه ومهارة طبعه في العلوم ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام : « تكلّموا تعرفوا فانّ المرء مخبوء تحت لسانه (١)» و قال أيضاً « قدر كل امرء ما يحسنه فتكلّموا في العلم تبيّن أقداركم (٢)» و لأنّ هذا الجواب ينفع السائل لأنّه ينوّر قلبه بالحكمة و ايصال النفع من الصفات الجليّة والسمات العليّة للعاقل كما يرشد إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام «خير القول ما نفع (٣)» وقوله : أيضاً «لا خير في علم لا ينفع(٤)» قيل يعني لا ينفع صاحبه غيره بل فيه مضرّة؛ لقول النّبي صلى الله عليه وآله « من سئل عن علم علمه ثمّ كتمه ألجم يوم القيمة بلجام من نار(٥)» و هذا يفيد وجوب الجواب عقيب السّؤال و يستثنى من ذلك ما إذا كان الجواب موجباً لمضرّة والترك مشتملاً على المصلحة كالتقيّة ونحوها يدلّ على ذلك مارواه المصنّف(٦) عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن الوشاء قال: سألت الرّضا عليه السلام فقلت له: جعلت فداك «فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون»؟ فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤلون، قلت : فأنتم المسؤولون ونحن السائلون ؟ قال : نعم ، قلت : حقّا علينا أن نسئلكم؟ قال : نعم ، قلت حقّاً عليكم أن تجيبونا؟ قال : لا، ذاك إلينا إن شئنا فعلنا و إن شئنا لم نفعل أما تسمع قول الله تعالى : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب» وبالجملة العاقل حكيم يجيب إن رأى الجواب خيراً و بترك الجواب إن رأى تركه خيراً ، وترك الجواب والصّمت لمصلحة أيضاً من علامات العاقل، وقد نقل بعض أرباب السّير أنّ رجلاً

---

(١) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٣٩٢.

(٢) الاختصاص للشيخ المفيد ـ رحمه الله ـ ص٢.

(٣) و (٤) النهج جزء من كتاب له عليه السلام الى ولده الحسن بن علي (ع) .

(٥) أخرجه البغوي في المصابيح ج١ ص٢٢ بسند ضعيف عن أبي هريرة .

(٦) كتاب الحجة باب أن أهل الذكر الذين امر الله الخلق بسؤالهم هم الائمة «ع» تحت رقم ٢ .

من أهل العراق حجّ بيت الله الحرام و غلبه النوم ليلة في المسجد الحرام فاعطى في المنام تعبير الرؤيا ، فلّما رجع إلى بلده اشتهر بذلك حتّى كان الناس ينتقلون إليه من البلدان البعيدة لاستعلام رؤياهم و كان يجيبهم و يعبّر لهم ولايخطىء أصلاً و نقل من جملة تعبيراته حكايات عجيبة غريبة فبلغ ذلك إلى الوالى فطلبه وأجلسه بين يديه و شرع بذكر حكايات من مزخرفات و منامات مفتريات على سبيل السخريّة والاستهزاء و كان ذلك الرّجل ساكتاً في كلّ ما يقول ولم يجبه أصلاً فقال له الأمير بعدما أطال الكلام لايش ما تتكلّم؟ فقال: أيّها الأمير نحن نتكلّم إذا كان السائل مستفهماً لا ما إذا كان مستهزياً ومتعنّتاً. فاستحسن عقله وتدبيره فعزّزه و قرّبه .

(وينطق إذا عجز القوم عن الكلام) بالحكمة الالهيّة ، والاسرار الرّبوبية والقوانين الشرعيّة والأخلاق النبويّة والسياسات المدنيّة ، و غيرها لشدّة خوضه في العلوم والحقائق و كثرة غوصه في بحار المعاني والدقائق إمّا بتعلّم ومناظرة مع الخلاّن في مدّة طويلة و آونة من الزّمان أو بمكاشفات و الهامات لكثرة أفكار و رياضات فحصل له بذلك كمالات لازمة و سعادات دائمة وملكات ثابتة و أحوالات راسخة حتّى عرج بذلك إلى رتبة التعليم بعبارات لايقة، و درجة التفهيم بكلمات رائقة ، ومنزل التقويم بتقريرات واضحة ، كما هو شأن العلماء و دأب الحكماء ،وطرز العقلاء، فدلّ ذلك على كماله في عقله و تفوّقه في فضله، وتقدّمه في جلال قدره و كمال نيله و من ههنا يظهر أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام مقدّم على الثلاثة المنتحلين للخلافة لعجزهم عن معرفة كثير من الأحكام و رجوعهم إليه في كثير من مسائل الحلال والحرام (و يشير بالرّأي الّذي يكون فيه صلاح أهله) لأنّ ذلك يتوقّف على التميز بين الحقّ و الباطل و الحسن و القبيح و الصحيح والسقيم والخير والشرّ في الأقوال والأعمال والأخلاق كلّها ، ثمّ اختيار أفضل هذه الأمور للاخوان والاشارة إليه شفقة عليهم ، و كلّ ذلك من آثار الفضل

و علامات العقل و لذلك قيل : من أشار إلى أخيه بأمر يعلم أنّ الرّشد فيه فقد كمل عقله وفاق فضله وظهر عدله . وهذه الفقرة من الكلمات الجامعة لشمولها جميع أنواع الخير مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمر بالأخلاق المرضيّة والترغيب في أمر الآخرة والتزهيد عن الدّنيا ، و غير ذلك ممّا يتمّ به نظام الدّارين و تكمل به سعادة الكونين ، و قيل الفقرة الأولى ناظرة إلى الفتاوى في النقليّات والشرعيّات والثانية إلى تحقيق المعارف والعقليات والثالثة إلى معرفة التدبيرات والسياسات في العمليّات (١) (فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء) يعني لم يقدر على الجواب عند سؤال ، و على النطق عند عجز القوم . و على الاشارة بمافيه صلاح أهله فهو أحمق ناقص العقل لفساد قوّته النظريّة والعمليّة المعبّرتين بالعقل النظريّ والعملي . قال في المغرب : الحمق نقصان العقل عن ابن فارس ، و عن الأزهري فساد فيه و كساد ، و منه انحمق الثوب إذا بلي ، انحمقت السّوق إذا كسدت ، وقد حَمِقَ حُمقاً فهو أحمق ، و حَمُقَ حماقة فهو أحمق

(إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام) تأكيد للسّابق وتقرير له و لذلك ترك العاطف (قال لايجلس في صدر المجلس إلّا رجل فيه هذه الخصال الثلاث) الّتي هي من أعاظم اُصول حاجات الناس (أو واحدة منهنّ) لأنّ صدر المجلس لأصحاب العلوم الرّاسخة و أرباب العقول الكاملة في قوّتي العلم والعمل ليرجع

---

(١) لان قوله في الفقرة الثالثة «صلاح أهله» صريح في السياسة وتدبير المنزل والاخلاق وأما الفقرة الثانية فوجه اختصاصها بالمعارف والعقليات ان الناس لا يسئلون عنها حتى ينحصر التعليم في مورد السؤال بل على العالم ان يعلم الناس التوحيد و يوجههم الى الاخرة و يبين لهم النبوة والامامة قبل أن يلتفتوا ويسئلوا واما الفروع فيسئل عنها المؤمن بالله والاخرة فيجيب العالم كما في الفقرة الاولى (ش) .

إليهم الضعفاء و يلوذبهم الفقراء في تحصيل الكمال و تكميل الأحوال ويعظّم وهم لحقّ التعليم والإرشاد و يوقّروهم لحقّ التقدّم في المعرفة والعلم بأحوال المبدء والمعاد، وهذا صريح في أنّ تفاوت الرّجال في المجالس باعتبار تفاوتهم في الفضل والكمال لاباعتبار تفاوتهم في النسب والمال ، يدلّ على ذلك قوله عليه السلام أيضاً «قيمة كلّ امرء مايحسنه(١)» و قول الصادق عليه السلام «اعرفوا منازل النّاس على قدر روايتهم عنّا (٢)» و بالجملة التقدّم على الاطلاق لرسول الله صلى الله عليه وآله ثم بعده لعلى بن أبي طالب و أولاده الطاهرين عليهم السلام ثمّ بمدهم لشيعتهم على تفاوت مراتبهم في العلم و العمل (فمن لم يكن فيه شيء منهنّ فجلس فهو أحمق) لأنّه وضع لنفسه في غير موضعها وموضعها موضع أراذل النّاس لأنّه رذل وإن كان ذا نسب لقول النبي صلى الله عليه وآله «ما استرذل الله عبداً إلاّ حظر عليه العلم و الأدب (٣)» و قول أمير المؤمنين : «إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم (٤)».

(وقال الحسن بن علي عليهما السلام إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها) يمكن أن يراد بالحوائج الحوائج الدينيّة أعني اُصول المعارف والأحكام و فروعها و أن يراد بها الحوائج الدنياويّة وقد دلّ العقل والنقل على قبح الطلب وذمّ السؤال في اُمور دنيويّة لأنّ فيه خساسة وذلاً و انكساراً ودنيّة و إراقة ماء الوجه وهي أشدّ و أصعب من منيّته، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أكرم نفسك عن كلّ دنيّة و إن ساقتك إلى الرّغائب (٥)» هي جمع الرّغيبة يعني العطاء الكثير وفي الخبر أيضاً «لأن يأتي أحدكم جبلا فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكفّ

---

(١) تقدم آنفاً (٢) سيأتي في كتاب العلم انشاءالله .

(٣) أخرجه ابن النجار من حديث ابي هريرة بسند ضعيف كما في الجامع الصغير .

(٤) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٢٨٨ .

(٥) جملة من كتاب له (ع) الى الحسن بن علي(ع) في النهج تحت رقم ٣١ .

الله بها وجهه خير له من إن يسأل الناس أعطوه أومنعوه (١)» وإن اضطررتم وليس الاضطرار إلاّ لقلّة البصيرة و ضعف اليقين بالله، لأنّ من توكّل على الله فهو حسبه فاطلبوها من أهلها لأنّه إن قضاها قضاها بلامنّة ولااستهانة و على وجه جزيل و إن ردّها ردّها بوجه حسن و على وجه جميل، ولا تطلبوها من غير أهلها لأنّ تلك دنيّة حاضرة و مذلّة ظاهرة، وفوت الحوائج أحسن وأهون منها (قيل يا ابن رسول الله و من أهلها؟ قال: الّذين قصّ الله في كتابه و ذكرهم فقال: «إنّما يتذكر أولو الألباب» قال: هم أولو العقول الخالصة) عن شوائب النقص والأوهام(٢) إن أريد بالحوائج الحوائج الدّينيّة فالرّجوع فيها إلى اُولي الألباب وطلبها منهم ظاهر لأنّهم العارفون بالمعارف و الأحكام و سائر الناس فقراء يحتاجون إلى السؤال منهم والأخذ من خزائن عقولهم، و كذا إن اُريد بها الحوائج الدّنيويّة لأنّهم بسبب كمال عقولهم و علوّ طبعهم وشدّة محبّتهم و مودّتهم بخلق الله إمّا يقضون حوائجهم على الوجه الأحسن كما روي «أنّ سائلاً سأل الرّضا عليه السلام فقال اجلس رحمك الله فدخل الحجرة وبقي ساعة ثمّ خرج وردّ الباب وأخرج يده من أعلى الباب وقال للسائل: خذ هذا المائتي دينار واستعن بها على مؤونتك ونفقتك

---

(١) أخرجه البغوي في المصابيح ج١ ص١٢٣.

(٢) العقل الخالص عن شوائب الاوهام لفظ يتفوه جميع الناس و يظنون أنفسهم واجدين له متصفين به ولكن الحق ان الخالص المحض ليس الا في قليل و يعرف ذلك من عرض نفسه على العلامات المذكورة في هذا الحديث الشريف للعاقل كما مر و بينا في بعض مامر كيفية ارتباط منافيات العقل للوهم انموذجا يقاس به الباقي فاذا رأيت احداً يصدق بشيء لم يقم عليه دليل ولا يدرك بالبديهة كالفضاء الغير المتناهي و الجزء الذي لايتجزى وأن كل موجود محسوس فاعلم ان عقله مشوب بالوهم فهو بمنزلة نظير من يعترف بان الميت جماد ومعذلك يخاف عنه ولكن ليس جميع الاصول العقلية مما يعارضه الوهم في التصديق بل في العمل ولولا ذلك لم يكن العقل حجة اذا لم يميز الانسان مدركات وهمه من مدركات عقله. (ش)

و تبرّك بهاشم خرج بعد ذهاب السائل ؛ فقيل له: جعلت فداك لقد أجزلت ورحمت فلماذا استرت وجهك عنه؟ فقال مخافة أن أرى ذلّ السؤال في وجهه لقضائي حاجته(١)» و إمّا يردّونهم على الوجه الأحسن و يرشدونهم إلى ما يتحصّل به قضاء حوائجهم كما روي «أنّ رجلاً اشتدّت فاقته فقالت له امرأته لو أتيت رسول الله فسألته فجاء ليسأله فلمّا رآه النبي صلى الله عليه وآله قال : من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله فقال الرّجل ما يعني غيري فرجع إلى امرأته فأعلمها فقالت: إنّ رسول الله بشر فأعلمه ، فأتاه فلمّا رآه قال : من سألنا أعطيناه و من استغنى أغناه الله حتّى فعل ذلك ثلاثاً ثمّ ذهب الرّجل واستعار معولاً و اشتغل بالاحتطاب و ابتياعه حتّى اشترى بكرين و غلاماً ثمّ أثرى حتّى أيسر فجاء إليه صلى الله عليه وآله فأعلمه كيف جاء يسأله و كيف سمع منه ، فقال صلى الله عليه وآله قلت لك : من سألنا أعطيناه و من استغنى أغناه الله(٢)» فانظر رحمك الله إلى جلالة قدر العقلاء و نبالة حالهم و عظمة شأنهم حيث جعلهم الله سبحانه مناراً في بلاده بهم يعرفون معالم الدّين و يصعدون إلى أعلى معارج اليقين ، وملاذاً لعباده بهم يتوسّلون في تحصيل المطالب و يتمسّكون في تيسير المآرب، تلك نعمة يمنّ بها على من يشاء من عباده وهو الحكيم العليم .

(وقال عليّ بن الحسين عليه السلام : مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح) لأنّ كلامهم يعمر قلب الأنيس و يلين طبع الجليس (٣) و يخرجه من الغفلة والنسيان و يذكّره ثواب الأبد ونعيم الجنان ، و يحييه بالموعظة العليا والسعادة العظمى والزّهادة عن الدّنيا حتّى يصير تكوّنه كتكوّنهم و تلوّنه كتلوّنهم فيرتقي بذلك

---

(١) رواه الكليني في الكافي كتاب الزكاة باب من اعطى بعد المسألة تحت رقم ٣.

(٢) الكافي كتاب الايمان والكفر باب القناعة تحت رقم ٧ .

(٣) ما نقل عن زين العابدين (ع) هنا راجع الى عقل المعاش والمعاشرة مع الناس بعد ماكان مارواه سابقاً عليه من عقل المعاد وتهذيب النفس اشار الى ذلك استاد الحكماء المتألهين صدر الدين قدس سره وذلك لان المعاشرة مع الصلحاء والمداراة مع الاعداء من كمال العقل والشريعة الكاملة المحمدية (ص) تدعوا الى التعاون والمعاشرة . (ش)

إلى معارج القدس ، ويرتع في رياض الأنس ، ألا يرى أنّ من عقد خدمة النّبي في وسط روحه كيف فتح الله عليه أبواب فتوحه ومن قارن بيضاء سماء الولاية ولازم نيّر فلك الإمامة و أخذ جواهر المعاني من زواهر كلماته و اقتبس أنوار الحقايق من ضوء مشكوته كيف نوّر الله بذلك مهجته وزاد بهاءه و بهجته ، وقد يرشد إلى ذلك قول أمير المؤمنين عليه‌السلام : « قارن أهل الخير تكن منهم و باين أهل الشرّ تبن عنهم (١) » أي تتميّز عنهم . وفيه حثّ عظيم على وجوب مفارقة الفاسقين والاجتناب عن الظالمين و الفرار عن أولياء الشياطين حتى كان تقارنهم موجباً للاتحاد بين الاثنين و ذلك لأنّ جليس أهل الشرّ يأخذ منهم أعمال الشرّ بداراً كما أنّ الحديد بمجاورة النار يصير ناراً ، إذ قد اجتمع على تلك الأعمال بواعث من الطبع ووساوس من الشيطان وتدليسات من مردة الإنس ، وتلبيسات من أهل الخذلان ، فيوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ويزيّن كلّ لصاحبه باطلاً وزوراً

(و اداب العلماء زيادة في العقل) الآداب جمع الادب (٢) قال في المغرب الأدب أدب النفس والدّرس ـ وقد أدُب فهو أديب و أدّبه غيره فتأدّب و استأدب وتركيبه يدل على الجمع ـ والدّعاء ومنه الآدب لأنّه يأدب الناس إلى المحامد أي يدعوهم إليها عن الأزهري ، و عن أبي يزيد الأدب اسم يقع على كلّ رياضة

---

(١) النهج كتاب له «ع» الى ابنه الحسن بن علي «ع» .

(٢) المبتدا في تلك الجمل مصدر او اسم مصدر مثل مجالسة الصالحين وطاعة ولاة الامر واستثمار المال وارشاد المستشير و كف الاذى فلابد أن يكون اداب أيضاً مصدراً حتى يتناسق الالفاظ و يتناسب المعنى اذ ليس آداب العلماء زيادة في العقل بل المعاشرة معهم و الاختلاف اليهم و مصاحبتهم و ملازمة خدمتهم . والانسب عندي بعد فرض صحة الكلمة ان يقرأ إدآب العلماء مصدر باب الافعال من دأب بمعنى الالحاح والسؤال المتتابع والاصرار في ملازمتهم والتشرف بخدمتهم و استنباط المعارف منهم والدأب التتابع و التكرر قال تعالى «تزرعون سبع سنين دأباً» اى متتابعاً وفي نسخة لنا مصححة مقروءة على المحدث الجزائري «أدب العلماء» وهو أحسن من «آداب» (ش) .

محمودة يتخرّج به الإنسان في فضيلة من الفضايل والمقصود أن آداب العلماء موجبة لزيادة عقل من جالسهم و عروجه من حضيض النقص إلى أوج الكمال ، والوجه في ذلك مع ظهوره أنّ عقول العلماء مشرقة مضيئة في سماء الأبدان كالشمس فانقشعت عنهم سحائب الحجب و ظلمات الغشاوة إلى أن شاهدوا العلوم الالهيّة والحكمة الربّانيّة وإذا قابلت العقول الناقصة القابلة عقولهم استعدّت بذلك لأن يتنوّر بنورها وتستضيء بضوئها كما أنّ القمر المقابل للشمس يتنو ر بنورها ويستضيء بضوئها وعلى حسب ذلك ينكشف عنها الحجاب والعوائق و يحصل لها الترقّي إلى عالم العلوم والحقائق و لذلك قال أبوالحسن موسى بن جعفر عليهما السلام «محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزّرابي»(١)

(وطاعة ولاة العدل تمام العزّ) (٢) لمّا كان الانسان أسيراً للنفس الأمّارة

---

(١) سيأتي في كتاب العلم انشاءالله تعالى .

(٢) :قوله و طاعة ولاة العدل» الظاهر المتبادر الى الذهن في كلام الائمة «ع» وشيعتهم من ولاة العدل الامام المعصوم وأما ساير الولاة وان اتسموا بالعدالة فهم جائرون لايجب اطاعتهم اذلايخلو غيرالمعصوم من أمر بالقبيح ولو خطاء وهذامذهبنا في الحكومة و السياسة و نقول: يجب في حكمة الله تعالى ولطفه أن ينصب في كل زمان اماماً معصوماً حجة ويوجب طاعته على العباد والمدينة الفاضلة التي يقول به الحكماء هي التي يكون الامير فيه بصفة العلم والحكمة والعدل و نزيد فيه العصمة ، وقال الفارابي في بعض كتبه ماحاصله أن أفضل أنحاء المدينة بعد المدينة الفاضلة مدينة الجماعة و عرفها بمايطابق الحكومة الديمقراطية في عهدنا وقال هذه المدينة بعد الناس و يهيئهم لقبول المدينة الفاضلة ومدينة الجماعة هي التي قبلها اكثر بلاد النصارى ولم يعهد الى زماننا هذا حكومة اعدل منها اذعزلوا الامراء والولاة والجنود بل الوزراء مع كمال قدرتهم ان ينفذوا شيئاً بارائهم و يستبدوا بشيء من الاحكام الا اذا رضي به الناس و صوبه الرعايا ومع ذلك فليس اطاعة ولاة مثل تلك الحكومات أيضاً واجبة على الناس ان فرض محالا وجودها بين المسلمين الاتقية وتحرزاً عن الفتنة وأمثال ذلك (ش) .

بالشهوات والقوى الدّاعية إلى اللّذات وكانت أهواؤهم لذلك مختلفة وآراؤهم متباعدة وقلوبهم متفرّقة كانت استقامة نظام أحوالهم في أمر معاشهم ومعادهم محوجة إلى سلطان قاهر وحاكم زاجر تأتلف برهبته النفوس والأهواء و تجتمع بهيبته القلوب والآراء وتنكف بسطوته الأيدي العادية إذ في طباعهم من حبّ الغلبة على ما آثروه والقهر لمن عاندوه مالا ينكفّون عنه إلاّ بمانع قويّ و رادع ملي و زاجر جلي و قد أفصح المتنبّي عنه حيث قال :

لايسلم الشرف الرّفيع من الأذى ✿ حتّى يراق على جوانبه الدّم

والظلم من شيم النّفوس فإن تكن ✿ ذا عفّة فلعلّة لا يظلم

والعلّة المانعة من الظلم عند الاستقراء ترجع إلى أمور أربعة إمّا عقل زاجر أو دين حاجز ، أو عجز مانع ، أو سلطان رادع ، والسلطان القاهر أبلغها نفعاً و أعظمها ردعاً لأنّ العقل والدّين ربّما كانا مغلوبين بدواعي الهوى و العجز قد ينتفي كما هو المشاهد في الأكثر فيكون رهبة السلطان أقوى ردعاً و أعمّ نفعاً ، ثمّ السلطان الجائر و إن كان دافعاً للفتنة من بعض الجوانب لكنّه جالب لها من جوانب اُخر فلاخير فيه من جهة ما هو جاير فلابدّ من أن يكون السلطان عادلاً ليكون دافعاً للفتنة بالكلّيّة مانعاً من وقوع الهرج والمرج والذّل والخسران في الخلق ولكن دفعه لها منوط بطاعتهم ومتابعتهم له فوجب عليهم الوفاء بذمامه والاستماع إلى كلامه ، والاتّباع لأفعاله وأعماله ، واللّزوم للاُلفة والتحاضّ عليها و التواصي بها ، و الاجتناب عن الفرقة و غيرها مما يكسّر فقرتهم و يوهن قوّتهم من تضاغن القلوب و تشاحن الصدور و تدابر النفوس و تخاذل الأيدي ليحصل له قوّة لدفع كيد المعاندين و شرّ الظالمين و مكر الحاسدين و طعن الملحدين عن حوزة المسلمين و عرض المؤمنين، فتحصل لهم العافية و تكمل لهم النعمة و تجرى عليهم العزّة والكرامة، و يكونون حينئذ أنصاراً معزّزين و أرباباً في الأرضين ملوكاً على رقاب العالمين ، ولو تركوا طاعته واختاروا فرقته وجانبوا الفتنة و هدّموا كلمته و كسروا شوكته و تشعّبوا مختلفين و تفرّقوا متحاربين

خلع الله تعالى عنهم لباس كرامته ورداء عزّته و غضارة نعمته فيستولي عليهم الأعداء و يتّخذونهم عبيداً و يسومونهم سوء العذاب وهم متحيّرون في ذلّ الهلكة وقهر الغلبة لا يجدون حيلة في امتناع ولا سبيلاً إلى دفاع (١).

(واستثمار المال تمام المروءة) أي استثمار المال واستنماؤه بالتجارة وغيرها من أنواع الاكتساب تمام الانسانيّة وكمال الرّجوليّة (٢) لما فيه من الاستعفاف عن النّاس والسّعي للتوسعة على الأهل و التعطّف على الجار والاقتدار على قضاء الحوائج والإتيان بسائر أبواب البرّ من مصالح الدّنيا والآخرة. قال الصادق عليه السلام: «إصلاح المال من الايمان (٣)» وقال أيضاً: «عليك باصلاح المال فإنّ فيه منبهة للكريم واستغناء عن اللّئيم (٤)» والاخبار المرغّبة في كسب الحلال والاستغناء عن الناس وجعله وسيلة إلى السّعادات الاخرويّة والتقرّب بالقربات الالهيّة و صرفه في وجوه البرّ أكثر من أن تعدّ و تحصى و إنّما المذموم من جعل الدّنيا لنفسه استقراراً و رضي بها داراً و اطمأنّ بها و ركن إليها و جعلها آلة للشهوات الباطلة

(١) من قوله: «والزوم للالفة» الى هنا مقتبس من النهج الخطبة المعروفة بالقاصعة.

(٢) المروءة مصدر مرء الرجل وارادوا به شيئاً غير كون الانسان مرءاً اى رجلا فان هذا المعنى ثابت لكل رجل وليس كل رجل ذا مروءة وذلك لان الناس على ضربين منهم من يعتني بنفسه ويتعاهده ويحب ان يحفظه مما يدنسه ويعيبه ومنهم من لا يبالي بنفسه ولا يعتد بما يقول وما يقال فيه، و نظير ذلك اختلاف الناس في ساير اموالهم وما يتعلق بهم مثلا بعضهم يعتني بداره واثاثه واولاده، وبعضهم يهمل كل شيء له والعالم يعتني بكتبه ويحفظها من التلف ويضن بها من الضياع وغير العالم لا يعتني بما يقع في يده من الكتب والزارع كذلك بالنسبة الى البذور والحقول والبساتين يعتني بامور لا يعتني به غيره وصاحب المروءة هو المعتني بنفسه والمروءة ممدوحة في الشرع والعرف وعدها الفقهاء من شرائط العدالة لان البذي الوقيح الذى لا يبالي بما يقال فيه ولا يعد نفسه مما يجب ان يتعاهد لا يجتنب القبائح البته. واما استثمار المال فعده من تمام المروءة فان من يعتني بنفسه يعتني بماله من حيث ان ماله يقي عرضه ويحفظه من السؤال و يسهل عليه البذل واعانة المضطرين و اغاثة الملهوفين فحفظ المال كمال لحفظ النفس (ش).

(٣) و (٤) الكافي كتاب المعيشة باب اصلاح المال وتقدير المعيشة تحت رقم ٢ و ٦.

واللّذات الزائلة والسيّئات الحائلة بينه وبين السعادة الأبديّة. وقد روى «ان الدنيا دنيا ءان دنيا ممدوحة وهي مايوجب زيادة القرب من الله تعالى ، ودنيا ملعونة وهي مايوجب البعد عن رحمته ويحتمل أن يكون استثمار المال كناية عن إخراج الزكاة لانّ إخراج الزكاة يوجب نموّ المال و لذلك سمّي المخرج من المال زكوة و يدلّ عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام : « ان الله وضع الزكوة قوتاً للفقراء وتوفيراً لاموالكم » (١).

(و إرشاد المستشير قضاء لحقّ النعمة) الاستشارة أمرٌ مرغوب فيه شرعاً و عقلاً و الرّوايات المرغبّة فيها متظافرة و قد أمر الله تعالى بها سيّد المرسلين و هو أعقل العاقلين فقال : « و شاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكّل على الله » فمن اهتمّ بأمر يعلم أنّ الخيرة في فعله أو في تركه فعليه أن يستشير بذي الرأي المتين فانّه سبحانه يلهمه الخير و الشرّ وعلى المستشار أن لايخونه فانّ من خان مسلماً فقد خان رسول الله صلى الله عليه وآله ومن خان رسول الله فقد خان الله و من خان الله أخزاه الله في الدّنيا والآخرة وسلب عنه نعماه و رحمته وعليه هدايته و إرشاده إلى ما هو خيرٌ له « قضاء لحقّ النعمة » أي نعمة المستشير عليه لأنّ تفويض المسلم أمره إلى أخيه و اتّكاله على رأيه فيه نعمة عليه، أوالمراد بالنعمة عقل المستشار لأنّ العقل من أفضل نعماء الله تعالى على عباده و المراد بها أعمّ من ذلك وعلى التقادير إرشاده سبب لمقتضى حقّها و استبقاء لها و إضلاله سبب لفسادها و يرشد إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام «إن لله عباداً يختصّهم بالنعم لمنافع العباد فيقرّها في أيديهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها ثمّ حوّلها إلى غيرهم» (٢)

(و كفّ الأذى من كمال العقل) قال: في المغرب: الاذى ما يؤذيك وأصله المصدر و قوله في المحيض «هو أذى» أي شيء يستقذر كأنّه يوذي من يقربه نفرة وكراهة، والتأذّي أن يؤثر فيه الأذى. أقول: الأذى لفظٌ شاملٌ لجميع أنواع الخصال المذمومة مثل الضرب والشتم والهجو والغيبة والتهمة و غيرها وإنّما كان

(١) في المحاسن ص ٣١٩ والفقيه و الكافي و العلل من حديث العقر قوفى عن موسى بن جعفر عليهما السلام .
(٢) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٤٢٥ .

كفّ الأذى من كمال العقل لأنّ العاقل يعلم أنّ الغرض الأصلي من الخلق هو الوصول إلى جناب عزّته والطيران في حظاير قدسه بأجنحة الكمال مع الملائكة المقرّبين و أنّ ذلك كما يتوقّف على عبادة الرّحمن كذلك يتوقّف على كفّ الأذى من الاخوان ، فكما أنّ صرف الهمّة في العبادة من كمال العقل كذلك صرف النفس عن الأذى ، وأمّا المؤذي فهو بمنزلة البهائم والسباع ، عارعن حلية العقل و يعلم أيضاً أنّ ترك الأذى يوجب التعاون والتعاطف والتراحم والتواصل والتظاهر والتواخي والتآلف والتودّد والاجتماع ، و كلّ ذلك ممّا يقتضيه كمال العقل و يعلم أيضاً أنّ ترك الأذى يدلّ على حلمه و أناته و رفقه و إشفاقه وعلمه بعواقب الأمور وهي من آثار العقل ، ويعلم أيضاً أنّ إيذاء المسلم نقصان في الدين أوخروج منه لقوله عليه السلام : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١)» فلذلك يتركه طلباً لكماله وأنّه من كمال العقل ولاتفاوت في هذا الحكم بين كفّ نفسه عن أذى الغير أو كفّ غيره عن أذى أحد (و فيه راحة البدن عاجلاً و آجلاً) لأنّ الدّنيا والآخرة دارالمكافاة فمن ترك الأذى سلم عن الآفات أما الآخرة فلقوله تعالى : «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» وقوله تعالى : « سيعلم الّذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » وقول أميرالمؤمنين عليه السلام «بئس الزّاد إلى المعاد العدوان على العباد (٢) » وقوله « يوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم (٣) » إلى غير ذلك من الآيات والرّوايات ، و أمّا الدّنيا فلقوله عليه السلام « من سلّ سيف البغي قتل به ، و من حفر بئراً لأخيه وقع فيها» (٤) ولأنّ المظلوم إن كان ذاقوّة فقد ألقى المؤذي نفسه إلى التهلكة و إن لم يكن ذاقوّة اضمر العداوة وينتهز الفرصة لإيقاع المكروه به كما هو المعلوم من أحوال أبناء الزّمان ، وأيضاً قد يرفعه الدّهر وليس ذلك من الدّهر ببعيد فالمؤذى دائماً في معرض الهلاك وقد يقال : الناس إمّا كاملون أو ناقصون والناقص

---

(١) النهج أبواب الخطب تحت رقم ١٦٥ أولها «ان الله تعالى أنزل كتاب هادياً» .

(٢) و(٣) و(٤) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٢٢١ و ٢٤١ و ٣٤٩ .

نقصانه إمّا بحسب الدّنيا أو بحسب الآخرة والنقصان بحسب الآخرة إمّا بحسب العمل أو بحسب العلم، والنقصان بحسب الدّنيا إمّا في الجاه والعزّة أو في المال والثروة ، والكامل من حقّه أن ينفع غيره أو يدفع الضرّر عنه فصارت الأقسام ستّة أربعة من جهة النقص وإثنان من جهة الكمال فقوله عليه السلام « مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح » إشارة إلى الناقص من جهة العمل المفتقر إلى من يدعوه إلى الصّلاح و قوله : « و آداب العلماء زيادة في العقل » إشارة إلى الناقص في العلم المفتقر إلى التعلّم وقوله : « وطاعة ولاة الأمر تمام العزّ » إشارة إلى الناقص بحسب الدنيا من جهة العزّة. وقوله : « و استثمار المال تمام المروءة » إشارة إلى الناقص بحسب الدّنيا من جهة المال ، فهذه أقسام النّاقصين وعلاج جميعهم بالمعاشرة والصحبة . و قوله : « و إرشاد المستشير قضاء لحقّ النعمة » إلى الكامل النافع لغيره . وقوله : « وكفّ الأذى تمام العقل » إشارة إلى الكامل الدّافع للضرر عن الغير.

(ياهشام إنّ العاقل لايحدّث من يخاف تكذيبه) لأنّ العاقل لايعين غيره بالإثم والعدوان ولايسعى على نفسه بالاستهانة والخذلان ، بل يحفظ قدره و شرفه على قدر الامكان و يجتنب من تحديث من يكذّبه كما يجتنب من الذّنوب والعصيان أو أشدّ اجتنابا لقول أمير المؤمنين عليه السلام : « أشدّ الذّنوب مااستهان به صاحبه (١) » ولأنّ المكذّب للعاقل جاهل ورؤية الجاهل و مجالسته شوم فكيف تحديثه ومجاورته و لأنّ تحديثه مع احتمال تكذيبه ربّما ينجرّ إلى الخصومة و الجدال و قد ورد النهي عنها .

(ولايسأل من يخاف منعه) لأنّ أصل السؤال ـ والطمع ـ عمّا في أيدي النّاس ذلّ والخيبة بالمنع وعدم الانجاح ذلّ آخر فالعاقل لايسأل غيره ما استطاع لقول أمير المؤمنين عليه السلام « إن استطعت أن لايكون بينك و بين الله ذو نعمة فافعل فإنّك مدرك قسمك و آخذ سهمك، وإنّ اليسير من الله سبحانه أكرم و أعظم من الكثير

---

(١) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٣٤٨ و ٤٧٧.

من خلقه وإن كان كلّ منه (١) » وإن اضطرّ إليه و نظر إلى أنّ المال في أيدي العباد مال الله في الحقيقة قد ملّكهم التصرّف فيه و أنّ هذا العالم عالم الأسباب فلا يسأل قطعاً من يخاف منعه تحاشياً عن ذلّ في ذلّ و انكسار في انكسار و إراقة ماء الوجه بلامنفعة أصلاً و تماسكاً بقوله عليه السلام « ماء وجهك جامد فانظر عند من تقطره (٢) » و بقوله :

لقلع ضرس، وضنك حبس ونزع نفس ، و ردّ أمس
وحمل عار ، و نفخ نار و بيع دار بعشر فلس و قود قرد ، و نسج برد
ودبغ جلد بغير شمس و قتل عمّ ، وشرب دم وحمل غمّ ، ونقل رمس
أهون من وقـــــفة بباب تلقاك حجّابها بعبس

(ولا يعد مالا يقدر عليه) لأنّ خلف الوعد من صفة النفاق وصنع اللّئام و فيه مذلّة حاضرة وخساسة ظاهرة يستنكفها أصحاب العقول الخالصة وقد روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله « ثلاث من كنّ فيه كان منافقاً وعدّ منها خلف الوعد (٣) » ولاظهار شرف الوفاء به و سموّ رتبته و علوّ درجته ذكر الله سبحانه في القرآن العزيز وقدّمه على وصف الرّسالة والنّبوة وغيرهما من الصفات العالية مثل الأمر بالصلوة والزكوة فقال « و اذكر في الكتاب إسمعيل إنّه كان صادق الوعد و كان رسولاً نبيّاً » و قيل ، معناه إنّ العاقل لايعد أمراً من الأمور حتّى يعلم أنّه قادر على إتمامه والبلوغ إلى غايته . و كأنّه قرأ يعدّ بشدّ الدال من الإعداد والظاهر أنّه تصحيف (ولا يرجو ما يعنّف برجائه) التعنيف اللّوم و التعيير والرجاء هي الصورة الحاصلة في النفس من تقدير شيء و تصويره فيها و أكثره ينشأ من تخمين بلاروية، وفي النهاية الرجاء هي التوقّع والأمل والمراد

---

(١) النهج من كتاب له «ع» الى ابنه الحسن «ع» .

(٢) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٣٤٦ .

(٣) بحار الانوار المجلد الخامس عشر الجزء الثالث من كتاب الايمان والكفر باب صفات المنافق والمرائي عن هرون بن مسلم عن مسعدة بن زياد عنه عن آبائه «ع» عن النبي «ص» «للمنافق ثلاث علامات اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان».

به هناطلب رجل مالا يستحقه ولايليق بحاله كما هومن بضائع النّوكى(۱) وشرايع الحمقى مثل أن يطلب الفقير الخمول السلطنة والجاهل الغبي التطلّع بالأسرار اللاّهوتية ويدّعي المبتدي في العلم رتبة الاستادين الكاملين ورجاء أمثال ذلك من لوازم الجهالة ولواحق الغباوة لامن صفة العلماء وسمت العقلاء فانّ العاقل العالم لا نارة قلبه وإضاءة ذهنه وانفتاح عين بصيرته له حاجز عن ذلك ونور يستبين به العواقب و يترك به القبايح و يجتنب عن رجاء مالايليق به و ينزل نفسه في مكانها و يطلب الأشياء في مظانّها « رحم الله عبداً عرف قدره فلم يجاوز طوره » (لايتقدّم على مايخاف فوته بالعجز عنه) قرء بعض العلماء قوّته بالقاف المضمومة و تشديد الواو ، و قال : أي على قوّته فالنصب على نزع الخافض ، والنّسخ الّتي رأيناها بالفاء المفتوحة و الواو الساكنة يعني أنّ العاقل لايقدم على فعل ليس في وسعه ولايرتكبه تحرّزاً عن لحوق اللّوم بسبب العجز عنه رأساً أو بسبب العجز عن الاتيان به على وجه الكمال و كذا لايقدم على قول و فعل في غير وقتهما لأنّه يعلم أنّ الأشياء مرهونة بأوقاتها و من أقدم عليهما في غيرها عجز عنهما (۲) و أذلّ نفسه ، و قال

---

(۱) بضايع جمع البضاعة. النوك ـ بالضم والفتح ـ جمع نوكى كسكرى (القاموس)

(۲) ادب المعاشرة مع الناس ينقسم بانقسام الناس وهم طوائف فمنهم العلماء والمعاشرة معهم لتحصيل الاداب و زيادة العقل، ومنهم ولاة العدل وادب الناس معهم الطاعة لحفظ المزة ، ومنهم من تعرفه ويعرفك وله حق نعمة عليك بوجه من الوجوه وأدبك معه بذل النصيحة وترك الخيانة في الرأي و مراعاة مصلحته ، و منهم من ليس بينك و بينه معارفة و أدبك معه الكف عن اذاه و الامتناع من الاضرار به ، و اما أدب النفس بحيث يحفظ كرامته عند الناس فأوله استثمار المال، ذكره بعد ذكر طاعة الولاة لما بينهما من الارتباط ثم أن لا يحدث من يخاف تكذيبه فان ذلك يشهره بالكذب ، ولا يسأل من يخاف منعه فانه يوجب الذلة ، ولا يعدما لايقدر عليه فان هذا أيضاً يوجب مهانته وعدم اعتماد الناس عليه ، ولا يتعرض لطلب ما لايناله فان هذا يستلزم رميه بالسفاهة و يستهزىء به و يذهب بكرامته ولا يستعجل في ادراك شيء يظن أنه لا يدركه لعجزه فان ذلك أيضاً سفاهة «ش» .

الصادق عليه السلام: «لاينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه، قيل له: وكيف يذلّ نفسه؟ قال: يتعرّض لما لا يطيق (١)» وفي رواية أخرى (٢) عنه عليه السلام قال: «يدخل فيما يعتذر منه». (٣)

((الأصل)):

١٣- «عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «العقل غطاء ستير، والفضل جمال ظاهر، فاستر خلل خلقك بفضلك، وقاتل هواك «بعقلك، تسلم لك المودّة، وتظهر لك المحبّة».

((الشرح)):

(عليّ بن محمّد عن سهل بن زياد رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: العقل

(١) و (٢) الكافي في كتاب الجهاد باب كراهة التعرض لمالايطيق تحت رقم ٤ و٥.

(٣) هذا خبرطويل راويه الحسين بن محمد بن عمران وهو ثقة، عن بعض أصحابنا وهو مجهول عن هشام بن الحكم مرسلا فروايته غير معتبرة من جهةالاسناد، والاعتماد على متنه اذ يتضمن مدح العقل مع الاستشهاد بالقرآن الكريم والتأيد بالادلة العقلية فان شمل بعض ألفاظه على مايحتاج الى تكلف في تفسيرها أو ينقل آية على خلاف مافي المصحف الشريف لايستغرب ذلك فان حفظ جميع ألفاظ الامام «ع» في الروايات الطويلة خرق للعادة ولا يبعد سهو الراوي ونقله بعض الكلمات بتحريف وتصحيف ولا يجعل مثله دليلا على تحريف القرآن كماهو دأب الاخباريين فان احتمال تطرق الوهم والتحريف الى الخبر قريب والى القرآن ممتنع. وقال صاحب الوافي قدس سره: ولهذا الحديث ذيل في غير الكافي نذكره في كتاب الروضة ان شاءالله تعالى وفي الوافي ايضاً شرح وتحقيق كثيراقتبس بعضه من السيد الداماد واستاده صدر المتألهين قدس سرهما ونقل منه كثيراً في هذا الشرح بالفاظهم من غير ان ينسبه اليهم وله عذر في ذلك نشير اليه في موضعه ان شاءالله تعالى (ش).

غطاء ستير) العقل جوهر مجرّد له مراتب متفاوتة في النقص والكمال باعتبار التفاوت في العلم والعمل والكشف حتّى يبلغ غاية الكمال الّتي تختصّ بعقول الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، والمراد بالعقل هنا نوعه في ضمن أي صنف وجد غير الصنف الّذي هو في غاية الكمال سواء كان من جهة المكاشفة أو من جهة الاكتساب بقرينة أنّ هذا الصنف لا يحصل إلاّ بعد قتل مشتهيات النفس و هواها. و الغطاء كالكساء ما يغطّى ويستر به مثل الثوب ونحوه وسمي العقل غطاء على سبيل التشبيه لأنّه يستر المقابح الظاهرة و المفاسد الفاضحة و العيوب الباطنة بالمدافعة و الممانعة ، ووصفه بستير بمعنى ساتر على سبيل الكشف والايضاح أو بمعنى مستور لأنّ العقل جوهر مجرّد مستور عن الحواسّ لا يدرك إلاّ بشيء من آثاره وأحواله كما أشار إليه بقوله (والفضل جمال ظاهر) والمراد بالفضل إمّا جنوده الآتية مثل الرأفة والرّحمة والعفّة و أمثالها و وجه ظهورها ظاهر، و إمّا ما حصل له من العلوم الحقيقيّة والمعارف اليقينيّة والأخلاق النفسانيّة و ظهوره إمّا لأنّه يظهر في بعض الأوقات بالتعليم و التفهيم أو لأنّ أكثره حصل من طرق الحواس ولمّا كان مقتضى العقل هو القرب من الخالق و تحصيل المحبّة والإلف بالمخلوق و تكميل المودّة ليتمّ له سعادة الدّارين و نظام النشأتين و مقتضى النفس ضدّه أعني الميل إلى أنواع المشتهيات وأنواع المستلّذات ولو بالغلبة الموجبة لعداوة الخالق و المخلوق و كان بينهما تدافع و تعارض و كان لكلّ منهما ممدّ و معين أمّا معين العقل فهو العلوم والمعارف وما أعطى له من الأخلاق والأعمال المرضيّة و هي جنوده الآتية وأمّا معين النفس فهو ما قدّر لها من الأخلاق الرذيلة وهي جنودها الآتية ، و اشتغال الحواسّ والقوى بتحصيل متمنّياتها و تكميل مهويّاتها أراد عليه السلام أن يبيّن لنا طريقاً به يقطع التنازع بينهما و يحصل القوّة على النفس ويصل إلى مقصوده فقال : (فاستر خلل خلقك بفضلك) إن كان «خلقك» بضم الخاء فالمراد بخلله رذائل الأخلاق النفسانيّة كالغضب والحسد والجور و نحوها ، وإن كان بفتحها فالمراد بها هذه والطرق الموصلة للصورة الشهيّة المحسوسة إلى النفس

أعني الحواسّ أيضاً يعني استر رذائل أخلاقك النفسانيّة و صور المحسوسات الشهوانيّة بعلمك وفضائل صفاتك العقليّة والمراد بسترها دفعها بلطايف السياسات و طرائف التدبيرات فيتقوّى العقل حينئذ بالفضل و تبقى النفس مع المتمنّيات و ميلها إلى اللّذات بلامعين من خارج و داخل فتصير ضعيفة مغلوبة بحيث تقدر على قتلها بسيف العقل ولذلك أمر عليه السلام به حيث قال: (وقاتل) بعد ما صيرت عقلك قويّاً و نفسك ضعيفة (هواك بعقلك) أي متمنّياتها ومهويّاتها وذلك إنّما يتحقّق بقتل النفس و يمكن أن يراد بالهوى النفس مجازاً من باب تسمية السبب باسم المسبّب (تسلم لك المودّة و تظهر لك المحبّة) الفعلان مجزومان بالشرط المقدر بعد الأمر أي إن سترت وقتلت تسلم لك مودّتك للخلق أو مودّة الخلق لك لخلوصك عمّا يوجب التباغض والتحاسد والتفارق و غيرها من منافرات التودّد والالتيام، وتظهر لك محبّة الله تعالى إيّاك أو محبتك إيّاه لعروجك بالعقل والفضل بالاعمارض من النفس وهواها و من رذائل الأخلاق و رداها إلى ساحة قدسه و مقام أنسه و في بعض النسخ وتظهر لك الحجّة يعني و تظهر لك الحجّة والغلبة بذلك على الخلائق فهم يقتفون آثارك و أطوارك لحق رياستك و يتّبعون أفعالك و أقوالك لحسن سياستك فيكمل لك منقبة الدّنيا و سعادة الآخرة، هذا ما وصل إليه الفكر الفاتر و الله أعلم بحقيقة كلام وليه .

((الاصل)):

« ١٤- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن حديد، عن سماعة بن »
« مهران قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل و »
« الجهل فقال أبو عبدالله عليه السلام: اعرفوا العقل وجنده والجهل و جنده تهتدوا قال سماعة »
« فقلت : جعلت فداك لانعرف إلاّ ما عرّفتنا، فقال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الله عزّ »
« وجلّ خلق العقل و هو أوّل خلق من الروحانيّين عن يمين العرش من نوره »
« فقال له أدبر فأدبر، ثمّ قال له : أقبل فأقبل ، فقال الله تبارك و تعالى: خلقتك »

« خلقاً عظيماً و كرّمتك على جميع خلقي قال : ثمّ خلق الجهل من البحر »
«الأجاج ظلمانياً فقال له : أدبر فأدبر ، ثمّ قال : له أقبل فلم يقبل فقال له : »
« استكبرت فلعنه ، ثمّ جعل للعقل خمسة و سبعين جنداً فلمّا رأى الجهل ما »
« اكرم الله به العقل و ما أعطاه أضمر له العداوة فقال الجهل : يا ربّ ؟ هذا خلق»
« مثلي خلقته و كرّمته و قوّيته و أنا ضدّه ولاقوّة لي به فأعطني من الجند مثل»
« ما أعطيته فقال: نعم فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك و جندك من رحمتي قال : »
«قد رضيت فأعطاه خمسة و سبعين جنداً فكان ممّا أعطى العقل من الخمسة »
والسبعين الجند »:

« الخير و هو وزير العقل و جعل ضدّه الشرّ و هو وزير الجهل، والايمان»
« و ضدّه الكفر ، والتصديق و ضدّه الجحود ، والرجاء و ضدّه القنوط ، والعدل»
«وضدّه الجور، والرضا و ضدّه السخط، والشكر وضدّه الكفران ، والطمع وضدّه»
« اليأس ، والتوكّل وضدّه الحرص ، والرأفة و ضدّها القسوة ، والرحمة ، »
« و ضدّها الغضب ، والعلم و ضدّه الجهل ، والفهم و ضدّه الحمق ، والعفّة و»
«ضدّها التهتّك ، والزهد و ضدّه الرغبة ، والرفق و ضدّه الخرق ، والرهبة»
« و ضدّها الجرأة ، والتواضع و ضدّه الكبر ، والتؤدة و ضدّها التسرّع ، و»
« الحلم و ضدّه السفه ، والصمت و ضدّه الهذر ، والاستسلام وضدّه الاستكبار،»
« والتسليم و ضدّه الشكّ ، والصبر و ضدّه الجزع ، والصفح و ضدّه الانتقام،»
« والغنى و ضدّه الفقر ، والتذكّر و ضدّه السهو ، والحفظ و ضدّه النسيان ، »
« والتعطّف و ضدّه القطيعة ، والقنوع و ضدّه الحرص ، والمؤاساة و ضدّها »
« المنع ، والمودّة و ضدّها العداوة ، والوفاء وضدّه الغدر ، والطاعة وضدّها»
« المعصية ، والخضوع و ضدّه التطاول ، والسلامة و ضدّها البلاء ، والحبّ و »
«ضدّه البغض ، والصدق و ضدّه الكذب ، والحقّ و ضدّه الباطل ، والأمانة»
« و ضدّها الخيانة ، والاخلاص و ضدّه الشوب ، والشهامة و ضدّها البلادة ، [و»
« الفهم و ضدّه الغباوة ، والمعرفة و ضدّها الانكار] والمداراة و ضدّها المكاشفة»

«وسلامة الغيب وضدّها المماكرة، و الكتمان و ضدّه الافشاء، والصلاة وضدّها
« الاضاعة» والصوم و ضدّها الافطار، والجهاد وضدّه النكول، والحجّ و ضدّه نبذ
« الميثاق، وصون الحديث وضدّه النميمة، وبرّ الوالدين و ضدّه العقوق، والحقيقة»
و ضدّها الرياء، والمعروف و ضدّه المنكر، والستر و ضدّه التبرّج، والتقية»
« و ضدّها الاذاعة، والانصاف و ضدّه الحميّة، والتهيئة و ضدّها البغي، و »
« النظافة و ضدّها القذر، والحياء و ضدّها الجلع، والقصد و ضدّه العدوان،»
« والراحة و ضدّها التعب، والسهولة و ضدّها الصعوبة، والبركة وضدّها »
« المحق، [والعافية و ضدّها البلاء]، والقوام و ضدّه المكاثرة، والحكمة»
« و ضدّها الهواء، و الوقار و ضدّه الخفّة، و السعادة و ضدّها الشقاوة ! »
« والتوبة و ضدّها الاصرار، والاستغفار و ضدّه الاغترار، والمحافظة وضدّها»
« التهاون، والدعاء و ضدّه الاستنكاف، والنشاط و ضدّه الكسل، والفرح »
« و ضدّه الحزن، والألفة و ضدّها الفرقة، والسخاوة وضدّه البخل »

« فلاتجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل إلاّ في نبيّ أو وصيّ نبيّ»
« أومؤمن قدامتحن الله قلبه للايمان، وأمّا سائر ذلك من موالينا فانّ أحدهم لايخلو»
« من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتّى يستكمل و ينقى من جنود الجهل »
« فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء و إنّما يدرك ذلك »
« بمعرفة العقل و جنوده و بمجانبة الجهل و جنوده، وفّقنا الله و إيّاكم لطاعته
« و مرضاته».

((الشرح)):

(عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن علي بن حديد) ضعّفه الشيخ في كتابي الحديث و قال: لايعوّل على ماينفرد بنقله و قال الكشي: قال نصر بن الصباح، إنّه فطحيّ من أهل الكوفة و كان أدرك الرّضا عليه السلام وروى عن أبي جعفر و أبي الحسن عليهما السلام ما دلّ على مدحه و جواز الصلاة خلفه والأخذ بقوله

ولكن حكم بعض أصحابنا بضعف هذه الرّواية (عن سماعة بن مهران) فطحيٌّ ثقة روى عن أبي عبدالله عليه السلام و أبي الحسن عليه السلام و ما قيل : من أنّه مات في حيوة أبي عبدالله عليه السلام فهو غلط لأنّه يروي كثيراً عن أبي الحسن عليه السلام (قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام و عنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل و الجهل فقال أبو- عبدالله عليه السلام اعرفوا العقل و جنده) أي أعوانه و أنصاره و فيه مكنيّة و تخييليّة (والجهل و جنده تهتدوا) مجزوم بالشرط المقدّر ولعل المراد بالمعرفة المعرفة مع اختيار جنود العقل لأنّ الهداية لاتحصل إلاّ بهما (قال سماعة : فقلت: جعلت فداك) الفداء إذا كسر أوّله يمدّ و يقصر و إذا فتح فهو مقصور ، و عن المبرّد المفاداة أن تدفع رجلاً و تأخذ رجلاً و الفداء أن تشتريه وقيل : هما بمعنى ، (لانعرف إلاّ ماعرّفتنا فقال أبوعبدالله عليه السلام: إنّ الله خلق العقل و هو أوّل خلق من الرّوحانيين) الجار والمجرور إن كان خبراً بعد خبر أي هو أوّل خلق وهو من الرّوحانيين فأفاد الكلام أنّ العقل يعني الجوهر المجرّد الإنساني(١) أوّل المبدعات

(١) « الجوهر المجرد الانساني » اعلم ان الموجود اما روحاني ليس له مقدار بالذات واما جسماني له طول وعرض وعمق والقسمة حاصرة دائرة بين النفي والاثبات و اصطلحوا على تسمية الاول بالمجرد وهو المراد بالروحاني اذهو المقابل للجسماني في الاصطلاح واختلف الناس في تقدم الروحاني على الجسماني أو العكس فذهب الملاحدة وأصحاب الطبائع والدهرية الى الثاني وقالوا أن مايسمى روحاً ليس الافرعاً على الجسم متأخراً عنه واثراً من آثاره كالحرارة والبرودة ؛ فان بطل الجسم بطل الروح وليس هنا موجود مدرك عاقل مستقل بنفسه غير حال في الجسم وعلى قول هؤلاء فلا عقل ولا نفس ولاملائكة ولاجن ومن مات فات وبطل وفني وذهب الالهيون والروحيون الى أن المجرد مقدم على الجسم وليس الروح العاقل المدرك أثراً وفرعاً على الجسم بل هو مستقل بنفسه و مقدم في الوجود عليه لان الجسم الجامد محتاج الى الموجود المجرد و ليس الموجود المجرد محتاجاً الى الجسم ، و الجسم مركب من المادة والصورة و حفظ المادة بالصورة وحفظ الصورة بالموجود المجرد الروحاني و فتح الله على عقول☼

و مقدّم على غيره من الممكنات كلّها في الفطرة والايجاد ، و يؤيّده قوله صلى الله عليه وآله « أوّل ما خلق الله العقل » وإن كان بياناً لخلق أو صفة أو حالاً عنه أفاد أنّه أوّل خلق بالنسبة إلى الرّوحانيين وأمّا أنّه أوّل خلق بالنسبة إلى غيره من الممكنات كلّها فلا إلاّ إذ اثبت تقدّم الرّوحانيين على سائر الممكنات في الايجاد و ثبوت ذلك خارج عن مفاد هذا الكلام ، فما قيل : من أنّ فيه دلالة على أنّ العقل هو المبدع الأوّل بالحقيقة و على الاطلاق دون غيره من الممكنات لأنّها بتوسّطه فمدفوع أمّا أوّلاً فلأنّه لادلالة فيه على تقدّم العقل على غيره على الاطلاق إلاّ في بعض الاحتمال الّذي هو أبعد الاحتمالات فلايتمّ بذلك ما ادّعاه ، و أمّا ثانياً فلأنّه لادلالة فيه على أنّ غير العقل من الممكنات صدر منه تعالى بتوسّط العقل و هو ظاهر بل لايبعد القول ببطلان ظاهر هذا الحكم لأنّ بناء ظاهره (١) على

---

* الناس وهم في هذا العالم الادنى بابا الى عالم التجرد وهو الرؤيا الصادقة والالهامات فاذا رأى شيئاً من الامور الغائبة المستقبلة مما لايمكن ان يستنبطه الانسان بعقله ولم يوجد بعد ثم وقع كما رأى دل ذلك على وجود عالم عقلي مدرك يعلم ما سيقع في المستقبل و يتصل روح الانسان في المنام بموجودات ذلك العالم نحواً من الاتصال ويدرك بعض الامور والعقل الذي هو أول خلق من الروحانيين ليس الا الموجود العاقل في ذلك العالم والحديث يدل على أن العقل أول خلق من الروحانيين و الروحانيون مقدمون على الجسمانيين فالعقل أول الخلق مطلقاً . ولايتصور أن يعتقد أحد أن الجمادات أقرب الى الله تعالى من الروحانيين كما سيصرح به الشارح (ش) .

(١) قال ببطلان ظاهر هذا الحكم لاحقيقته لان الذي يتبادر الى ذهن أكثر الناس من أمثال هذه العبارات التفويض أي تفويض الله تعالى امر الخلق الى العقل الاول نظير تفويض المولى تدبير ملكه الى بعض خدامه وهذا باطل جدا وليس مراد من قال بذلك قطعاً وليس توسط العقل الا كتوسط الاسباب كما يشفي الله المريض بالدواء ويرسل الرياح فتثير السحاب بها و يمطر من السحاب فيحيي به أرضاً ميتة ومثله الملائكة الموكلون على كل شيء في العالم بل ليس المراد من العقل الا الملائكة ولكل اصطلاح فظاهر الحكم*

تخليط الفلاسفة و هو أنّ أرسطو و من تابعه من فلاسفة الاسلام كالفارابي وابن سينا قالوا: إنّ الباري تعالى من حيث أنّه واجب الوجود يجب أن يكون واحداً ومن حيث أنّه واحد يجب أن لايخلق إلاّ واحداً إذ لو خلق اثنين لكان ذلك باعتبار أمرين مختلفين في ذاته و تلك كثرة تنافي ماوجب له من الوحدة و ذلك الواحد الصادر هو العقل ثمّ صدر عن ذلك العقل أربعة جواهر عقل و نفس وفلك مركب من جوهرين مادّة و صورة ثمّ صدر عن العقل الثاني أربعة جواهر أيضاً ، ثمّ هكذا على الترتيب إلى أن كملت عشرة عقول و تسع أنفس و تسعة أفلاك ، ثمّ تحركت الأفلاك فحدثت العناصر الأربعة الّتي هي الماء والهواء والنار والتراب ثمّ تمازجت هذه العناصر فحدث العالم السفلى و هو ما تحت الفلك القمر عالم الكون والفساد و سمّوه بذلك لأنّ الأجسام العلويّة أعني الأفلاك العرية عن العناصر تركّبت من المادّة والصورة تركيباً لايقبل الخرق والانحلال ، والعالم السفلى تركّبت من العناصر الأربعة تركيباً يقبل الانحلال فسمّوا ذلك التركيب والانحلال كوناً وفساداً ثمّ تركّبت الموجودات في عالم الكون والفساد من آثار طبايع العناصر و آثار عالم الكون والفساد قابلة لاختلاف الأشكال والصور والآثار الّتي في العالم العلوي متناسبة غير قابلة لاختلاف الصور ، فالشمس مثلاً لاتقبل أن تكون على غير تلك الصورة و ما يجري في العالم السفلى هو من آثار نفوس الأفلاك و عقولها (١) و

☆ وهو التفويض باطل وحقيقته صحيحة . ويجوز أن يقال في العقل بنظيرما يقال في ساير الاسباب (ش) .

(١) الى هنا تقرير مذهب أرسطو و من تابعه ولم يحكم فيه بشيىء تفصيلا الا أنه تخليط أى ممزوج حقه بباطله وبما لم يبين حقه من باطله لعدم تعلق الغرض به و رجع بعد تقرير كلامهم الى ابطال الاصل الذي يبنى عليه أكثرهم وهو لايوافق مذهب المسلمين وهو أن الله تعالى فاعل بالاختيار لان تحقيق ذلك هو الغرض الاصلى. واعلم أن الحكماء المتأخرين كصدر المتألهين وأتباعه لايرتضون مذهب المشائين في حصر العقول في العشرة الطولية وتكثير الجهات على ماذكروه مع أنهم ايضاً لم يريدوا الحصر ، والتفصيل في محله (ش) .

كان أصل أكثرهم في الموجود الأوّل أن لايخلق شيئاً بالاختيار، فإيجاد العقل الأوّل إنّما هو بحسب الذّات إيجاب العلّة معلولها فانّ العالم العلوي والسفلي لامفتتح لوجودهما عندهم لأنّ العلّة والمعلول موجودان معاً و تقدّم العلّة على المعلول إنّما هو بالذّات لابالوجود إلى غير ذلك من المزخرفات الّتي ليس هذا موضع استيفائها (١) ولامستند لهم على طريق البرهان فاذا ضويقوا في المطالبة به قالوا: لاتدرك هذه الأمور بالبرهان و إنّما تدرك بالرّياضات أو بالرّياضيات فمن أحكمها علم ذلك ضرورة، ولايخفى فساد هذا القول أمّا الرّياضات فانّ الأنبياء والأوصياء وهم الأقدمون في باب الرّياضة والمكاشفة لم يخبروا بذلك (٢) وأمّا

---

(١) المزخرف المموه بالذهب، شبه الكلام الباطل المشتبه بالحق بالنحاس الملبس بالذهب وقال ان أكثر أتباع ارسطو لهم أصل في الموجود الاول تعالى وأنه لايفعل شيئاً باختياره بل هو فاعل موجب وخص الاول بأكثرهم لان بعضهم قائلون بالاختيار ولم ينقل من اصولهم الفاسدة هنا الا واحداً فقط لعدم تعلق غرضه بالنقل، ثم رجع الى ماسبق ذكره من بيان مذهب أرسطو في مبدء الخليقة و كيفية صدور الممكنات منه تعالى وقال لامستند لهم على طريق البرهان-الى آخر ماقال. والحاصل من كلامه بطوله أن ماقالوا من أن العقل هو أول صادر من الواجب تعالى لايستفاد من لفظ هذا الحديث وهو حق الا أنه يستفاد من حديث آخر نقله وهو «أول ماخلق الله العقل» أقول: ومن هذا الحديث ايضاً بضميمة ماذكرنا من أن الروحانيين مقدمون على الجسمانيين. (ش)

(٢) لاأظن أن أرسطو و أتباعه تمسكوا في أثبات مطلوبهم بالرياضة وهذا بعيد عن طريقتهم الا أن يكون المراد الاشراقيين وليس مذهبهم في صدور الممكنات ماذكره هنا بل لهم طريقة اخرى مذكورة في محله وأما أن الانبياء لم يخبروا بذلك فهو لايدل على بطلانه فانهم (ع) يخبرون بما علم الله فيه مصلحة الخلق باخبارهم لابجميع ماهو حق يعلمه الله تعالى مثلا لم يخبر الانبياء بأن زوايا المثلث مساوية لقائمتين وان الجزء الذى لايتجزى محال، وأن دواء السل ماهو، وبم يعالج مرض السرطان، وقيض الله لذلك غير الانبياء عليهم السلام (ش).

الرّياضيات فقال المحقّقون : هذا أسخف لأنّ الرّياضيات كالهندسة و الحساب والهيئة والموسيقى لا ارتباط بينها وبين المطلوب فانّ الهندسة تنظر في هيئة الجسم المتّصل، والحساب ينظر في الكمّ المنفصل، والهيئة تنظر في كيفية الأجسام (١) والموسيقي ينظر في ترتيب الألحان و تقطيعها على وجه معروف مخصوص، ثمّ إنّهم رضوا في القطعيات بما لايفيد علماً ولا ظنّاً (٢) والحقّ أنّ كلّ هذا

(١) غرض القائل ان عدد السموات يستفاد من علم الهيئة لما يرى من اختلاف حركات الكواكب في الطول والعرض ولايمكن أن ينسب الحركات المختلفة الى قوة واحدة فاذا رأيت عربة تمشي الى جانب بسرعة واخرى الى جانب آخر ببطوء علمت أن محرك أحدهما غير الاخر ولم يكن الشارح جاهلا بمسائل الهيئة كما يدل عليه مامضى منه في تفسير بعض الايات ولا يحتمل ان ينقل العبارة هناك من غير علم بمعناه ولكن ما ذكره هنا طغيان من القلم (ش).

(٢) قوله « لايفيد علماً ولاظنا » ذكر الفلاسفة قدماؤهم و متأخروهم حتى أهل عصرنا في مبدء الخليقة اموراً لاتستند الى برهان قطعي ولاظن قوى بل يستحسنون اموراً بذهنهم ويذكرون امارات عليه ويسميه أهل عصرنا نظرية اوفرضاً مثل مانقل عن ثاليس الملطى من القدماء ان أصل الكون هو الماء وقول هراقليطس انه النار وفيثاغورث انه العدد وقول ذى مقراطيس انه الذرات المتحركة في الفضاء فتلاقت بالبخت والاتفاق وقول أصحاب الخليط والكمون والبروز على ماهو مفصل في موضعه و في عصرنا من فلاسفة الافرنج من يقول أن العالم مركب من ذرات روحية تركبت على نظام عقلي وهو قول لبنيز ومنهم من يقول كانت الشمس والسيارات والاقمار جميعاً كتلة واحدة من الاجسام المحترقة المتحركة على نفسها بسرعة فتطاير منها قطعات كما يتطاير من الشعلة الجوالة ذرات النار فبردت القطعات وكل سيارة قطعة منها وقال بعضهم في تسلسل المواليد بالنشوء و الارتقاء كما هو معروف وقال بعض أهل عصرنا منهم أنه لاجسم ولا مادة بل قوى مختلفة نظير القوة الكهربائية يمنع بسرعة انتقالها و دورانها عن ان ينفذ فيها شيء فيظن صلابة ويتصور جسم ولا يعتقد أحد من أصحاب هذه الاقوال في مبدء اظهار ارائهم صحتها بل يبدون رأيا وينظرون حتى يقضى الادلة والبراهين بعد ذلك على صحتها أو بطلانها وغالباً لايثبت النظريات والفروض بجميع تفاصيلها، وما نقل عن المشائين نظير تلك الا أن هذه الاقوال طبيعية محضة وقول المشائين تخليط من الطبيعى و الالهى و للاشراقين طريقة اخرى (ش) .

باطل (١) والموجود الأوّل قديم وحده وفاعل العقول والاجسام والجواهر والأعراض و لوازمها كلّها بالاختيار على سبيل الحدوث لا بالايجاب و إلى قدرته ينسب الجميع خالق كلّ شيء لاإله إلاّ هو الواحد القهّار، والرّوح يذكّر و يؤنّث و يجمع على الأرواح وقدتكرّر ذكره في القرآن والحديث على معان منها جبرئيل عليه السلام في قوله تعالى: روح الأمين و روح القدس و منها سائر الملائكة ومنها القوّة الّتي تقوم بهذا الجسد و تكون به الحيوة و منها القوّة الناطقة الانسانية الّتي يعبّر عنها الانسان بقوله: أنا. واختلف المتكلّمون والحكماء و غيرهما في حقيقته و قالوا فيه أقوالاً كثيرةً وظنّوا فيه ظنوناً متقاربة صدرت عنهم من غير بصيرة فانّه لايعلم حقيقته إلاّ الله سبحانه و من علّمه من عباده كما قال جلّ شأنه «ويسئلونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربّي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً (٢)» وهومذهب أكثر المتكلّمين وأرباب المعاني وأهل الباطن. وتقول في نسبة الواحد: الرّوحاني وفي نسبة الجمع: الرّوحانيين بضم الرّاء فيهما والألف والنون من زيادات النسب و زعم أبوعبيدة أنّ العرب تقول لكلّ شيء فيه روح و مكان روحاني بالفتح أي طيب، ثمّ الروحانيون يطلق عليهم عالم المجردات وعالم الغيب وعالم الملكوت و عالم الأمر كما يطلق على هذا العالم المحسوس عالم المادّيّات وعالم الشهود و عالم الملك وعالم الخلق، وقد يقال أنّ الرّوحانيين جواهر مجرّدة نورانيّة غير مفتقرة في وجودها إلى جسم و جسمانيّات فان كان في فعلها و تصرّفها مفتقرة

---

(١) لكن بطلانه راجع الى شيء واحد وهو كون صدور الاشياء عنه تعالى بالاضطرار والايجاب و بالتفويض الى العقل (ش).

(٢) لم يقل الله تعالى ان الناس لايعلمون شيئاً أو ما يعلمونه باطل بل قال تعالى انهم يعلمون وان الله آتاهم علمه لكن مايعلمون قليل بالنسبة الى مالا يعلمون وغاية ما يعلمون ان الروح جوهر مجرد باق بعد فناء البدن وله في عالمه لذات وآلام اقوى مما في هذا العالم مثل مانعلم أن في بلاد الصين رجالا ونساء ولهم مكاسب ومعايش ولا نعلم منهم مانعلم من بلادنا (ش).

إليها فهي نفس وإلاّ فهي عقل أو غيره (١) و أنّ الأنوار كلّها حقيقة واحدة لا تفاوت بينها في المهية و عوارضها بل في الشدّة والضعف والكمال والنقص في أصل النوريّة والوجود والله أعلم بحقيقة الحال (عن يمين العرش) متعلّق بخلق أو حال عن الرّوحانيين واليمين الجانب الأقوى والأشرف خلاف الشمال، والعرش في اللّغة سرير الملك و كونهم على يمين العرش كناية عن كرامتهم و علوّ منزلتهم و رفعة شأنهم من بين المخلوقات لأنّ من عظمت منزلته تبوّأ عن يمين الملك و في عرف المتشرّعة يطلق على ثلاثة اُمور أحدها الملك ، وثانيها الجسم المحيط بسائر الأجسام و هو الفلك التاسع، وثالثها العلم المحيط بجميع الأشياء و كلّ ذلك على سبيل التشبيه بسرير الملك ، ويمكن إرادة كلّ واحد منها هنا أمّا الأوّل فلأنّ الملك وهوعبارة عن جميع الكائنات له يمين و شمال و يمينه أي جانب أقواه وأشرفه هو يلي المبدء الأوّل في ترتيب الايجاد و تقدّمه (٢) فكلّ ما هوأقرب منه جلّ شأنه في الايجاد فهوأيمن بالقياس إلى ما بعده لكونه أقوى و أشرف و أمّا الثاني فلانّ ذلك الجسم المحيط إذا سمّي بالعرش كان له يمين و شمال كما كان لسرير الملك ثمّ الكاين على يمينه من أهل الكرامة و المنزلة كالكاين عن يمين سرير الملك ، و أمّا الثالث فلمثل ما ذكرناه في الثاني أوفي الأوّل باعتبار المعلومات لأنّ العلم المتعلّق باليمين يمين بالنسبة إلى العلم المتعلّق بما بعده و إن كان علمه بالأشياء بسيطاً والتكثّر إنّما هوفي المعلومات ، ولايبعد أن يقال : يجوز أيضاً إطلاق العرش على عالمين : أحدهما عالم الجسمانيات كلّها ويسمّى بالعرش الجسماني، وثانيهما عالم المجرّدات كلّها ويسمّى بالعرش العقلاني والعرش الرّوحاني . ويجوز أن يراد بالعرش هنا العرش الرّوحاني وبيمينه أشرف جانبيه و هوما يقرب من الحقّ في سلسلة الايجاد (٣) و أن يقال ، يجوز أيضاً أن

---

(١) اوغيره مثل نورية اوملك تفصيلا اصطلاحا . (ش)

(٢) هذا تصريح بأن الروحانيين مقدمون في الايجاد على الاجسام .(ش)

(٣) هذا ايضا تصريح بتقدم العقل في الوجود على غيره (ش) .

يراد بالعرش القلب الانساني لأنّه عرش الرّحمن ، و يمينه الجانب المائل إلى الحقّ ، وشماله الجانب البعيد عنه لأنّه قابل لسلوك الطريقين: طريق الحقّ وطريق الباطل هذا . و قيل : المراد بالعرش هنا الجوهر المجرّد الانساني المسمّى بالعقل و بالعرش العقلاني و هو بازاء الفلك التاسع المسمّى بالعرش الجسماني و كلٌّ منهما في جانب مقابل لجانب آخر ، والمراد بيمينه مطلق جانبه وسمّي يميناً للتشريف والتعظيم، وقيل: العرش جوهر متوسّط بين العالم العاقل الثابت و بين العالم المتغيّر المتجدد نفوساً كانت المتغيّرات أو أجساماً والله سبحانه أوجد الثابتات بنفس ذاته بلا واسطة و أوجد المتغيّرات بواسطة العرش و الثابت هو اليمين في سلسلة الايجاد لأنّه أقرب منه تعالى (من نوره) متعلّق بخلق العقل أي خلقه من ذاته بلاواسطة شيء ولااعتبار مادّة (١) أوحال عن العقل والاضافة للتشريف والتكريم

---

(١) فان قيل كيف أنكر اولا كون العقل الاول خلقه الله بلاواسطة ثم اعترف هنا بما أنكره أولا ؛ قلنا : انما أنكر سابقاً دلالة قوله (ع) و هو أول خلق من الروحانيين على كون العقل اول مخلوق ولم ينكر أصل المعنى بل استدل عليه بحديث آخر و هو «اول ماخلق الله العقل» والذى زيفه هو قول المشائين فى كيفية صدور الكثير عن الواحد من أن العقل الاول صدر منه شيئان الفلك التاسع والعقل الثانى ثم من كل عقل فلك وعقل الى العاشر ولم يريدوا الحصر فى العشرة كما صرحوا به والمتأخرون من الحكماء يزيفون قول المشائين و قال الحكيم السبزوارى مشيراً الى قولهم :

اذ ذا لدى الشرق بلا وثاق   اسس اسا شيخنا الاشراقى

ثم قال بعد ابيات :

وليس فى الثانى من الجهات ما   يفى بثامن كثير أنجما

و اعلم ان المجلسى رحمه الله أخا زوجة الشارح أنكر وجود العقل المجرد مطلقاً بل أنكر المجردات و قال كل شيء غير الله تعالى جسم وقد مضى فى الصفحة ٦٩و٧٠ و كرر فى مرآة العقول انكاره لوجود مجرد غيره تعالى و قال فى شرح أربعينه اثبات العقل المجرد يوجب انكار كثير من ضروريات الدين ولكن الشارح كرر ذكر عالـم

كما في عيسى روح الله ، أو حال عن الرّوحانيين بناء على أنّ الرّوحانيين كلّهم نورانيّون والعقل أوّلهم وأفضلهم وعلى التقادير فيه إشارة إلى أنّ العقل نور ربّاني لأنّه يظهر به الحقّ عن الباطل والصّواب عن الخطأ كما يظهر بالنور الأشياء المتحجبة بالظّلام وإنّ نوريّته مستفادة من نور ذاته سبحانه بلا توسط شيء نوراني غيره (١) ولا تكدّره كدرة المواد الظلمانيّة ولذلك إذا عرى عن العوائق وانقطع عن العلائق اتّصل بالخالق اتّصالاً تامّاً ، ومن ثمّ قيل : لا مسافة في العالم الرّوحاني ، و يحتمل أن يراد بالنور العدل و إطلاق النّور على العدل سايغ شايع كما صرّح به القاضي و غيره في تفسيره قوله تعالى « وأشرقت الأرض بنور ربّها » والمعنى أنّ الله سبحانه خلق العقل خلقاً ناشياً من عدله إذ لولا العقل لبطل الغرض من إيجاد الانسان فعدله اقتضى خلق هذا النوع من المخلوق لئلاّ يفوت الغرض (فقال له : أدبر) عن المنهيّات أو أنزل إلى عالم السفلي والمنازل الجسميّة الّتي هي في غاية البعد عن العوالم الربوبيّة (فأدبر) و أطاع أمره عزّ شأنه و انقاد لحكمه من غير أن يفارق نوريّته و تجرّده و إنّما كان إدباره بمجرّد إشراقات نوره في العالم الجسماني.

☆ المجردات وأن العقول جواهر مجردة وأنها لا تفتقر في فعلها الى مادة والنفوس تفتقر اليها، وقال أيضاً : ان النفس الانساني جوهر مجرد والانوار العقلية حقيقة واحدة تختلف في الشدة والضعف والنقص في أصل النورية والوجود و غير ذلك مما مضى و سيأتي ان شاء الله ولا يتعجب من اختلاف الطريقتين فان الناس لا يزالون مختلفين (ش).

(١) لما كان خلق العقل من ذاته سبحانه بلا واسطة شيء نوراني ولا مادي . أما انه لا واسطة نورانية بينه وبين الله تعالى فلانه لا شيء أشرف من العقل ولا أقرب اليه تعالى ولا واسطة مادية اذ ليس وجود العقل متوقفا على الاستعداد كالنفوس الانسانية فانها تتوقف على أن يستعد البدن بالنطفة والعلقة والمضغة والعظام واللحم لان ينشأ خلقاً آخر فيكون المادة واسطة بين المبدء وبين النفوس والعقل لا تكدره كدرة المواد الظلمانية فيكون خلق العقل من نور الله سبحانه لذلك يتصل به آخراً (ش).

(ثمّ قال له : أقبل) إلى الطاعات و مايوجب النزول في ساحة كرامته تعالى من القربات أو أقبل من مكا من الموادّ الجسميّة و منازل الظلمات البشريّة و مظاهر الجهالات الطبيعية إلى عالم المجرّدات النوريّة و منازل الشواهد الربوبيّة (فأقبل) مطيعاً لأمره منقاداً لحكمه تاركاً لمعصيته متدرّجاً في الصعود من طور إلى طور حتّى صار عقلاً فعّالاً و ترقى حتّى مرتبة عين اليقين و هناك رجع إلى ما نزل منه و انتهى إلى ما بدأ منه وقد مرّ مثل هذا الحديث و شرحه في صدر كتاب العقل إلّا أنّ بينهما مغايرة في الجملة لأنّ الأمر بالاقبال في السابق مقدّم على الأمر بالادبار ، و هنا بالعكس فان كانت القضية في الخطاب متعدّدة فالأمر واضح والافقيه إشكال الّهم إلّا أن يقال : كان في الواقع أمر بالاقبال ثمّ أمر بالادبار ثمّ أمر بالاقبال ففي الحديث السّابق لم يذكر الأمر بالاقبال بعد الأمر بالادبار و في هذا الحديث لم يذكر الأمر بالاقبال قبل الأمر بالادبار و من مجموعهما يستفاد ما كان في الواقع فليتأمل (فقال الله تعالى) تعظيماً و تكريماً له وحثاً له على أداء شكر هذه النعمة الجليلة (خلقتك خلقاً عظيماً) العظيم الحقيقي ليس إلّا الله سبحانه وأمّا غيره فعظمته باعتبار قربه منه و إطاعته لأمره وقد تحقّق هذان الوجهان في العقل (و كرّمتك) أي شرّفتك و فضّلتك ومنه « إنّ أكرمكم عندالله أتقيكم » (على جميع خلقي) فيه أنّ العظمة و الشرافة و الفضيلة من باب التفضل منه تعالى من غير اشتراط القابليّة والاستعداد وإنّ العقل أشرف من الملائكة المقرّبين (قال ثمّ خلق الجهل) ليس المراد بالجهل هنا الجهل المركب أعني الصور العلمية الغير المطابقة للواقع ولا الجهل البسيط أعني عدم العلم عمّا من شأنه العلم لأنّ إطاعته وعصيانه غير متصوّرة فلا يلائم قوله : « فان عصيت بعد ذلك أخرجتك و جندك من رحمتي » و لأنّ الجهل بهذين المعنيين من جنود الجهل المذكور هنا وجند الشيء غيره ، ولأنّ الجهل بالمعنى الثاني أمر عدمي والاعدام غير مخلوقة سواء كانت سلوباً محضة أو ملكات بل المراد به مبدء الشرور والمقابح كما أنّ المراد بالعقل مبدء الخيرات والمحاسن و يمكن أن يراد بهذين

المبدأ بن صفة النفس المسمّاة بالقوّة الجاهلة وصفتها المسمّاة بالقوّة العاقلة و أن يراد بهما ذات النفس أي الجوهر المجرّد المدبّر للبدن المحتاج في فعله و تصرّفه إليه وذات الجوهر المستغنى عن البدن في وجوده و فعله (١) الّذي إذا حصل لغيره و أشرق نوره فيه كان ذلك الغير عاقلاً به و إذا لم يحصل له وقام بذاته كان عقلاً و معقولاً و تسمية النفس بالجهل من باب المجاز لأنّها محلّ للجهل المركّب والبسيط ، بل يمكن أن يقال : إنّها من باب الحقيقة لأنّ النفس و إن كانت مبدءاً للجهالات و منشأ للشرور كلّها ومصدراً للصور الوهميّة الكاذبة الباطلة ومقتضيات القوى الشهويّة والغضبيّة والبهيميّة وسائر القوى البدنيّة لكن إذا تمكنت فيها هذه الأباطيل ورسخت فيها صارت جهلاً محضاً وشيطاناً صرفاً بعيداً عن الحقّ جلّ شأنه و كلّما ازداد التمكّن والرّسوخ ازدادت جهالتها و شيطنتها و احتجابها عن الحقّ حتّى بلغت النهاية فى الجهالة والغاية في الضّلالة و صارت

---

(١) ذات الجوهر المستغنى عن البدن عبارة عن العقل المفارق الذى يقول به الحكماء و انه الموجود الاول و هو مستغن عن البدن في ذاته و فعله و هو الذى يشرق نوره على النفوس فتصير عاقلة باشراقه و اذا نظر اليه من حيث هو كان جوهراً قائماً بذاته و كان عقلا و معقولا و هذا مبدء الخيرات و اما مبدء الشرور فهو النفس أى الجوهر المجرد المدبر للبدن المستغنى عن البدن ذاتاً والمحتاج اليه فى أفعاله ومثل امير المؤمنين (ع) اشراق العقل على النفوس و تسلطه عليها و اتصالها به فى حديث رواه الصدوق فى علل الشرايع عنه (ع) عن رسول الله (ص) قال خلقه ملك له رؤس بعدد الخلائق من خلق و من يخلق الى يوم القيمة ولكل رأس وجه و لكل آدمى رأس من رؤس العقل و اسم ذلك الانسان على وجه ذلك الرأس مكتوب و على كل وجه ستر ملقى لا يكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتى يولد هذا المولود ويبلغ حد الرجال أو حد النساء فاذا بلغ كشف ذلك الستر فيقع فى قلب هذا الانسان نور فيفهم الفريضة والسنة والجيد والردي الا و مثل العقل فى القلب كمثل السراج فى وسط البيت انتهى (ش).

قدوة المتردّدين وإمام المتكبّرين(١) (من البحر الاجاج ظلمانيّاً)ماء اُجاج أي ملح مرّ و «ظلمانيّاً» حال عن الجهل أوعن البحر الأجاج والمراد به الغضب (٢) الالهى لأنّه مرّ كريه الطعم والرّايحة على مذاق الشاربين و مشام العارفين أو المراد بمجموع الصفات النفسانيّة الّتي بعضها حسن و بعضها قبيح لتخمير النفس بها و هذا المجموع من حيث هو بمنزله ماء كدر مرّ ممتزج بغبار الملكات الدّنيّة و مرارة الصفات الشنيعة و ملوحة قبايح الآثار و خشونة فضايح الأطوار و عبّر عنه بالبحر للدلالة على تراكم تلك الصفات و كثرتها و وصفه بالظلمة لسترها أنوار العقول حايلاً بينها و بين بصيرتها ، أوالمراد به المواد البدنيّة الهيولانيّة الّتي هي محض الاستعداد وعلّة قابليّة لتعلّق النفس بها و تشخّصها و عبّر عنها بالبحر الظلماني لتراكم مياه الشرور والصفات المتغايرة المتضادّة فيها و نسبتها إليها كنسبة البحر إلى الأمواج (فقال له : أدبر فأدبر) أمره بالهبوط من عالم الملكوت والنور إلى عالم الظلمات والشرور والتوجّه إلى ما يلايمه من المشتهيات والنظر إلى ما فيه هواه من المستلذّات فهبط لما في ذلك من مصلحة و هى ابتلاء العباد و نظام البلاد و عمارة الأرض إذ لولاذلك لكان النّاس بمنزلة الملائكة عارين عن حلية التناكح والتناسل والزراعة وتعمير الأرض وبطل الغرض المطلوب من هذا النوع من الخلق و بطل خلافة الأرض ، ولزم من ذلك بطلان الثواب و العقاب وعدم انكشاف صفات الباري و انجلاء حقايقها و آثارها مثل العدالة والانتقام والجبّاريّة والقهاريّة والعفو والغفران وغيرها (ثمّ قال له: أقبل فلم يقبل) أمره بعد الادبار بالاقبال إليه تعالى والرّجوع إلى مالديه من المقامات العليّة والكرامات الرفيعة الّتي لايتيسّر الوصول إليها إلاّ بالانتقال من طور أخسّ إلى طور أشرف

(١) و لعله لايريد ان الشيطان بعينه هو النفوس الراسخة فى الضلالة و الشرور بل يريد انها مثله فى صفاته الخبيثة.(ش)

(٢) لامناص عن الاستعارة والتمثيل فى هذه العبارات و كلما كان العالم ظاهريا حاملا للالفاظ على المعانى الجسمانية لم يمكنه فى هذا الحديث كما لايمكن فى مثل يدالله و عين الله. (ش)

و من حالة أدنى إلى حالة أعلى و من نشأة فانية إلى نشأة باقية و هكذا من حال إلى حال و من كمال إلى كمال حتّى يبلغ إلى غاية مشاهدة جلال الله و نهاية ملاحظة أنوار الله ويرتع في جنّة عالية قطوفها دانية فأبى السلوك في سبيل الرّشاد والتقيّد بربقة الانقياد والتمسّك بلوازم الوعظ والنصيحة والانقلاع عن الأفعال القبيحة كلّ ذلك لشدّة احتجابه بحجاب الظلمات وانغماسه في بحار ذمائم الصفات لتوهّمه أنّ تلك الذّمائم الخاسرة والصفات الظاهرة والمشتهيات الحاضرة كمالٌ له فاغترّ بها أو افتخر وأخذها بضاعة له و استكبر (فقال له : استكبرت فلعنه) الاستفهام للتوبيخ والتعيير واللّعن الطرد والإبعاد من الخير يعني تركت أمري بما يصلح في النشأتين استكباراً وجعلت الامتثال به مذلّة و افتقاراً و استبدلت الّذي هو أدنى بالّذي هو خير لجهلك بما يوجب قرارة العين والسرور، و احتباسك بقيد الجهالة والشرور فلاجرم أنت بعيد من الرّحمة و السلامة ، مطرود عن مقام العزّة والكرامة فإن قلت : من لعنه الله تعالى فهو مقيّد بقيد العصيان، مقيم مقام الخذلان، محروم عن الرّحمة والجنان أبداً فما وجه قوله : فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي قلت: اللّعنة مشروطة بالاستكبار، فإن دام دامت وإن زال بالتوبة والانابة زالت لأنّ الله تعالى يحبّ المفتّن التواب (ثمّ جعل للعقل خمسة و سبعين جنداً) في المغرب الجند جمع معدّ للحرب وجمعه أجناد وجنود. و في الصّحاح الجند الأعوان والأنصار وفي عدّ كلّ واحد من الأمور المذكور جنداً باعتبار تكثّر أفراده وشعبه ، ولمّا كان الطريق إلى الله مخوفاً و في كلّ قدم منه شعبة و على كلّ شعبة منه عدوّ مقاتل و خصم مجادل يقود سالكه إلى مهاوي الضّلالة و مساوي الجهالة احتاج سلطان العقل في قطع هذا الطريق إلى أعوان و أنصار يستعين بهم في دفع الأعداء والمحاربة مع الخصماء ، فأعطاه الله سبحانه بفضل رحمته و كمال رأفته جنوداً تعينه في مواضع الجدال و مواطن القتال و توصله على السّلامة إلى منازل القرب والكرامة ، و هذه الجنود خمسة و سبعون على ما في العنوان والمذكور في التفصيل ثمانية و سبعون ولامنافاة بينهما إذ ليس في

العنوان مايفيد الحصر (١) إلاّ مفهوم العدد و هو ليس بمعتبر كما بيّنّاه في أُصول الفقه . و قال الشيخ بهاء الملّة و الدّين رحمه الله على ما نقل عنه : أعلّ الثلاثة الزّايدة إحدى فقرتي الرّجاء و الطمع و إحدى فقرتي الفهم و إحدى فقرتي السلامة والعافية، فجمع النّاسخون بين البدلين غافلين عن البدليّة و سنشير إلى توضيح ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى

(فلمّا رأى الجهل ما أكرم الله به العقل) من تصفيته بنورانيّة الذّات و تقويته بكثرة الجنود و شرائف الصفات الّتي بنضارتها تشرق قلوب العارفين ، و بانارتها تضيء صدور السالكين ، وباضاءتها يسيرون إلى أعلى المقامات وينالون أشرف الكرامات (أضمر له العداوة) بين العقل والجهل تضادّ بحسب الذّات لأنّ العقل جوهر نورانيّ والجهل كدر ظلمانيّ (٢) وهذا يصلح أن يكون منشأ العداوته. و لذلك كانت العداوة بين العاقل والجاهل والمؤمن والكافر قائمة إلى قيام الساعة كما قال سبحانه«وبدا بيننا و بينكم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة» ولكن لمّا كان النور والظلمة متساويين في الغلبة والتدافع كأنّه لم يحصل للجهل من هذه الجهة عداوة، و إنّما حصلت العداوة على من جهة إكرام العقل بالجنود و تقويته بالفضايل و الكمالات الموجبة لغلبته على الجهل فلذلك أضمر الجهل عداوة له حسداً و لم يظهرها لعدم القدرة على إمضاء آثارها بل طلب لنفسه مثل جنوده في القوّة والعدد كما أشار إليه بقوله (فقال الجهل يارب هذا خلق مثلي) أي مثلي في كونه مخلوقاً أو مثلي بحسب الذّات ولا مزيّة له عليّ في المحاسن الذّاتية وهذا القول منه على الأخير تمويه و اغترار بنفسه كما هو شأن الجاهل حيث يعدّ نفسه مماثلاً للعاقل و هو إمّا غافل عن التفاوت الفاحش بين النور والظلمة أو عالم به لكنّه قال ذلك إدّعاء واستنكافاً لانحطاط ذاته عن ذات العقل وإلاّ فأين المماثلة بحسب الذّات

(١) فان الجنود اكثر وذكر منها الاهمّ .

(٢) بناء على ما ذكره الشارح من ان الجهل هو النفس باعتبار عدم تنوره بنور العقل فلا يستبعد نسبة اضمار العداوة والقول وخطاب الله تعالى له اليه ولا يجوز أن يتوهم أن الجهل عدم والعدم لاينسب اليه هذه الامور (ش).

بين المخلوق من ماء الرحمة والنور الربّاني و بين المخلوق من نار الغضب و البحر الأُجاج الظلماني و لعدم الفرق بينهما استكبر الشيطان لعنه‌الله و أبى أن يسجد لآدم عليه‌السلام و تمسّك بقوله «خلقتني من نار و خلقته من طين» وهو لقصر نظره لاحظ طينيّة آدم و غفل عن نورانيّته و لو علم ذلك لعلم بطلان قياسه (خلقته و كرّمته و قوّيته) يعني خلقته من نورك و كرّمته على جميع خلقك و قوّيته بجنود يتقوّى بها في الحركة إلى عالم الأُنس والانتقال إلى عالم القدس (وأنا ضدّه ولاقوّة لي به) في المضادّة والمقابلة والانتقال إلى ماهو غاية مرامي و نهاية مقامي في اللّذات التي عاينتها والحركة إلى أقصى مدارجها (فأعطني من الجند مثل ما أعطيته) في العدد والقوّة ، طلب ذلك ليحصل له قوّة بسبب جنوده على معارضة العقل و جنوده فيتيسّر له الوصول إلى غاية منيته ونهاية بغيته (فقال : نعم) أُعطيك مثل جنود العقل اختباراً و امتحاناً لك و تكميلاً للحجّة عليك (١) باعطاء سؤلك و انتظاراً لرجعتك إلى درجة رفيعة و منزلة شريفة ، فانّ المطيع مع العجز و فقد الآلات ليس مثل المطيع مع القدرة على المخالفة ، بل أولئك أعظم درجة وأرفع

---

(١) جنود العقل تساعده في الخيرات و جنود الجهل فى الشرور ، والحقيقة ان الجند من حيث هم جند نسبتهم الى الخير والشر سواء فجنود الملك قد تعينه فى الجهاد و فتح بلاد الكفار وقد تعينه فى الظلم والاضرار بالمسلمين و سلب الاموال و قتل النفوس ، وجنود الجهل اذا اعتبرت من حيث وجودها فى انفسها لاشرية فيها بل هى خير من جهة وجودها الصادر عن الله تعالى فان قيل معنى قوله : اختباراً و امتحاناً و تكميلا للحجة أن تلك الجنود تعين الجهل فى الخيرات لافى الشرور اذ باسباب الخير والسعادة يتم الحجة على المكلف لاباسباب الضلال والعصيان . قلنا يندفع السؤال بما ذكر من ان الجنود من حيث هم جنود لا شرفيهم وان الجهل اذا استعملهم فى الشر صاروا اشرارا وأعطاه الله جنوداً يستعين بها فى الخيرات ولم تكن اسماءها شراً كالحرص والرياء فاستعملها فى الشرور و هذه الاسامى التى تدل على الشرور انما صارت لها بعد استعمال الجهل والافليس الوجود الصادر عن المبدء الاالخير المحض (ش) .

منزلة ، و لذلك كانت عباده الشبّان و إنابتهم و إخباتهم أحسن و أشرف من عبادة الشيوخ و إنابتهم و إخباتهم (فان عصيت بعد ذلك) أي بعد ذلك العصيان بترك الاقبال أو بعد أن أعطيتك جنوداً و أنصاراً مقابلة لجنود العقل و أنصاره (أخرجتك و جندك من رحمتي) المعدّة للمطيعين فتشقى بذلك و تدخل في زمرة الأشرار و تستحقّ الدّخول في الدّرك الأسفل من النار . والوجه لكون معصية النفس مع الجنود موجباً للخروج من الرّحمة دون معصيتها لامعها أنّ النفس إذا كانت ضعيفة فاقدة للأنصار كانت أفعالها ناقصة فلم تكن شقاوتها شديدة موجبة للخروج من الرّحمة بخلاف ما إذا كانت قويّة واجدة لأنصارها و آلاتها فإنّ سلوكها في طريق الشقاوة و سيرها في منهج الضّلالة أفخم ، واكتسابها الأخلاق الذّميمة والرّذايل وإنهماكها في ظلمات الغيّ والغوائل أعظم فيكون تباعدها عن الرّحمة الالهيّة و الألطاف الرّبّانيّة أكثر و أقوى ودخولها في دركات الجحيم و استحقاقها للعذاب الأليم أقرب و أولى (قال رضيت) رضي عن الحقّ باجابة سؤاله أو رضي بالخروج عن الرّحمة على تقدير معصيته و النفس و إن كانت مائلة إلى الفساد عليلة بأمراض تلك الصفات والأجناد لكن ذلك لايسلب عنها الاختيار ولايوجب صدور القبايح عنها على سبيل الاضطرار بل يمكن لها تحصيل الصحّة والسّلامة عن الوساوس الشيطانيّة بالادوية والعلاج المقررة لدفع الأمراض النفسانيّة و بالجملة النفس بعد تقويتها بالجنود والصفات الّتي هي بمنزلة العلل والأمراض لها اختيار في أعمالها و قدرة على أفعالها و ليس صدور تلك الاعمال والافعال عنها على سبيل الإلجاء و الاضطرار فلها أن تترك مقتضيات تلك الصفات ، و ترتقي إلى أعلى مدارج الكمالات الأبديّة حتّى تستحقّ أن يقال لها « يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربّك راضية مرضية » و لها أن تمضي تلك المقتضيات وتسرح في مراعي هذه الصفات حتّى ترتدّ إلى أسفل السّافلين و تبعد عن رحمة ربّ العالمين (فأعطاه خمسة و سبعين جنداً) في مقابلة ما أعطا العقل و كما أنّهما متقابلان كذلك جنودهما متقابلان

فحصل التكافؤ في الايجاد و تحقّق التعاند و التضادّ و بقيت العداوة بينهما إلى يوم التناد (١) و ذلك لمصلحة ظاهرة يعلمها أولوا الألباب و خفيّة لايعلمها إلا علّام الغيوب ، وينبغي أن يعلم أنّ اجناس الفضائل باتّفاق الحكماء أربعة الأوّل الحكمة، الثاني الشجاعة، الثالث العفة، الرّابع العدالة وذلك لأنّ للإنسان قوى ثلاثة متباينة هي مبادي لآثار مختلفة مع مشاركة الارادة وإذا غلبت أحدها على البواقي صارت البواقي مغلوبة أو مفقودة و تلك القوى أوّلها قوّة ناطقة و تسمّى نفساً ملكيّة وهي مبدء الفكر في المعقولات و النظر في حقائق الأمور و ثانيها القوّة الغضبية و تسمّى نفساً سبعيّة وهي مبدء الغضب والإقدام على الأهوال والتسلّط والترّفع على الغير ، و ثالثها القوّة الشهويّة و تسمّى نفساً بهيميّة هي مبدء الشهوة وطلب الغذاء و شوق الالتذاذ بالمآكل و المشارب والمناكح، و إذا تحرّكت القوّة الناطقة بالاعتدال في ذاتها واكتسب المعارف اليقينيّة حصلت فضيلة العلم والحكمة و إذا تحركت القوّة الغضبية بالاعتدال و انقادت للقوّة العاقلة فيما تعدّه حظّاً أو نصيباً لها ولم تتجاوز عن حكمها حصلت فضيلة الحلم والشجاعة وإذا تحركت القوّة الشهويّة بالاعتدال وانقادت للقوّة العاقلة و اقتصرت على ما تعدّه العاقلة نصيباً لها

---

(١) و زعم بعض اهل عصرنا ممن له المام بالنقليات من غير نظر ان الجهل الذى يضاد العقل هو الجنون لان العاقل ضد المجنون وجنود الجهل على ما هو مذكور فى الحديث احساسات و عواطف باصطلاح اهل العصر والجنون عبارة عن متابعة الاحساسات والعواطف كالغضب و عدم ادراك القبح والدقة والطيش والحزن والغم و غير ذلك فترى المجانين بعضهم يضحك و بعضهم يبكى و بعضهم يبطش على من يقربه وهكذا. واقول هذا خبط و خروج عن اصول المذهب و طريقة اهل العلم فان المجنون غير مكلف ولا يؤاخذ بشيء مما يرتكبه فى الدنيا والاخرة والجاهل فى هذا الحديث مؤاخذ بفعله شقى معدود من الاشرار مستحق للنار فما ذكره باطل جداً، وليس المراد بالجهل الجنون ولا ما يقرب من الجنون و ليس فى عدل الله و حكمته ان يجن احداً و يعاقبه على أعمال المجانين .(ش)

ولم تخالفها في حكمها حصلت فضيلة العفّة والسخاء و إذا تركّبت هذه الفضائل الثلاثة و تمازجت حصلت حالة متشابهة هي فضيلة العدالة ثمّ إنّه يندرج تحت هذه الأجناس الأربعة أنواع غير محصورة من الفضائل اما الحكمة فالمشهور من أنواعها سبعة: الذكاء و سرعة الفهم وصفاء الذّهن و سهولة التعلّم و حسن التعقّل والتحفظ والتذكّر، و أمّا الشجاعة فالمشهور من أنواعها أحدعشر: كبر النفس و النجدة و الهمّة والثبات والحلم والسكون والشهامة والتحمل والتواضع والحميّة والرّقة. وأمّا العفة فالمشهور من أنواعها اثني عشر الحياء والرّفق وحسن الهدى والمسالمة والدّعة والصبر والقناعة والوقار والورع والانتظام والحريّة والسخاء، ثمّ السخاء نوع يندرج تحته أصناف كثيرة من الفضائل والمشهور منها ثمانية: الكرم والإيثار والعفو والمروءة والنبل والمواساة و السّماحة والمسامحة، و أمّا العدالة فالمشهور من أنواعها اثنى عشر: الصداقة والألفة والوفاء والشفقة وصلة الرّحم و المكافأة و حسن الشركة و حسن القضاء والتودّد والتسليم والتوكّل و العبادة. و كذا ينبغي أن يعلم أنّ أجناس الرّذايل أيضاً أربعة بازاء كلّ جنس من الفضيلة جنس من الرذيلة، الأوّل الجهل و هو ضدّ الحكمة، الثاني الجبن و هو ضدّ الشجاعة، الثالث الشره و هو ضدّ العفة، الرّابع الجور و هو ضدّ العدالة هذا بحسب بادي النظر. و أمّا بعد التأمل فأجناس الرّذايل ثمانية لأنّ كلّ فضيلة لها حدّ معيّن إذا جاوزته في طرف الإفراط أو في التفريط تنتهي إلى رذيلة، فالفضيلة بمثابة الوسط والرّذيلة بمثابة الأطراف فيكون أجناس الرّذايل ثمانية: السفه والبله وهما في طرف الحكمة السفه في طرف الإفراط والبله في طرف التفريط، و التهوّر و الجبن - وهما في طرفي الشجاعة - والشره وخمود الشهوة. وهما في طرفي العفة و الظلم والانظلام - وهما في طرفي العدالة - و كما أنّ لكلّ جنس من الفضايل جنسين من الرّذايل كذلك لكلّ نوع من الفضايل نوعان من الرّذايل، أحدهما في جانب الإفراط والآخر في جانب التفريط، و لبعض تلك الأنواع اسم خاص دون بعضها وقد عرفت أنّ أنواع الحكمة سبعة فأنواع ضدّها أربعة عشر: الخبث والبلادة

ـ وهما في طرفي الذكاء الخبث في طرف الافراط والبلادة في طرف التفريط ـ وسرعة التخيل والابطاء ـ وهما في طرفي سرعة الفهم ـ وظلمة الذهن المانعة من إدراك المطالب والنباهة المانع من الاقامة على المطلوب ـ وهما في طرفي صفاء الذهن ـ والمبادرة المانعة من استثبات الصور والتعصّب المؤدّي إلى التعذّر ـ وهما في طرفي سهولة التعلّم ـ وصرف الفكر في إدراك ما هو زائد على تعقّل المطلوب وصرفه في إدراك ما هو ناقص عنه ـ وهما في طرفي حسن التعقّل ـ وضبط ما لا فائدة فيه وترك ضبط ما هو مهمّ ـ وهما في طرفي التحفّظ ـ وتذكّر ما يوجب تضييع الأوقات والنسيان الموجب لاهمال مراعاة الواجبات ـ وهما في طرفي التذكّر ـ وقس عليه أنواع بواقي الأجناس، وربّما يكون لبعض الأنواع اسم مشهور كالوقاحة والخرق وهما في طرفي الحياء ـ والاسراف والبخل ـ وهما في طرفي السخاء ـ والتكبر والتذلّل ـ وهما في طرفي التواضع ـ والفسق والتحرّج ـ وهما في طرفي العبادة ـ إذا عرفت هذا فنقول: ما ذكره عليه السلام في هذا الحديث من الفضائل والرذائل بعضه من الاجناس وبعضه من الأنواع وبعضه من الأصناف وبعضه من الجزئيات كما لا يخفى على المتأمّل وسيجيء تفسير بعض هذه الأمور إن شاء الله تعالى.

(فكان ممّا أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند: الخير) «من» الاولى للتبعيض و«ما» موصولة، و«من» الثانية للبيان والظرف خبر كان قدّم على اسمه وهو الجند أو الخير للتشويق إلى ذكره. قال القرطبي: قيل الخير شيء من أعمال القلب نوراني زائد على الايمان وغيره من الصفات المرضيّة يدلّ على ذلك ما في حديث أنس «يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وكان في قلبه من الخير ما يزن مثقال ذرة» إنتهى. وقيل: الخير هو الموجود وإطلاقه على غيره إنّما هو بالعرض وهو ينقسم إلى خير مطلق كوجود العقل لأنّه خير محض لا يشوبه شرّ ونقص (۱) وإلى خير مقيّد كوجود غيره من الذوات والصفات. أقول: الحقّ

---

(۱) لاريب انه لايدخل في العقل من حيث هو عقل احتمال الشر و انما الشر في التزاحمات و التصادفات التي يمنع بعض الاشياء بعضها من بلوغ غاياتها ومقاصدها*

إنّ الخير كلّي يندرج تحته جميع الأعمال الصالحة كما يدلّ عليه قول أمير المؤمنين عليه السّلام : « افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً فإنّ صغيره كبير و قليله كثير (١)» و يؤيده ما في طرق العامّة « يخرج منها (أي من جهنم) قوم لم يعملوا خيراً قطّ (٢)» وهؤلاء الّذين ليس معهم إلاّ الايمان (و هو وزير العقل) الوزر الحمل الثقيل يقال : وزره إذا حمله و منه الوزير لأنّه يحمل عن الأمير وزره أي ثقله والوزارة على قسمين تفويض و تنفيذ و الأوّل يستوزره الأمير بتفويض تدبير الأمور إلى رأيه* و إمضائها إلى اجتهاده بدون مراجعة إليه في كلّ قضيّة والثاني أن يكون النظر في الأمور مقصوراً على رأي الأمير و تدبيره و الوزير يتوسّط بينه و بين رعيته و يرشده إلى المصالح و يؤدّي عنه ما أمر و ينفذ له ما ذكر و يعينه في الأمور ، و هذا المراد هنا لأنّ الخير إن كان عبارة عن الكلّي المندرج تحته المصالح كلّها فحكمه يجري في جزئياته و هو يتوسّط بينها و بين العقل في جريان حكم العقل و نفاذ تدبيره فيها و إن كان عبارة عن العمل القابي النوراني الّذي ذكره القرطبي أو عن وجود العقل فهو يتوسّط بين العقل و بين سائر ما يصدر عنه من الأعمال المرضيّة الّتي هي في الحقيقة أنوار إلهيّة تستضيء بها القلوب و الجوارح و يرشده إليها كما يرشد الوزير الأمير إلى الأمور الملكيّة و مصالحها .

(و جعل ضدّه الشرّ و هو وزير الجهل) لما كان الشرّ ضدّ الخير كان مقابلاً له في المعاني الثلاثة المذكورة فهو إمّا شيء ظلماني من أعمال القلب زايد على الكفر وغيره من الصفات الذّميمة أو عدم منقسم إلى شرّ مطلق كعدم العقل ،

---

* ولكن هنا لا يجوز حمل الخير على العقل اذ ليس هو جنداً لنفسه بل المراد منه شيء آخر باعتبار ما يؤل العقل اليه (ش).

(١) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٤٢٢ .

(٢) أخرجه أبوداود الطيالسي في الجزء التاسع من مسنده تحت رقم ٢١٧٩ في خبر طويل عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري .

و إلى شرّ مقيّد كعدم غيره من الصفات الكماليّة أو كلّي يندرج تحته جمع القبايح ويؤيده قول أمير المؤمنين عليه السلام «الشرّ جامع لمساوي العيوب»(١) ووزارته للجهل تظهر بالتأمّل فيما ذكرناه في وزارة الخير للعقل، ويمكن أن يراد بالخير نوريّة العقل و ضياء ذاته إذ كلّ ما يصدر عنه بتوسّطها من الأفعال كان على نهج الصواب فهي وزير له في الدّلالة على المحاسن والمصالح و بالشرّ ظلمة الجهل و كدورة ذاته إذ كلّ ما يصدر عنه بتوسّطها من الآثار والافعال كان على نهج الخطأ فهي وزير له في الدّلالة على المفاسد والمقابح.

(والايمان وضدّه الكفر)الايمان هو الاعتقاد الثابت الجازم بأحوال المبدء والمعاد (٢) و ملائكته و كتبه و رسله و ما جاء به رسوله الّذي من جملته الوصاية والامامة على سبيل الاجمال و هو روح العلوم الحقيقيّة والتصديق بالمسائل اليقينيّة على سبيل التفصيل كما يرشد إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام «و بالايمان يعمر العلم(٣)» والحقّ أنّ الأعمال غير داخلة في حقيقته لقوله عليه السلام «بالايمان يستدلّ على الصالحات و بالصالحات يستدلّ على الايمان (٤)» يريد بالأوّل الاستدلال من المؤثر على الأثر و بالثاني عكس ذلك (٥)، و أمّا قوله عليه السلام «الايمان معرفة بالقلب

---

(١) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٣٧١ .

(٢) ليس الاقرار باللسان جزء من الايمان بل هو دليل عليه و ليس العمل بالاركان أيضاً جزء من الايمان بل هو من آثاره و فوائده. و يعتبر في الايمان الجزم فلا يكفي الظن والثبات فلا يكفي التقليد (ش).

(٣) و(٤) النهج أبواب الخطب تحت رقم ١٥٤ .

(٥) تارة يكون الغرض بيان المذهب الحق من بين المذاهب الموجودة و هذا وظيفة العلماء يحررون محل النزاع ويبينون القول الحق بالبرهان والادلة وتارة يكون الغرض بيان مفاهيم الاحاديث و بيان ما هو يوهم التناقض فيها و هو وظيفة المحدثين والشارح سلك المسلك الاول اما بيان كلام الشارح فهو أن المسلمين اختلفوا في حقيقة الايمان اى الفرق بين المؤمن والكافر فان لكل منهما أحكاماً في الشرع فالكافر نجس☆

و إقرار باللّسان و عمل بالأركان (١)» و مثله قول علي بن موسى الرّضا عليه السلام
فالجمع يقتضي أنّه تعريف للإيمان الكامل وقد شاع في لسان الشرع إطلاق اسم الايمان عليه، والكفر الّذي هو ضدّه عدم الاعتقاد بالأمور المذكورة أوإنكار شيء منها وهو روح الجهالات والدّاعي إلى ذمائم الصفات. وقيل: الايمان نورمن أنوار الله فائض منه على قلب من يشاء من عباده به يرى الأشياء كما هي وهو المسمّى تارة بالحكمة النظريّة يعني ملكة يقتدربها الانسان على إحضار المعلومات الحقّة متى شاء من غير تجشّم كسب جديد و تارة بكمال العقل النظري أو القوّة النظريّة و تارة بالعقل بالفعل وتارة بالعقل البسيط الاجمالي. والكفر الّذي ضدّه ملكة ظلمانيّة حاصلة في النفس من كثرة الاغلوطات و تراكم الشبهات وتزاحم الوهميّات و رسوخها فتصير تلك الملكة الظلمانيّة حجاباً عن إدراك حقّ وعمى في عين قلب عن كلّ مستتر وصماً في اُذن عقل عن سماع كلّ كلام صادق والّذي يدلّ على أنّ الايمان نور و الكفر ظلمة قوله تعالى: «الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والّذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات» و فيه أولاً أنّ تفسير الايمان بما ذكره غير معروف وثانياً أنّ الآية لاتدلّ على ما قال بل تدلّ على أنّ الايمان سبب للنور ووسيلة إليه و الكفر سبب للظلمة وذريعة إليها فليتأمّل.

(والتصديق و ضدّه الجحود) أي تصديق الصادقين فيما قالوه، أوالتصديق بالمسائل اليقينيّة والمعارف الحقيقيّة على سبيل التفصيل والركون إليها بايراد

---

*لايدفن في مقبرة المسلمين ولايرث من المورث المسلم ولاينكح في المسلمات الى غير ذلك بخلاف المؤمن والحق ما ذكره الشارح من أن عمل الجوارح لايدخل في الايمان والمخالف فيه الوعيدية من الخوارج حيث قالوا ان مرتكب الكباير كافر وبعض المحدثين مال الى تفسير الفاظ الاحاديث فطول الكلام و قسم الايمان الى درجات و ذكر له معاني كثيرة ولم يقطع بمذهبنا من ان العمل ليس من الايمان (ش).

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب أن الايمان قبل الاسلام.

الدّلائل والبراهين عليها والتفاوت بين الايمان والتصديق على ما ذكرنا مثل التفاوت بين العلم الإجمالي والتفصيلي والجحود الّذي هو ضدّه إنكار الصادقين أو إنكار تلك المسائل والمعارف والرّكون إلى الشهوات والشبهات والميل إلى الجهالات والرّجوع في المعضلات إلى نفسه والتعويل في المبهمات على رأيه فما أنكرته النفس كان هو المنكر، و ما عرفته كان هو المعروف فهي تاركة لرواسم الشريعة، تابعة لأهوائها مائلة إلى آرائها.

(والرّجاء و ضدّه القنوط) الرّجاء بالمدّ مصدر بمعنى التوقّع والأمل تقول: رجوته أرجوه رجواً و رجاءً و رجاوة و همزته منقلبة عن واو بدليل ظهورها في رجاوة وقد جاء فيها رجاة، و مبدء الرّجاء يعني توقّع ثواب الله و إحسانه و إكرامه و إنعامه معرفته تعالى و ملاحظة غناه عن العالمين و اعتبار أسباب نعمة ظاهرة و باطنة، جلية و خفيّة، ضروريّة كآلات التغذية والتنمية و غير ضروريّة كتقوّس الحاجبين واختلاف ألوان العينين إلى غير ذلك من الألطاف الالهية و الفيوضات الرّبانيّة الّتي صدرت منه قبل الاستحقاق والأعمال و بعد الاستحقاق و الاستيهال فانّه إذا تفكّر العقل في هذه الأمور و تأمّل فيها و في غيرها استكمل رجاءه بالله سبحانه. والقنوط هو اليأس من رحمته و عفوه وهو من صفات الخاسرين الجاهلين و سمات الضالين الغافلين عن سعة رحمته و إحاطة مغفرته قال سبحانه: «ورحمتي وسعت كلّ شيء» «ولاتيأسوا من روح الله إنّه لاييأس من روح الله إلاّ القوم الخاسرون» و قال: «لاتقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو غفور الرّحيم» وقال: «ومن يقنط من رحمة ربّه إلاّ الضالّون» فمن وقع في شرّ وقنط من رحمته ازداد جهلاً على جهل و ترقى من باطل إلى باطل و هو جاهل بالله العظيم، وأمّا العاقل فيستغفره و يرجع إليه ويتضرّع بين يديه و يكون عقله برجاء غفرانه أوثق وقلبه بشمول العناية له أعلق فانّه لاييأس من روح الله إلاّ الّذين عميت أبصار بصائرهم عن أسرار الله تعالى فهم في طغيانهم يعمهون، فاولئك هم الخاسرون، واعلم أنّ الرّجاء بثواب الله والفوز بالسعادات الأخرويّة مقام شريف مستلزم لمقامات

عالية لأنّه يستلزم الصبر على المكاره وفعل الطاعات وترك المنهيّات لعلمه بأنّ الجنّة محفوفة بالمكاره ومقام الصبر يؤدّي إلى مقام المجاهدة والتجرّد لذكر الله و دوام الفكر فيه ومقام المجاهدة يؤدّي إلى مقام كمال المعرفة المؤدّي إلى مقام الاُنس المؤدّي إلى مقام المحبّة المستلزم لمقام الرّضا والتوكّل إذ من ضرورة المحبّة الرّضا بفعل المحبوب و تفويض نفسه وأمره إليه ، والوثوق بعنايته ، ولذلك قيل: الرجاء لاينفكّ عن الأعمال الصالحة ، و قيل : الرّجاء مادّة الاستهتار بلزوم الطاعة ، و يدلّ عليه ما روي عن الصادق عليه السلام قيل له: «إنّ قوماً من مواليك يلمّون بالمعاصي ويقولون: نرجوا ؟ فقال : كذبوا ليسوا لنا بموال اُولئك قوم ترجّحت بهم الاماني من رجاشيئاً عمل له ومن خاف من شيء هرب منه» (١) و من ثمّ قالوا : الرّجاء من الفضائل إذا قارنه خوف لأنّ كلّ واحد منهما بدون الآخر من الملكات الرّديّة المهلكة كما يرشد إليه أيضاً قوله تعالى «يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً» وقول الباقر عليه السلام «إنّه ليس من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نوران : نور خيفة و نور رجاء لووزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم تزد على هذا (٢) » و من ههنا ظهر أنّ الخوف غير القنوط فإنّ القنوط ضدّ الرّجاء لايجامعه بخلاف الخوف ، ثمّ قيل : إنّ بين الخوف و الرّجاء تفاوتاً في الدّوام و عدمه و ذلك لأنّ الخوف ليس من الفضائل العقليّة الباقية في النشأة الآخرة وإنّما هو من الاُمور النافعة للنفس في فعل الطاعات والهرب عن المعاصي مادامت في دار الدّنيا الّتي هي دار العمل و أمّا عند حلول الأجل و الخروج منها فلا فائدة فيه بخلاف الرّجاء فإنّه باق أبداً إلى النشأة الآخرة لاينقطع لأنّه كلّما نال العبد من رحمة الله أكثر كان رجاؤه فيما عند الله أشدّ و أوفر ، لأنّ خزائن رحمته غير متناهية .

(و العدل و ضدّه الجور) و هي الملكة الحاصلة من التحلّي بالأوساط الفاصلة في باب العقائد كالتوحيد بين التعطيل والتّشبيه والتعويل على الأمر المتوسط

---

(١) و (٢) الكافي كتاب الايمان و الكفر باب الخوف و الرجاء تحت رقم ٦ و ١٣ .

بين الجبر والتفويض، و في باب الأعمال كأداء الواجبات والسنن بين الكسالة و والترهّب التامّ والاعطاء المتوسّط بين القبض بالكلّيّة والبسط التامّ ، و في باب الأخلاق كالحكمة بين السفاهة والبلاهة في القوّة العقليّة، والشجاعة بين التهوّر والجبن في القوّة الغضبيّة،والعفّة بين الشره وخمود الشهوة في القوّة الشهويّة و إذا حصلت هذه الاوساط و صارت ملكات حصلت حالة اُخرى متشابهة من تمازجها و اختلاطها وهي المسمّاة بالعدل (١) ، و كما أنّ كلّ واحدة من تلك الأوساط محيطة بأنواع متكثّرة من الفضائل إحاطة الجنس بأنواعها و محاطة بجنسين من الرّذائل كذلك ملكة العدالة محيطة بأنواع متكثّرة من الفضائل ومحاطة بجنسين من الرّذايل أعني الظلم والانظلام والظلم في طرف الافراط والانظلام في طرف التفريط و يعبّر عنهما بالجور لأنّ جور الجائر أعمّ من أن يكون ظلماً على نفسه وعلى غيره ومن ههنا ظهر أنّ العدل أمرٌ وسيطٌ يتوقّف حصوله على الأوساط المذكورة، ورئيس شريف يتذلّل لحكمه كثير من الفضائل العقليّة، و أميرٌ كبيرٌ ينتظم به سلطنة العقل في ملكوت القلب . بل هو طريق قويم و صراط مستقيم يسير فيه العقل من العالم الجسماني إلى العالم الرّوحاني فيشاهد عجائب الملك و الملكوت في هذه النشأة و يدخل جنّات النعيم مع مرافقة الأخيار في النشأة الآخرة كما أنّ الجور الذي هو الفرار عن هذه الأوساط والاستقرار في طرف التفريط والافراط و هو من أعاظم أمراء الجهل و أكابر رؤسائه ، و يندرج في حكمه كثيرٌ

---

(١) لاريب أن هذا الحديث اصل يبتنى عليه جميع ما ذكره علماء الاخلاق فى كتبهم كاحياء العلوم و جامع السعادات والمحجة البيضاء و امثالها خصوصاً ماذكروه فى المنجيات والمهلكات وهى بمنزلة شرح لهذا الحديث الشريف و علماء الاخلاق بنوا على ان العدل التوسط فى كل شيء وفسر بعضهم العدل بعدل السلاطين وربما يترجم بالفارسية (دادو دهش) اى العدل والعطاء والعطاء زايد و عدل الحكام داخل فى تفسير الشارح . و بالجملة العدل هو الجامع للفضائل كما فى قوله تعالى : « و اشهدوا ذوى عدل منكم» (ش).

من جنوده طريق سقيم و صراط غير مستقيم يبعد سالكه في هذه النشأة عن حضرة الجبّار و يدخل في النشأة الآخرة في عذاب النار وقد شبّهوا تلك الصورة الباطنة الواقعة في الوسط المسمّاة بالعدالة لزيادة الايضاح والتقرير تارة بالصورة الظاهرة المحسوسة فكما أنّ لتلك الصورة الظاهرة أركاناً مثل العين والأنف والفم والخدّ واليد والرّجل إلى غير ذلك من الأعضاء الظاهرة ، ولاتوصف تلك الصورة بالحسن مالم يحسن جميع تلك الأعضاء ولم يتوسّط بين الافراط والتفريط كتوسط العين بين زيادة غؤورها وزيادة بروزها و بين زيادة الصغر و زيادة الكبر و توسط الأنف بين زيادة الطول و زيادة القصر و بين صغر الحجم و كبره و على هذا القياس في ساير الأعضاء كذلك لتلك الصورة الباطنة الّتي هي صورة القلب أركان مثل القوّة الناطقة والقوّة الغضبيّة والقوّة الشهويّة ولايوصف تلك الصورة بالحسن والقبول ما لم يحسن جميع هذه الأركان ولم يتوسط بين الافراط والتفريط على ما ذكرنا ، وتارة اُخرى بالمزاج ، فانّ تلك الصورة الباطنة بالنسبة إلى القلب كالمزاج بالنسبة إلى البدن فكما أنّ اعتدال المزاج واستقامته أعنى الصحة والسلامة تتوقّف على زوال الأمراض البدنيّة كلّها كذلك اعتدال تلك الصورة و استقامتها يتوقّف على زوال الأمراض القلبيّة الّتي هي الأخلاق الذّميمة الواقعة في طرفي الافراط والتفريط لأنّ الأخلاق الذّميمة علّة مسرية ينجرّ بعضها إلى بعض والنجاة في النشأتين و حسن القبول في الدّارين و التعشّق عندالباري جلّ شأنه و تسخير عالم الملك و الملكوت لا تحصل إلاّ بزوال جميعها ، ومن ههنا ظهر سرّ قولهم : « خير الأمور أوسطها » .

(والرّضا وضدّه السخط) في باب الرّضا بقضاءالله تعالى أخبار كثيرة فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : « نعم القرين الرّضا بقضاءالله (١) » و عن ابن عباس عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : « أوحى الله إلى موسى صلوات الله عليه إنّك لن تتقرّب

(١) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٤ .

إلى بشيء أحبّ إليّ من الرّضا بقضائي (١)» في الحديث القدسي « من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليعبد ربّاً سوائي ، و ليخرج من أرضي و سمائي » و اختلفوا في تفسيره فقيل : هو رفع الاختيار ، و قيل : هو سكون النفس تحت مجاري القدر، وقيل : هو السرور بمرّ القضاء . وقال الأرجواني: عرفت طرفاً من الرّضا لو أدخلني النار كنت به راضياً . و قيل : هو سكون القلب إلى أحكام الله تعالى، و موافقة الضمير بما رضي و اختار . و قيل : هو فرح القلب و سروره بنزول الأحكام في الحلو والمرّ : قال عياض : الأوّلان تعريف لمبدئه و الثالث تعريف لمنتهاه ، وفي الرّابع نظر ، والخامس قريب من الثاني ، والسادس قريب من الثالث . وقال ذوالمفاخر صاحب العدّة رحمه الله: سأل النبيّ صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام عن تفسير الرّضا فقال، الرّاضي هو الّذي لا يسخط على سيّده أصاب من الدّنيا أو لم يصب ، ولا يرضى من نفسه باليسير » و أعلم أيّها اللّبيب أنّ الرّضا من أعلى منازل المقرّبين و أقصى مراتب السالكين فانّه ثمرة المحبّة و هي ثمرة الاُنس بالله تعالى شأنه و هو ثمرة كمال معرفته و هو ثمرة دوام المجاهدة مع النفس الأمّارة والتجرّد لذكر الله و دوام الفكر فيه و هو ثمرة الصبر على فعل الطاعات وترك المنهيّات و تحمّل المشاقّ والمكاره و هو ثمرة الخوف من الله تعالى والرّجاء بثوابه و إكرامه و إنعامه. والخوف له تأثير في الأعضاء الباطنة فيمنعها عن الرّذايل النفسانيّة مثل الكبر والحسد والحقد والعداوة والبخل و غيرها وفي الأعضاء الظاهرة فيكفّها عن المنهيّات ويقيّدها بالطاعات ولعلوّ منزلة الرّضا رفعه الله سبحانه فوق جنات عدن و جعله أكبر من نعمها فقال عزّ من قائل: «وعدالله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة من جنّات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم» فهو فوق نعيم الجنات و غاية مطلب سكّانها و إذا رضي العبد عن الله تعالى رضي الله عنه كما قال « رضي

---

(١) لم اجده من حديث ابن عباس و رواه الكليني في الكافي كتاب الايمان و الكفر باب الرضا بالقضاء تحت رقم ٧ من حديث أبي عبدالله (ع) بنحو أبسط .

الله عنهم و رضوا عنه ». و إذا عرفت حال الرّضا و شرف منزلته فاعرف حال ضدّه الّذي هو السخط بالتضادّ فإنّ كلّ ما ذكرنا في الرّضا يجري ضدّه في السخط و أورد عليه بأنّ المستفاد من هذا الحديث و غيره أنّ العبد يجب عليه أن يرضى بقضاء الله سبحانه خيراً كان كالإيمان والطاعة أو شرّاً كالكفر والمعصية لكن الرّضا بالكفر كفر وبالمعصية فسق كما ورد في الحديث فكيف التوفيق؟ والجواب المشهور هو أنّه فرق بين القضاء والمقضي وأنّه يجب الرّضا بالقضاء دون المقضي والكفر و نحوه من جملة المقضي ، وردّه بعض المحققين بأن القضاء عبارة عن الحكم بوقوع شيء في الخارج و هو أمر نسبي إضافي فحسنه و قبحه و خيره و شرّه إنّما هو بحسب ما أضاف إليه لأنّ نفس الاضافة لاتوصف بشيء إلاّ باعتبار المضاف إليه فالتناقض بحاله ثمّ أجاب عن أصل الاشكال بأنّ المقضي بالذّات لايكون إلاّ خيراً والشرّ مقضي بالعرض لا بالذّات والّذي يجب الرّضا به هو القضاء أو المقضي بالذّات والّذي يجب عدم الرّضا به هو القضاء أو المقضي بالعرض كالكفر والظلم و نحوهما ، وقال بعض الأفاضل لدفع الردّ المذكور عن الجواب المشهور : القضاء كالعلم ليس مجرّد إضافة و نسبة بل هو صورة عقليّة ذات إضافة فانّ القضاء الإلهي كما حقّق عبارة عن وجود صور جميع الموجودات الخارجيّة وجوداً عقلياً إجمالياً على وجه أشرف و أعلى فكلّ ما كان أو سيكون له وجود في عالم علمه تعالى علماً مقدساً منزهاً من التغير والقصور والنقص والشرّ وأمّا المقضي فهو الصور الكائنة والموادّ الخارجيّة على وفق ماجرى في القضاء فللقضاء نحو من الوجود و للمقضي نحو آخر من الوجود وقد يتطرّق إليه النقص والآفة والشرّ والفساد و الصورة العقلية للكفر والمعاصي ليست كفراً ولا معصية و إنّما هي كذلك بحسب وقوعها في الخارج فمن قال: القضاء لايكون إلاّ خيراً يجب الرّضا به دون المقضي لعلّه أراد بالقضاء صور ما في علم الله سبحانه لا مجرّد النسبة و بالمقضي وجود الأكوان الخارجيّة الّتي قد يكون شرّاً و كفراً فظهر الفرق و رفع التناقض (١)

---

(١) لا ريب ان المقصود الرضا بالمقضي لا بالقضاء مثلا الرضا بالفقر ليس معناه*

(والشكر و ضدّه الكفر) إنّ الشكر حالة نفسانيّة تنشأ من العلم بالمشكور و صفاته و إنعامه ، و تثمر العمل بالقلب واللّسان والأركان ، وهم بالنظر إلى تلك الثمرة عرفوه بأنّه فعل دالّ على تعظيم المنعم سواء كان بالجنان أو باللّسان أو بالأركان وتوضيحه أنّ الشكر على النعمة لايتحقّق إلاّ بأن تعرف المنعم الحقيقيّ و صفاته و نعمه و أن تعرف أنّ النعم كلّها منه و أنّ الأوساط الموصلة لنعمه نعمة أو الّتي لها مدخل في إيصالها أوتكميلها مثل السّماء والأرض والشمس والقمر و النجوم والسّحاب والعباد و غيرها كلّها منقادة لامره مضطرّة لحكمه كانقياد تبعة الملك له في إنفاذ أمره(١) وإيصال عطاياه فتعرف أن لامنعم في الحقيقة إلاّ هو و هذه المعرفة تورث حالة نفسانيّة هي التذلّل والانقياد للمنعم والسرور بنعمه لامن حيث أنّها موافقة لغرض نفسك إذ في ذلك متابعة في هواها و اقتصار همّة في رضاها ، بل من حيث أنّها دالّة على عنايته بك بمجرّد إحسانه و إفضاله من غير

---

* الرضا بوجود معناه فى علم الله بل بوجوده خارجا و حصوله للراضى والحق فى الجواب ان ينكر قضاءالله تعالى بكفر احد بمعنى حكمه بكفره بحيث يعد كراهة الكفر كراهة حكم الله بل قضائه بمعنى علمه بكفر الكافر عن اختيار ولايرضى الله لعباده الكفر و كذلك ينبغى أن لايرضى به العبد ومعنى الرضا بالقضاء الرضا بالحكم الذى حكم به الله و الزمه على العباد ولايقدر العبد على دفعه عن نفسه كالمرض والموت لامايقدر على دفعه كالكفر و الفسق فان قضاء الله بهما اعنى علمه ليس ملزماً والذى علم الله تعالى صيرورته كافراً باختياره يصير كافراً باختياره لامجبوراً والرضا به فى معنى رضاه بكونه مختاراً. (ش)

(١) بل اشد انقياداً فان تبعة الملك مستقلون فى وجودهم و ليس وجودهم معلولا لوجود الملك بخلاف الاوساط الموصلة لنعمه تعالى الى عباده فانهم معلولون و بقاؤهم و فناؤهم بمشية الله تعالى ولافرق فى ذلك بين مراتب الوسائط فان العقول المجردة اى الملائكة المقربين والنفوس الكلية فضلا عن السماء والارض والشمس والقمر وغيرها هم بامره يعملون ولااستقلال لهم فى وجودهم فضلا عن فعلهم وليست وساطة العقول بمعنى تفويض الامر اليهم كمايتوهمه من لاخبرة له. (ش)

سبق استحقاق و استئهال و وسيلة إلى التقرّب به برعاية حقوقه و علامة ذلك أن لاتفرح من الدّنيا إلاّ بما يوجب القرب منه في الدّنيا والآخرة ، وهذه الحالة شكر في الحقيقة وهي تورث العمل لأنّها إذا حصلت في النفس وتمكّنت فيها حصل لها نشاط للعمل الموجب للقرب منه و هذا العمل أيضاً شكرٌ و هو يتعلّق بالقلب واللّسان والأركان أمّا عمل القلب فهو القصد إلى تعظيمه وتحميده وتمجيده وتهليله والتفكّر في مصنوعاته و أفعاله و آثار إنعامه و إكرامه وإيصال الخير إلى كافة خلقه إلى غير ذلك من الأعمال القلبيّة .

و أما عمل اللّسان فهو إظهار ذلك المقصود بالتحميد والتمجيد والتسبيح و والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و غيرها. وأمّا عمل الأركان فهو استعمال نعمه الظاهرة و الباطنة في طاعته و عبادته و التوقّي من الاستعانة بها في معصيته و مخالفته كاستعمال العين في مطالعة مصنوعاته، و استعمال الأذن في استماع براهينه و آياته ، و هكذا حكم سائر الجوارح ، و إذا عرفت الشكر فقد عرفت الكفران الّذي هو ضدّه بالمقايسة فانّه أيضاً حالة نفسانيّة هي العتوّ وسوء الظنّ بالمنعم و التباعد منه و السرور بالنعمة من حيث أنّها موافقة للأغراض الفاسدة النفسانية ، و هذه الحالة تنشأ من عدم معرفة المنعم الحقيقي على ما ينبغي وتورث العمل بالقلب كالقصد إلى معصيته والعزم على مخالفته . و باللّسان كالافتراء و والشكاية والمذمّة وغيرها من الأقاويل الباطلة و بالجوارح كترك النظر فيما يعنيه وصرفه فيما لايعنيه ، وبالجملة صرف الجوارح في غير ما خلقت لأجله .

(و الطمع وضدّه اليأس) هذا تكرار للرّجاء و ضدّه ،ولذلك قال الشيخ بهاء الملّة والدّين رحمه الله: لعلّ أحدهما كان بدلاً عن الآخر فجمع بينهما الناسخ غافلاً عن البدليّة، ويمكن أن يقال التكرار انما يلزم لو اُريد بهما اُريد بالرّجاء أعني الطمع في ثواب الله والامور الاُخرويّة مطلقاً أمّا إن اُريد به توقّع الأمور الاُخرويّة من غير سبق استحقاق وخصّ الرّجاء بتوقّعها مع السبق أو مطلقاً أو اُريد به توقّع الأمور الدّنيويّة ممّا يحتاج إليه من الضروريّات و غيرها أو اُريد به توقّع مافي

أيدي الناس وجعل الطمع من جنود الجهل واليأس من جنود العقل على خلاف ما وقع في سائر النظائر من تقدّم جنود العقل فلا تكرار وهذه الوجوه وإن كانت بعيدة لكن القول بالتكرار و تخطئة الناسخ أبعد منها.

(والتوكّل و ضدّه الحرص) معنى توكّل العبد على الله تعالى هو صرف اُموره إليه والاعتماد فيها عليه يقال : و كّل فلانٌ فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه و من أسمائه تعالى الوكيل و هو القيّم بأرزاق العباد ، و بالجملة التوكّل حالة فاضلة للقلب توجب تفويض الاُمور إلى الحقّ والانقطاع عمّا سواه وله مبدء وأثر مترتّب عليه ومبدؤه العلم بأنّه تعالى واحد لاشريك له وأنّه عالم بجميع الأشياء بحيث لايعزب عنه تعالى مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء ، وأنّه قادرٌ على جميع المقدورات و أنّه حكيم لايجور في حكمه و أنّه رؤف بعباده ولابدّ بعد ذلك من الرّضا بقضاء الله إذ بالعلم الأوّل يعلم أنّه لا كفيل لمهمّاته إلّا هو ، و بالعلم الثاني يعلم أنّه لايخفى عليه شيء من مهمّاته وبالعلم الثالث يعلم أنّ السّماوات والأرضين وما بينهما وما فيهما من الرّوحانيات و والحيوانات والنباتات و الجمادات والاُمور الكائنة مسخّرات بأمره ، فيعلم أنّه لايعجز عن إمضاء مهمّاته و إنجاح مطالبه و مراداته ، و بالعلم الرّابع يعلم أنّه لايكون ظالما في نفاذ اُموره ، و بالعلم الخامس يعلم أنّه يفعل كلّ ما يصلح له و بالسادس يسهل عليه جريان صعاب الأمور فاذا أيقن هذه الامور و استنار قلبه بأنوار تلك المعارف ولم يعارضه الوهم والجبن و ضعف البصيرة و مع ذلك تأمّل في حال بعض الحيوانات الّذي لاحيلة له في تحصيل اُموره و ادّخار قوته كالطيور وأمثالها بل في حال نفسه حين كان جنيناً في بطن اُمّه وكان مضطرّاً إلى الرّزق و كان رزقه يأتيه بغير حيلة له من حيث لايدري وقتاً فوقتاً حصلت له حالة شريفة هي وثوقه في اُموره بالله سبحانه و انقطاعه عن غيره من الأسباب و الوسائط بل عن نفسه أيضاً لأنّه يسلب الحول والقوّة عنها و يحكم بأنّه لاحول ولا قوّة إلّا بالله و يرى حاله معه مثل حال الموكّل مع وكيله في الثقة به والاتّكال

عليه أو مثل حال الطفل مع أُمّه في الرّكون إليها، أومثل حال الشمعة مع المصور في أنّها مقهورة تحت يده و قدرته يصورّها ويشكّلها كيف يشاء وهذه الحالة هي المسمّاة بالتوكّل وهي مقام عالٍ من مقامات السالكين و درجة عظيمة من درجات المقرّبين و منزلة رفيعة من منازل المتّقين لايصل إليها إلاّ من اطمأنّ قلبه بالإيمان بالله القاهر فوق عباده ، ثمّ إنّ هذه الحالة تتفاوت كمالاً ونقصاناً بحسب تفاوت العلوم المذكورة و صفاء القلب و نورانيّته فلها أقسام : أوّلها الثقة بالله و بكفالته و كفايته و عنايته مع ملاحظة أن العادة جرت على ربط المسبّبات بأسبابها فيتمسّك بالأسباب على قدر الحاجة والأثر المترتّب عليه هوالاعتقادبأنّ حصول المطلوب وسببه من توفيق الله تعالى وعنايته فيكتسب ويغلق الباب من السارق و يتحصّن من العدوّ مثلاً ويثق بأنّ الرّزق والحفظ منه تعالى ، ولايتّكل على السبب و إنّما اتّخذ جرياً على العادة و هو راض عن ربّه و شاكر له إن لم يحصل المسبّب ، بناء على أنّه لايدري في أيّ شيء الخيرة و حافظ مع اشتغاله بالسبب لأوقات الصّلوات وغيرها من العبادات وبالجملة يكون مقصوده هو الكفيل الحقّ وخيرته ومنظوره هو التشبّث بذيل عنايته وإرادته، والاكتساب على هذا الوجه لاينا في التوكّل لأنّ رسول الله ﷺ كان رأس المتوكّلين وقد توارى من العدوّ وخندق على نفسه و ظاهر بين درعين وادّخر قوت عياله سنة، ولتواتر الروايات عن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام على هذا المعنى ولقوله تعالى: «رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» ولذا قيل: من طعن في الكسب طعن في السنّة ومن طعن في تركه طعن في التوحيد، والكسب الغير المنافي ما كان على قدر الحاجة، و حدّه بعض للمنفرد بدون الأربعين، و اختلف في إدّخار قوت الأربعين فقيل: يخرج عن التوكّل، وقيل : لايخرج بما زاد على الأربعين و هذا كلّه مالم يتشوّش خاطره فإن تشوّش فالادّخار في حقّه أفضل ،بل قيل: لو حبس ضيعة يكفيه دخلها كان أرجح لأنّ المقصود تفريغ القلب للعبادة حدّه للمعيل بقوت عام تطميناً لقلبه و قلب عياله لفعل النبيّ ﷺ ذلك ولم يفعله لطيب

قلبه و إنّما فعله ليدلّ على الجواز و قيل : ادّخار قوت عامين في مقام يتوهّم غلبة العدو لاينافيه لعدم الأمن بالغلبة والأظهر أنّ ادّخار القوت مطلقاً لاينافيه إذا كان اعتماده على الله تعالى لاعلى القوت المدّخر و بالجملة التمسّك بالأسباب مع الاعتماد على الله لاعليها لاينافيه ،وثانيها الثقة بالله و بكفالته مع احتراق حجاب الأسباب والمسبّبات عنده ولكن لم يعوّد نفسه بالصبر على الجوع والعطش اُسبوعاً أو أكثر أو أقلّ ولاراض نفسه على أكل غير المأنوس من الأطعمة و الأشربة و الأثر المترتّب عليه لأنّه لايجوز له ترك الاكتساب ولا الخروج من المعمورة والسكون في البادية ولا السفر بلازاد ولاماء لأنّ إلقاء النفس إلى التهلكة لايجوز عقلاً و نقلاً والمقام في المعمورة مظنّة إتيان الرّزق ، وثالثها مثل الثاني إلّا أنّه عوّد نفسه على ماذكر ، والأثر المترتّب عليه أنّه يجوز له ترك الاكتساب والسكون في البادية والسفر بلازاد ولاماء في مدّة يعلم أنّه يتحمّل الرّياضة ولايجوز لهولا الثاني ترك الأسباب الضروريّة كمدّ اليد للطعام و ابتلاعه ولا انقطاعهما في شعب لاماء فيه ولا كلاء ولا إقامتهما في مسيل ماء أو تحت جدار مائل ولاعدم دفاعهما عنهما سبعاً ولو قالا في جميع ذلك : توكّلنا فهما جاهلان في معنى التوكّل و في اعتقادهما أنّ الأسباب الضروريّة تنافيه ، وكان بعض المتوكّلين لايفارق الإبرة والمقراض والركوة والحبل لملاحظة أنّه قد ينخرق ثوبه وقد لايوجد الماء بوجه الأرض ثمّ إنّهما إن تفارغا للعبادة ولم يطمعا ما في أيدي النّاس و لم يتشوّش بالهما في العبادة و راضا نفسهما على الجوع و صبرا صبراً جميلاً في كلّ حال يأتيهما الرزق لامحالة لأنّ أصل وجودهما يجلب الرّزق و غيره من ضروريّات الوجود، وقد قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : لو سدّ على رجل باب بيته و ترك فيه فمن أين كان يأتيه رزقه فقال عليه السلام : من حيث يأتيه أجله ، و هذا التوكّل ، و ترك الكسب إنّما هو للمنفرد ، وأمّا المعيل فالمناسب له هو القسم الأوّل لأنّه ليس له أن يكلّف عياله بالصبر على الجوع وقد رجّح جماعة القسم الاوّل على بواقي الاقسام مطلقاً لما مرّ و لغيره من الأخبار الواردة في الحثّ على طلب المعيشة ويمكن أن

يقال : إنّ ذلك باعتبار أنّ القسم الأوّل أسهل والاخيرين في غاية الصعوبة وهم عليهم السلام حكماء يحملون الناس على مالا يصعب عليهم كثيراً . وأمّا ضدّ التوكّل فالمشهور في السنة العلماء المضبوط في النسخ المعتبرة هو الحرص بالصاد المهملة و قال سيد الحكماء الالهيّين هو الحرض بالحاء المهملة أوّلاً والضاد المعجمة أخيراً والرّاء في الوسط و بالتحريك و أمّا الحرص بالصاد المهملة فتصحيف لأنّه ضدّ القناعة كما سيجيىء فلو جعل ضدّ التوكّل أيضاً لزم أن يكون جند الجهل أقلّ من ثلاثة و سبعين و على خلاف عدد جند العقل و أنّه باطل لأنّه خلاف قول الامام عليه السلام بل هو وهم فاسد في نفسه لأنّه ضدّ القناعة في نفس الأمر لاضدّ التوكّل لأنّ ضدّ التوكّل هو الهمّ بالشيء والحزن له والوجد عليه وصرف الفكر في التوسّل إليه والتبالغ في تحصيل البغية وتهييج الأسباب المؤدّية إليها وتحريكها و تحريشها و تحريبها والغم في إبطاء نيلها وبطوء نجاحها و ذلك كلّه معنى الحرض بالضادّ المعجمة و هو والحرب بمعنى ، هذا محصّل كلامه و يمكن دفعه بأنّ الحرص بالصاد المهملة حالة نفسانيّة تنشأ من الجهل بالأمور المذكورة المعتبرة في تحقّق التوكّل أومن ضعف القلب لاستيلاء مرض الوهم عليه فإنّ الوهم كثيراً ما يعارض اليقين كمن تراه لايبيت وحده مع ميّت و هو يبيت مع جماد مع علمه بأنّ الميّت أيضاً جماد و تبعث تلك الحالة على السّعي التامّ في الاكتساب و شدّة الاهتمام بجميع الاسباب و صرف العمر والفكر في جمع المال في جميع الأوان كما هو دأب أهل العصر و شأن أبناء الزّمان ولاشبهة في أنّ ذلك لقوّة الاعتماد على الكسب والطلب و عدم الاعتماد على الله سبحانه ، فالحرص متضمّن لأمرين أحدهما المبالغة في الاكتساب والثاني عدم الاعتماد والوثوق بالله سبحانه ، فباعتبار الأمر الأوّل جعل ضداً للقنوع و باعتبار الأمر الثاني جعل ضداً للتوكّل فلا يكون جند الجهل أقلّ من جند العقل إذ الحرص في الموضعين ليس بمعنى واحد ولا يلزم خلاف قول الامام عليه السلام ، ولا يرد أنّه ليس ضدّ التوكّل في نفس الأمر .

(والرّأفة وضدّها القسوة) قال المازري القسوة ضدّ اللّين ؛ والغلظة ضدّ الرأفة وكأنّه غفل عن معنى القسوة. قال الجوهري : قسى قلبه قسوة وقساوة وقساء بالفتح والمدّ وهو غلظة القلب وشدّته ، والرأفة حالة نورانيّة للقلب داعية إلى الخير وحسن الخلق ورقّة الوجه وطهارة اللّسان وكثرة الحياء والتلطّف بالخلق والاجتناب عن المناهي ، وضدّها حالة ظلمانيّة له داعية إلى الشرّ وسوء الخلق وغلظة الوجه وخباثة اللّسان وقلّة الحياء وايذاء الخلق وركوب المحارم وكشف الأستار والوثوب على النّاس في الخصومات ، وكلّ واحدة منهما إمّا طبيعيّة وإمّا كسبيّة تحصل الأولى بممارسة العلوم والأعمال الصالحة ، والثانية بمزاولة الجهل والأعمال القبيحة والمراد هنا هو القسم الثاني.

(والرّحمة وضدّها الغضب) الرّحمة حالة للقلب يثمرها العلم بقباحة الطغيان وشناعة العدوان وسوء عاقبتهما وثمرتها الشفقة على الخلق والتلطّف بهم والترحّم عليهم والفرق بينها وبين الرأفة كالفرق بين المسبّب والسبب فانّ الرأفة لينة القلب الموجبة لميله إلى التلطّف والشفقة والرّحمة نفس هذا الميل وقد خفي هذا الفرق على بعضهم فحكم بأنّ هاتين الفقرتين متّحدتان في المعنى ولم يدر أنّ الرأفة ليست نفس الرّحمة والقسوة ليست نفس الغضب وأنّ الاولى منهما بمنزلة السبب للثاني وأنّ الاصل عدم التكرار عند الجمع بينهما مثل « إنّ الله لرؤفٌ رحيمٌ » وإطلاقهما على الله سبحانه باعتبار الآثار وهي ألطافه وإحسانه تعالى بمن أطاعه وإنكاره على من عصاه وسخطه عليه وإعراضه عنه ومعاقبته له ، والغضب من المخلوقين قد يكون ممدوحاً ، وقد يكون مذموماً ، فالمحمود ما كان في جانب الدّين والحقّ ، والمذموم ما كان في خلافه ، وهذا هو المراد هنا وهو أيضاً حالة للقلب يثمر الجهل بما ذكر وتسويل النفس الامّارة والافراط في المؤاخذة وتزيينه ، وثمرتها الطغيان على الخلق باليد واللسان والتعدّي عليهم بالظلم والعدوان ومن علاماته أحمرار الوجه والعين وانتفاخ العروق وسرّ ذلك أنّ القوّة الغضبيّة إذا تحرّك نحو الانتقام واشتعلت نارها في الباطن يغلي به دم القلب كغلي الحميم

فينبعث منه الدّخان و يرتفع إلى أعالي البدن كما يرتفع في القدر و يصبّ في الوجه والعين والعروق فيحمر الوجه والعين و ينتفخ العروق ، و يختل الدّماغ الّذي هو معدن الفكر في المحسوسات و ينطفي نور عقله كما ينطفي ضوء السراج في البيت باستيلاء الدّخان عليه ، فيظلم بصره و بصيرته بحيث لا يرى شيئاً ويسوّد عليه الدّنيا و ما فيها ولا يميّز بين الحقّ والباطل والحسن والقبح ، ولا يؤثر فيه وعظ و نصيحة ، بل قد يبلغ إلى حدّ يحرق جميع ما يقبل الاحتراق ويفني الرّطوبة الّتي بها بقاء الحياة فيموت صاحبه غيظاً و هذه الخصلة من أعظم الخصال الذّميمة ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واحذر الغضب فانّه جند عظيم من جنود إبليس(١)» وقال الباقر عليه السلام «إنّ الرّجل ليغضب فما يرضى أبداً حتّى يدخل النار ، فأيّما رجل غضب على قوم و هو قائم فليجلس من فوره ذلك فانّه سيذهب عنه رجز الشيطان، وأيّما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسّه فان الرّحم إذا مسّت سكنت(٢)» و قال الصادق عليه السلام: «الغضب مفتاح كلّ شرّ».(٣)

(والعلم و ضدّه الجهل) هما وصفان متقابلان و نعمتان متضادّان للعقل و الجهل اللّذين كلامنا في جنودهما لانّك قد عرفت أنّ المراد بالعقل امّا القوّة العاقلة أو النفس من حيث استعدادها لسلوك طريق الحقّ و كلّ واحدة منهما مبدء للعلوم، و بالجهل إمّا القوّة الجاهلة أو النفس من حيث استعدادها لسلوك طريق الباطل و كلّ واحدة منهما مبدء للجهل المقابل للعلم أعني عدمه ثمّ للعلم مراتب: الأوّل الاعتبار فاعتبروا يا أولي الأبصار و إليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «ومن اعتبر أبصر» الثاني التجلّي والانكشاف التام، الثالث الادراك مطلقاً، الرابع الادراك المطابق لما في نفس الأمر، كالاعتقاد بالمعارف الالهيّة والأحكام الشرعيّة و هذا القسم قد يجب على الجميع وقد يختلف باختلاف الأشخاص فالّذي يجب على

---

(١) النهج في ابواب كتبه ورسائله تحت رقم ٦٩ في آخر كتاب له «ع» الى الحارث الهمداني رضي الله عنه .

(٢) و (٣) الكافي كتاب الايمان والكفر باب الغضب تحت رقم ٢ و ٣.

الجميع هو العلم بأنّ الله تعالى واحدٌ حيٌّ قديمٌ أزليٌّ إلى غير ذلك من اُصول العقائد والعلم بالصلاة والصوم والوضوء والغسل و شرايطها و مفاسدها إلى غير ذلك ممّا يشترك فيه جميع المتكلّفين والّذي يجب على البعض هو العلم بأحكام الحجّ و الزكوة للغني والعلم بأحكام العقود للتاجر، و كذا كلّ من عمل عملاً وجب عليه العلم بذلك العمل والعلم من حيث أنّه علم و متعلّق بالحقّ طريق واحدٌ والجهل المقابل له طرق متعدّدة وإذا وقعت المحاربة بين العقل والجهل في ساحة القلوب و استظهر الجهل بهذا الجهل الّذي من جنوده استظهر العقل بالعلم فيغلبه و يهزمه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين.

(والفهم، ضدّه الحمق) الفهم هنا بمعنى العقل كما قيل . أو صفة فاضلة للذهن وهي ملكة الانتقال من الملزومات إلى اللوازم بحيث لا يحتاج في ذلك إلى فضل مكث و تأمّل كذا عرّفه المحقّق الطوسي وعدّه نوعاً من الفضائل مندرجاً تحت جنس الحكمة و إنّما قلنا هنا لأنّ الفهم فيما سيأتي من قوله عليه السلام «والفهم وضدّه الغباوة» بمعنى الفطنة وهي شدّة الحدس وجودة الذهن وقوته المعدّة لاكتساب العلوم أو بمعنى الذكاء و هو نوع آخر من جنس الحكمة فوق النوع المذكور و عرّفه المحقّق بأنّه ملكة حاصلة من كثرة مزاولة المقدمات المنتجة وممارستها موجبة لسرعة انتاج القضايا و سهولة استخراج النتايج على سبيل البرق الخاطف و منهم من لم يفرق بين الفهمين، ظنّ أنّهما بمعنى واحد فحكم بأنّ إحدى الفقرتين كانت بدلاً عن الأخرى فجمع بينهما النّاسخ غافلاً عن البدليّة و منهم من جوّز أن يكون الفهم هنا بالقاف دفعاً للتكرار من قهم بالقاف كفرح قلّ شهوته للطعام و أقهم في الشيء أغمض، و عنه كرهه، و عن الطعام لم يشته . وهذا الأخير نقله سيد الحكماء عن بعض ولم يصرّح باسم القائل ثمّ قال: هذا أعجوبة التعاجيب فأين أنتم يا معشر المتعجّبين. وإذا عرفت الفهم فقد عرفت الحمق بالمقابلة فهو إمّا ضدّ العقل على ما قيل أو بطؤ الانتقال من الملزومات إلى اللوازم و يسمّى ذلك بالبلادة المفرطة و هو نوع من جنس رذيلة الجهل المقابلة لفضيلة الحكمة و منشأ ذلك

نقصان الذّهن(١) و كسادة من انحمق الثوب إذا بلى وانحمقت السوق إذا كسدت وانحمق القمر إذا زال نوره وقد عدّ الحمق اعظم الفقر و أكبره لكونه اشدّ بلاء و أكثر ابتلاء من الفقر المعروف بين الناس إذ الأحمق يفقد الدّين و الكمال الّذي هو اشرف من المال والدّليل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: وأكبر الفقر هو الحمق و يعلم منه بحكم المقابلة إنّ أعظم الغنى الفهم ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله ذو الفضل العظيم.

(والعفّة وضدّها الهتك) امّا كان بقاء النوع و الشخص مفتقراً إلى التناكح والتناسل وتناول الغذاء والتلذّذ بالمآكل والمشارب لأنّ الحرارة الغريبة الخارجة والغريزيّة الداخلة أعدى عدوّ للرطوبة الغريزيّة التي في طينة الانسان فلا تزال تلك الحرارة تحلل الرّطوبة و تجفّفها وتبخّرها و تفنيها فلو لم يتصّل بالرّطوبة مدد من الغذاء جبر ألما يتحلّل لفسد المزاج و بطل التركيب في أسرع زمان، خلق الله سبحانه بمقتضى الحكمة البالغة قوّة شهوية هي مبدء الشوق إلى طلب الغذاء والالتذاذ بالمآكل و المشارب والمناكح ، والناس في تلك القوّة على ثلاث درجات لأنّ تلك القوّة كما بيّنا آنفاً إن تحركت بالاعتدال واستقرت في الوسط مثل المركز بأن لا تتعدّى عمّا أذن له العقل والشرع من الأغذية والأشربة والأنكحة وغيرها بل طاوعته فيما عدّاه (٢) حظاً و نصيباً لها و اقتصرت عليه و تركت هواها حصلت فضيلة العفة و هي جندٌ عظيمٌ من جنود العقل منقادة لحكمه تابعة لأمره و نهيه ، وإن تحرّكت

---

(١) نقصان الذهن اذا كان فطرة لا يعاب صاحبه عليه اذ ليس اختياريا فلابد ان يحمل الحمق هنا على التحامق الاختيارى وعدم التوجه والنظر والتفهم والدقة كما ذم الله تعالى قوماً بالغفلة فى قوله «يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون» وقال تعالى «لهم قلوب لا يفقهون بها» ويمكن ان يتكلف ويقال ليس المراد هنا الذم الذى يستتبع العتاب والعذاب بل التنقيص مطلقا كما يفهم من قوله «فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث» فان الذم بالنسبة الى الكلب لا يستلزم عقابا كما يستلزم بالنسبة الى المشبه به. (ش)

(٢) ضمير التثنية للعقل والشرع (ش).

نحو الافراط و جاوزت عن حكم العقل و الشرع ، و ارتكبت من الملذات مالم يأذنا لها حصلت رذيلة الهتك و خرق الأستار و هي مسمّاة بالشره و الفجور أيضاً و معدودة من جند الجهل لانقياد حكمه و اتّباع أمره و نهيه و خروجه على سلطان العقل ، و إن تحركت نحو التفريط و آثرت ترك طلب اللّذات الضروريّة الّتي أذن لها العقل والشرع و اختارت البليّة والمشقّة الّتي تورث الهلاك حصلت رذيلة خمود الشهوة وهي أيضاً من أضداد العفّة و إنّما اقتصر على الهتك الّذي هو في طرف الإفراط لأنّ رذالته أشهر وضدّيّته أظهر .

(والزهد و ضدّه الرّغبة) الزهد جعل القلب حيّاً بمشاهدة أحوال الآخرة و عدم الغفلة عنها و ميتاً عن طمع الدّنيا و زخارفها ، و بعبارة اُخرى هو إعراض النفس عن الدّنيا و زهراتها و قطع الالتفات إلى ما سوى الله تعالى و بعبارة أقصر هو حذف موانع الالتفات إليه سبحانه ولا يتحقّق ذلك إلّا بحذف الموانع الدّاخلة النفسيّة عن النفس مثل محبّة غير الله تعالى والميل إلى ماسواه و حذف الموانع الخارجة مثل متاع الدّنيا و زهراتها و إليه يشير قول بعض الأكابر الزّهد ثلاثة أحرف زاء و هاء و دال فالزاي ترك الزّينة ، والهاء ترك الهواى ، والدال ترك الدّنيا ، و ممّا يبعث على سلوك هذه الطريقة هو تلاوة القرآن الكريم والتدبّر في آياته فإنّها تثمر محبّة الحقّ والتوجّه إلى الآخرة و تغسل عن لوح القلب درن الوساوس و خبث الرّذايل و رين الميل إلى الدّنيا ، ثمّ مطالعة أحوال الماضين و رفضهم ما كانوا عليه من الدّنيا و زخارفها و انقطاع أيديهم عنها و استقرارهم في القبور ، ثمّ التأمّل في أحوال الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام مع كمال تمكّنهم من الاستمتاع من الدّنيا و تركهم لها طوعاً و رغبة في ثواب الله و مقام القرب منه و ذلك دليل على ذمّ الدّنيا و عيبها و كثرة مساويها « فانظر إلى حال كليم الله موسى بن عمران عليه السلام (١) إذ يقول : « ربّ إنّي لما

(١) مأخوذ من النهج خ ١٥٨ اولها « أمره قضاء » والدنيا المذمومة هي أن يكون الغاية و الغرض والشيء المطلوب لذاته فانه اصل كل خطيئة و رأس كل معصية فان الانسان ☼

أنزلت إليّ من خير فقير، وما سأله إلّا خبزاً يأكله لأنّه كان يأكل بقلة الأرض حتّى كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه (١)، وإلى حال داود عليه السلام فإنّه كان يعمل سفايف الخوص بيده ويقول لجلسائه أيّكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها، وإلى حال عيسى ابن مريم عليه السلام فإنّه كان يتوسّد الحجر ويلبس الخشن وكان إدامه الجوع، وسراجه باللّيل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذلّه، دابّته رجلاه، وخادمه يداه. وإلى حال نبيّك الأطيب الأطهر صلّى الله عليه وآله فيه اُسوة لمن تأسّى وعزاء لمن تعزّى وأحبّ الأعمال إلى الله تعالى التأسّي به والاقتفاء لأثره فإنّه قضم الدّنيا قضماً ولم يعرها طرفاً (٢) وأهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخمصهم بطناً، وعرضت عليه الدّنيا وخزاينها فأبى أن يقبلها، وقد كان صلّى الله عليه وآله يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقّع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بعض زوجاته ويكون فيه التصاوير فيقول: لها غيّبيه عنّي فإنّي

☆ لا يرتكب معصية من المعاصي من أكبر كبائرها كالظلم والقتل الى أصغر صغائرها الالان الدنيا مطلوبة عنده لذاته ولو عقل أن في الوجود عالماً آخر روحانياً باقياً ببقاء الله وأن الانسان من ذلك العالم ويرجع اليه البتة وأن اللذة فيه اضعاف أضعاف اللذات التي يحصل له ههنا وأن الالام هناك أضعاف أشد الالام كالنار الدنيوية لم ينظر الى الدنيا وزخارفها ولم يلتفت الى لذاتها ولا يأسف على فوات شيء منها ولا يرتكب معصية توجب لذة عاجلة فانية وآلاماً آجلة باقية (ش).

(١) شف الثوب اى رق. والصفاق الجلد الاسفل تحت الجلد الذى عليه الشعر، وقيل جلد البطن كله.

(٢) الطرف نظر العين اى لم يعطها نظرة على وجه العارية فكيف بان يجعلها مطمح نظره. والهضم محركة انضمام الجنبين وخمص البطن. وطوى عنه كشحاً أي أعرض عنه وقاطعه. والكشح: ما بين الخاصرة الى الضلع.

إذا نظرت إليه ذكرت الدّنيا و زخارفها فأعرض عن الدّنيا بقلبه ، وأمات ذكرها من نفسه وأحبّ أن تغيّب زينتها عن عينه لكي لايتّخذ منها رياشاً وتجمّلا (١) ولايعتقدها قراراً ولايرجو فيها مقاماً ، فأخرجها عن النفس ، و أشخصها عن القلب و غيّبها عن البصر و كذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه و أن يذكر عنده، وقد كان فيه صلّى الله عليه وآله ما يدلّك على مساوي الدّنيا و عيوبها إذجاع فيها مع خاصّته و زويت عنها زخارفها مع عظيم زلفته، فانظر بنور عقلك أكرمه الله تعالى بذلك أم أهانه، فان قلت : أهانه فقد كذبت وأتيت بالافك العظيم ، و إن قلت : أكرمه فاعلم أنّه تعالى قد أهان غيره حيث بسط الدّنيا له و زواها عن أقرب النّاس منه. و إلى حال وصى نبيّك أمير المؤمنين عليه السلام فانّه قال : رقّعت مدرعتي هذه حتّى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل : ألا تنبذها ؛ فقلت : أعزب عنّي فعند الصباح يحمد القوم السرى . قوله عليه السلام : « فعند الصباح ـ إلى آخره ـ » مثل يضرب محتمل المشقّة ليصل إلى الرّاحة وأصله أنّ القوم يسيرون باللّيل فيحمدون عاقبة ذلك لقرب المنزل إذا أصبحوا و مطابقة الصباح لمفارقة النفس البدن أو لاعراضها وأتّصالها بالعالم الأعلى بسبب تلك الرّياضة الكاملة و الزّهد عن الدّنيا و إشراق أنوار العالم العلوي عليها الّتي عندها يحمد عواقب الصبر على مكاره الدّنيا وترك لذّاتها و معاناة الزهد عنها مطابقة ظاهرة واقعة موقعها ، وقد روي أنّه سئل عليه السلام لم رقّعت قميصك ؟ فقال : يخشع لها القلب و يقتدي بي المؤمنون (٢)» و ممّا نقل في زهده عليه السلام ماروواه أحمد في مسنده (٣) عن أبي الثور بالكوفة قال : جاءني عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى السوق و معه غلام له و هو خليفة فاشترى منّي قميصين وقال لغلامه اختر أيّهما شئت فأخذ عليّ عليه السلام الآخر ثمّ لبسه و مدّ يده فوجد كمّه فاضلاً

---

(١) الرياش اللباس الفاخر.

(٢) النهج أبواب الحكم تحت رقم ١٠٣.

(٣) ما عثرت عليه في المسند لعله رواه في الفضائل ورواه أبونعيم في الحلية و نقل عنه علي بن عيسى الاربلي في كشف الغمة أبواب زهده وورعه (ع).

فقال أقطع الفاضل فقطعته ثمّ كفّه وذهب. وقريب من هذا موجود في روايات أصحابنا رضوان الله عليهم فتأسّ بهم و اقتف أثرهم و لج مولجهم لتأمن من الهلكة فانّ الله سبحانه جعلهم أعلاماً للعباد و اطلعهم على قبايح الدّنيا و أحوال الآخرة. فاذا علمت معنى الزّهد فقس عليه الرّغبة الّتي ضدّه وهي الرّكون إلى الدّنيا والميل إلى أسبابها المانعة من خلوص ذكر الله و مشاهدة أحوال الآخرة، و قال بعض العارفين الرّغبة في الدّنيا تجرّ إلى مساوي الأخلاق و ارتكاب المنكرات الحاجبة للمروءات إذ الغريق في بحر الدّنيا قلّما ينفكّ عن الكبر والفخر والخيلاء والظلم و سوء الخلق و استصغار النعم و كفرانها إلى غير ذلك من الصفات الرّذيلة المهلكة، و لو فرض خلوّه عن جميع تلك الصفات و اتّصافه بجميع الصفات الحميدة كما يفرض المحال و الممتنع لكان في غاية الخطر من مزلّة القدم في كلّ حركة و تصرف بخلاف أهل القشف الذّين اقتصروا من الدّنيا على مقدار الضرورة والله ولي التوفيق.

(والرفق و ضدّه الخرق) قال سيّد الحكماء: الخرق بالخاء المعجمة و القاف من حاشيتي الراء بالتحريك مصدر الأخرق وهو ضدّ الرّفق، و قد خرق يخرق خرقاً والاسم الخرق بالضم. أقول: هذا هو المستفاد من الصحاح حيث قال الخرق بالتحريك الدّهش من الخوف أو الحياء والخرق أيضاً مصدر الأخرق وهو ضدّ الرفق وقد خرق بالكسر يخرق خرقاً والاسم الخرق وأمّا المستفاد من المغرب حيث قال: الخرق بالضم خلاف الرّفق ورجل أخرق أي أحمق وامرأة خرقاء ومن النهاية الأثيريّة حيث قال: فيه يعني في الحديث الرّفق يمن والخرق شؤم الخرق بالضم الجهل والحمق وقد خرق يخرق خرقاً فهو أخرق والاسم الخرق بالضم أنّ ضدّ الرّفق هو الخرق بالضمّ. والمستفاد من القاموس جواز الأمرين أعني التحريك والضمّ فيه حيث قال: والخرق بالضمّ و بالتحريك ضدّ الرّفق و أن لا يحسن الرّجل العمل والتصرّف في الأمور. إذا عرفت هذا فنقول: الرفق اللّين والتلطّف والخرق العنف والعجلة والخشونة و ترك التلطّف، لأنّ هذه الأمور من آثار

الحمق والجهل ومن الرّفق رفق الرّجل بصديقه و عدوّه لأنّ ذلك يوجب ازدياد الصداقة و رفع العداوة و منه قوله رفقه لجلسائه بالمساواة بينهم في اللّحظة والنظرة والإشارة والتحيّة والتكلّم كيلا يورث العداوة بينهم و منه رفق الأمير برعيّته لأنّه أدخل لجلب قلوبهم و انقيادهم لحكمه و إطاعتهم لأمره و نهيه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لبعض عمّاله: «و اخفض للرّعيّة جناحك و ألن لهم جانبك (۱)» و في الخبر «انّ أفضل العباد عند الله منزلة يوم القيمة إمام عادل رفيق، و إنّ شرّ النّاس منزلة يوم القيمة إمام جائر خرق (۲)» و فيه «أنّ الرّفق لا يوضع في شيء إلّا زانه ولا نزع من شيء إلّا شانه (۳)» ثمّ الرّفق إنّما يكون من جنود العقل إذا علم أنّه أصلح و أصوب عن الخرق و إلّا فالرّفق حينئذ خرق كما قال أمير المؤمنين عليه السلام «إذا كان الرّفق خرقاً كان الخرق رفقاً (٤)» يعني إذا كان الرّفق في أمر غير نافع فعليك بالخرق و هو العنف والعجلة وإذا كان الخرق غير نافع فعليك بالرّفق، والمراد به الحثّ على استعمال كلّ واحد منهما في موضعه كما هو شأن العاقل الحكيم فإنّ الرّفق إذا استعمل في غير موضعه كان خرقاً والخرق إذا استعمل في غير موضعه كان رفقاً و قريب من هذا المعنى قوله عليه السلام «ربّما كان الداء دواء والدواء داء (٥)» وقوله عليه السلام «و ارفق ما كان الرفق أرفق (٦)» يعني أصلح و أصوب و اعتزم بالشدّة حين لا يغني عنك يعني إلّا

---

(۱) النهج أبواب الكتب من كتاب له «ع» الى محمد بن أبي بكر.

(۲) ما عثرت على لفظه نعم أخرج أحمد في مسنده ج۳ ص۲۲ و ۵۵ والترمذي في سننه ج٦ ص۷۰ من حديث أبي سعيد الخدري «ان احب الناس الى الله يوم القيامة و أدناهم منه مجلساً امام عادل و أبغض الناس الى الله وأبعدهم منه مجلساً امام جائر».

(۳) أخرجه مسلم في الصحيح ج۸ ص۲۲ من حديث عائشة عن النبي (ص).

(٤ و ٥) النهج من كتاب له (ع) الى ابنه الحسن (ع) تحت رقم ۳۱.

(٦) النهج أبواب الكتب والرسائل تحت رقم ٤٦.

الشدّة و قوله عليه السلام «ردّوا الحجر من حيث جاء فإنّ الشرّ لايدفعه إلاّ الشرّ»(١) فقد رخّص عليه السلام لمن أراده الغير بالضرب و الرمي و القتل أن يدافعه بمثل ذلك إذا علم أن لادفع إلاّ به فإنّ ذلك جائز حسن عقلاً و نقلاً فإن أدّي إلى هلاك الظالم فلاشيء على الدّافع إذا لم يتعدّ .

(والرّهبة و ضدّها الجرأة) الرّهبة وهي الخوف على ثلاثة أضرب خوف من الحقّ و خوف من الخلق و خوف من النفس كلّ ذلك من ثمرة الحكمة و العلم بالله و آياته و صفاته و مخاطرات النفس و تسويلاتها و محاسن اُمور الدّنيا والآخرة و مقابحها و مضار أخلاق الخلايق و منافعها أمّا الخوف من الحق فيورث القرب منه كما ورد في الخبر « إذا اقشعرّ جسد العبد من خشية الله تعالى تتحاتّ عنه ذنوبه كما يتحاتّ من الشجرة ورقها (٢)» و من البيّن أنّ ذلك يوجب القرب منه. و أمّا الخوف من الخلق فيورث البعد عنهم كما ورد في الخبر « خالط الناس تخبرهم و متى تخبرهم تقلهم » و من البيّن أن من يخاف لصّاً أو سبعاً يفرّ منه ، و أمّا الخوف من النفس فيورث تهذيبها لأنّ العبد إذا خاف منها يحارسها في جميع حركاتها و سكناتها فيدفع عنها سنان مكرها و سيف مخادعتها ، و ذلك يوجب تهذيب الظاهر و الباطن ، و من ثمّ قال بعض أهل العرفان : الخوف نار تحرق الوساوس والهواجس في القلب والظاهر المتبادر هنا هو الخوف من الله تعالى وهو قد يكون لاُمور مكروهة لذاتها وقد يكون لامور مكروهة لإدّائها إلى ما هو مكروه لذاته ، والثاني له أقسام كثيرة كخوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة أو خوف عدم قبولها، أو خوف الانحراف عن الفضل في عبادة الله تعالى أو خوف ابتلاء القوّة الغضبيّة أو القوّة الشهويّة بحسب مجرى العادة في ارتكاب الانتقام واستعمال الشهوات المألوفة أو خوف سوء الخاتمة أو خوف الشقاوة في العلم الأزلي وأعلى هذه الأقسام بحسب الرّتبة عند

(١) النهج أبواب الحكم والمواعظ تحت رقم ٣١٤ .

(٢) أخرجه الطبراني من حديث العباس بن عبدالمطلب بسند ضعيف كما في الجامع الصغير .

الخائفين خوف الخاتمة فانّ الأمر فيها خطير بل أعلاها و أدلّها على كمال المعرفة خوف الشقاوة السابقة في العلم الأزلي لكون الخاتمة تابعة لها و مظهرة لما سبق في اللّوح المحفوظ وقد مثل من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين وقّع لهما ملك بتوقيع يحتمل أن يكون لهما فيه عناء أوهلاك فيتعلّق قلب أحدهما بحال نشر التوقيع و ما يظهر فيه من خير أوشرّ و يتعلّق قلب الآخر بما حضر للملك حال التوقيع و ما ظهر له من رحمة أو غضب و هذا التفات إلى السّبب فكان أولى و أعلى فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلي الّذي جرى بتوقيعه القلم الأزلي في اللّوح المحفوظ أعلى من الالتفات إلى الأبد و إليه يشير ما في الحديث «السعيد سعيد في بطن اُمّه والشقي شقيّ في بطن اُمّه (١)» و من طرق العامّة «السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله (٢) و كذا للاوّل أقسام كثيرة كالخوف من سكرات الموت و شدايده أو من سؤال منكر و نكير أومن عذاب القبر أومن أهوال الموقف بين يدي الله عزّ وجلّ أو من كشف الستر أو من السؤال عن النقير والقطمير أو من الصراط وحدّته و كيفيّة العبور عليه أو من النار وأغلالها و سلاسلها أو من حرمان الجنّة أو من نقصان الدرجات فيها أو من الحجاب من الله سبحانه ، و كلّ هذه الأمور مكروهة لذاتها و يختلف حال السالكين إلى الله فيها و أعلاها رتبة هو الأخير أعني خوف الفراق والحجاب و هو خوف العارفين الناظرين لأنوار عظمته وجلاله ، الغائصين في بحار لطفه وفضله و كماله ، الذين أضاءت ساحة قلوبهم بمصباح الهداية الربّانيّة وأشرقت مرآة ضمائرهم بأنوار المعارف الالهيّة كما قال الله سبحانه «إنّما يخشى الله من عباده العلماؤا» وأمّا ما قبله فهو خوف العابدين والصالحين والزاهدين ومن لم يكمل معرفته بعد وإذا عرفت الخوف ودرجاته فقس عليه ضدّه وهو الجرأة ودرجاتها لأنّ ضدّ كلّ درجة من الخوف درجة من الجرأة

---

(١) رواه الصدوق في كتاب التوحيد .

(٢) ويجب ان يكون ذلك بحيث لايوجب الجبر فان ذلك يوجب اليأس واليأس يجرىء على المعصية (ش) والخبر رواه الطبراني في مسنده الصغير بسند صحيح عن ابي هريرة .

والأوّل من أعوان العقل وجنوده، والثاني من أعوان الجهل وجنوده فاذا وقع المطاردة بينهما في ساحة القلوب وميدان الأبدان واستظهر الجهل بالجرأة استظهر العقل بالخوف فيغلبه و يهزمه باذن الله تعالى ألا إنّ حزب الله هم الغالبون . لايقال : المعروف في مقابل الرّهبة اعني الخوف هو الرّجاء دون الجرأة لأنّ الرّجاء ليس ضدّاً حقيقياً للخوف ولا الخوف ضدّاً حقيقياً للرّجاء لأنّهما قد يجتمعان في قلب المؤمن بل افتراق أحدهما عن الآخر مذمومٌ و اجتماعهما ممدوح كما يدلّ عليه قوله تعالى في وصف العابدين «ويدعوننا رغباً و رهباً» و إنّما الضدّ الحقيقي للرهبة هو الجرأة والضدّ الحقيقي للرّجاء هو القنوط كما مرّ لعدم إمكان اجتماعهما في قلب واحد .

(والتواضع وضدّه الكبر) من أعاظم جنود العقل ومكارم الأخلاق الانسانيّة و محاسن الأوصاف النفسانيّة الّتي يرتقي بها الانسان إلى أعلى مدارج القرب والكمال ويصعد إلى أقصى معارج العزّ والجلال التواضع لله و لعباده المؤمنين كما أنّ من أفاخم جنود الجهل و مساوي الأخلاق و مذامّ الأوصاف الّتي يبعد بها الانسان عن قرب ربّ العالمين ولا ينتهي قهقراه إلاّ إلى أسفل السّافلين التكبّر على الله وعلى عباده المسلمين و لكلّ واحد من المتواضع والمتكبّر تعزّز وتذلّل والتعزّز للمتواضع من عندالله تعالى والتذلّل من عند نفسه، وللمتكبّر بالعكس. ولابدّ هنا من التكلّم أوّلاً في حقيقتهما و ثانياً فيما هو سببٌ لحصول تلك الحقيقة، وثالثاً فيما يلزمها ورابعاً في المدايح والمذامّ الواردة فيهما أمّا حقيقة التواضع فهي هيئة نفسانيّة تحصل من تصوُّر الإنسان نفسه أذلّ من غيره و أخسّ رتبة منه ، ثمّ الاذعان به إذعاناً جازماً لايشوبه شيء من الشكوك و الأوهام ، و أمّا أسبابه فهي معرفة عظمة الله و جلاله و كبريائه و قهره وغلبته على جميع الممكنات و معرفة نفسه و شدّة احتياجه و كمال افتقاره إليه في جميع الأحوال و يكفي في حصول تلك المعرفة التأمّل في قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثمّ خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا

المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، ثمّ انكم بعد ذلك لميّتون ثمّ إنّكم يوم القيمة تبعثون، و لقد خلقنا فوقكم سبع طرائق و ما كنا عن الخلق غافلين» فانّه إذا تفكّر فيه علم أنّه كان في الأصل عدماً صرفاً ولم يكن له في الوجود خبرٌ ولا في العين أثر و لم يكن شيئاً مذكوراً، ثمّ خلقه الله سبحانه من أكثف الأشياء و هو التراب ثمّ من أخبثها و هو النطفة كما كان في الكتاب مسطوراً، ثمّ بدّله من حال إلى حال، و من طور إلى طور، و من نشأة إلى نشأة حتّى جعله ذا صورة محصّلة و قوّة ناطقة و روح باصرة و آلات سامعة و لامسة إلى غير ذلك ممّا له دخل في استكمال تلك الصورة ثمّ نقله من رحم الأمّ إلى رحم الدّنيا و ربّاه صغيراً و كبيراً وجعله سقيماً و صحيحاً وغنيّاً و فقيراً و قويّاً و ضعيفاً إلى غير ذلك من الأحوال المتبادلة و الصفات المتضادّة الّتي هي خارجة عن قدرة البشر، ثمّ يميته و يقبّره ويصيّره جيفة منتنة، يهرب منه الحيوان، و يتنفّر منه أوثق الاخوان، فتبلى أعضاؤه و تتفرّق أجزاؤه حتّى يصير تراباً كما كان أوّل أمره ثم إذا شاء أنشره فيقوم من مرقده ناظراً إلى أحوال موحشة و أرض مبدّلة و نجوم منكدرة و شمس منكسفة و جبال سايرة و كتب طايرة و صراط و ميزان و حساب و ملائكة غلاظ شداد إلى غير ذلك من أحوال القيمة و عقباتها وعقوباتها الّتي يطير من هو لها قلوب العارفين و إذا عرف هذه الأمور حق المعرفة علم أنّه لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً ولا موتاً ولاحيوة ولانشوراً و أنّه مضطرٌ ذليلٌ عبدٌ مملوكٌ لايقدر على شي. وأنّه متلبّس بالعجز والانكسار و متّصف بالمسكنة والافتقار و أنّه بعيد عن الاتّصاف بالبطر والكبرياء والفخر والخيلاء لعلمه بأنّ الكبرياء لايليق إلاّ بذاته تعالى لأنّ الكبرياء تابع لكمال الذّات و كمال صفاتها و أفعالها و جميع ذلك حاصل له تعالى أمّا الأوّل فلأنّ كمال الذّات عبارة عن كمال وجودها و وجوده تعالى أتمّ الوجودات و أشرفها لاقتضاء الذّات إيّاه و أمّا الثاني فلان جميع صفاته حاصلة له بالفعل بحيث لايكون له وصف منتظر أزلاً وأبداً، وأمّا الثالث فلأنّه يصدر عنه تعالى وجود

كلّ موجود عداه بلا مشقّة ولا حركة ولا آلة فإذن علم أنّ المستحقّ للعظمة والكبرياء ليس إلّا هو وهذا معنى التواضع وحقيقته وأمّا لوازمها فهي كثيرة جدّاً لأنّ تلك الحقيقة إذا انبعث من القلب و جرى في جداول الأعضاء والجوارح رشحاتها تنبت منها أنواع أشجار الفضائل منها العبادات القلبيّة والبدنيّة كالذّكر والصوم والصّلوة ونحوها و منها مجالسة الفقراء و محبّتهم و مؤاكلتهم و تقديمهم في الطرق والمجالس و منها لين القول و حسن المعاشرة والرّفق بذوي الحاجات ، و منها الشكر عند حدوث النعمة و دفع النقمة، و منها الابتداء بالسّلام وترك المراء .

و أمّا المدايح الواردة فيه فهي كثيرة في القرآن والسنة كقوله تعالى لسيد المرسلين و أشرف الأوّلين والآخرين: « و اخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين » و قوله تعالى: « تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لايريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » وقول النّبي ﷺ : « إنّ التواضع يزيد صاحبه رفعه فتواضعوا يرفعكم الله(١) » و أمّا حقيقة الكبر فهي هيئة نفسانيّة تنشأ من تصوّر الانسان نفسه أكمل من غيره وأعلى رتبة منه ، و تلك الهيئة تعود إلى ما يحصل للنفس من ذلك تصوّر ، من النفخ والهزّة والتعزّز والتعظّم والرّكون إلى ما يتصوّره من كمالها و شرفها على الغير و لذلك قال رسول الله ﷺ « أعوذ بك من نفخة الكبر (٢) » وهي رذيلة تحت الفجور تقابل التواضع و إن تصوّر الانسان فضيلته على الغير مع قطع النظر عن قياس نفسه إلى متكبّر عليه و عن إضافة تلك الفضيلة إلى الله تعالى باعتبار أنّها منه و لم يكن خايفاً من زوالها بل كان

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب التواضع تحت رقم ١ .

(٢) ما عثرت على أصل له الاعلى ما اخرجه ابن ماجه في كتاب (اقامة الصلاة باب الاستعاذة في الصلاة) رقم ٨٠٧ في حديث : « اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه و نفخه و نفثه » و قال عمرو : همزه الموتة ؛ و نفثه الشعر ، و نفخه الكبر ، انتهى ، والموتة نوع من الجنون والصرع يعتري الانسان ، فاذا أفاق عاد اليه كمال العقل كالسكران .

ساكناً إليها مطمئناً فذلك هو العجب فاذن العجب هيئة نفسانيّة تنشؤ عن تصوّر الانسان فضله و استقطاعه عن المنعم به والرّكون إليه والفرح به مع الغفلة عن قياس نفسه إلى الغير بكونه أفضل منه ، و بهذا القيد يمتاز عن الكبر إذ لابدّ في الكبر إن يرى الانسان لنفسه مرتبة و للغير مرتبة ثمّ يرى مرتبته فوق مرتبة غيره و إن تصوّر فضيلته على الغير و أضافها إلى الله سبحانه باعتبار أنّها منه فهو نوع من الحمد كما يدلّ عليه قوله تعالى « ولقد آتينا داود و سليمان علماً و قالا الحمد لله الّذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين » و أمّا أسباب الكبر فهي أضداد أسباب التواضع أعني عدم العلم بعظمة الله تعالى و جلاله و كبريائه و قهره على جميع الممكنات ، و عدم معرفة نفسه و شدّة احتياجه و افتقاره إليه سبحانه في جميع الأحوال ، و لست أعني بعدم العلم بهذه الأمور عدم تصوّرها و الغفلة عنها بالمرّة فانّ كثيراً من الجبابرة والمتكبّرين ينسبون أنفسهم إلى العلم بها ، بل أعني عدم استقراره وتمكّنه في قلوبهم و عدم لصوقه بها كعدم لصوق الماء بريش الأوزّ والبطّ . و أمّا لوازمه و آفاته و ثمراته من الأعمال و التروك فهي أيضاً كثيرة جدّاً فانّ هذا الخلق الأجاج اذا نبع في القلب وجرى في الأعضاء والجوارح ينبت منها أعمال رديّة و تروك مردية . أمّا الأعمال فمنها باطنة كتحقير الغير و ازدرائه و اعتقاد أنّه لايصلح للمجالسة والمجانسة والمؤانسة والمؤاكلة واعتقاد أنّه ينبغي أن يكون ماثلاً بين يديه أو ماشياً من خلفه إلى غير ذلك من العقائد الفاسدة الموجبة لاستخفاف الغير، ومنها ظاهرة كالتقدّم عليه في الطرق والارتفاع عليه في المجالس و إبعاده عن مجالسته وزجره عن مؤاكلته والعنف عن ردّ قوله والغلظة على المتعلّمين و ذوي الحاجات و إذلالهم و غيبتهم والتطاول عليهم في القول ، و أمّا التروك فكترك التواضع و ترك معاشرة الفقراء و ترك الرّفق بالنّاس ونحوها و أمّا المذامّ الواردة فيه فهي أيضاً كثيرة من القرآن والسنّة كقوله تعالى: «يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار » و قوله ﷺ «يقول الله عزّ وجلّ الكبرياء ردائي

والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في جهنم (١) » و قول الباقر والصادق عليهما السلام « لايدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة من كبر (٢)» قيل وإنّما صار الكبر حجاباً من دخول الجنّة لأنّه يحول بين العبد و الفضائل الّتي هي أبواب الجنّة إذ الكبر يغلق تلك الأبواب كلّها فلايقدر العبد و معه شيء من الكبر أن يحبّ للمؤمن ما يحبّ لنفسه ولايتمكّن من ترك الرّذايل الّتي توجب الدّخول في النّار و فعل أضدادها من الفضائل كالتواضع و كظم الغيظ و حبّ الفقراء والمساكين و حبّ معاشرتهم ومجالستهم و قبول الحقّ والرّفق و بالجملة ما من خلق ذميم إلاّ و صاحب العزّ والكبر مضطرّ إليه ليحفظ به عزّه و عظمته و ما من خلق فاضل إلاّ وهو عاجز عنه خوفاً عن أن يفوته عزّه وعظمته لأنّ الأخلاق الذّميمة علّة مسرية (٣) يستلزم بعضها بعضاً فلذلك لايدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة من كبر .

(والتؤدة و ضدّه التسرّع) التؤدة بضم التاء و فتح الهمزة و سكونها الرّزانة والتأني والتثبّت في الأمر وقد اتّأد فيه و يؤدّ أي يتأنّى و يتثبّت وهو افتعل و يفعل والتاء في اتّاد بدل من الواو والتؤدة صفة تابعة للسكون والحلم اللّذين هما من أنواع

---

(١) أخرجه ابن ماجة تحت رقم ٤١٧٤ ، و رواه صاحب الكافي كتاب الايمان والكفر تحت رقم ٣ و ٤ باختلاف في اللفظ من حديث ابي جعفر (ع) .

(٢) الكافي باب الكبر تحت رقم ٥ ، و رواه مسلم من حديث عبدالله بن مسعود ج ١ ص ٦٥ .

(٣) يعني علة سارية كالوباء أو مسرية لغيرها كالسل يستلزم الحمى ، فان قيل بعض أهل التكبر و طالبي الجاه والعزة يتكلفون فضائل ليحسن سمعتهم فيتواضعون و يبذلون الاموال و يرفقون بالناس و يتظاهرون بأكثر الفضائل كمموية . قلنا انما الاعمال بالنيات والذي يبذل المال لحفظ الجاه لايضع احسانه موضع الاحسان بل يبذل للشعراء والفساق حتى يمدحوهم بما ليس فيهم ولمن يروج امرهم و يصفهم في المجالس بالصفات الحسنة كالعلم والتقوى و يمنعون من لايتقرب اليهم و ان كانوا أحوج و احق و ليس هذا البذل من الفضائل المأمور بها في الشرع و كذلك التواضع و التحالم و غيرهما (ش).

الاعتدال في القوّة الغضبيّة فإنّ حصولها يتوقّف عليهما أمّا على السّكون فلأنّه عبارة عن ثقل النّفس و عدم خفّتها في الخصومات و أمّا على الحلم فلأنّه عبارة عن الطمأنينة الحاصلة للنفس باعتبار ثقلها وعدم خفّتها بحيث لايحرّكها الغضب بسرعة و سهولة و إذا حصلت للنفس هاتان الصفتان أمكن لها التثبت والتأنّي و عدم العجلة في البطش والضرب والشتم إلى غير ذلك من أنحاء المؤاخذة و ضدّ التؤدة التسرّع بالسين المهملة في النسخ الّتي رأيناها ، و قال سيد الحكماء ضدّها التترّع بتائين مثنّاتين من فوق و تشديد الرّاء قال في الصّحاح : تترّع إليه بالشرّ أي تسرّع و هو رجل ترع أي سريع إلى الشرّ والغضب انتهى والتسرّع يعني العجلة في الأُمور و عدم التأنّي في الأخذ من فروع التهوّر الّذي في جانب الإفراط من القوّة الغضبيّة ومنشؤه الجهل بحسن السياسة و خفّة النفس المقتضية لحركتها و اضطرابها بأدنى سبب.

(و الحلم و ضدّه السفه) الحلم هيئة حاصلة للنفس من اعتدال القوّة الغضبيّة المسمّاة بالنفس السبعيّة الّتي من شأنها الاقدام على الأهوال وشوق التسلّط والترفّع والغلبة على الأقران ، و اعتدال تلك القوّة إنّما يحصل بانقيادها للعقل فيما عدّه حظّاً و نصيباً لها ، و عدم تجاوزها عن حكمه ، و يعتبر في حصول تلك الهيئة عدم انفعال النفس عن الواردات المكروهة المؤذية هذا في حقّ الانسان و أمّا في حقّ الله سبحانه فالحلم عبارة عن عدم انفعاله عن مخالفة عبيده لأوامره و نواهيه و عدم استفزاز الغضب له عند مشاهدة المنكرات . و عدم حمل قدرته الكاملة له على المسارعة إلى الانتقام والفرق بينه تعالى و بين العبد في هذا الوصف إن سلب الانفعال عنه تعالى سلب مطلق و سلبه عن العبد سلب عمّا من شأنه أن يكون له ذلك الانفعال و يكون عدم الانفعال عنه تعالى أتمّ و أبلغ من عدمه عن العبد و بذلك الاعتبار يكون حلمه أعظم، ثمّ للحلم آثار غير محصورة منها كبر النفس و يعرف ذلك بتحملها للأُمور الغير الملايمة لها، و منها نجدتها و يعرف ذلك بعدم صدور حركات غير منظمة منها ، و منها علوّ همّتها و يعرف ذلك بعدم جزعها عند الأُمور الهائلة حتّى لايبالي من أهوال الموت و شدايده، ومنها سكونها

و يعرف ذلك بعدم طيشها في المؤاخذة ، ومنها تواضعها و يعرف ذلك بالتخشع و التذلل للغير و عدم إظهار مزيّتها عليه ، ومنها حميّتها و يعرف ذلك بعدم تهاونها في محافظة ما يجب حفظه شرعاً وعقلاً ، و منها رقّتها و يعرف ذلك بظهور تألّمها عند تألم أحد من المؤمنين و كذا له منافع غير معدودة في الدّنيا والآخرة أمّا في الآخرة فيكفي في الدّلالة ماروي «أنّ الرّجل ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم(١)» وأمّا في الدّنيا فيكفي قول أمير المؤمنين عليه السلام «الحلم عشيرة (٢)» يعني أنّ الرّجل كما يتمتّع بالعشيرة يتمتّع بالحلم و يتوقّر لأجله ، و من ثمّ قيل الحلم اكتساب المدح من الملوك والثناء من المملوك. والسفه الّذي ضدّه ، وطرف الافراط من القوّة المذكورة عبارة عن خفّة النفس و حركتها إلى مالا يليق من الأمور الّتي يقتضيها طغيان تلك القوّة مثل الضرب والقتل والشتم و البطش و الترفّع والتسلّط والغلبة والظلم و مفاسده كثيرة وقد يطلق السفه على الجهل و سخافة رأي و نقصان عقل منه قوله تعالى حكاية عن الكفّار «أنؤمن كما آمن السفهاء» وهذا المعنى ليس بمراد هنا لأنّه ضدّ العلم والحكمة التابعين لحركة القوّة الناطقة بالاعتدال في العلوم والمعارف.

(والصمت و ضدّه الهذر) صمت صمتاً و صموتاً و صماتاً أطال السكوت ، و منه الصامت خلاف الناطق. و هذر في نطقه يهذر هذراً والاسم الهذر بالتحريك و هو الهذيان ، والهذر من خواصّ الجاهلين وأفعال الناقصين كما أنّ الصمت عمّا يضرّ و مالا يهمّ من خصال المرسلين و آداب العاقلين و أخلاق الكاملين ومنافعه كثيرة جدّاً فانّه يورث القلب فكراً في المعارف العقليّة والنقليّة ويزيّنه بالحكمة النظريّة والعمليّة لأنّ الصمت دليل التفكّر و قائد الحكمة و يورث السلامة عن الآفات والمعاصي لأنّ آفات الكلام و معاصي اللّسان كثيرة ، فعن معاذ بن جبل قال : قلت : يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول؟ فقال : ثكلتك أمّك و هل يكبّ الناس

---

(١) رواه ابن حبان في كتاب الثواب . (٢) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٤١٨ .

على مناخرهم إلاّ حصايد ألسنتهم (١)» و يورث الهيبة لصاحبه فانّ من رآه يخيّل إليه أنّ له شأناً فيهيب منه ويوقّره بخلاف النطق بما لايعني فانّه يهين مكارم العاقل و يبدي مساوي الجاهل ويصغّرهما في أعين الناس كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : «بكثرة الصمت تكون الهيبة (٢)» وقال المرء مخبوء تحت لسانه(٣)» يعني أنّ الرّجل إذا تكلّم يظهر كونه فصيحاً أو معجماً ، عالماً أو جاهلاً ، خيراً أو شرّاً ، و إن لم ينطق كان جميع ذلك مستوراً عليه عند العامّة ثمّ الظاهر أنّ السّكوت عمّا يشعر بفساد الرأي و قبح العقائد من شعب الاعتدال في القوّة الفكريّة و عمّا يشعر بالهتك والترفّع والغلبة والذّم في أعراض الناس من شعب الاعتدال في القوّة الغضبيّة و عمّا يشعر بالميل إلى المستلذّات والمشتهيات من شعب الاعتدال في القوّة الشهويّة والهذر المقابل له من شعب الانحراف في هذه القوى.

(والاستسلام و ضدّه الاستكبار) الظاهر أنّ الاستسلام و هو الطاعة و الانقياد على سبيل المبالغة في متابعة الحقّ من فروع الحكمة الواقعة في حاقّ الوسط من القوّة الناطقة ، و يحتمل أن يكون من فروع العدالة الحاصلة من توسّط هذه القوّة والقوّة الغضبيّة والشهويّة جميعاً لأنّ الاستسلام كما يكون في مقتضى القوّة الناطقة كذلك يكون في مقتضى هاتين القوّتين، والاستكبار وهو التمرّد عن الحقّ وترك الطاعة والانقياد له من فروع الجهل المقابل للحكمة أو من فروع الجور المقابل للعدالة، والفرق بينه و بين الكبر أنّ الكبر كما ذكرناه هيئة نفسانية

---

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٩٧٣ في حديث طويل من حديث معاذ و قوله (ص) « يكب » من كبه ، اذا صرعه. « حصائد السنتهم » اى محصوداتهم ، على تشبيه ما يتكلم به الانسان بالزرع المحصود بالمنجل فكما ان المنجل يقطع من غير تمييز بين رطب و يابس وجيد و ردى كذلك المكثار فى الكلام بكل فن من الكلام من غير تمييز بين ما يحسن و ما يقبح .

(٢) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٢٢٤ .

(٣) النهج أبواب الحكم تحت رقم ١٤٧

ناشية من تصوّر الانسان نفسه أكمل و أشرف من غيره، والاستكبار عبارة عن إظهار تلك الهيئة فهو كبر مع زيادة كما يدلّ عليه زيادة البناء.

(والتسليم و ضدّه الشكّ) التسليم بذل الرضا بقبول قول الله تعالى و فعله و قول الرّسول و أوصيائه و أفعالهم عليهم السلام و تلقيها بالبشر و طلاقة الوجه وإن لم يكن موافقاً للطبع و لم يعلم وجه المصلحة و هو من فروع العدالة وعلامة الإيمان قال الصادق عليه السلام: لو أنّ قوماً عبدوا الله وحده لاشريك له و أقاموا الصلاة و آتوا الزّكوة و حجّوا البيت و صاموا شهر رمضان. ثمّ قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله ألاصنع خلاف الّذي صنع أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين (١) ثمّ تلا هذه الآية: «فلا و ربّك لايؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً (٢)» والشكّ هو عدم قبول ما ذكر و سمّاه شكّاً لانّه من آثار الشك في الله وصفاته و في الرسول و أوصيائه و أقوالهم و أفعالهم، و قيل: المراد بالتسليم هنا الإذعان و التصديق

---

(١) فان من يعتقد عصمة الرسول (ص) من الخطأ والغلط لايشك في صحة افعاله و اقواله ولا يرجح فعلاآخر على فعله ولا قولا على قوله و اما ان لم يعتقد عصمته عن الخطأ فلا يبعد ان يرجح فعل غيره على فعله، وانكار العصمة مساوق لانكار النبوة و انكار النبوة شعبة من الشرك. فان قيل فكيف عبدوا الله واقاموا الصلوة و آتوا الزكوة مع عدم اعتقادهم عصمة الرسول (ص) عن الخطأ فى فهم الوحى و تبليغه و الالتزام بان النبى لايخطى فى شىء و يخطى فى آخر بشيع فظيع قلنا بعض الناس لغلبة الاوهام على عقولهم يعتقدون شيئاً و ينكرون لوازمه بل ينكرون عين ذلك الشىء اذا اتى به بلفظ آخر كما قيل لبعض الخلفاء: يموت جميع اقربائك فساءه، فقيل عمرك اطول منهم فسره. و يقال لاهل الظاهر: سمع الله وبصره بمعنى علمه بالمبصرات والمسموعات كعلمه بالمذوقات والمشمومات فيقبلون و يستحسنون و ان قيل لهم لاعلم له تعالى بالجزئيات الا بوجه كلى فيستنكرون و كلاهما بمعنى واحد و كلاهما غير صحيح (ش).

(٤) الكافى كتاب الايمان والكفر باب الشرك تحت رقم ٦.

القلبي و فيه أنّ التسليم بهذا المعنى هو العلم وقد مرّ ذكره سابقاً وعلى ماذكرنا لاقصور فيه أصلاً لأنّ هنا ثلاثة أشياء مترتّبة الأوّل العلم بصدق قول الله و قول الرّسول ، الثاني ما ينشؤ من هذا العلم و هو الرضا بقولهما ، الثالث ماينشؤ من الرّضا وهو قبول قولهما .

(والصبر و ضدّه الجزع) الإنسان مادام في هذه النشأة كان مورداً للمصايب والآفات و محلاًّ للنوائب و العاهات و مكلّفاً بفعل الطاعات و ترك المنهيّات والمشتهيات و كلّ ذلك ثقيل على النفس بشع في مذاقها وهي تتنفّر منه نفاراً و تتباعد منه فراراً فلابدّ من أن يكون فيه قوّة ثابتة و ملكة راسخة بها يقدر على حبس النفس على هذه الأمور الشاقّة والوقوف معها بحسن الأدب وعدم الاعتراض على المقدّر بإظهار الشكوى و تلك القوّة أو ما يترتّب عليها أعني حبس النفس على تلك الأمور و مقاومتها لهواها هي المسمّاة بالصبر و هو نوع من أنواع العفّة و باب من أبواب الجنّة و مقام عال من مقامات السالك إلى الله تعالى ، و بناؤه على أربع قواعد الشوق والاشفاق والزّهد والترقّب للموت فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات وطيّب نفسه عن ترك جميع المشتهيات ، ومن أشفق من النار اجتنب المحرّمات ، و من زهد في الدّنيا استخفّ بالمصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات ، والآيات والرّوايات الواردة في مدحه كثيرة جدّاً و يكفي في معرفة علوّ قدره قوله تعالى «والله مع الصابرين » و قوله تعالى « إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب » والجزع و هو حمل النفس على الشكاية وفعل ما يدلّ على عدم رضاها بصنع الله تعالى و هو نقيض الصبر، وجند الجهل ومنشؤه عمى البصيرة و تكدّر السريرة فيتوهّم عند نزول البلاء أنّ الجزع والاضطراب ينفعه فيتمسّك بـه و يتمسّك العقل حينئذ بالصبر و يقع بينهما قتال و جدال و معركة هذا القتال قلب العبد و ساحته الجوارح ، و الله يؤيّد بنصـره من يشاء و هو على كلّ شيء قدير .

(والصفح و ضدّه الانتقام) صفح فلان عن فلان إذا أعرض عن ذنبه و عفى

عن عقوبته وحقيقته ولاه صفحة وجهه و هو من فروع الحلم و شعب الاعتدال في القوّة الغضبيّة و هو من صفات الأنبياء و الأوصياء و مناقب الحكماء و العقلاء و مفاخر العلماء والكرماء إذالحكيم يتغافل و يتدبّر والعاقل يتسامح و يتفكّر ؛ والكريم يغفر إذاقدر وقد وقع الترغيب فيه في مواضع عديدة من القرآن والسنّة قال الله تعالى: «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ المحسنين» و قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من كظم غيظاً و هو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً(١)» وفوائده غير محصورة منها أنّه يوجب زيادة الأنصار والأعوان ، و منها أنّه يوجب الذكر الجميل بين الإخوان والصيت الحسن في غابر الزّمان كما قيل:

فعفوك في الأيّام كالمسك فايح ☆ وصفحك في الإسلام كالنجم زاهر

والانتقام -وهو المعاقبة بالذّنوب والمآثم والمؤاخذة بالزّلل والجرائم- من فروع التهوّر و شعب الانحراف في القوّة المذكورة ومن خصايل الجهلاء و رذائل السفهاء ومنشؤه عدم سكون النفس وثباتها، فانّ تلك القوّة تحرّكها حينئذ بسهولة إلى الشغب و إرادة الانتقام و يحدث بحركتهما حرارة في القلب فيثور دمه ويغلي و ينتشر إلى الجوارح فتتحرّك هذه الجوارح بعضها إلى الشتم و بعضها إلى الضرب و بعضها إلى غير ذلك من أنحاء المؤاخذة ، و مضارّه غير معدودة لأنّه ينجرّ إلى استمرار العداوة و غلظتها و استيناف الخصومة و شدّتها ، وقد يؤدّي إلى الظلم و العدوان و يبعث على الجور والطغيان لتجاوزه عن القدر الجايز و لذلك كان الصفح أحسن من الانتقام هذا إذاعلم أنّ الصفح لايضرّه ولايؤدّي إلى جرأة الخصم و إلّا فالانتقام بالقدر الجائز أحسن و على هذا يحمل قول أمير المؤمنين عليه السلام «الشرّ يدفعه الشرّ (٢)» و قوله : ردّوا الحجر من حيث جاء»(٣).

(والغنى و ضدّه الفقر) في القاموس الغنى كإلى ضدّ الفقر وإذا فتح مدّ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عمر عنه (ص) و في الكافي كتاب الايمان الكفر باب كظم الغيظ من حديث أبي عبدالله الصادق(ع).

(٢) و (٣) تقدما سابقا .

والاسم الغنية بالضمّ والكسر والغنوة والغنيان مضمومتين، والغناء ككساء من الصوت ماطرّب به و كسماء رملٌ، و هذه الفقرة يحتمل وجوهاً الأوّل الغنى و الفقر الأخرويّان و هو الّذي أشار إليه ﷺ بقوله : « أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع ؟ فقال : إنّ المفلس من اُمّتي من يأتي يوم القيمة بصلوة و صيام و زكوة و يأتي قدشتم هذا و اكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، و ضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته . و هذا من حسناته : فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه اُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثمّ طرح في النّار (١)» و هذا حقيقة الفقر، والافلاس و أمّا من ليس له مال ومن قلّ ماله فالناس يسمّونه فقيراً و مفلساً و ليس هو حقيقة الفقير والمفلس لأنّ هذا امر يزول و ينقطع بموته و ربّما ينقطع بغنى و يسار يحصل له بعد ذلك في حيوته ، بخلاف ذلك الفقير المفلس فانّه يهلك بالهلاك الأبدي وأشار إليه سيّد الوصيّين بقوله: «الغنى والفقر بعد العرض على الله سبحانه(٢)» الثاني غنى القلب بالأخلاق وفقره بمدمها و هذا قريب من قوله عليه السلام :

ليس البليّة في أيّامنا عجباً إنّ السلامة فيها أعجب العجب
ليس الجمال بأثواب تزيّنها إنّ الجمال جمال العلم والأدب
ليس اليتيم الّذي قدمات والده إنّ اليتيم يتيم العقل و الحسب

الثالث اظهار الغنى مع كمال المسكنة و رياضة النفس والقناعة بماقضى له والرّضا بالموجود والصبر على المفقود والاعراض عن الدّنيا والعقبى والاقبال على المولى و قطع الآمال و ترك القيل والقال كما يرشد إليه قوله تعالى « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف تعرفهم بسيماهم لايسئلون الناس الحافاً» و إظهار الفقر والطمع ممّا في أيدي الناس و هذا قريب من قوله ﷺ حين قيل له: ما الغنى؟ قال:

(١) روى نحوه مسلم و احمد في مسنده ج ٢ ص ٣٠٣ و غيره من حديث أبي هريرة راجع الترغيب والترهيب للمنذري ج ٤ ص ٤٠٥ .

(٢) النهج أبواب الحكم تحت ٤٥٢ .

«اليأس ممّا في أيدي الناس (١)» و من قول بعض الأكابر :

عليك باليأس من الناس إنّ غنى نفسك في اليأس

الرابع الغنى بالحقّ جلّ شأنه عمّا سواه من الأسباب والوسائل والفقر التمسّك بما سواه والاستعانة به والغنى بهذه المعاني من جنود العقل و أعوانه إذ به يترقّي العقل من حضيض المذلّة إلى أوج الكمال في الانسان كما أنّ الفقر الّذي هو ضدّه من جنود الجهل و أنصاره إذ به يستولى الجهل على ممالك القلب بالجور والطغيان.

(والتذكر و ضدّه السهو) التذكّر من أنواع العلم و فروع الاعتدال في القوّة العاقلة والسهو من أنواع الجهل المقابل للعلم و فروع الانحراف في هذه القوّة و هذه الفقرة أيضاً يحتمل وجوها: الأوّل أن يكون المراد بالتذكّر تذكّر أحوال القيمة و عقباتها و شدائدها فانّ من تذكّرها و رآها بعين البصيرة يسعى في مرضات الربّ ويأخذ عنان الطبيعة عن يد النفس الأمّارة ويعدّ لنفسه ما ينجيه من الهلاك الأبدي ، الثاني تذكّر الموت و سكراته وما يتبعه من أحوال البرزخ و كيفيّة النجاة و أسبابها ، الثالث تذكّر الصّور المخزونة في القوّة الحافظة بعد زوالها عن القوّة المدركة و استحضارها ثانياً ، الرّابع الصور العقليّة المخزونة في المبادي العالية باقبال النفس إليها و ارتباطها بها، الخامس تذكّر حالاته من بدء الوجود إلى كمال نشوئه و كيفيّة انتقاله من حال إلى حال و ارتحاله من طور إلى طور و انقلابه من وضع إلى وضع على ما يقتضيه القدرة القاهرة والسهو مقابل للتذكّر بهذه المعاني و كون التذكّر من جنود العقل والسهو من جنود الجهل ظاهر لأنّ التذكّر نوع من العلم والسهو نوع من الجهل فالأوّل يعين العقل في السير إلى الله ، والثاني يعين الجهل في الميل إلى الضلالة.

(والحفظ و ضدّه النسيان) الحفظ أيضاً من أنواع العلم والنسيان من أنواع الجهل المقابل للعلم ، و لعلّ المراد بالأوّل حفظ الميثاق الّذي أخذه الله تعالى من العباد حين كونهم في صورة الذرّ أوحفظ ما يجب حفظه مطلقاً أو حفظ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية والقضاعي في مسند الشهاب عن ابن مسعود .

صور الحسيّة في خزانتها أو حفظ الصور العقليّة بأن يحصل للذّهن ملكة يشاهد بها تلك الصور من المبادي العالية من غير حاجة إلى تجشّم كسب ، والنسيان عبارة عن نبذ الميثاق والغفلة عنه بالمرّة أو عن زوال صور ما وجب حفظه عن القوّة المدركة أو زوال الصور الحسّيّة عن الخزانة والقوّة المدركة جميعاً أو عن زوال الصورة العقليّة بفقد ملكة المشاهدة .

(والتعطّف وضدّه القطيعة) العطف الميل و منه عطفت عليه بمعنى أشفقت عليه و رحمته لأنّ في الاشفاق والرّحمة ميلاً و انعطافاً إلى المرحوم ، والعطاف الرّداء ، و تعطّفت بالعطاف أي ارتديته و المتعطّف بأحد كأنّه ضمّه إلى نفسه بمنزلة الرّداء ، والقطيعة مصدر يقال : قطع رحمه قطعاً وقطيعة فهو قطع كصرد و هُمَزَة هجرها وعقّها و بينهما رحمٌ قطعاً إذا لم توصل ، والتعطّف من أنواع العدالة و ضدّه من أنواع الظلم وعليكم أيّها الاخوان أن تكونوا إخواناً متعاطفين متباذلين متواصلين متآلفين بالنسبة إلى كلّ أحد من المسلمين وأن لا تفرقوا بين الغنيّ و الفقير والقويّ والضعيف والكبير والصغير وقد صدر الترغيب فيه من القرآن والسنّة قال الله تعالى « إنّما المؤمنون إخوة » و قال « و اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا » و قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث (١) » وهذه الفضيلة فضيلة شريفة من فضائل الأخلاق لا يتّصف بها إلّا من امتحن الله قلبه بالتقوى وطهّره من الكبر والرّين و نزّهه من الحقد والغين و يندرج تحتها كثيرٌ من المكارم مثل خفض الجناح ولين الجانب والرفق في الأقوال والأفعال و عدم الغلظة والجفاوة في جميع الأحوال و بسط الوجه وطلاقته من غير تقطير وتقطيب وعبوس والمواساة بينهم في جليل الأمور و حقيرها و قليلها و كثيرها بقدر الإمكان فإنّ جميع ذلك من توابع الشفقة والرّحمة و لوازمها ، و لها منافع غير محصورة و يكفي في هذا المقام قول أمير المؤمنين عليه السلام « من لان جانبه كثر أعوانه (٢) » و

---

(١) أخرجه البخاري ج ٨ ص ٢٣ و في الكافي باب الهجرة نحوه .

(٢) ما عثرت على لفظه و في خطبة له عليه السلام تحت رقم ٢٣ نحوه .

قوله: «من رفع عن الناس يداً واحدة رفعت عنه أيد كثيرة (١)» ثمّ إنّ التعاطف و التواصل من حقوق العشرة والصحبة إذا كانا في جانب الدّين و إلاّ فهجرة أهل الأهواء والبدع دائميّة على مرّ الأوقات مالم يظهر منهم التوبة والرّجوع إلى الحقّ و لذلك لماخاف ﷺ على كعب بن مالك وأصحابه النفاق لتخلّفهم عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوماً.

(والقنوع وضدّه الحرص) القنوع بالضمّ هنا مصدر بمعنى القناعة بالكسر و هي الرّضى باليسير من متاع الدّنيا والاقتصار على قدر الكفاف بل على مادونه لو تعزز عليه وقد روي عن النبي ﷺ قال: «قلت: ياجبرئيل ماتفسير القناعة؟ قال: يقنع بما يصيب من الدّنيا يقنع بالقليل و يشكر باليسير (٢)» و فسّرها المحقّق الطوسي بعد ماعدّها من الأنواع المندرجة تحت العفّة الحاصلة من الاعتدال في القوّة الشهويّة بأنّها رضا النفس في المآكل والمشارب والملابس وغيرها بما يسدّ الخلل من أيّ جنس اتّفق وقد وقع الحثّ عليها في القرآن و السنّة ويكفي في ذلك قوله تعالى لنبيّه ﷺ «ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم» وقوله تعالى «ولاتمدنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحيوة الدّنيا» وقول الباقر و الصادق عليهما السلام: «من قنع بما رزقه الله فهو أغنى الناس (٣)» و قول أمير المؤمنين عليه السلام «القناعة مال لاينفد ولايفنى (٤)» ومن طرق العامّة «القناعة كنز لاينفد (٥)» يعني بذلك أنّ الإنفاق منها لاينقطع كلّما تعزّز عليه شيء من أمور

---

(١) النهج من كتاب له (ع) الى ابنه الحسن (ع) تحت رقم ٣١.

(٢) راجع سفينة البحار ج ٢ ص ٤٥٢.

(٣) الكافي كتاب الايمان والكفر باب القناعة تحت رقم ٩.

(٤) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٥٧و٤٧٥.

(٥) أخرجه الطبراني في الاوسط من حديث جابر كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٥٦. والقضاعي في مسند الشهاب من حديث أنس بسند ضعيف كما في الجامع الصغير.

الدّنيا قنع بمادونه ورضي و قوله عليه السلام : « كفى بالقناعة ملكاً (١)» يعني أنّ القناعة منجية عن مهلكة الالتماس كالملك و إن دخلك من ذلك شيء فانظر إلى عيش الأنبياء والأوصياء والأولياء والصلحاء من قبلك وقد بلغك حال نبيّك الأطهر أنّه إنّما كان قوته الشعير ولم يشبع منه و حلواه التمر وثوبه الخشن ووقوده السّعف إذا وجده ، وأمّا ضدّها و هو الحرص في طلب زهرات الدّنيا والانهماك في لذّاتها و جمع مشتهياتها زايداً على القدر الضروري الّذي يجوزه العقل و النقل فهو من شعب الانحراف في القوّة الشهويّة و طرف الافراط فيها و صاحبه مع عدم خلوّه من المشقّات لايأمن من الوقوع في الشبهات و ارتكابه للمحرّمات ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام : « والرّغبة مفتاح النّصب و مطيّة التعب(٢)» و قال : الحرص داع إلى التقحّم في الذّنوب (٣)» و قال « ابن آدم : إن كنت تريد من الدّنيا ما يكفيك فانّ أيسر ما فيها يكفيك و إن كنت تريد مالايكفيك فانّ كلّ ما فيها لايكفيك (٤) » و وجه ذلك ظاهر لأنّ الحريص في جمع الدنيا و زخارفها يقدم رضاه على الرّضا بما قدرالله له و يتبع حرصه وأمله و مراتب الحرص غير محصورة و درجات الأمل غير معدودة فلو فرض أنّه جمع له تسعة أعشار الدّنيا طلب العشر الباقي ، ثمّ بعده يطلب الدّنيا مرّتين و على هذا حتّى يموت هذا حكم طلب القدر الزّايد ، وأمّا طلب القدر الضروري له و لعياله فليس من الحرص في شيء بل هو من العبادة قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله (٥)» فلو ترك ذلك كان مذموماً و ينشؤ ذلك من خمود الشهوة الذي

---

(١) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٢٢٩ .

(٢) المصدر ابواب الحكم تحت رقم ٣٧١

(٣) المصدر الباب تحت رقم ٣٧١ وفيه «الحرص والكبر والحسد دواع الى التقحم في الذنوب» .

(٤) الكافي كتاب الايمان والكفر باب القناعة تحت رقم ٦

(٥) الكافي ج ٥ ص ٨٨ كتاب المعيشة باب من كدّ على عياله.

هو طرف التفريط من القوّة المذكورة .

(والمواساة وضدّه المنع) في المغرب آسيته بمالي أي جعلته اُسوة اقتدي به ويقتدي هو بي، وواسيته لغة ضعيفة . وفي النهاية الاسوة بكسر الهمزة وضمّها القدرة والمواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرّزق وأصلها الهمزة فقلبت واواً تخفيفاً ، واعلم أنّ المواساة يعني معاونة ذوي الأرحام والأقربين وسائر الناس من الفقراء والمساكين في المعيشة و إشراكهم في القوت والمال من شعب السخاء المعدود من أنواع العفّة و من كمال الصالحين و خصال العاقلين، إذ العاقل الكامل يعلم بنور عقله أنّ سدّ خلّة الفقراء و مواساة الضعفاء و إعطائهم ما ينتظم به أحوالهم من فضل المال يوجب ذكراً جميلاً في الدّنيا كما قال أمير المؤمنين عليه السلام « و لسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره (١)» و ثواباً جزيلاً في الآخرة كما وعدالله سبحانه أهل الإنفاق بقوله «الّذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منّاً ولاأذى لهم أجرهم عند ربّهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون» وبقوله «من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له و له أجر كريم» و يعلم أنّ الفضل الزايد في ماله على القدر الّذي يدفع ضرورته ليست زيادته معتبرة في صلاح حاله ولانقصانه معتبر في فسادها فلايزيده إذن إن أبقاه ولاينقصه إن أنفقه و أعطاه ، فيسهل عليه إنفاقه على ذوي الحاجات توقّعاً لما يترتّب عليه من رفع الدّرجات ، و أمّا المنع يعني عدم إعطاء الفقراء ترك مشاركتهم و مساهمتهم في فضل المال فهو من شعب البخل و من صفات الجاهلين و علامات الغافلين ، إذ الجاهل الغافل مع جهله بما يترتّب على الانفاق من الثناء الجميل عاجلاً والثواب الجزيل آجلاً يظنّ أنّه إن أنفقه يصير فقيراً فيمسكه لنفسه و ذلك لسوء ظنّه بمالك الأرزاق و عدم إيمانه بربّ الأرباب و ضعف إذعانه بيوم الحساب فيستحقّ بذلك الشقاء العظيم والعذاب الأليم كما قال العزيز العليم : « والذين يكنزون الذّهب والفضّة ولاينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم » .

(١) تقدم سابقا عن النهج أبواب الخطب تحت رقم ٢٣ .

(والمودّة وضدّها العداوة) المودّة المحبّة تقول: وددت الرّجل أودّه ودّاً إذا أحببته والودّ بالحركات الثلاث المودّة ولمّا كان الانسان محتاجاً في تعيّشه إلى التمدّن وهو اجتماعه مع بني نوعه للتعاون والتشارك في تحصيل الملايم والحاجات إذ لا يمكن للانسان الواحد القيام بجميع ما يحتاج إليه من المصالح والضروريّات الّتي لابقاء له بدونها و ذلك التعاون والتشارك لايتمّ إلاّ بايتلاف و معاملة و اختلاط و مصاحبة ولاينتظم ذلك إلاّ بتحقّق الرّوابط بينهم احتاجوا إلى تلك الرّوابط و أعظمها المودّة الّتي هي من فروع الاعتدال في القوّة الغضبيّة وهي من جملة نعوت الكاملين وصفات العاقلين إذ العاقل الكامل يعلم أنّ مودّته للناس مستلزمة لمودّتهم ومودّة أتباعهم وخدمهم وحواشيهم له ويجلب لنفسه من مودّة واحد مودة أشخاص كثيرين له و ذلك مستلزم لنفعهم له و عدم مضرّتهم إيّاه و ميل قلوبهم إليه و أنسهم به و معاونتهم له و مدافعتهم عنه و بذلك يتمّ نظامهم و صلاح حالهم في الدّنيا والآخرة و لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «التودّد نصف العقل (١)» وأمّا ضدّها أعني العداوة الّتي من فروع الإفراط في القوّة المذكورة فهو من جملة نعوت الناقصين و صفات الجاهلين إذ الجاهل لغفلته عن سوء العاقبة و وخامتها يظنّ أنّ عداوة النّاس خيرٌ له و يغفل عن حصولها فيهم بالنّسبة إليه أيضاً؛ وعن بعدهم منه و نفارهم عنه المستلزمين لفساد نظامه وعدم حصول مرامه و تضييق ماله و تغير حاله في الدّنيا والآخرة.

(والوفاء و ضدّه الغدر) و فى بعهده و أوفى به وفاءً وهو وفيّ إذا قام به و اتمّه و هو فضيلة مندرجة تحت العدالة كما أنّ الغدر الّذي هو ضدّه يعنى نقض العهد رذيلة مندرجة تحت الفجور و به يشعر قول أمير المؤمنين عليه السلام: «كلّ غدرة فجرة و كل فجرة كفرة (٢)» هذا أشرف الضروب من الشكل الأوّل ينتج كلّ غدرة كفرة، والوجه في لزوم الكفر للغادر إن استحلّ الغدر ظاهر وإلاّ فالمراد

---

(١) النهج أبواب الحكم رقم ١٤٢.

(٢) النهج أبواب الخطب تحت رقم ١٩٨.

بالكفر كفر نعم الله تعالى و سترها باظهار المعصية والمخالفة كما هو المفـهوم اللغوي من لفظ الكفر ثمّ للوفاء مراتب: الأولى الوفاء بكلمتي الشهادة وثمرته حفظ النفس والمال ، و الثانية الوفاء بالعبادات المفروضة و المندوبة و ثمرته الثواب الجزيل والأجر الجميل في الآخرة ، و الثالثة الوفاء بترك الكباير والاجتناب عن الصغاير وثمرته النجاة من الجحيم والتخلّص من العذاب الأليم ، و الرابعـة الوفاء بالفضايل النفسانية والاجتناب عن رذايلها وثمرته الترقّي إلى عالم الرّوحانيين والتشبّه بالملائكة المقرّبين(١)، والخامسة الوفاء بعهود الناس و مواثيقهم الموافقة للقوانين الشرعيّة و ثمرته استبقاء نظامهم واستكمال مقاصدهم و مرامهم والسادسة وهي أعلى المراتب و أسناها التعرّي عن الأغطية البشريّة بالتجريد و الاستضاءة بالأنوار الرّبوبيّة والاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلاً عن غيره (٢) و ثمرته الفوز بالكرامة في دار المقامة والاستبشار باللّقاء الدّائم كما قال

(١) هذا اعلى من الثواب الجزيل حيث جعله فى المرتبة . (ش)

(٢) هذا يسمى بالفناء فى اصطلاح العرفاء ويصرح بذلك عن قريب ومر فى الصفحة ٢٣٥ نقل حديث و كلام عن المجلسى (ره) فى الفناء ثم نقول الفناء ثابت قهراً لكل وجود ممكن سواء اعترف به الانسان ووجده فى نفسه أم لا لان الممكن لا استقلال له فى الوجود وليس بشيء ينظر اليه بل هو معنى حرفى كما قال الشاعر «الا كل شى ما خلا الله باطل» و استحسنه النبى (ص) وانما ينكره الانسان الطبيعى لانه يتوهم نفسه وامثاله شيئاً فاذا عرف الوجود حق المعرفة ووجد نفسه و كل شيء فانيا فى الحق كما هو الواقع و غلب سره على وهمه وعقله على طبعه و استغرق فى التوحيد و غفل عن نفسه لانه لاشيء فى الحقيقة فقد بلغ اعلى المراتب و اسناها اذ عرف الوجود على ما هو عليه وقال الفاضل المجلسى (ره) فى اوائل كتاب عين الحيوة بعد نقل معنى علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين من المحقق الطوسى هذا اعلى مراتب المعرفة ويعبرون عنه بالفناء فى الله واستشهد بالرواية المشهورة «لا يزال يتقرب الى العبد بالنوافل اه» وبقوله تعالى «وما تشاؤن الا ان يشاء الله» *

سبحانه «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة» و لعلّ حذف مفعول الوفاء للدلالة على تعميمه و شموله لهذه المراتب كلّها وللغدر أيضاً مراتب تعلم بالمقايسة و المرتبة الخامسة من الوفاء إنّما تطلب وتمدح إذاكان المعاهد عليه باقياً على عهده و شرطه وإلاّ فالوفاء حينئذ غير ممدوح بل هو مذموم كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «الوفاء لأهل الغدر غدر عندالله والغدر بأهل الغدر وفاء عندالله (١)» يعني أنّ إيفاء العهد والعمل بمقتضاه لأهل الغدر ترك العهد و نقضه في حكم الله تعالى و يترتّب عليه أثره، والغدر في حقّهم وفاء وذلك إذاكان الغادر على الحقّ لأنّ الموفي حينئذ يمدّهم على المعصية والغادر لا.

(والطاعة و ضدّها المعصية) الطوع والطاعة: الاذعان والانقياد، يقال: طاع له يطوع إذا انقاد، والعصيان والمعصية خلاف الطاعة، يقال: عصاه يعصيه عصياً و معصية و عصياناً إذا خالفه والمراد أنّ طاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله و طاعة أولي الأمر من جنود العقل إذالعقل بها يصعد إلى منازل الأبرار ويستعدّ لمرافقة الأخيار كما قال الله تعالى «ياأيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول و اولي الأمر منكم» و قال: «و من يطع الله و رسوله فاُولئك مع الّذين أنعم الله

---

* و بالحديث «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله» وما روى في احاديث العامة «بى يسمع وبى يبصر وبى يمشي وبى ينطق» ثم تاول في الاحاديث بماكان متقررا في ذهنه من تتبع اقوالهم و لكنه لم يفرق بين الفناء الذى هو حاصل لكل ممكن والفناء الحاصل المكمل في منتهى سلوكهم وقال معترضا عليهم: ان الفناء لجميع الممكنات عندهم فكيف يخصون به المقربين والجواب ان الفناء حاصل للجميع لكن وجدانه والاعتراف به حاصل للكاملين فقط الاترى ان تحقق الشيىء غير الاعتراف به و قد اتفق له قدس سره ذلك مثلا ما كنا نعلم ان الشيخ صفى الدين جد السلاطين الصفوية كان له مقام عظيم في العرفان والعلم وظننه كبعض المدعين اذا لم نر منه اثرا يدل على ذلك حتى رأينا في كتاب عين الحيوة المجلسى ره وصفه بسلطان العلماء والمحققين وبرهان الاصفياء والكاملين الشيخ صفى الدين فعلمنا فضله وفضل الشيخ واقعا لا بالزام الاعتراف به من كل احد.

(١) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٢٥٩.

عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين و حسن اولئك رفيقاً» ولم يذكر طاعة اُولى الأمر في هذه الآية لأنّ طاعتهم طاعة الرّسول كما يرشد اليه عطفهم على الرّسول في الآية السابقة من غير إعادة الأمر بطاعتهم ثمّ إنّ النافع مجموع هذه الطاعات دون بعضها كما يرشد إليه قول الصادق عليه السلام «وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله و طاعة رسوله بطاعته فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله(١)» فالمعصية المقابلة للطاعة هي ترك هذه المجموع سواء كان تركه بترك جميع أجزائه أو بترك بعضها وهي رذيلة مندرجة تحت الجور موجبة للدّخول في النّار كما قال سبحانه «و من يعص الله و رسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مهين».

(والخضوع وضدّه التطاول) في الصحاح الخضوع التطامن والتواضع وفي الكشاف الخضوع اللّين والانقياد والتطاول إظهار حصول الطول بالفتح يعني الفضل والعلوّ، و سرّ كون الأوّل من صفات العاقل والثاني من صفات الجاهل أنّ العاقل يعرف بنور بصيرته، أنّ له تعالى شأنه العلوّ المطلق لافتقار كلّ شيء إليه و له اعلام الوجود لدلالة كلّ شيء عليه و له العزّة لكون كلّ موجود سواه مقهوراً في تصريف قدرته، و موصوفاً بالعجز في جريان حكمه و مشيّته ، وله خشوع جميع الممكنات و خضوعها في رقّ الحاجة و الامكان لانفعالها عن سطوته، و له قوام جميع الموجودات و قيامها التذلّلها من عظمته و يعرف أنّ إليه فزع كلّ ملهوف ومنه غنى كلّ فقير و عزّ كلّ ذليل و قوّة كلّ ضعيف فيوصله تلك المعارف و الكمالات إلى أعلى الفضايل و أشرف المقامات و هو مقام الفزع إلى الله بالتخشّع والتخضّع والتذلّل و التواضع و تطيب القلب و تلين السرّ فيحصل له حينئذ قلبٌ خاضعٌ وذهنٌ والهٌ ودمعٌ منهمل وعقلٌ مرتحلٌ ، ويؤثر ذلك في جوارحه إذ هي تابعة للقلب و منه يظهر سرّ ماروي من أنّ «لسان المؤمن من وراء قلبه» فيصدر حينئذ من جميع أعضائه الظاهرة والباطنة أفعال مناسبة في الخشوع و أعمال متناسقة في

---

(١) سيأتي في كتاب الحجة باب معرفة الامام والرد اليه

الخضوع و في ذلك مراتب متفاوتة و درجات متصاعدة أرفعها الوصول إلى ساحة الحقّ والفناء المطلق (١) والطيران في حظاير القدس بأجنحة الكمال مع الملائكة المقرّبين ، بخلاف الجاهل فانّه لخلوّه عن تلك الحالات و غفلته عن تلك المعارف والكمالات محبوس في ظلمات الطبيعة بعيد عن التشرّف بشرف تلك الفضيلة إذ قلبه في وادٍ و جوارحه في وادٍ آخر فلذلك أعماله غير منتظمة بروابط الخضوع و أفعاله غير متعلّقة بعلائق الخشوع و هو مع ذلك يعتقد لنفسه فضيلة كاملة و رفعة بالغة و رتبة فايقة (٢) وهذا معنى التطاول وحقيقة التفاضل كما هو المشاهد من

---

(١) الفناء المطلق فى اصطلاح العرفاء و هو اعلى مدارج السالكين وقدسبق اشارة اليه فى بعض الحواشي واوردنا فيه حديثا من كتاب عين الحيوة للمجلسى رحمه الله تعالى و ذكرنا تأويله للحديث بمايوافق مذاقه ولا يوافق مذاق الشارح رحمه الله. (ش)

(٢) هؤلاء جماعة من الناس محبوسون فى ظلمات الطبيعة لايعترفون بغير الموجود الجسمانى ولاحقيقة عندهم غير الجسم وادراك الجسم انما هو بالحواس فلايعتمدون على غير الحس و يأولون جميع السعادات الحقيقية واللذات الروحانية الى الجسمانيات حتى تكون شيئاً يدرك بالحواس و اذا تصدوا لتعلم العلوم اختاروا شيئاً يدرك بالسمع والبصر لا بالعقل والفقه والاصول والكلام صعب عليهم لتوقفها على مقدمات تدرك بغير السمع و البصر كالاجماع والتواتر والقواعد العقلية التى تستعمل لاستفادة المعنى من اللفظ وانما يسهل عليهم الحفظ والضبط فيدركون نقش الكتابة بالبصر واصوات الكلمات بالسمع يحفظونها ويضبطون ادق واكمل من العلماء المدققين والكاملين لعدم توجه نفوسهم واذهانهم الى غير النقوش والاصوات وهذا عندهم فضيلة وليس لهم هم بتهذيب النفس والكمالات بل يختارون فى العمل أيضاً شيئا محسوسا مثلا اسباغ الوضوء و طول الركوع و تكثير الاذكار والتنطع فى اخراج الحروف من مقاطعها من امور محسوسة واما النية وحضور القلب و تخليصه من العجب والرياء فامور غير محسوسة لايهتمون بها كثيراً ومع ذلك فليس هذا عيباً و منقصة الا اذا تطاولوا على العلماء و زعموا انفسهم اعلى درجة منهم ونسبوهم الى الضلال و ترك طريقة أهل البيت عليهم السلام كما كان دأب كثير من معاصرى الشارح ره . (ش)

الجهلة والمعلوم من السفلة و ينبغي أن يعلم أن الخضوع والخشوع والتواضع وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرقاً ما لأن الاذعان واللّين إذا حصلا في القلب فمن حيث إنّهما يوجبان انكساراً و افتقاراً و تذلّلا خضوع و من حيث إنّهما يوجبان الخوف والخشية والعمل خشوع و من حيث أنّهما يوجبان انحطاط رتبته عن الغير و تعظيم ذلك الغير تواضع وقد يفرق بين الخضوع والخشوع بأن الخضوع بالقلب والخشوع بالجوارح ، و بين الخضوع والتواضع بأن التواضع عدم اعتقاد المزيّة بالنسبة إلى الأدنى في الجاه والمنزلة و الخضوع أعم أو مختص بالنسبة إلى الأعلى.

(والسلامة و ضدّها البلاء) ليس المراد السّلامة من الأمراض البدنيّة و الابتلاء بها لما روي عن الصادق عليه السلام «إنّ أشدّ الناس ابتلاء الأنبياء ثمّ الّذين يلونهم ثمّ الأمثل فالأمثل (١) » ولا السلامة من الفقر والابتلاء به لما روي عنه عليه السلام قال «قال الله تعالى يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل : ذنب عجلت عقوبته (٢)» إلاّ أن يخصّص الأمراض والفقر بما يوجب كسر الظهر والفتنة في الدّين فانّه قد نقل الاستعاذة منهما عن أهل العصمة عليهم السلام ، بل المراد السلامة عن إيذاء المسلمين والابتلاء به كما روي « المسلم من سلم المسلمون من يده و لسانه (٣)» أو السلامة من الأمراض النفسانيّة والآراء الفاسدة والعقايد الباطلة مثل الكفر والكبر والحقد والحسد و النفاق و غيرها والابتلاء بها ، فانّ الأوّل من جنود العقل و أنصاره لكونه من شعب العدالة الواقعة في حاق الوسط ، والثاني من جنود الجهل لكونه من فروع الجور الواقع في طرف الافراط .

---

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب شدة ابتلاء المؤمن.

(٢) المصدر باب فضل فقراء المسلمين تحت رقم ١٢.

(٣) أخرجه احمد والحاكم والنسائي وابن حبان والترمذي والبخاري وابوداود ومسلم كما في الجامع الصغير.

(والحبّ و ضدّه البغض) الحبّ بالضم والكسر والمحبّة ميل القلب إلى ما يلائمه ، والبغض المقت وقد بغض الرّجل بغاضة اى صار بغيضاً ، وبغّضه الله إلى الناس تبغيضاً فأبغضوه أى مقتوه ، و لعلّ المراد أنّ حبّ الخلق بعضهم بعضاً من جنود العقل و بغضهم من جنود الجهل ، لأنّ العاقل يعلم أنّ نظام الدّنيا والدّين لايتمّ إلاّ بالمحبّة فلذلك يختارها تحرّزاً عمّا يلزم البغض من التقاطع المستلزم لتطاول الحاسدين و تسلّط المعاندين ، ومن التنازع المستتبع لعدم الثبات والقرار والمؤدّي بالآخرة إلى الهلاك والبوار، و إن أردت أن تعرف أنّك تحبّ أحداً فاجعل نفسك ميزاناً فيما بينه و بينك فان كنت تحبّ له ما تحبّ لنفسك و تكره له ما تكرهُ لنفسك فأنت تحبّه وهو حبيبك وإلاّ فلا، بخلاف الجاهل فإنّه لظلمة بصيرته غافل عن حسن عاقبة المحبّة وسوء عاقبة البغض فيظنّ أنّ البغض خير له في تحصيل مقاصده فيختاره ويسوق سفينة البغاضة في بحر الغواية بريح الغباوة إلى أن يدركه الغرق من حيث لايعلم ، و ينبغي أن يكون أعظم محبّتنا لعباد الله تعالى محبّتنا لرسول الله ﷺ و عترته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين لشرافة ذاتهم وجريان نعمائهم ظاهراً و باطناً علينا ووصول إحسانهم جليّاً وخفيّاً إلينا وبالجملة محبّة الشيء إمّا لحسنه في الظاهر كالصور الجميلة أوفي الباطن كحسن بواطن الصالحين و شرافة نفوسهم ، أو لإحسانه بجلب نفع و دفع ضرّ كإحسان الناس بعضهم بعضاً، أو لإعظامه كاعظام الولد والده ،أو لترحّمه وشفقته بحسب الجبلّة و المشاكلة كترحّم الوالد على ولده وقد اجتمع الجميع فيهم عليهم السلام لما فيهم من جمال الظاهر والباطن و إحسانهم إلينا بالهداية والشفاعة و عظمة شأنهم وإنافة قدرهم على كلّ والد وولد و محسن فلذلك وجب علينا محبّتهم على أكمل الوجوه و أتمّها و من محبّتهم الذّب عن سنّتهم و نصر شريعتهم والتمسّك بطريقتهم و بذل النفس والمال دون مهجتهم والوقوف عند حدودهم و إعانة أهل ملّتهم ، أو المراد أنّ حبّ العباد لله من جنود العقل و بغضه من جنود الجهل لأنّ محبّة العبد لله تعالى شأنه إنّما هي على قدر معرفته بجلاله سبحانه و كمال أوصافه و تنزيهه عن النقص ، والعاقل هو

الّذي يعرف جماله و جلاله و كماله و قدرته و عظمته و إحسانه فعند شروق أنوار هذه المعارف على مرآة سرّه و بروق آثار الأعمال الصالحة في مشارق قلبه يمطر الله عليه أسباب الحبّ و يكشف عنه الحجاب و تجذبه العناية الأزليّة إلى بساط القرب و تسقيه من ماء المحبّة و تنجيه من هذا السراب ، و أمّا الجاهل فانّه لايعرف من هذه المعارف اسماً ولامن هذه الأسماء رسماً ولامن هذه الأعمال حدّاً فكيف له الوصول إلى مرتبة المحبّة الّتي هي المرتبة العليا للسالكين ، والدرجة العظمى للعاقلين ، والمنزلة الكبرى للزّاهدين ، بل هو بطبعه هارب عن عالم النور مستقبل إلى دار الغرور و هذا معنى بغض العبد له تعالى أعاذنا الله من ذلك، و اعلم أنّ الفرق بين الحبّ والمودّة و بين البغض والعداوة دقيق جدّاً حتّى أنّه قد ظنّ رجوع هذه الفقرة إلى قوله عليه السلام « والمودّة و ضدّه العداوة» وإنّ إحديهما كانت بدلا عن الأخرى جمع بينهما في الكتابة قلم الناسخ ولكن ظاهر قوله تعالى « و ألقينا بينهم العداوة والبغضاء » يفيد المغايرة ، و يمكن القول بتحقّق المغايرة بأنّ المودّة ميل ظاهر القلب والمحبّة ميل ظاهره و باطنه و به يشعر قوله تعالى «قد شغفها حبّا» فالمحبّة أعظم من المودّة أو بأنّ المودّة والعداوة من الأمور القلبيّة والكيفيّات النفسانيّة مع قطع النظر عن ظهور آثارهما من الجوارح والمحبّة والبغض من هذه الأمور والكيفيّات مع اعتبار ظهور آثارهما منها و يؤيّده قول القاضي في تفسير الآية المذكورة فلا تتوافق قلوبهم ولاتتطابق أقوالهم فليتأمّل .

(والصدق و ضدّه الكذب) صدق الخبر بمطابقة حكمه للواقع و كذبه بعدم مطابقته له لابمطابقته لاعتقاد المخبر وعدمها، كما ذهب إليه النظام ولا بمطابقته لهما و عدمها كما ذهب إليه الجاحظ لأنّ العقلاء يصفون كلّ خبر علموا أنّه ليس مطابقاً للواقع بأنّه كاذب ، وإن لم يعلموا اعتقاد المخبر ، والمسلمين يصفون اليهود والنصارى بالكذب على الله و إن كان أكثرهم لايعلم أنّه كاذب بل يعتقد أنّه صادق و أورد عليه أوّلاً بأنّ قول القائل محمّد صلى الله عليه وآله و مسيلمه صادقان خبر وليس مطابقاً للواقع ولاغير مطابق له و اُجيب بأنّه كاذب باعتبار إضافة الصدق إليهما لأنّه غير

مطابق ، وقد يجاب بأنّه كاذب لأنّه يفيد صدق أحدهما في حال صدق الآخر ، ورد بانّ التثنية لاتفيد المصاحبة و ثانياً بأنّ قول القائل كلّ كلامي في هذا اليوم كاذب ولم يوجد منه سوى هذا الكلام ليس مطابقاً للواقع وإلاّ لكان غير مطابق فيجتمع النقيضان وليس غير مطابق وإلاّ لكان بعض أفراده مطابقاً وليس إلاّ هذا الفرد فيجتمع النقيضان، واُجيب بأنّ الصدق والكذب إنّما يعرضان لخبر مغاير للمخبر عنه حتّى يتصوّر فيه المطابقة فيحكم بصدقه وعدمها فيحكم بكذبه وهنا قد اتّحدا فلا يدخله الصدق والكذب وللبحث فيه مجال واسع واستدلّ النظام بقوله تعالى «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله والله يعلم إنّك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون » فانّه تعالى شأنه أخبر بأنّهم كاذبون في قولهم «إنّك لرسول الله» مع أنه مطابق للواقع فلو كان الصدق عبارة عن المطابقة للواقع لما صحّ فالتكذيب ليس باعتبار أنّه غير مطابق للواقع بل باعتبار أنّه غير مطابق لاعتقادهم ، و اُجيب بأنّ المعنى والله يشهد انّهم لكاذبون في قولهم « إنّك لرسول الله » من عند أنفسهم لأنّ هذا الخبر كاذب غير مطابق للواقع عندهم أو أنّهم لكاذبون في لازم فائدة هذا الخبر و هو كونهم عالمين بمضمونه أو أنّهم لكاذبون في « نشهد » باعتبار تضمّنه خبراً كاذباً ، و هو أنّ شهادتنا هذه من صميم القلب و خلوص الاعتقاد بحيث و اطأت فيه قلوبنا ألسنتنا كما يشعر به «أنّ» واللاّم واسميّة الجملة، فكذّبهم الله تعالى لعلمه بعدم المواطاة بين قولهم و قلبهم . أو أنّهم لكاذبون في دعوى الاستمرار المستفاد من نشهد ، أو أنّهم لكاذبون في حلفهم على عدم النّهي عن الانفاق على فقراء المهاجرين أو أنّهم لكاذبون يعني إنّ شأنهم الكذب فالتكذيب ليس في هذا الخبر بل مطلق فكأنّه قيل : إنّهم و أن صدقوا في هذا الخبر لكن صدقهم فيه لايخرجهم من زمرة الكاذبين فانّ الكذوب قد يصدق . واستدلّ الجاحظ بقوله تعالى حكاية عن المشركين « افترى على الله كذباً أم به جنّة » فانّهم حصروا خبر النبيّ بالحشر والنشر والتوحيد في كونه كاذباً أو كلام مجنون ولا شكّ أنّ المراد بالثاني غير الكذب لأنّه قسيمه و قسيم الشيء يجب أن يكون

مبايناً له و غير الصدق لاعتقادهم عدمه ولعدم دلالة الثاني عليه فقد أثبتوا بين
١ الصدق والكذب واسطتين إحديهما عدم مطابقة خبر النبي صلى الله عليه وآله للواقع مع شكّه في المطابقة والأخرى عدم مطابقته له مع اعتقاده المطابقة بأن يكون اعتقادهم الفاسد أنّ عدم مطابقة هذا الخبر بلغ بمرتبة لايخفى على من له شايبة عقل فالشكّ في المطابقة لايكون إلاّ من مجنون فكيف اعتقاد المطابقة ، ولاشكّ أنّ الواسطة إنّما يكون إذا اعتبر في الصدق والكذب مطابقة الخبر للواقع والاعتقاد جميعاً وعدمها لهما إذ لاواسطة عند اعتبار المطابقة للواقع و عدمها ولا عند اعتبار المطابقة للاعتقاد وعدمها ، و اُجيب بأنّ ترديدهم لخبره صلى الله عليه وآله ليس بين الكذب المطلق و الاخبار حالة الجنون ، بل إنّما هو بين الافتراء و هو الكذب عن عمد و عدمه فمعنى قوله « أم به جنّة » أم لم يفتر فعبروا عن عمد الافتراء بالجنّة كناية عن أنّ المجنون لايفتري فقد جعلوا اقسام الكذب عن عمد الكذب لاعن عمد فيكون مقصودهم حصر خبره الكاذب في نوعيه ولمّا كان هنا فوائد جمّة و فروع متكثّرة لايتيسّر القول بها إلاّ بتحقيق معنى الصدق والكذب أطنبنا القول فيه و من تلك الفوائد لو أخبرك أحد بشيء فقلت: إن كنت صادقاً فللّه عليّ كذا فان كان مطابقاً للواقع فقط لزمك الوفاء به على الأوّل دون الأخيرين و إن كان مطابقاً للاعتقاد فقط لزمك الوفاء به على الثاني دون الآخرين و إن كان مطابقاً لهما لزمك الوفاء عند الجميع و منها لوشهد عليك رجل فقلت هو صادقٌ فهو إقرار على الأوّل والأخير دون الثاني ، و منها لوحلف رجل أن لايكذب ثمّ أخبر بمالم يكن مطابقاً للواقع فقط أو للاعتقاد فقط أولهما فانّه في الأوّل يحنث على المذهب الأوّل دون الأخيرين ، و في الثاني يحنث على المذهب الثاني دون الباقين ، وفي الثالث عند الجميع ، ومنها لوحلف أن لايتكلّم اليوم بكلام صادق و كاذب فانّه يحنث إذا تكلّم على الأولين دون الأخير فانّ فيه مفرّاً عن الصدق والكذب و منها لوحلف أن لايعطي كاذباً فانّه يختلف فيه الحكم أيضاً كما لايخفى و أمثال ذلك كثيرة.

و اعلم أنّ الصدق فضيلة عظيمة داخلة تحت فضيلة العفّة وقد وقع مدحه و مدح

المتصّف به في مواضع من القرآن والأخبار و يكفي في ذلك قوله تعالى « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » والكذب رذيلة داخلة تحت الفجور وقد نطقت الآيات والأخبار على ذمّه و ذمّ المتصف به ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « الكذب رأس النفاق و هو مفسدة عظيمة في الدّنيا و الدّين (١) » والوجدان شاهد عدل بأنّ الكذب يسوّد لوح النفس ويمنعه أن ينتقش بصورة الحقّ ويفسد المنامات والالهامات ويؤدّي إلى خراب الدّنيا و قتل النفوس و أنواع الظلم والفساد ولذلك اتّفق أهل العلم من أرباب الملل و غيرهم على تحريمه وادّعى المعتزلة قبحه بالضرورة .

(والحقّ و ضدّه الباطل) هذا والسابق عليه متقاربان لأنّ الخبر والاعتقاد إذا طابقا الواقع كان الواقع أيضاً مطابقاً لهما لأنّ المفاعلة من الطرفين فمن حيث أنّهما مطابقان أو غير مطابقين له بالكسر يسمّيان صدقاً و كذباً و من حيث أنّهما مطابقان أو غير مطابقين له بالفتح يسمّيان حقاً و باطلاً والمقصود أنّ اختيار هما من جنود العقل والجهل، ويحتمل أن يراد بالحقّ الدّين الحق المسمّى بالصراط المستقيم وبالباطل الدّين الباطل الدّاعي إلى سواء الجحيم و أن يراد بالحقّ الاقبال على الله و بالباطل الادبار عنه ولاواسطة بينهما ، فوجود كلّ واحد مستلزم لعدم الآخر و عدم كلّ واحد مستلزم لوجود الآخر .

(والامانة و ضدّه الخيانة) الأمانة مصدر أمن الرّجل أمانة فهو أمين إذا صار كذلك برعاية مائتمن عليه من حقوق الحقّ أو الخلق و أدائه في وقته كما هو و هي تدخل في أفعال الأعضاء والجوارح كلّها لأنّ القلب إذا استضاء بنور البصيرة يهتدي كلّ عضو إلى أمانته و يسعى في حمايتها و حفظها و أدائها على ما ينبغي كما تدخل الخيانة وهي مصدر خانه إذا ترك الحفظ في تلك الأفعال ومنه قوله تعالى « يعلم خائنة الأعين » أي مسارقتها و كثيراً ما تطلق الأمانة على ما تأتمن به صاحبك مجازاً على سبيل المبالغة و منه قوله تعالى « والّذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون » أي لما يؤتمنون عليه من جهة الحقّ أو الخلق و قوله تعالى « إنّ الله يأمركم

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل هكذا « الكذب باب من أبواب النفاق ـ الحديث » .

أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها » وفي روايات متكثّرة (١) تصريح بأنّ المراد بأهل الامانة في هذه الآية الامام عليه السلام و أنّ الله تعالى أمر الامام الأوّل أن يدفع إلى الامام الّذي بعده كلّ شيء عنده من أمر الامامة وقوله تعالى « إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انّه كان ظلوماً جهولاً » روي عن الصادق عليه السلام « أنّ المراد بالأمانة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام (٢) » و قيل : المراد بها العبادة والطاعة المطلوبة من الانسان و سمّاها أمانة من حيث أنّها يجب حفظها و أداؤها في وقتها. و إباء الأجرام المذكورة يعود إلى امتناع قبولها خوفاً و إشفاقاً بلسان الحال لقصورها و عدم صلاحيّتها لها بحسب الطبع أو إلى الفرض والتقدير كأنّه قيل : لو كانت هذه الأجرام عاقلة ثمّ عرضنا عليها لأبين أن يحملنها خوفاً و إشفاقاً من وخامة عاقبتها و إنّما جيىء بلفظ الواقع لأنّه أبلغ أو إلى أنّه تعالى خلق فيها عقلاً و فهماً ثمّ عرض عليها على سبيل التخيير ، فأبين إباء عجز و احتقار و خوف و انكسار لا إباء استكبار لخضوعها تحت ذلّ الحاجة ثمّ خلق الانسان و عرضها عليه فقبله و حمله مع ضعف بنيته ورخاوة قوّته إنّه كان ظلوماً لنفسه بعدم محافظته لها و تقصيره في أداء حقوقها جهولاً بأسرارها و بما يستلزم حفظها و فعلها و تركها من المثوبات والعقوبات .

(والخلوص و ضدّه الشوب) الشوب الخلط و هو مصدر شبت الشيء أشوبه شوباً فهو مشوب إذا خلط بغيره والخلوص مصدر خلص الشيء ـ بالفتح ـ يخلص خلوصاً أي صار خالصاً صافياً غير ممتزج بغيره. ، والعمل الخالص في العرف ما يجرّد قصد التقرّب فيه عن جميع الشوائب و هذا التجريد يسمّى إخلاصاً و قد عرفه بعض أصحاب القلوب بتعريفات اُخر فقيل : هو تنزيه العمل عن أن يكون لغير الله فيه نصيب ، و قيل : هو إخراج الخلق عن معاملة الحقّ ، و قيل : هو ستر العمل عن الخلايق و تصفيته عن العلايق ، و قيل : أن لا يريد عامله عوضاً في الدّارين . و

(١) سيأتي في كتاب الحجة أخباره.

(٢) الكافي كتاب الحجة باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية تحت رقم ٢٠

هذه درجة عليّة قلّ من يبلغها وقد أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : «ما عبدتك خوفاً من نارك ولاطمعاً في جنّتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» ولو قصد العبد في عبادته مجرّد وجه الله سبحانه و إطاعة أمره والتقرّب إليه يرتقي بأجنحة القبول إلى منازل القرب وحظاير القدس قطعاً ولو قصد مجرّد غيره ألبسه الله لباس الذّل و أبعده عن ساحة رحمته وبساط قربه جزماً و أمّا لو قصده سبحانه و قصد غيره أيضاً فهو خطر عظيم ، و للمسلمين فيه كلام طويل تركناه خوفاً للاطناب و نذكر ما أظنّه حقّاً والله تعالى هو المستعان فنقول : الضميمة إمّا قصد الثواب أو التحرّز عن العقاب أو قصد الرّياء أو قصد الأمور اللازمة للعبادة كقصد التخلّص من النفقة بعتق العبد في الكفّارة و غيرها وقصد التبرّد (١) بالوضوء ، أمّا الأوّل فالظاهر صحّة العبادة لقول الصادق عليه السلام «العبّاد ثلاثة قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد ، و قوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلباً للثواب فتلك عبادة الأجراء ، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة (٢) فانّ صيغة أفضل تفيد وجود الفضل في الأوّلين وهو المطلوب . وقول الباقر عليه السلام «من بلغه ثواب من الله تعالى على عمل فعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب أوتيه و إن لم يكن الحديث كما بلغه (٣)» ولغير ذلك من ظواهر الآيات والأخبار ، و أما الثاني فالظاهر بطلانها لقوله تعالى «فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً

---

(١) قال بعض شراح الشرائع : ان قصد التبرد مبطل بعدان حكم المحقق بصحته و لعله أرادأن يكون الداعي الى الفعل التقرب بحيث لولم يكن التقرب لم يتوضأ ، و ان ضم التبرد اليه. (ش)

(٢) الكافي كتاب الايمان والكفر باب العبادة.

(٣) يعني ما اذا كان العمل مسنوناً في الكتاب والسنة من دون تقدير الثواب العاجل أوالاجل ، واما اذاكان العمل غير مسنون فلا أجر له أبداً ان لم يكن عليه وزر لقول النبي (ص) «لا قول الا بعمل ، و لاقول ولاعمل الا بنية ؛ ولا قول ولاعمل ولا نية الا باصابة السنة» والخبر في الكافي كتاب الايمان والكفر باب (من بلغه ثواب من الله على عمل).

صالحاً ولايشرك بعبادة ربّه أحداً » و قول الصادق عليه السلام لعباد البصري : « يا عباد إيّاك والرّياء فانّه من عمل لغير الله و كله الله إلى من عمل له(٤)» و لغير ذلك من الآيات والرّوايات. و أمّا الثالث فالقول با لتفصيل ـ وهو أنّ العبادة صحيحة إن كانت هي المقصودة بالذّات والضميمة مقصودة تبعاً. و باطلة إن انعكس الأمر أو تساويا ـ غير بعيد(٢) وإن لم نجد عليه دليلاً نقلياً و الاحتياط في الجميع ظاهر و بعض الأفاضل حكم بالتفصيل في الأقسام الثلاثة و هو بعيدٌ جد اً سيّما في الرياء لدلالة الآيات والأخبار على بطلان العبادة لأجل انضمام الرّياء إليها و الظاهر أنّه لاخلاف فيه بين أصحابنا قال المحقّق الشيخ عليّ(٣) ضمّ الرّياء إلى القربة يبطل العبادة قولاً واحداً إلاّ مايحكى عن المرتضى أنّه يسقط الطلب عن المكلّف ولايستحق بها ثواباً و ليس بشيء ، والخلوص من جنود العقل و أنصاره والشوب من جنود الجهل و أعوانه و ميدان مجادلتهما و معارضتهما ساحة القلب وذلك لأنّ العقل ميله الصعود إلى عالم القدس وقصده تسخير عالم الملك والملكوت وخلوص العمل يعينه على ذلك، و الجهل ميله الهبوط إلى عالم الحسّ و منـازل النسيان و قصده النزول في محلّ البعد و بساط الخذلان و شوب العمل بالرّياء و غـيره من التدليسات النفسانيّة والتلبيسات الشيطانيّة و المخـاطرات الوهميّة يعينه على ذلك .

(والشهامة وضدّها البلادة) عدّ المحقّق الطوسي الشهامة من انواع الشجاعة

---

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب الرياء تحت رقم ١.

(٢) خبر لقوله «فالقول بالتفصيل» ولايحتاج الى تصريح به في خبر بل يكفي الادلة الدالة على وجوب الاخلاص وابطال تشريك غيرالله معه في النية فيقال: اذا كان المقصود بالذات التقرب لم يقدح في الاخلاص ضم غيره تبعا والعلامة على ذلك أن يعرض العابد على نفسه هل كان يصدر هذا العمل منه ان لم تكن الضميمة فان أحس من نفسه أنه يصدر منه كان العمل صحيحا (ش).

(٣) يعني الشيخ علي بن عبدالعالي الكركي ـ قدس سره ـ.

الحاصلة من الاعتدال في القوّة الغضبيّة و فسّرها بأنّها حرص النفس على اقتناء الأمور العظام توقّعاً للذكر الجميل و هذه ليست بمرادة هنا لأنّ البلادة ليست بضدّها و ليس لضدّها أيضاً اسم مشهور ، بل المراد بها ذكاء الفؤاد يقال : شهم -بالضمّ- شهامة فهو شهم أي جلد ذكيّ الفؤاد فهي من توابع الاعتدال في القوّة العاقلة. والبلادة وهي ضدّ الذّكاء يقال : بلد بالضمّ فهو بليد و تبلّد أي تردّد متحيّراً ، من فروع التفريط والنقصان في القوّة المذكورة ، و نعني بهذه البلادة ما كان من سوء الاختيار لا ما كان من أصل الخلقة لأنّ المقصود هو الترغيب في تحصيل الأوّل و ترك الثاني و ذلك لا يتصوّر إلاّ فيما كان فعله و تركه مقدوراً ، ثمّ كون الأوّل من جنود العقل والثاني من جنود الجهل ظاهر لأنّ الذّكاء سبب لعروج العقل إلى أقصى المدارج من معارج المعارف الربّانيّة وضدّه سبب لنزول النفس في أسفل الدّركات من مهالك الشبهات الظلمانيّة.

(والفهم و ضدّه الغباوة) قال بعض المحقّقين : لعلّ هذه الفقرة كانت في الأصل بدلاً عن قوله عليه السلام فيما مضى « و الفهم و ضدّه الحمق » والناسخون جمعوا بينهما في الكتابة غافلين عن البدليّة والمعنى واحد. و يمكن أن يقال : المراد بالفهم هنا الفطنة وهي جودة تهيّأ الذّهن لاكتساب العلوم و بعبارة الأخرى هي إدراك المقصود من الخطاب بسهولة . والغباوة « كودن شدن ودرنيافتن » كما في كنز اللّغة يعني عدم فهم المقصود من الخطاب بسهولة و هذا المعنى غير المعنى المقصود من الفهم والحمق كما أشرنا إليه سابقاً ، و أمّا حمل الفهم هنا على الذّكاء الّذي هو فوق الفهم المذكور سابقاً كما أشرنا إليه هناك و إن كان ممكناً ويحصل به المغايرة بين الفهمين لكن معنى هذه الفقرة حينئذ يرجع إلى الفقرة السابقة عليها أعني قوله : « والشهامة و ضدّها البلادة » إذ مآلهما واحد.

(والمعرفة و ضدّها الإنكار) المعرفة سراج القلب يرى بها خيره وشرّه ومنافعه ومضارّه ، و كلّ قلب لا معرفة له فهو مظلم ، والمراد بها إمّا معرفة الأئمّة و فضلهم و علوّ منزلتهم وهي أكمل فضائل العاقل لأنّه يعرف بنور معرفته أنّهم

دعائم الاسلام وولايج الاعتصام والهداة إلى نور الدّين و أنّ طلب العلم و الفضيلة والوصول إلى أنوار الحكمة و أسرار الشريعة لايتيسّر إلاّ بوساطتهم ولايتحصّل إلاّ بعنايتهم ، و أنّهم الّذين عقلوا الدّين عقل وعاية و رعاية لاعقل سماع ورواية (١) ولايخالفون الحق أبداً ولايتجاوزونه إلى رذيلة الإفراط والتفريط قطعاً و إنكار شيء من ذلك أو عدم معرفته من أخس رذائل الجاهل المغرور برأيه السقيم الراجع عن الصراط المستقيم ، أو المراد بها معرفة الرّب بصفاته و آثاره و أفعاله و كلا-

---

(١) فان قيل أليس الدين لجميع الناس والشريعة لعامتهم ؟ وهل ورد الكتاب و السنة الالفهم جميع الامة وهل يتعبدون الابظواهر الالفاظ على مايفهمون فان كان هذا حقاً فمن سمع وروى لابدأن يعرف معنى الكلام وظاهره اذليس الغرض من الرواية ان يحفظ اللفظ العربى من لايعرف العربية كفارسى يحفظ كلمة تركية لايعرف معناها بل معنى الرواية أن يحفظ لفظاً يعرف معناه وهو حجة عليه فما معنى قولهم «عقل وعاية» وقد ورد في الحديث مكرراً الترغيب في الوعاية وعدم الاكتفاء بالرواية ؟ قلنا نعم ورد الشريعة لجميع الناس وكلهم متعبدون بظاهرها على مايفهم الكلام العربى ويشترك فيه كل من يعرف هذا اللسان و مع ذلك الناس مختلفون فى فهم امور زائدة على المشترك بين الكل فمنها مالم يأت وقت الحاجة اليه ولايمتنع تأخير البيان فيها فيكون مجملا كأحوال القيمة حيث قال «فيم أنت من ذكريها» اذليس في الدنيا حاجة الى معرفة تفاصيلها ويجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب ولعل مثل ذلك كثير فى غير الاعمال البدنية واهل الرواية يكتفون بظواهر الالفاظ واهل الوعاية يتفاضلون فى فهم مالايدل ظاهر اللفظ عليه وفى الالفاظ مايتبادر المعنى منها الى الذهن بحسب العادات كما يتبادر من البيت الى الذهن البدوى الخيمة ومن مجيء الملائكة و خروج الروح التجسم .

وهذا كثير مثل «الله نور السماوات والارض» «وانا عرضنا الامانة على السموات و الارض» و «هو الاول والاخر والظاهر والباطن» و «والملائكة باسطوا أيديهم» و مثله اختلافهم فى معنى العرش و الكرسى وانهما العلم أو القدرة أو جسمان عظيمان واختلافهم فى معنى السموات وانها اجسام لطيفة أو المراد منها عالم المجردات أو أريد به كل منها بحسب المواضع ، واختلافهم فى يد الله و وجه الله و آيات الجبر والتفويض (ش) .

المعينين يناسب ما اشتهر من أنَّ المعرفة إدراك شيء ثانياً بعد الغفلة عن إدراكه أوّلاً وذلك أنّ الله سبحانه أخذ الميثاق على عباده بأنّه ربّهم و محمّداً ﷺ عبده و رسوله و عليّاً عليه السلام أمير المؤمنين و أوصياءه من بعده ولاة أمره و خزّان علمه ثمّ نسوا بعد رقودهم في مراقد أصلاب الآباء و مهاد أرحام الأمّهات وانغمارهم في بحار العوائق الجسميّة و استتارهم بحجب العلايق البشريّة تلك المواثيق القديمة والعهود الوكيدة فمن أيقظته صحيحة المواعظ الإلهيّة عن نوم الغفلة و جذبته أيدي الهداية الرّبانيّة عن تيه الظلمة و تنوّر قلبه بنور الهداية والارشاد واستشرق ذهنه بضوء الاطاعة والانقياد توجّه إلى مولاه و مقتداه بعد النسيان و حصل له بعد الغفلة فضيلة المعرفة و شرف الترقي إلى مقام أهل العرفان و من غرق في بحار الشهوات و نام في مراقد الغفلات حتّى صار بمنزلة الجمادات أو آل إلى التشابه بالأموات ولم يؤثّر فيه تلك المواعظ والنصايح ، ولم يحصل له التميز بين المحاسن والمقابح فهو غريق الغفلة والنسيان و أسير الغي و الطغيان لا ينزجر عن الباطل انزجاراً ولا يتوجّه إلى الحقّ إلاّ جهلاً و إنكاراً و يترك عنان الطبيعة في يد الهوى و يعرض عن ذكر المولى و هو غافل عن قوله تعالى « و من أعرض عن ذكري فانّ له معيشة ضنكا و نحشره يوم القيمة أعمى قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى ».

(والمداراة و ضدّه المكاشفة) المداراة في حسن الخلق التي من فروع الاعتدال في القوّة الغضبيّة تهمز ولا تهمز يقال دارأته وداريته إذا اتّقيته وداجيته ولاينته ، والمقصود أنَّ مداراة الخلق و ترك مجادلتهم و مناقشتهم صديقاً كان أو عدوّاً ، عاقلاً كان أو جاهلاً ، من صفات العاقل كما يظهر ذلك بالاعتبار في حال الأنبياء والأوصياء والأولياء ثمّ الأمثل فالأمثل على تفاوت مقاماتهم و تفاضل درجاتهم ، هذا إذا اقتصروا في حقوقه و أمّا إذا اقتصروا في حقوق الله تعالى فوجب تقويمهم و استرجاعهم بالحكمة والموعظة الحسنة من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و إن افتقر إلى الغلظة جاز عن قدر الضرورة من المواعظ

الحسنة في استجلاب طبايع الجهّال إلى الحقّ و تأنيسهم به أن لا يحمله عليهم دفعة فانّ ذلك ممّا يوجب نفارهم عنه و فساد نظام أحوالهم بل ينبغي أن يحمله ويأنسهم به على التدريج قليلاً قليلاً و ربّما لم يمكنه تأنيسهم به إمّا لغموضه بالنسبة إلى أفهامهم أو لقوّة اعتقادهم في ضدّه فينبغي أن يخدعهم عن ذلك و يميلهم إليه بحسب ما يقتضيه الحكمة و ربّما يحتاج إلى إظهار الحقّ بصورة الباطل كاستدلال إبراهيم عليه السلام بأفول الكوكب بعد قوله: «هذا ربّي» على نقصها المنافي لالهيّتها والمكاشفة من رذائل الأخلاق للمجاهل و من فروع الإفراط في القوّة المذكورة و هي الخشونة و المناقشة و إظهار العداوة و إعلانها المؤدّي إلى المخاصمة و المجادلة و المقابلة إلى غير ذلك من المفاسد والشدائد الموجبة لفساد أحوالهم و بطلان نظامهم.

(و سلامة الغيب و ضدّها المماكرة) الغيب ما غاب عن العيون و إن كان محصّلاً في نفسه و كان المراد به هنا القلب أو رجل غايب، و المنكر الاحتيال والخديعة والمقصود أنّ سلامة القلب و خلوصه من الغشّ والاحتيال و الخدعة في المعاملة مع الإخوان والمعاشرة مع الخلان و غيرهم أو سلامة كلّ غايب من صفات العاقل لصفاء طينته و خلوص عقيدته و علمه بأنّ المؤمنين كنفس واحدة فلا يرضى لهم إلاّ ما يرضى لنفسه و بأنّ المكر بهم مكرٌ بنفسه حقيقة كما قال سبحانه «ولا يحيق المكر السيّء إلاّ بأهله» بخلاف الجاهل المنغمس ذهنه الكثيف في ظلمة الجهالة فانّه لكدرة طينته و فساد عقيدته يتّخذ المكر منهجاً لمطالبه و مسلكاً لمآربه و هو غافل عن سوء مآله عاجلاً و آجلاً و عن اختلال حاله ظاهراً و باطناً.

(والكتمان و ضدّه الافشاء) من شأن العاقل كتمان سرّه بوضعه في صندوق جنانه و عدم فتحه مفتاح لسانه و تحريم إبرازه على أوثق إخوانه فانّك إذا لم تكتم سرّك فكيف تتوقّع ذلك من غيرك و لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المرء احفظ لسرّه(١)» و قال أيضاً «من كتم سرّه كان الخيرة بيده (٢)» وقال أبو الحسن

(١) النهج أبواب الكتب والرسائل تحت رقم ٣١.
(٢) المصدر أبواب الحكم تحت رقم ١٦٢.

عليه السلام: إن كان في يدك هذه شيء فإن استطعت أن لايعلم هذه فافعل، و كان عنده أُناس فتذاكروا الاذاعة فقال: احفظ لسانك تعزّ ولاتمكّن الناس من قياد رقبتك فتذلّ (١)» وإن كنت فاعلاً فعليك بصديق قدجرّبته مراراً و عامت حفظ لسانه سرّاً و جهاراً كمال قال أميرالمؤمنين عليه السلام «الطمأنينة إلى كلّ أحد قبل الاختبار عجز (٢)» و من أشعاره عليه السلام:

لاتودع السرّ إلاّ عند ذي كرم والسرُّ عند كرام الناس مكتومُ
والسرُّ عندي في بيت لـه غلق قدضاع مفتاحه و الباب مختوم

و يندرج فيه كتمان عيبه و معاصيه والكرامات الّتي أودعالله تعالى فيه فانّ إفشاءها قديوجب زوالها و كتمان دينه إذا توهّم الضرر باظهاره قال الصادق عليه السلام لسليمان بن خالد: «ياسليمان إنّكم على دين من كتمه أعزّه الله ومن أذاعه أذلّه الله(٣)» أمره بكتمان دينه من غير أهله و ممّن لايعرف حاله. و كتمان عيب أخيه و سرّه لأنّ المؤمنين إخوة بل هم معدن واحد كنفس واحدة فمن أذاع منهم سرّ أحدهم أو عيبه كان كمن أذاع سرّ نفسه أو عيبه وقد وردت الآيات والرّوايات المتكثّرة على الحثّ به قال الله تعالى: «ولايغتب بعضكم بعضاً أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً» و قال: إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الّذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدُّنيا والآخرة والله يعلم و أنتم لاتعلمون» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله «من أذاع فاحشة كان كمبتديها» (٤) وان أودعك أخوك سرّاً فعليك أن لا تخبر به أحداً وإن كان صديقك لأنّ للصديق أيضاً صديقاً و قال عمّار: قال لي أبوعبدالله عليه السلام: «أخبرت بما أخبرتك به أحداً؟ قلت لا إلاّ سليمان بن خالد. قال: أحسنت أما سمعت قول الشاعر:

---

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب الكتمان تحت رقم ١٤.
(٢) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٣٨٤.
(٣) الكافي كتاب الايمان والكفر باب الكتمان تحت رقم ٣.
(٤) رواه الكليني في الكافي باب التعيير من كتاب الايمان والكفر.

فلايعدونْ سرّي وسرّك ثالثاً ألا كل سرّ جاوز اثنين شايع (١)

قوله عليه السلام «أحسنت» للتقريع كماهو الشايع في استعمال هذا الكلام في المحاورات و يدلّ عليه ما بعده و قيل لرجل : كيف تحفظ السرّ ؟ فقال : أجحد للمخبر واحلف للمستخبر. وجحدهُ و إن كان كذباً لكنّ الكذب مطلوب في بعض المواضع و كذا الحلف و التورية فيها أحسن ، و نقل أنّ رجلاً أفشى سرّه إلى أخيه فقال له أحفظت؛ فقال : بل نسيت؛ و من شأن الجاهل إفشاء السرّ و العيب لعدم علمه بوخامة عاقبته و سوء خاتمته و إنّما ذلك لظلمة جنانه و ضعف إيمانه و رخاوة لسانه و اعتياده بالايذاء والاضرار فدائماً نفسه منه في تعب و بلاء و غيره منه في نصب وعناء .

(والصّلوة و ضدّها الاضاعة) إقامة الصّلوة بحدودها و شرايطها من أكمل فضائل العقل و ملكاته ، و إضاعتها من أعظم رذايل الجهل و صفاته و ذلك لأنّ الصلوة الكاملة الموجبة للمحو عن الهويّات البشريّة والاتّصاف بالصفات الملكيّة والعروج إلى المقامات اللاّهوتيّة كما يعتبر في تحقّقها أعمال بدنيّة مثل الطهارة و ستر العورة والاستقبال إلى بيت الله والتكبير والقراءة والأذكار والركوع والسجود والتشهّد والتسليم كذلك يعتبر في تحقّقها أفعال قلبية بازاء تلك الأعمال وتلك الأعمال بمثابة الجسد وهذه الأفعال بمنزلة الرّوح أمّا طهارة القلب فتخليصه عمّا سواه تعالى و تنزيهه عمّا عداه و أمّا ستره فستر عيوبه عن الرّوحانيين بالتوبة و الانابة طلباً لقابليّة مجاورة الله و مناجاته والدّخول في ساحة عزّه و مشاهدة كمالاته و أمّا استقباله إلى الله فمطالعة جلاله و جماله و قدرته و كماله ، و أمّا قيامه بين يديه فاذعانه بأنّه عبد ذليل عاجز فقير ماثل بين يدي ربّ جليل ، و أمّا تكبيره فبأن يعتقد أنّه تعالى أكبر من أن يصفه الواصفون و ينعته الناعتون و يأتي بحقّ عبادته العابدون ،وأمّا قراءته فبأن يتعمّق في الباطن ما نطق به اللّسان الظاهر ويتذكّر أنّه تعالى هو المستحقّ للحمد والثناء والجامع للكمالات كلها

---

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب الكتمان.

في ضمن أحسن الأسماء و أنّه ربّ كلّ شيء، يعطيه ما يليق به من حاله آناًفآناً و يبلغه إلى غاية كماله شيئاً فشيئاً فكلّ شيء سواء في رقّ الحاجة إليه مفتقر إلى فيضه مقهور بين يديه و أنّه المنعم في الدّنيا والآخرة ينعم كلّ أحد بمايليق بحاله و أنّه المالك في يوم الجزاء بالاستحقاق ولامالك فيه غيره على الاطلاق، و أنّه المعبود المستحقّ للعبادة وغاية الخضوع دون غيره ، وأنّه المستعان في جميع المهمّات وفي أداء العبادات، وأنّه الهادي إلى الدّين القويم والصراط المستقيم صراط أمير المؤمنين والأئمّة المعصومين عليهم السلام ، وأنّه الموفّق للميل عن صراط الضالّين المضلّين ، و أمّا ركوعه فبان يتواضع و يتخشّع و يعترف بأنّه تعالى متّصف بالعظمة والكبرياء، و مستحقّ بأن يتذلّل له الأشياء بالانحناء ، وأمّا سجوده فبأن يرى كلّ شيء عند كمال عظمته موضوعاً و كلّ قدر عند جلال رفعته مخفوضاًو يتواضع له زايداً على ما سبق ويلقى نفسه على تراب المسكنة والافتقار ويضع جبهته على غبار العجز والانكسار، وأمّا تشهّده فبأن يشاهد بعين البصيرة تفرّده بالالهيّة و توحّده بالرّبوبيّة و تنزّهه على أن يشاركه في العبادة ، و أمّا تسليمه فبأن يقصد أنّه قطع المراحل الناسوتيّة و بلغ المنازل اللاّهوتيّة و رأى عند أبوابها الملائكة المقرّبين والأنبياء والمرسلين و عباد الله الصالحين خاشعين لهيبته فيسلّم عليهم تحيّة لهم وتأنيساً بهم ، وبالجملة المقصود الأصلي من الصلاة تطويع النفس الأمّارة للعقل و تمرينها على موافقته و هو لا يحصل بدون حضور القلب و أفعاله المذكورة والتفاته إلى مشارق أنوار الحقّ و مطالع أسراره و تجرّده عن جلابيب العوايق البشريّة و سيره في عالم التوحيد والصّلوة بهذا الوجه أعني المشتملة على الأعمال البدنيّة والأفعال القلبيّة من أكمل فضائل العاقل العارف بالله و آياته ، وهي الّتي ورد في وصفها والحثّ عليها قوله تعالى «إنّ الصّلوة تنهى عن الفحشاء» و قوله تعالى «قد أفلح المؤمنون الّذين هم في صلاتهم خاشعون» وقوله

صلى الله عليه وآله «الصلوة عمود الدّين(١)» و قوله «الصّلوة مفتاح الجنّة (٢)» و قوله «من صلّى ركعتين ولم يحدّث نفسه فيهما بشيء من الدّنيا غفر الله ذنوبه(٣)» و قوله «قرّة عيني في الصّلوة (٤)» وقوله: «الصّلوة قربان كلّ تقيّ(٥)» و إضاعتها من جنود الجهل وصفات الجاهل وهي عبارة عن تركها بالمرّة أو الإتيان بالأعمال البدنيّة مجرّدة عن الأفعال القلبيّة لانّ الاضاعة تختلف باختلاف حال الجهل و رسوخه فربّ جاهل يبلغ جهله إلى حدّ يتركها بالكلّيّة لسواد قلبه و زوال بصيرته واعتقاده و ربّ جاهل يصلّي ولا يخطر بباله أنه يصلّي إلى آخر الصلوة لتسلّط النفس و الشيطان عليه و اشتغال قلبه بغير الله والتفاته إلى ماسواه و يشملها الذّم في قوله تعالى «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصّلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً» وربّ جاهل يصلّي وهو أنّه يصلي في بعض الأوقات دون بعض ويحضر قلبه في بعض الأفعال دون بعض وهذا فعله مختلط وعمله ممتزج يقرب من الحقّ تارة ويبعد أخرى والّذي يقتضيه النظر أنه في خطر عظيم ولكن دلّ بعض الرّوايات المعتبرة أنّه يقبل من صلوته بقدر مايعقله وهذا دالّ على صحّة صلوته وخروجه عن عهدة التكليف(٦)

---

(١) أخرجه أبو نعيم الفضل بن دكين في كتاب الصلاة وابن منيع أيضاً . كما في الجامع الصغير و كنوز الحقائق للمناوي.

(٢) لم أجده هكذا وللدارمي في سننه من حديث جابر بن عبدالله الانصاري «مفتاح الجنة الصلاة».

(٣) اخرجه احمد في مسنده ج٤ ص ١١٢ و١١٧. ورواه ابن المبارك في الزهد و الرقائق والراوندي في لب اللباب كما في المستدرك الوسائل كلهم بزيادة «من توضأ وصلى ركعتين-الحديث» وبادنى اختلاف في لفظه.

(٤) أخرجه النسائي ج٧ ص ٦٧ في حديث عن انس . ورواه الصدوق في الخصال أبواب الثلاثة ج١ص٧٩.

(٥) رواه الكليني في الكافي كتاب الصلاة باب فضل الصلاة تحت رقم ٦ .

(٦) قد يقع في كلام بعضهم ان قبول العمل شيء وصحته شيء آخر ويمكن ان يكون العمل صحيحاً غير مقبول وربما ترى في كلام اهل التحقيق انكار هذا المعنى و نسبته الى ※

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

(والصوم و ضدّه الافطار) ليس المراد بالصوم هنا مجرّد الامساك عن الطعام والشراب وغيرهما من الأمور المذكورة في كتب الفقهاء بل المراد به الإمساك عنها و عن جميع مايوجب البعد عنه تعالى ولايتحقّق ذلك إلاّ بصوم جميع الجوارح والأعضاء الظاهرة والباطنة و إمساكها عمّا يكره أو يحرم و ذلك بأن يجتنب عن أذى الخادم و غيره و عن ضربه وشتمه، و يحفظ البصر عن النظر إلى مالاينبغي النظر إليه والقلب عن ذكر غيرالله والسمع عن استماع مالايجوز و اللّسان عن الكذب والهذيان والغيبة والبهتان والحلف والمراء و إنشاد الشعر في اللّيل والنهار ويعفّ البطن والفرج عن تناول الشبهات والمحرمات و إكثار الحلال من الأطعمة والأشربة و تناول أنواع المستلذّات وقت الإفطار، وقس على ذلك سايرالأعضاء و هو مع ذلك يقوم بين الخوف والرّجاء في ردّه لتجويز التقصير فيه و قبوله لملاحظة لطف الله و كرمه ولاريب في أنّ الصوم بهذا المعنى من أفضل خصال العقل و أعظم جنوده الّتي يستعين بها في جهاد النفس الأمّارة بالسوء و كسر قوتها و شهواتها و إنّ الإفطار يعني ترك الامساك عن جميع ماذكر أو عن بعضه من أكمل رذايل الجهل وأعوانه في إطاعة المهويات النفسانية وتناول الشهوات الشيطانية والملتذّات الجسمانية الموجبة للبعد عن نيل رحمة ربّ العالمين والقرب من أسفل السافلين نعوذ بالله من مخاطرات الجهل و همزات الشياطين

(والجهاد و ضدّه النكول) الجهاد بالكسر مصدر جاهدت العدوّ إذا قابلته في

---

* الحشوية أي جهال اهل الحديث و حجة هؤلاء أن الله تعالى امر بشيء اتى به المكلف على ما امر به فيستحق الثواب عليه عقلا و نقلا حيث قال «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره» ومن يدعى أن الله تعالى ربما لايقبل العمل الصحيح ان أراد به أنه لايعطيه ثواباً اصلا فهو قبيح لايجوز نسبته الى الله تعالى وان أراد أنه يعطي ثواباً أقل من أمثاله لقلة شرائط الكمال فهو ممكن و لكنه غير متبادر من لفظ القبول والحق أن كل عمل صحيح مجز يثاب عليه وان اختلفت الاعمال باختلاف شرايط الكمال ولاريب فى صحة ماذكر الشارح من استفادة صحة العمل من الرواية ولابد أن يحمل القبول فى الروايات على زيادة الثواب لا اصل الثواب (ش).

تحمّل الجهد إذ كلّ واحد من المتخاصمين يبذل طاقته و يتحمّل مشقته في دفع صاحبه ، والنكول الجبن يقال : نكل عن العدوّ ينكل بالضم أي جبن ، والناكل الجبان، الضعيف ، ثمّ الجهادُ على خمسة أصناف جهاد مع العدوّ الظاهر وهو الكافر قال الله تعالى « انفروا خفافاً و ثقالاً و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله» و جهاد مع العدوّ الخفي قال الله تعالى « إنّ الشيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدوّاً» وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجّة قال الله تعالى «وجادلهم بالّتي هي أحسن» و جهاد مع الفاسق من أهل الايمان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال الله تعالى «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» و جهاد مع النفس الأمّارة بالسوء قال الله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سلبنا» وهذا الصنف أشقّ وأعظم من الجميع كما دلّت عليه التجربة ودلّ عليه ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله بعث بسريّة فلمّا رجعوا قال: «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر و بقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس (١)» و من نظر في هذا الخبر الّذي نحن في صدد شرحه حقّ النظر وتأمّل في كثرة جنود الجهل و كثرة شوكتها و غلبتها في الأكثر حقّ التأمّل عرف سرّ كون هذا الجهاد أعظم و أكبر و نحن نذكر حقيقته و كيفيّته و وجه كونه أعظم في كتاب الجهاد إن شاء الله تعالى ولا يبعد أن يراد بالجهاد هنا جميع هذه الأصناف لأنّ كلّ واحد منها من صفات العقلاء و خواص الأولياء و الصّابرين في البأساء والضّراء الّذين غاية مناهم تخليص نفوسهم و نفوس عباد الله عن قيود الهلكات ، و أغلال الشبهات و سلاسل الزّلات وانتزاعها من أيدي هذه الدّنيا الغدّارة والأبالسة المكارة و سياقها إلى بساط الحقّ و ساحة رحمته ومحلّ كرامته و فناء جنّته فيدخلون فيها إخواناً على سرر متقابلين لا يمسّهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين و أمّا النكول عن الجهاد والتقاعد منه فهو من سمات الغافلين و صفات الجاهلين الّذين يسلكون مسالك النفوس الأمّارة و يختارون راحتها على مشاقّها

(١) الكافي كتاب الجهاد باب الجهاد الاكبر.

و هم عن شناعة العاقبة جاهلون و يؤثرون الحيوة الدّنيا على الآخرة و هم عنها غافلون.

(والحجّ وضدّه نبذ الميثاق) و الحجّ بالفتح القصد وقد غلب على قصد الكعبة للنسك المعروف، وبالكسر الاسم، والميثاق العهد ونبذه نقضه من نبذ الشيء من يده طرحه و رمى به لأنّ نقض العهد طرح له والمقصود أنّ حجّ بيت الله تعالى من صفات العاقل الّذي شأنه الوفاء بالعهد والميثاق و تركه من صفات الجاهل الّذي شأنه نقض العهد والميثاق و ذلك لأنّ الله تعالى لمّا أراد أن يأخذ المواثيق من العباد أخذها في ذلك المكان و أمر الحجر و هو ملك بهذه الصورة يسمع و يرى فالتقمها فمن أتاه وجدّد له الاقرار يشهد له بالموافاة يوم القيمة ومن لم يأته فهو ناقض العهد وناسيه ويشهد عليه بالكفر والانكار و نقض العهد يدلّ على ذلك روايات متكثّرة ويحتمل أن يراد بالميثاق ما أجابوا عند نداء إبراهيم عليه السلام وطلبه إيّاهم إلى الحجّ وهم في أصلاب الآباء وأرحام الأمّهات بقولهم لبيك اللّهمّ لبيك و يحتمل أيضاً أن يراد بالحجّ القصد إلى الأئمة الطاهرين عليهم السلام و العكوف في أبواب علومهم و معارفهم والسؤال عنهم لأنّ الله تعالى أخذ ميثاق ذلك على العباد. و نبذ الميثاق تركهم والرّجوع إلى أصحاب الأهواء الباطلة و أرباب الآراء الفاسدة و من الأفاضل لما رأى أنّ عدد الجنود زائد على الخمسة و السبعين بثلاثة حكم بأن هذه الفقرات الأربع أعني ه الصلوة وضدّها الاضاعة إلى آخر الأربع ترجع إلى فقرة واحدة أعني العبادة وضدّها الاضاعة (١) والله أعلم

---

(١) قدمر في شرح اول الحديث في الصفحة ٢٧٠ ان مفهوم العدد غير معتبر و ليس المراد الحصر في خمسة وسبعين بل الجنود اكثر من ذلك بكثير و انما ذكر الاهم و الاعرف ومر أيضاً كلام الشيخ بهاء الدين و قال في الوافي: المذكور في النسخ التي رأيناها عند التفصيل ثمانية و سبعون و لعل الثلاثة الزائدة الطمع والعافية والفهم لاتحاد الاولين مع الرجاء والسلامة المذكورين و ذكر الفهم مرتين في مقابلة اثنين متقاربين و لعل الوجه في ذلك انه لما كان كل منها غير صاحبه في دقيق النظر ذكر على حدة و لما كان الفرق دقيقاً خفياً والمعنى قريباً كما يأتي ذكره لم يحسب من العدد وقال المجلسي - ره - وفي الخصال وغيره زيادات اخر يرتقي منها الي احدى وثمانين (ش) .

(وصون الحديث و ضدّه النميمة) نمّ الحديث ينمّه و ينمّه بالضم و الكسر نمّاً أي قتّه والاسم النميمة والرّجل نامّ و نمّ و نمّام أي قتّات للمبالغة والقتّات من قتّث الحديث إذاسمعته وجمعته و كذلك فعل النمّام، وقال في النهاية: النميمة نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الافساد والشرّ، ومثله قال المازري وعلى هذا هذه الفقرة أخصّ من الكتمان والافشا، لأنّ الكتمان أعم من صون الحديث و غيره والافشاء أعمّ من نقل الحديث وغيره ، وقال الغزالي : النميمة كشف ما يكره كشفه من قول أو فعل كرهه المنقول عنه أو إليه أو ثالث و على المنقول إليه أن لايصدق الناقل لأنّه فاسق و أن ينهاه لأنّ نهيه من النصيحة وأن يبغضه لأنّه مبغض عندالله ويجب بغض من يبغضه الله سبحانه وأن لايظنّ بالمنقول عنه شرّاً وأن لايجسّس عليه ولايحكى ما نقل عنه لأنّه يصير نمّاماً ، و حكمها الحرمة لتضمّنها مفسدة عظيمة من التباغض والتباعد والتفارق و كسر عرض المؤمن و قد يؤدّي إلى سفك الدّماء و نهب الأموال ونحوها إلّا أن تتضمّن مصلحة شرعيّة فلا تمنع كإخبار الامام عمّن يريد أن يوقع فساداً و إخبار الرّجل عمّن يريد أن يفتك به أو بأهله أو بماله وقد يجب ذلك بحسب المواطن إلا أنّها حينئذ ليست بنميمة وقد ورد الرّوايات على ذمّ النمّام منها ماروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «محرّمة الجنّة على القتّاتين (١) المشائين بالنميمة» (٢).

(و برّ الوالدين و ضدّه العقوق) قال في النهاية : البرّ بالكسر الاحسان منه الحديث في برّ الوالدين و هو في حقّهما و حقّ الأقربين من الأهل ضدّ العقوق وهو الاساءة والتضييع لحقّهم يقال: برّ يبرّ فهو بارّ وجمعه بررة وجمع البرّ أبرار و هو كثيراً ما يخصّ بالأولياء والزّهاد والعبّاد ، وعقّ والده يعقّه عقوقاً فهو عاقّ إذا آذاه وعصاه و خرج عليه وأصله من العقّ و هو الشقّ والقطع و قد

(١) قتوه سخن چينى (ش).

(٢) الكافى كتاب الايمان والكفر باب النميمة تحت رقم ٢.

ورد من طرق الخاصّة والعامّة أن عقوق الوالدين من كباير الذّنوب فالبرّ بحكم التضادّ من عظايم الحسنات ، و من برّك بهما أن تحسن صحبتهما وتقضي ديونهما و تعينهما على فعل الخيرات ، وتفعل ما يسرّهما و تترحّم عليهما ، و توصل مما أمكن من الخيرات إليهما ، ولاتكلفهما سؤال شيء ممّا يحتاجان إليه ، ولا تقول لهما: اُفّ إن أضجراك ، ولاتنهرهما إن ضرباك ، ولاتملأ النظر إليهما إن أغضباك ولاترفع صوتك فوق أصواتهما ولايدك فوق أيديهما ، ولاتقدّمهما ولاتستسبّهما بأن تسبّ أبا غيرك و اُمّه فيسبّ أباك و اُمّك ولاتفعل ما يؤذي نفسك أو صديقهما فان ذلك يؤذيهما ، ولاتعنهما على الظلم فانّ الاعانة عليه خلاف البرّ ، ولاتسافر إلاّ باذنهما و إن كان إلى الجهاد لأنّ اُنسهما بك يوماً و ليلة خيرٌ من جهاد سنة، ثمّ لافرق في وجوب برّهما بين أن يكونا حيّين أو ميّتين لرواية محمّد بن عمران عن الصّادق عليه السلام ورواية محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : «إنّ العبد ليكون بارّاً بوالديه في حيوتهما ثمّ يموتان فلايقضي عنهما دينهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عزّ وجلّ عاقّاً ، و إنّه ليكون عاقّاً لهما في حيوتهما غير بارّ بهما فاذا ماتا قضى دينهما و استغفر لهما فيكتبه عزّ وجلّ بارّاً (١)» و كذا لافرق بين أن يكونا برّين أو فاجرين لما رواه عنبسة بن مصعب عن أبي جعفر عليه السلام قال :«ثلاث لم يجعل الله عزّ وجلّ لأحد فيهنّ رخصة أداء الامانة إلي البرّ والفاجر . والوفاء للعهد للبر والفاجر وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين (٢)» ولا بين أن يكونا مؤمنين أو مخالفين أو كافرين لروايات متكثّرة منها رواية جابر عن أبي عبدالله عليه السلام (٣) و رواية زكريا بن ابراهيم عنه عليه السلام (٤) .

(والحقيقة و ضدّها الرياء) لكلّ شيء حقيقة و حقيقة العمل هي الاخلاص

---

(١) و(٢) الكافي كتاب الايمان والكفر باب البرّ بالوالدين تحت رقم ٢١ و ١٥ .

(٣) و (٤) المصدر تحت رقم ١٠ و ١١ .

يعني، صرفه إلى الله طلباً لرضاه والرّياء وهو القصد بالطاعة إلى التقرّب بالمخلوقين و طلب المنزلة في قلوبهم والميل إلى إعظامهم له و توقيرهم إيّاه و تسخيرهم لقضاء حوائجه و القيام بمهمّاته إلى غير ذلك من الأغراض الفاسدة النفسانيّة والتسويلات الكاسدة الشيطانيّة مناف لتلك الحقيقة وضدّها لايجامعها أصلاً كما أشرنا إليه سابقاً بخلاف الشوب في قوله عليه السلام «والاخلاص وضدّه الشوب» فانّ بعض أفراده و هو ما إذا ضمّ إلى العبادة قصد تحصيل الثواب والتحرّز عن العقاب أو قصد التبرّد والتسخّن غير مناف لحقيقة الاخلاص وإنّما هو مناف لكماله فلذلك لم يجعل الشوب ضدّ الحقيقة مثل الرّياء إذاعرفت هذا فنقول: إن خصّصنا الرياء في هذه الفقرة بالرّياء الخالص و عمّمنا الشوب في الفقرة السابقة بشوب الرياء و غيره أو خصّصنا الشوب بشوب غير الرياء و عمّمنا الرياء هنا بالرّياء الخالص والرّياء المنضمّ كان بينهما تباين في التحقّق قطعاً و في الحكم أيضاً على الثاني دون الأوّل لأنّ الرّياء مبطل للحقيقة مطلقاً والشوب على الثاني غير مبطل للحقيقة بل لكمالها عند بعض و على الأوّل أعمّ من أن يكون مبطلاً أو غير مبطل و إن عمّمنا الشوب والرّياء كليهما كان بينهما عموم من وجه في التحقّق وعموم مطلق في الحكم.

(والمعروف و ضدّه المنكر) أي الاتيان بهما والكلام هنا في سبعة أشياء الأوّل في حدّ المعروف و هو في اللّغة اسم لكلّ ما اتّصف بحال يوجب كونه معلوماً و منه يقال: فلان معروف إذا اتّصف بوصف يوجب شهرته بين الناس وفي الشرع اسم لجميع ما يتقرّب به العبد إلى الله تعالى واجباً كان أو ندباً مثل الصلوة والزّكوة والاحسان إلى الناس و إعطاء فضل المال إلى غير ذلك من مكارم الأعمال و محاسن الأفعال ولايبعد تخصيصه هنا بماسوى الواجبات ممّا يتعلّق بالحقوق الماليّة لقول الصادق عليه السلام «المعروف شيء سوى الزكوة فتقرّبوا إلى الله عزّ وجل

بالبرّ وصلة الأرحام (١)» والمنكر الشيء المتغيّر عن حاله ووصفه حتّى ينكر و يجهل ومنه النكرة ضدّ المعرفة فانّ المعرفة إذا غيرت عن وصف التعريف تصير نكرة مجهولة. الثاني في باعثه وعلّته قال الصادق عليه السلام «وليس كلّ من يحبّ أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه و ليس كلّ من يرغب فيه يقدر عليه ولا كلّ من يقدر عليه يؤذن له فيه فإذا اجتمعت الرّغبة والقدرة والاذن فهنالك تمّت السعادة للطالب والمطلوب إليه (٢)». الثالث في ثمرته و فوائده ، وفوائده غير محصورة منها ما أشار إليه الباقر عليه السلام قال : « قال « رسول الله صلى الله عليه وآله : أوّل من يدخل الجنّة المعروف و أهله ، و أوّل من يرد عليّ الحوض (٣)» وما أشار إليه الصادق عليه السلام بقوله «صنايع المعروف تقي مصارع السوء (٤)». الرابع في خصال أهله قال الصادق عليه السلام « رأيت المعروف لا يصلح إلاّ بثلاث خصال تصغيره وتستيره وتعجيله فإنّك إذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه إليه ، و إذا سترته تمّمته ، و إذا عجّلته هنّأته و إن كان غير ذلك سخّفته و نكدّته (٥)». الخامس في وضعه موضعه قال الصادق عليه السلام لمفضل بن عمر: «إذا أردت أن تعرف إلى خير يصير الرّجل أم إلى شرّ فانظر إلى أين يضع معروفه فان كان يضع معروفه عند أهله فاعلم أنّه يصير إلى خير وإن كان يضع معروفه عند غير أهله فاعلم أنّه ليس له في الآخرة من خلاق(٦) » و قال جابر: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : «لو أنّ الناس أخذوا ما أمرهم الله به فأنفقوه فيما نهاهم الله عنه ما قبله منهم ولو أخذوا ما نهاهم الله عنه فأنفقوه فيما أمرهم الله به ما قبله منهم حتّى يأخذوه من حقّ و ينفقوه في حق (٧) » . السادس في آدابه وهي اختيار المتوسط بين الافراط والتفريط قال الله تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً » و قال أبو الحسن عليه السلام « لا تبذل لاخوانك من

---

(١) و (٢) و(٣) الكافي كتاب الزكاة باب فضل المعروف تحت رقم ٥ و ٣ و ١١.

(٤) المصدر باب أن صنائع المعروف تدفع مصارع السوء تحت رقم ١.

(٥) المصدر باب تمام المعروف تحت رقم ١.

(٦) و (٧) المصدر باب وضع المعروف موضعه تحت رقم ٢ و ٤ .

نفسك ما ضرّه عليك أكثر من منفعته لهم» (١) السّابع عدم كفران الطالب للمعروف قال أبوعبدالله عليه السلام: « لعن الله قاطعي سبيل المعروف ، قيل : وماقاطعوا سبيل المعروف قال : الرّجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره (٢)» وقال عليه السلام: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أتى إليه معروف فليكاف به ، فإن عجز فليثن عليه فإن لم يفعل فقد كفر النعمة(٣)» و إذاعرفت المعروف وأقسامه و أحكامه عرفت المنكر و أقسامه وأحكامه بالتضادّ ، والأوّل من صفات العاقل العارف المستيقن بالله و باليوم الآخر، المشفق بعبادالله، والثاني من صفات الجاهل المغرور بالدّنيا المفتون بزهراتها .

(والستروضدّه التبرّج) الستر بالفتح مصدر سترت الشيء أستره إذاغطيته فاستتر هو و تستّر أي تغطّى والرّجل ستير أي عفيف ، والجارية ستيرة ، و أمّا الستر بالكسر فهو ما يستر به كالسترة بالضم يعني أنّ من جنود العقل و صفات العاقل سترالذّنوب بالتوبة أو سترها عن الناس لقوله صلى الله عليه وآله : « المذيع بالسيّئة مخذول والمستتر بها مغفور له (٤)» أوستر زلاّت المؤمنين و عوراتهم ومعايبهم أو ستر الحلي والزّينة و مواضعها عن الأجانب مثل السوار للزند و الخلخال للساق والدّملج للعضد والقلادة للعنق والقرط للأذن والوشاح للعاتق والكشح ، و هذا أظهرالاحتمالات بقرينة ضدّه إذالظاهرهوأنّ التبرّج إظهارالمرأة زينتها ومحاسنها للأجانب و هوحرام عليها قال الله تعالى: « ولايبدين زينتهنّ ـ الآية» وقال : « ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى»وإذاحرّم إظهارها حرّم إظهارمواضعها بالطريق الأولى و هو متّفق عليه بين العامّة والخاصّة ومن التبرّج تطييبها و تجمير ثوبها و تزيينها بأثواب فاخرة و خروجها من بيتها و تعرّضها نفسها للرّجال فيطمع منهم من كان في قلبه مرض قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أيّة امرأة تطيّبت وخرجت من

(١) الكافي باب آداب المعروف تحت رقم٢.

(٢) و(٣) الكافي باب الكفر المعروف تحت رقم ١و٢ـ

(٤) الكافي كتاب الايمان والكفر باب ستر الذنوب تحت رقم ١.

بيتها فهي تلعن حتّى ترجع إلى بيتها متى رجعت » (١) و قال أبوعبدالله عليه السلام « لا ينبغي للمرأة أن تجمّر ثوبها إذا خرجت من بيتها» (٢) ومنه إظهار صوت حليّها للاجانب قال الله تعالى: «ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن».

(والتقيّة وضدّها الاذاعة) في الصحاح اتّقى يتّقي أصله اوتقى على افتعل قلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها واُبدلت منها التاء و ادغمت، فلمّا كثر استعماله في لفظ الافتعال توهّموا أنّ التاء من نفس الحروف يعني من نفس حروف الكلمة و اُصولها فجعلوه إتّقى يتّقي بفتح التاء فيهما مخفّفة ثمّ لم يجدوا له مثالاً في كلامهم يلحقونه به فقالوا تقى يتقي مثل قضى يقضي. وفي المغرب الوقاية والوقا ، كلّ ما وقيت به شيئاً والتقيّة اسم من الاتقاء، وتاؤها بدل من الواو لأنّها فعيلة من وقيت وهي أن يقي نفسه من اللائمة أو من العقوبة و إن كان على خلاف مايضمر و في القاموس اتّقيت الشيء وتقيته وأتقيه وأتقيه تُقى وتقيّة وتقاء ككساء: حذرته، والإذاعة إفعال من الذيع يقال: ذاع الخبر يذيع ذيعاً إذا انتشر وأذاعه غيره أي أفشاه والمذياع الّذي لايكتم السرّ. إذا عرفت هذا فنقول التقيّة جايزة إلى يوم القيمة نقله المغرب عن الحسن أيضاً وهي دين الله في عباده وسنّة الله في بلاده (٣)

---

(١) و (٢) الكافي كتاب النكاح باب التّجمّر تحت رقم ٢ و ٣.

(٣) التقية دين الله في عباده فانه تعالى امر بذلك وسنة الله في بلاده لان الناس مجبولون عليها ولايخالفون الجبارين في سلطانهم الااذا علموا من انفسهم قوة وقدرة على دفعه . واعلم ان التقية من السلطان اعني الحكومة والحكومة لايهتم بشيء الابما ملكه وقدرته فاذا احتمل من جماعة خروجاً عليه دفعهم ونكل بهم سواء كانوا موافقين له في المذهب أو مخالفين وان لم يعتقد فيهم خلافاً لهم ومذهبهم ولذلك امر الائمة عليهم السلام شيعتهم باستعمال التقية واظهار الطاعة حتى يامن الامراء من بوائقهم ويخلوهم وهذا اكثر تأثيراً في بيان الاحكام و ترويج الشرع وانما بقي مذهب التشيع وانتشر هذا الانتشار السريع العظيم بشيئين بأمن الامراء من طغيانهم و بائقتهم في بلاد المخالفين و بتنزه علمائهم من تصدى مناصب الحكومة واستقلالهم في امرهم بحيث لايحتمل العزل والنصب في حقهم كما في علماء اهل الخلاف «ش».

و جنّة المؤمن يدفع بها سيوف مكر الماكرين وترسه يردّ بها سهام كيد الكائدين وحصنه يأوي إليه لدفع تعدّي الظالمين و من صفات العاقل الفاضل الّذي يعلم حقيّتها و حقيقتها و مواضع استعمالها و موارد الحاجة إليها فيقول و يفعل عند الضرورة والحاجة بخلاف ما يعتقده حفظاً لنفسه وماله وغيره من المسلمين عن التورّط في المهالك ويحسن صحبة الأشرار تحرّزاً من عقوبتهم وتفرّزاً من مؤاخذتهم وقد روي «أنّ رجلاً استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بئس أخو العشيرة فأذن له فلمّا دخل عليه أقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بوجهه و بشره يحدّثه حتّى فرغ و خرج من عنده فقيل له: يارسول الله أنت تذكر هذا الرّجل بما ذكرته و أقبلت عليه بوجهك و بشرك فقال عليه السلام: إنّ من شرّ عباد الله من يكره مجالسته لفحشه (١)» و تقيّة الأئمة عليهم السلام من أهل الجور مشهورة في الكتب مسطورة و في الآيات والرّوايات الكثيرة دلالة على جوازها بل على وجوبها قال الله تعالى: «إلّا من اُكره و قلبه مطمئنّ بالإيمان» نزل في عمّار بن ياسر حين(٢) أكرهه أهل مكّة و قال: «اولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا» قال الصّادق عليه السلام: بما صبروا على التقيّة و قال: «ويدرؤن بالحسنة السّيئة» قال عليه السلام: الحسنة التقيّة والسيّئة الإذاعة (٣)»

---

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب من يتقى شره وأخرجه مسلم ج٨ ص ٢١ .

(٢) ويعيب مخالفونا على مذهبنا في التقية و عمدتهم في ذلك ان النبي «ص» والائمة عليهم السلام في اعتقادكم نصبوا لبيان الشرايع والاحكام فلو اتقوا من الاعداء ولم يبينوا بقيت الاحكام مستورة غير معلومة وانتفت الفائدة من نصبهم وأيضاً لم يبق اعتماد على أقوالهم و أحكامهم اذ يحتمل التقية بيان خلاف الواقع وانتم تقولون الامام يجب أن يكون معصوماً من الخطأ ليكون قوله حجة والتقية مثل الخطأ او اشنع اذ يوجب عدم الاعتماد عليهم والجواب ان فرض التقية انما هو فيما لا يوجب خفاء الاحكام ولا ينتفي به الاعتماد على قول الامام وفرق بين التقية وعدم العصمة لان التقية عمد فاذا افتى بالتقية وكان عالماً به لم يمنعه من بيان الحقيقة في وقت آخر بحيث يزيل الشبهة و أما عدم العصمة فربما يخطى في الحكم او في الفعل ولا يعلم به ولا يلتفت اليه فيمضي الامر على خطائه وان أراد الاستدراك احتمل خطائه في الثاني دون الاول «ش».

(٣) راجع الكافي كتاب الايمان والكفر باب التقية.

و بالجملة التقيّة ترس العاقل و حرزه و جنده ، و أمّا ضدّها و هي الاذاعة فمن صفات الجاهل الّذي يقصر نظره عن ملاحظة سوء عاقبتها و قبح مآلها فانّه قد يفعل شيئاً أو يتكلّم بكلام أو يروي حديثاً يورث قتله أو ضربه أو حبسه أو شتمه أو نهب أمواله أو سبي ذراريه أو نكال غيره من المسلمين وقد دلّت الآيات و الرّوايات المتكثّرة على ذمّها قال الله تعالى : «فاذا جاءهم أمر من الأمن أوالخوف أذاعوا به» و قد عيّرهم بالاذاعة فايّاكم و الاذاعة و قال الصادق عليه السلام : «ماقتلنامن أذاع حديثنا خطاء ولكن قتلنا قتل عمد (١)»

(والانصاف و ضدّه الحميّة) الانصاف العدل والتسوية يقال: القاضي أنصف بين الخصمين إذا عدل و سوّى بينهما في المجلس، وفلان أنصف الناس من نفسه إذا رضي لهم ما رضي لنفسه و كره لهم ما كره لنفسه و حكم على نفسه لو كان الحقّ لهم و عن الصادق عليه السلام : «سيّد الأعمال ثلاثة وعدّ منها إنصاف الناس من نفسك حتّى لاترضى لك بشيء الّا رضيت لهم مثله(٢)» و منه الانصاف في المعاملة وهو أن لايأخذ من صاحبه من المنافع إلّا مثل ما يعطيه ولاينالُه من المضارّ ما يناله منه وهو من أكمل فضايل العقل لأنّ العاقل يعلم أنّ من أنصف زاده الله تعالى عزّاً في الدّنيا و الآخرة و هو في ظلّ عرشه يوم لاظلّ إلّا ظلّه. والحميّة الأنفة يعني استنكاف الرّجل من دخول العار عليه وهي سبب لحميّته وحمايته وغايتها أن يدفع عن قومه ظلماً أو جوراً و إن أدّى دفعه إلى ظلم و جور أشنع و أقبح من ذلك أو يرتكب لدفع ماهو خلاف الأولى عن نفسه أو عن قومه ضرراً عظيماً لغيره أو يرى شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين أو نحوها ممّا هو شريعة الجهلاء و طريق السفهاء لقسوة قلوبهم و غلظة طبايعهم حتّى أنّهم يستعملون لسوط واحد سيوفاً و يحدثون لحتف واحد حتوفاً و يقيمون حميّة الجاهليّة الأولى و يظنّون أنّ ذلك مماثل للانصاف بل هو أفضل وأولى فلايجدون إلى الانصاف دليلاً أولئك كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب الاذاعة تحت رقم ٤.

(٢) المصدر باب الانصاف والعدل تحت رقم ٧.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من تعصّب أو تعصّب له فقد خلع ربقة الايمان من عنقه»(١) وقال: من كان في قلبه حبّة من خردل من عصبيّة بعثه الله تعالى يوم القيمة مع أعراب الجاهليّة»(٢) و ينبغي أن يعلم أن تعصّب الرّجل وحميّته في الدّين ومحبّته لقومه و إعانته لهم لا على الظلم ليست من الحميّة المذمومة قال علي بن الحسين عليهما السلام: «لم تدخل الجنّة حميّة غير حميّة حمزة بن عبدالمطلب وذلك حين أسلم غضباً للنّبي صلى الله عليه وآله في حديث السلا الّذي ألقي على النبيّ صلى الله عليه وآله»(٣) و قال عليه السلام: «ليس من العصبيّة أن يحبّ الرّجل قومه و لكن من العصبيّة أن يعين قومه على الظلم.»(٤)

(والتهيئة و ضدّها البغي) التهيئة إمّا بمعنى الموافقة يقال: تهايئوا أي توافقوا أو بمعنى الاصلاح تقول: هيّأت الشيء إذا أصلحته ، أو بمعنى تهيئة النفس و استعدادها للحركة نحو الفضايل والاعراض عن الرّذايل أو بمعنى مايتبع ذلك الاستعداد من هيئة حسنة راسخة موجبة لعدم ظهور ريبة منها و لبقائها على حالة واحدة واستمرارها عليها وهي في الحقيقة مبدء لتحصيل الكمالات . قال في المغرب: الهيئة هي الحالة الظاهرة للمتهيّيء للشيء و قوله عليه السلام : اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم(٥)» قال الشافعي ذو الهيئة من لم يظهر منه ريبة والبغي بمعنى طلب الشرّ يقال: بغى أحدهما صاحبه في شيء أي طلب له شرّاً أو أراده له و بمعنى التعدّي والاستطالة والظلم و كلّ مجاوزة المحلّ و إفراط على المقدار الّذي هو حدّ الشرع ولعلّ المقصود والله يعلم أنّ الموافقة بين الناس أو بين الامام والرّعية أو إصلاح النفس من رينها وصقلها من كدرة شرارتها أو استعدادها نحو الكمال أو الهيئة التابعة لذلك الاستعداد الموجبة لعدم ظهور ريبة منها و لبقائها على حالة واحدة مع استمرارها على تلك الحالة و عدم خروجها منها من صفات العقل و جنوده و البغي بالمعاني

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) رواه الكليني في كتاب الايمان والكفر باب العصبية تحت رقم ٢ و٣ و ٥ و ٧ .

(٥) أخرجه أبوداود في السنن ج٢ ص ٤٤٦ هكذا « اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم الا الحدود» .

المذكورة من صفات الجهل ، هذا و قرأها سيّد الحكماء بالبهشة، و قال: البهشة بالباء الموحّدة قبل الهاء وقبل الشين المعجمة الارتياح لذي فضل و للمعروف و أحبابه والميل إليه وضدّها البغي عليه.

(و النظافة و ضدّها القذر) في الصحاح النظافة النقاوة وقد نظف الشيء بالضم فهو نظيف ونظّفته أنا تنظيفاً نقّيته والتنظّف تكلّف النظافة وفي النهاية فيه أنّ الله تعالى نظيف يحب النظافة . نظافة الله كناية عن تنزّهه من سمات الحدوث في صفاته و تعاليه في ذاته عن كلّ نقص و حبّه النظافة من غيره كناية عن خلوص العقيدة ونفي الشرك و مجانبة الأهواء ثمّ نظافة القلب عن الغلّ والحقد والحسد و أمثالها ثمّ نظافة المطعم والملبس عن الحرام والشبهة ، ثم نظافة الظاهر بملابسة العبادات ومنه الحديث «نظّفوا أفواهكم فإنّها طرق القرآن (١)» اي صونوا عن اللّغو والفحش والغيبة والنميمة والكذب و أمثالها و عن أكل الحرام والقاذورات والحثّ على تطهيرها من النجاسات والسواك ، والحاصل أنّ طهارة الباطن والظاهر و نزاهتهما عن جميع مالاينبغي اتّصاف الناس به ظاهراً و باطناً من أنصار العقل في الترقّي إلى عالم القدس كما يرشد إليه قوله تعالى: «وثيابك فطهّر والرجز فاهجر» و قذارتهما من أعوان الجهل في التباعد عن ذلك العالم لأنّ عالم القدس طاهر لايسكن فيه إلاّ الطاهرون، وينبغي (ان يعلم) أنّ طهارة الباطن يستلزم طهارة الظاهر و كذا نجاسة الباطن يستلزم نجاسة الظاهر لأنّ ما في الباطن يترشّح إلى الظاهر فلا جرم الحالة الباطنة مبدء للحالة الظاهرة ومن ثمّ يستدلّون بالظواهر على البواطن.

(والحياء و ضدّه الخلع) قيل : الحياء انكسار يصيب الحياة ، و قيل : هو تغيّر يلحق من فعل أو ترك ما يذمّ به ، و قيل : هو خلق يمنع من القبيح و من التقصير في الحقوق وهو غريزة في الاكثر وقد يتخلّق به بالاكتساب لأنّ من لم يجبل عليه ربما يلتزم الحقوق و يتمسّك بالشرايع و يمارسها في كرّ الدّهور

---

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس كما في كنوز الحقائق للمناوي.

ومرّ الأزمان فيحصل له ملكة الانزجار عن القبايح ومبدء الانقباض عن المحارم و هي الحياء، و له مراتب متفاوتة و أفراد متفاضلة أكملها و أفضلها ما ينزجر بـه الجوارح الظاهرة والباطنة كلّها عن ارتكاب مالاينبغي و دون ذلك درجات ، فإن قلت قديكون في الانسان ما يمنعه من حقوق الله تعالى فهل هو حياء حقيـقة أم لا؟ قلت : لا و إنّما هو خور ومهانة وحمق ـ و إطلاق الحياء عليه أحياناً وتقسيمه إليهما في قوله صلى الله عليه وآله «الحياء حياءان حياء عقل وحياء حمق فحياء العقل هو العلم و حياء الحمق هو الجهل (١)» و فيما نقل عن الحكماء أنّ الحياء منه سكينة ووقار و منه ضعف و فيما نقل عنهم في باب الأخلاق أنّ كلّ فضيلة نفسانيّة وسط بين طرفيها المذمومين طرف الإفراط وطرف التفريط فالحياء الممدوح وسط بين طرف إفراطه و هو الخور أعني الاستحياء من كلّ شيء و هذا مذموم لأنّه يؤدّي إلـى ترك الواجبات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره وطرف تفريطه و هـو الخلاعة أعني عدم الاستحياء من بعض الوجوه و هذا أيضاً مذموم لأنّه يؤدّي إلى ارتكاب بعض المحظورات ـ لايدلّ على أنّ إطلاق الحياء على ما يمنع من حقوقـه تعالى على سبيل الحقيقة لأنّ الاستعمال أعمّ من الحقيقة والمقسم لايجب أن يكون محمولاً على معناه الحقيقي ويؤيّد ما قلنا ما رواه مسلم عن عمران بن حصين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الحياء لايأتي إلاّ بخير (٢)» والحياء كلّه خير(٣)» وحمل هذا على الايجاب الجزئي لاوجه له على أنّ اصطلاح الحكماء ليس حجّة علينا و لذلك امّا سمع بشر بن كعب عن عمران ما نقله عارضه بقول الحكماء فقال عمران أُحدّثك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وتحدّثني عن صحيفة الحكماء فانكار عمران دلّ على أن لاوجه لمعارضة السنّة بقول الحكماء، ويؤيّده أيضاً قول المحقّق الطوسي ـ ره ـ حيث عدّ الحياء من أنواع العفّة الحاصلة من الاعتدال في القوّة الشهويّة وعرفه

---

(١) رواه الكليني في كتاب الايمان والكفر باب الحياء ٨ .

(٢) أخرجه في صحيحه ج١ ص٤٧ والبخاري ج٨ ص٣٥ من حديث عمران بن حصين.

(٣) أخرجه مسلم ج١ ص ٤٨ وأبو داود في السنن ج٢ ص٥٥٢ .

بأنّه انحصار النفس عن ارتكاب القبايح احترازاً عن استحقاق المذمّة فانّه صريح في أنّ انحصار النفس عن ارتكاب المحاسن لغرض ما ليس بحياء ، فان قلت : قد ينسب الحياء إلى الله تعالى فيقال : إنّه حييٌّ فما معناه ؟ قلت : معناه إنّه سبحانه يعامل معاملة من له حياء يعني لايصدر عنه القبايح و ذلك لأنّه إذا نسب إليه تعالى مبادي الآثار ولايصحّ عقلاً أوشرعاً إرادة تلك المبادي يراد منها تلك الآثار مجازاً والجلع الّذي هو ضده إمّا بالجيم وهو قلّة الحياء قال في الصحاح: جلعت المرأة بالكسر فهي جلعة و جالعة أيضاً قليلة الحياء، تتكلّم بالفحش و كذلك الرّجل جلع وجالع، و مجالعة القوم مجاوبتهم بالفحش و تنازعهم عند الشرب والقمار ، و إمّا بالخاء المعجمة و هو النزع يقال : خلع ثوبه عن بدنه إذا نزعه و وجه كونه ضدّ الحياء ظاهر لأنَّ الحياء بمنزلة اللّباس يستر جميع الأعضاء و يمنع ظهور معايبها و صدور قبايحها و ضده هو خلع ذلك اللّباس و كشف تلك المعايب والقبايح وإنّما كان الحياء من جنود العقل و ضدّه من جنود الجهل لأنّ الانسان متوسّط بين العالمين عالم الهداية و عالم الغواية و عالم القدس و عالم الطبيعة . والعقل يدعوه إلى الأوّل والجهل يدعوه إلى الثاني فاذا لبس الحياء الزّاجر له عن ارتكاب القبايح يجذبه العقل إلى غاية مناه بسهولة لأنّ الجذب بلامانع أشدّ وأسهل من الجذب معه، وإذا خلع منه ذلك اللّباس و ظهر منه أنواع القبايح و أصناف المعايب يجذبه الجهل إلى نهاية مناه بسهولة لماعرفت ، فمن له حياء كامل قريب من الحقّ بالغ إلى أقصى مدارج الهداية ومن له خلع كامل بعيدٌ عن الحقّ بالغ إلى أعلى معارج الغواية والمتوسّط بين الامرين متوسّط بين العالمين متردّد يقرب من كلّ منهما تارة ويبعد اُخرى حتّى يؤل أمره إلى ما شاء الله . والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل .

(والقصد و ضدّه العدوان) القصد بالشيء إرادة الاتيان به ، والقصد أيضاً العدل و هو التوسّط في الأمور بين الافراط والتفريط و لعلّ المقصود أنّ من

جنود العقل إرادة الخيرات كما روي «نيّة المؤمن خيرٌ من عمله» (١) وإن قصد برّاً ولم يقدر عليه كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله أو المقصود أنّ من جنوده التوسّط بين الطرفين في الأقوال والأفعال والعقائد كالتوسّط في المشي بين الدّبيب والاسراع قال الله تعالى «و اقصد في مشيك» و روي أنّ سرعة المشي يذهب ببهاء المؤمن(٢)» والتوسّط في الانفاق بين التبذير والتقتير قال الله تعالى: «والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا» والتوسّط في العبادة بحيث لايلحق البدن مشقّة شديدة يتنفّر الطبع عنها ولايتركها قال رسول الله ﷺ «يا علي إنّ هـذا الدّين متين فأوغل فيه برفق ولاتبغّض إلى نفسك عبادة ربّك فانّ المنبتّ (يعني المفرط) لاظهراً أبقى ولاأرضاً قطع ، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً ، و احذر حذر من يخاف أن يموت غداً(٣)» [والتوسّط في جميع الأخلاق بين الافراط والتفريط] والتوسّط في معرفته تعالى بين التعطيل والتشبيه والتوسّط في معرفة الرّسول والأئمة عليهم السلام بين الرّبوبيّة والتكذيب لكمال فضلهم والتوسّط في الكسب بين الكسالة و الجدّ المانع من الرّاحة البدنيّة أو الحقوق الدّينيّة ، وبالجملة التوسّط في جميع الأمور إلاّ الذّنوب مطلوب ممدوح والعدوان بمعنى التجاوز عن الأوساط إلـى طرف التفريط و الافراط كما هو شأن الجاهل [الهارب] عن الصـراط المستقيم مذمومٌ .

(والراحة و ضدها التعب) يعني أنّ الرّاحة الرّوحانيّة والجسمانيّة و

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير من حديث سهل بن سهل.

(٢) رواه الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني في تحف العقول ص٣٦ عن النبي «ص» مرسلا، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة والخطيب في الجامع والديلمي في الفردوس من حديث ابن عمر ، و ابن النجار عن ابن عباس بسند ضعيف كمـا في الجامع الصغير.

(٣) الكافي كتاب الايمان والكفر باب الاقتصاد في العبادة تحت رقم ٦ . و رواه احمد في مسنده من حديث انس، والبزار من حديث جابر.

اختيار ما يوجبها من فضائل العقل و جنوده لعلمه بحقارة الدّنيا و زهراتها وانصرام زخارفها ولذّاتها و انقضاء مصائبها و آفاتها فيرفض الشواغل الدّنياوية ويقض الوساوس النفسانيّة و يترك اللّذات الجسمانيّة فلايغتمّ بفوات الأموال والأسباب ولايهتمّ بتحصيل المقتنيات والاكتساب، ولايغتمّ بغبرة التزلزل والاضطراب، ولايحسد ولا يبغض ولا يغضب ولا يجادل ولا يماري فهو دائماً فارغ البال مرفّه الحال، لانفسه منه في تعب ولاروحه منه في نصب ، و أمّا الجاهل فهو دائماً في تعب و مشقّة و أبداً في محنة و بليّة لاهتمامه بتحصيل المقتنيات و حفظه للرّسوم والعادات ، و اغتمامه بفوات المشتهيات من المطعومات والملبوسات ، وارتكابه لأمور شديدة صعبة من المعاملات و احتماله من الاشغال الدّنياويّة والأثقال الزايلة الفانية ما يتعب نفسه من تحمّلها أويعجز، والتجائه في ذلك إلى التحاسد والتباغض مع بني نوعه من أبناء الزمان إلى غير ذلك من الأمور المورثة للحزن والغمّ والهمّ والتعب كما هو المعروف من جملة أفراد الانسان ومنشؤ ذلك استعظام الدّنيا و استحقار الآخرة وهم لايعلمون «يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا وهم الآخرة غافلون» فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ الرّاحة من صفات العقل والتعب من صفات الجهل . و أمّا إعانة كلّ لصاحبه فظاهرة لأنّه نجى المخفّون و هلك المثقلون.

(والسهولة و ضدّها الصعوبة) السهولة اللّينة واليسر والذّل بالكسر يعني سرعة الانقياد يعني سهولة الطبع في قبول الحقّ و يسره في قبول الصفات المرضيّة والأخلاق الحسنة والأطوار الصحيحة و ذلّه و انقياده في الدّين من صفات العاقل و علامات الايمان كما ورد من طرق العامّة والخاصّة «المؤمنون هيّنون ليّنون»(١) و صعوبة الطبع يعني أضداد هذه الأمور من صفات الجاهل الحاير الّذي ينبو ذهنه من الحقّ الزّاهر، ويمرق طبعه من عرض الصدق إلى الجانب الآخر ، ولا يطيع

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الايمان من حديث ابن عمر كما في الجامع الصغير. ورواه الكليني في الكافي كتاب الايمان و الكفر (باب المؤمن و علاماته و صفاته) تحت رقم ١٤ .

لقائده إلى منازل العرفان والكمال بل يغلبه مثل الجموح عن دين الحقّ مسرعاً في سبل الضلال و كذا شأنه دائماً في سرعة المسير إلى أن يقع في أسفل السافلين و بئس المصير .

(والبركة و ضدّها المحق) البركة النماء و الزيادة و يحتمل أن يراد بها الدّوام والثبات من برك البعير إذا استناخ و لزم و ثبت في موضع واحد، والمحق النقصان و ذهاب البركة ، و قيل : هو أن يذهب الشيء كلّه حتّى لايرى منه أثر، ومنه « يمحق الله الرّبا» أي يستأصله و يذهب ببركته و يهلك المال الّذي يدخل فيه و لعلّ المقصود أنّ الزّيادة في فعل الخيرات والمبالغة في المبرّات والثبات والدّوام عليها من صفات العقل و كمال العقلاء كما روي « من استوى يوماه فهو مغبون (١)» و روي أيضاً « ما من شيء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من عمل يداوم عليه وإن قلّ (٢)» والنقصان في العمل أو عدم الدّوام والثبات عليه من صفات الجاهل لجهله بمنافع العمل و غفلته عن جزيل الثواب و نسيانه حظّه و نصيبه في يوم الحساب ، و قيل : المراد أنّ العاقل يحصل المال من الوجه الّذي يصلح له و يصرف فيما ينبغي الصرف فيه فينمو و يزيد و يبقى و يدوم له ، والجاهل يحصل من غير وجهه و يصرف في غير المصرف فيبطل ماله ويذهب بركته ، وقيل : المراد أنّ البركة من صفات العقل لارتفاعه عن العالم التغير والآفة والدّثور والنقص من صفات الجهل لتعلّقه بعالم الفساد والزّوال و الشرور.

(والعافية و ضدّها البلاء) يقال : عافاه الله معافاة و عافية إذا سلمه من الآفات وبلاه و أبلاه بلاء إذا جرّبه و اختبره وامتحنه و يمكن أن يراد بالسّلامة والبلاء فيما

---

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - في معاني الاخبار ص ٣٤٢ باب معنى المغبون باسناده عن الصادق «ع» « من استوى يوماه فهو مغبون، و من كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط و من كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون ، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو الى النقصان . ومن كان الى النقصان فالموت خير له من الحياة ».

(٢) الكافي كتاب الايمان والكفر باب استواء العمل والمداومة عليه تحت رقم ٣.

من السلامة من إيذاء المسلمين أو من الأمراض النفسانيّة كما أشرنا إليه أومن العيوب والآفات البدنيّة كما قيل فإنّ السلامة من هذه الاُمور من صفات العاقل إذ العاقل لا يؤذي مسلماً و يتخلّص من الأمراض النفسانيّة مهما أمكن من العيوب و الآفات حيث يعرفها و يعرف طريق التخلّص ، والجاهل يختارها و يقع فيهما من حيث لا يدري، و أن يراد بالعافية والبلاء هنا العافية والسلامة من الأعمال الظاهرة الفاسدة أو من العقوبات الاُخرويّة و أهوالها بالتحرّز عن موجباتها أو ممّا يوجب سقوط المنزلة عند الله تعالى أو من المكاره الناشية من الإخوان، أو من زوال النعمة فإنّ السلامة من هذه الاُمور من صفات العاقل لأنّه يفرّ عمّا يوجب فساد العمل و ثبوت العقوبة و سقوط المنزلة و يعفو عن بني نوعه و يسامحهم فيتخلّص بهذه الحيلة عن مكارههم و يشكر النعم فيجلب النعمة و يأمن زوالها والابتلاء بهذه الاُمور من صفات الجاهل . و على ما ذكرنا يتحقّق الفرق المعنوي بين الفقرتين وإن كان تكلّفاً ، و نقل عن الشيخ بهاء الملّة والدِّين أنّهما بمعنى واحد وإنّ إحديهما كانت بدلاً عن الاُخرى جمع بينهما الناسخ غافلاً عن البدليّة ، و قال سيّد الحكماء: البلاء ضدّ العافية بمعنى البلوى والبليّة، والبلاء ضدّ السلامة بمعني الامتحان و الاختبار و من توهّم أنّهما بمعنى واحد يلزمه أن يكون جند الجهل ثلاثة وسبعين و هو على خلاف قول الإمام عليه السلام وعلى خلاف جند العقل و فيه أوّلاً أنّ الامتحان والاختبار أيضاً بليّة وثانياً أنّ من توهّم اتّحاد البلاء في الموضعين توهّم اتّحاد العافية والسّلامة أيضاً فلا يلزمه أن يكون جند الجهل على خلاف جند العقل وأقلّ منه ، ولا يلزمه أيضاً أن يكون الجهل أقلّ من ثلاثة و سبعين لأنّ تفصيل الجنود زايد على ثلاثة و سبعين بثلاثة و غرض المتوهّم أن يرجع بعضها إلى بعض حتّى يعود الجميع إلى ثلاثة وسبعين كما أشرنا إليه في أوّل الحديث.

(والقوام و ضدّه المكاثرة) القوام بالفتح العدل قال الله تعالى : « وكان بين ذلك قواماً » و قوام الأمر بالكسر ما يقوم به أمره و يتمّ به نظامه، يقال : لفلان قوامٌ من العيش أي ما يقوم بحاجته الضروريّة ، والمكاثرة من الكثرة وهي نقيض

القلّة و كثيراً ما تستعمل للمغالبة يقال: كاثرناهم فكثرناهم أي غلبناهم بالكثرة في المال أو العدّة. يعني من صفات العاقل التوسّط في تحصيل المعاش والاقتصار بقدر الكفاف و هو القدر الّذي يحتاج إليه في بقاء شخصه و يتقوّى به في عبادة ربّه غير متجاوز عن ذلك الحدّ لعلمه بحقارة الدّنيا و مفارقته لها إلى دار القرار و وقوفه للحساب بين يدي الملك الجبّار فيبعثه ذلك إلى إعداد زاد الآخرة والانقطاع عن حبل العلائق و صرف العمر في طلب الحقائق والاجتناب عن زوائد الدّنيا و الاختيار في طريق المعاش أحسن الطرائق و هو طريق التوسّط ومن صفات الجاهل صرف العمر في تحصيل مالا يحتاج إليه من زهرات الدّنيا و زخارفها الموجبة للخسران و في استكثار الأموال والأسباب للغلبة على غيره من أبناء الزّمان و ذلك يوجب فرار طبعه السقيم عن إدراك معالم الدّين حتّى يأتيه الموت بغتة وهو من الهالكين.

(والحكمة و ضدّها الهوى) الحكمة ما يمنع من الجهل والحكيم من منعه عقله منه اُخذت من حكمة الدّابة وهي حديدة اللّجام لأنّها تمنع الدّابة عن الجموح والمراد بها العلم والعمل النافعين في الآخرة واتّباع ماهو الأصلح والأنفع فيها لا ما اشتهر من العلم بحقائق الأشياء والتصديق بأحوالها والعمل بما يقصد به العمل إذ هو شامل للحكمة النظريّة بأقسامها أعني علم ما بعد الطبيعة و علم الرّياضي و علم الطبيعي وللحكمة العمليّة بأقسامها أعني تهذيب الاخلاق و تدبير المنازل وسياسات المدن والظاهر أنّه لا مدخل لاُصول الرّياضي في الدّين والشارع لا يرغّب فيها، و هي علم الهندسة الباحث عن المقادير و أحكامها ولواحقها و علم الحساب الباحث عن أحوال العدد و خواصّه، و علم النجوم الباحث عن اختلاف أوضاع الأجرام العلويّة بنسبة بعضها إلى بعض و بالنسبة إلى الأجرام السفليّة وعن مقادير تلك الأجرام و أبعادها (١). و علم التأليف الباحث عن أحوال المؤلفة، وعلم الموسيقى

---

(١) ليس المراد بالحكمة المذكورة في هذا الموضع من الحديث علم الحكمة الاصطلاحي لانه (ع) جعلها في مقابل الهوى ولو كان المراد العلم الاصطلاحي لجعله في☆

الباحث عن تناسب الأصوات بعضها ببعض و كميّة زمان سكناتها و حركاتها و كيفية إخراجها عن مواضعها، و كذا لامدخل لفروعها فيه ، مثل علم المناظر والمرايا و علم الجبر والمقابلة وعلم جرّ الأثقال ، و كذا لامدخل فيه لاصول الطبيعي الباحثة عن الزّمان والمكان والحركة والسكون والنهاية واللانهاية و عن الأجسام البسيطة والمركّبة و كيفيّة حدوث الحوادث الهوائيّة والأرضية و عللها مثل الصاعقة و المطر والرّعد والبرق والزّلزلة وأمثالها، وكذا لامدخل لفروعها فيه مثل الطبّ و الفلاحة وغيرهما. والهوى مصدر هواه إذا أحبّه واشتهاه ثمّ سمّي به الهوى المشتهى محموداً كان أو مذموماً ، ثمّ غلب على المذموم والمراد به هنا المعنى المصدري أعني اتّباع المهويات الذّميمة واقتفاء المشتهيات القبيحة. ووجه كون الحكمة من جنود العقل و أعوانه والهوى من جنود الجهل و أنصاره ظاهر إذ بالحكمة (١) يتنوّر قلب العاقل

☆ مقابل الجهل او السفاهة و الغباوة وأمثالها وهذا هو الصحيح في الاحتجاج لاماذكره الشارح رحمه الله من أن الشارع لايرغب في العلوم الرياضية كالنجوم اذ فيه مؤاخذتان الاولى أن الشارع رغب في علم النجوم وأمثاله بقوله «ان في خلق السموات والارض و اختلاف الليل والنهار ـ الى قوله ـ لايات لقوم يعقلون» لان فيها دلائل على التوحيد كما رغب في العلوم الطبيعية في آيات كثيرة وفي الطب والتشريح والجامع لذلك كله «سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» والمؤاخذة الثانية أن كل شيء رغب فيه الشارع لايجب حمل كل كلام عليه وظاهر كلام الشارح أن مايتعلق من علم الحكمة الاصطلاحي بالالهيات و علم النفس و تهذيبها و بالجملة ما رغب فيها وهي غير العلوم الرياضية و الطبيعية داخل في المراد (ش).

(١) يعني به علم الحكمة الالهية فان صاحب هذا العلم يعرف المشروع والمحظور بالحكمة العملية عرفاناً جيداً مأخوذاً من وجهه ودليله ويعرف المعقول من المستحيل بالحكمة النظرية مثل أن يدالله وعين الله بالمعنى الجسماني محال و أنه ليس في جهة و مكان و أن الكلام النفساني محال و أنه لايجوز القبيح عليه تعالى كتقديم المفضول على الفاضل و يبصر المقاصد الشرعية اى يعرفها على بصيرة مثل أن الغرض من العبادة تهذيب النفس فيجتنب الرياء (ش).

حتّى يفهم المشروعات والمحظورات والمستحيلات و يبصر المقاصد الشرعيّة و يهتدي إلى وجوه المصالح الدّنيوية والاُخرويّة ويحصل له بذلك من القول والفعل والعقل حالة وثيقة و ملكة شريفة لايرد عليها الانتقاض ولايعتريه الانتقاص (١) إلى أن يرد في ساحة الحقّ والجاهل لما كان قلبه مظلماً بحيث لايجد إلى معارف الحقّ دليلاً ولا إلى منازل القدس سبيلاً إذ اتّبع الهوى و ارتكب المحظورات و استمرّ على المحرّمات و انهمك في المشتهيات زادت ظلمته و غلبت كدرته فهو في بيداء الجهالة طاير ، و في ظلمات بعضها فوق بعض حاير ، حتّى يطلع صبح يوم القيمة عن اُفق الموت و أيّ يوم « يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تودّ لوأنّ بينها و بينه أمداً بعيداً وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون » .

(والوقار و ضدّه الخفّة) الوقار بالفتح الرّزانة والمتانة ، وقد وقر الرّجل وقاراً فهو وقور أي رزين متين إذا كانت نفسه مطمئنّة في تحصيل المطالب مستقيمة في الوصول إلى المآرب بحيث لايحرّكها الغضب ولايهزّها المكاره بسهولة ولا يتجاوز عن الحدّ اللايق به عقلاً و شرعاً و هو من جنود العقل في تصاعده من المنازل السافلة وعروجه إلى المقامات العالية في الدّنيا والآخرة لأنّ عدم انفعال النفس بورود المكاره و عدم اضطرابها بنزول المصائب و عدم تزلزلها بمشاهدة النوائب راحة حاضرة و منفعة ظاهرة والعفو عن جرائم الناس والصفح عنها و عدم الغلظة عليهم بتسكين ثوران الغضب واطفاء نيران الغيظ والتعب و ترك ما يوجب الفرقة من التصاغر والتشاجر والتقاطع والتخاذل والتنازع والتشاتم والطيش و العجلة من مكارم الأخلاق و محاسن الأفعال و محامد الاُمور الّتي يوصف بها أهل المجد والشرف والنجدة والرّزانة ، و يوجب الرّفعة عند الخالق و الخلايق ، و يجلب

---

(١) لانه علم كل مسئلة اعتقادية بدليل لاتعتريه شبهة فاستقام بخلاف أهل التقليد والجهال و ربما ترى فى كلام أصحاب الحديث أن ايمان الجهال اتقن وأحكم من كثير من العلماء و هو بمعزل عن الصواب مردود على قائله. (ش)

محبّتهم ومودّتهم. والخفّة وهي الطيش والعجلة والجزع لفوات قليل والفرح لطلب كثير والاضطراب لأمر يسير والتزلزل لشيء حقير من صفات الجاهل لأنّ قلبه سخيف و عقله خفيف و لبّه في تيه الجهالة حاير كأنّه موضوع على جناح طاير فيتحرّك و يضطرب دائماً و ذاك يثير الفتنة العظمى والبليّة الكبرى، و يسومه سوء العذاب، ويورده في موردالعتاب، و يخلع عنه لباس الكرامة، و يجرّه إلى ذلّ المهانة في الدّنيا والآخرة.

(والسعادة و ضدّها الشقاوة) قال الله تعالى «فمنهم شقيّ و سعيد فأمّا الّذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلاّ ماشاء ربّك و أمّا الّذين سعدوا ففي الجنّة خالدين فيها مادامت السموات و الأرض إلاّ ماشاء ربّك عطاء غير مجذوذ» والسعيد الحقيقي من آمن وصدّق بالله وملائكته و رسله إيماناً لايفوته عمل ولايشوبه دغل ولايعتوبه زلل ولا يعرضه خلل، وتصديقاً يقوى به عقله على التحرّز من المكائد الشيطانيّة والوساوس النفسانيّة واللّذات الجسمانيّة ويستعدّ بذهنه لشروق أنوار المعارف الآلهية و بروق مكارم الأخلاق الرّبانيّة بحيث ينظر بعين التفكر في ملك الأرضين و ملكوت السموات: ويرى الحقّ بعين البصيرة في عجائب المخلوقات و بدايع المصنوعات و يرتوي من زلال عيون الكمالات و يخلع عن نفسه لباس الشهوات ويجتنب من هموم الدّنيا وعلائق حالاتها و يتوجّه إلى أمر الآخرة و شواهق مقاماتها فيصير نوراً في نفسه ومصباحاً لغيره ذلك فضل الله سبحانه على عباده المرسلين والأئمة الطاهرين ومن اقتفى آثارهم من العبّاد الصالحين، والشقي الحقيقي من كفر بالأمور المذكورة ووقع في مهاوي الضلالة و مهالك الغواية و بينهما مراتب متفاوتة و منازل متباعدة يجتمع فيها اسم السعادة و الشقاوة بالإضافة فربّ سعيد من وجه شقي من وجه آخر و من غلبت سعادته فهو في جنّات النعيم و من غلبت شقاوته فهو في عذاب الجحيم ومن استوى فيه الأمران فهو في خطر عظيم و رحمة الله قدّامه وهو الغفور الرّحيم.

(والتوبة و ضدّها الإصرار)التوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه و منعه من الوصول إلى الحقّ والندم على مافرّط والعزم على ترك المعاودة و درك ماأمكنه أن يتدارك من الأعمال وردّ المظلمة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منه فمتى اجتمعت هذه الأمور تحقّقت حقيقة التوبة و كملت شرايطها و تاب الله تعالى وهي من أهمّ قواعد الإسلام و أوّل مقامات سالكي الآخرة، و قد اتّفق أهل الإسلام على وجوبها فوراً و منافعها كثيرة منها أنّها تخلع ثوب الدّنس و تقطع عرق النجس ، و منها أنّها تورث محبّة الرّبّ و رضوانه والدّخول في جنانه قال الله تعالى « إنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين » وفيه فضل عظيم و شرف جسيم للتائب حيث ينال محبّة الحقّ التي هي أعلى مقاصد السالكين بعد ما كان في زمرة الهالكين ، و قال الباقر عليه السلام «إنّ الله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته و مزاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرّجل براحلته حين وجدها (١) » فانظر أيّها اللّبيب إلى هذا الحديث الشريف و علوّ مضمونه تجده كافياً في الترغيب إلى التوبة و التحريص عليها او لم يكن غيره و لكنّ الآيات الكريمة والروايات الشريفة في باب التوبة و بيان فضلها أكثر من أن تحصى وهي من صفات العاقل و أجناده لأنّ العاقل قصده لقاء الله تعالى دائماً وهمّه النزول في ساحة عزّه و هو يجوز ذلك في كلّ آن ويترقّبه في كلّ زمان فأكبر مقاصده وأعظم مطالبه أن يطهّر نفسه بالتوبة والندامة على ما يوجب البعد عنه من رجس الآثام قبل انتهاء وقت التكليف بالموت و انقضاء مدّة العمل بالفوت بخلاف الجاهل فان وصفه الاصرار على الذّنوب والمعاصي والاقامة على الآثام والمناهي إذ هو لعميان بصيرته و فقدان سريرته و نقصان عقيدته محجوب عن درك الآخرة و حالاتها و عن نيل عناية الحقّ و مقاماتها فيظنّ أنّ غاية خلق الانسان هي وصوله إلى هذه اللّذات الحاضرة والمنافع الدّاثرة فيستمرّ عليها و يستبشر بها ، و هو من الغافلين أو يظنّ بالآخرة ظنّاً ضعيفاً يستعدّ به لقبول مايتلو عليه الشياطين من

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب التوبة تحت رقم ٨.

تسويف التوبة غداً بعد غدٍ إلى أن يموت و هو من الخاسرين،ثمّ الإصرار بالذّنب أعمّ من فعله على الاستمرار و فعله مرّة مع عدم عزمه بالتوبة والاستغفار وماروي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ « ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون» قال«الإصرار هو أن يذنب الذّنب فلا يستغفر الله ولا يحدّث نفسه بتوبة فذلك الاصرار(١)» يحتمل الأمرين والظاهر منه هو الثاني ومن فسّر الاصرار بتكرار ذنب واحد أو بايجاد حقيقة الذّنب في ضمن أنواع مختلفة من الذّنوب بحيث يشعر بقلّة المبالاة فقد غفل عن تحقّق معنى الاصرار في ذنب واحد مع عدم التوبة.

(والاستغفار و ضدّه الاغترار) الاستغفار من الغفر و هو الستر، والاغترار من الغرّة بالكسر وهي الغفلة والجرأة، و اعلم أنّ والي البدن كثيراً مايطغى في الإمارة ويخون في الولاية و يعصي السلطان الأعظم في إرادته فيستعمل الجوارح الظاهرة والباطنة كلّها أو بعضها في غير طاعته ثمّ إنّه قد يستشعر بتقصيره و عصيانه و خيانته و طغيانه فيخاف أن يعاقب في الدّنيا و الدّين و ينكشف مساويه عند المقرّبين فيقبل بالطوع والاختيار ويتمسّك بذيل الاقالة والاستغفار طالباً لغفران الذّنوب و سترها على الكرام لئلا يفتضح بها عندهم يوم القيمة، ولمحوها باللّطف العظيم والكرم العميم لئلاّ يعذّب بسلاسل و أغلال في الجحيم، ويمحوها من لوح نفسه و صفحة الجنان لئلاّ يخجل بتذكّرها بعد دخول الجنّة و روضة الجنان و مستكملاً لاستعداد الفوز بالرّحمة في الدّنيا بانزال البركات و في الآخرة برفع الدّرجات والشاهد العدل على ذلك قوله تعالى : « فقلت استغفروا ربّكم إنّه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً» وقد يرفع الله تعالى باستغفار مؤمن العذاب الدّنيوي عن جماعة من العصاة كما روي «أنّ الله تعالى يقول: إنّي لأهمّ بأهل الأرض عذاباً فاذا نظرت إلى عمّار بيوتي وإلى المتحابّين والمستغفرين بالأسحار صرفته عنهم(٢)» ثمّ الاستغفار لا يتحقّق معناه بمجرّد هذا اللفظ بل لابدّ في تحقّقه من اُمور

---

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب الاصرار على الذنب تحت رقم ٢ .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الايمان من حديث أنس بن مالك بسند ضعيف .

لايتلقاها إلا الصابرون المجاهدون كما يرشد إليها قول أمير المؤمنين عليه السلام لقايل قال بحضرته أستغفر الله فقال عليه السلام: « ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار إن الاستغفار درجة العليين و هو اسم واقع على ستة معان أولها الندم على ما مضى ، والثاني العزم على ترك العود أبداً ، والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس و ليس عليك تبعه ، والرابع أن تعمد إلى كل فريضة ضيعتها فتؤدي حقها والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم و ينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول أستغفر الله (١)» و إذا عرفت هذا عرفت أن الاستغفار من جنود العقل و أعوانه في العود إلى الحق والقرب منه والاغترار يعني الغفلة عن الحق والجرأة عليه و الانخداع من النفس و الشيطان الموجب للاصرار على المعاصي والاستمرار على الطغيان من جنود الجهل و أعوانه في البعد عنه والاستحقاق بمزيد الخذلان وأنا أستغفر الله و أقول كما قال الشاعر:

لولم تردنيل ما أرجو وأطلبه   من جود كفيك ما علمتني الطلبا

أراد بذلك قوله تعالى « استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ».

(والمحافظة و ضدها التهاون) الحفظ الحراسة ، و التحفظ التيقظ ، و المحافظة المراقبة ، والاستهان والتهاون الاستحقار والاستخفاف ، يقال : استهان به و تهاون به إذا استحقره و استخفه ولم يبال، أراد أن حراسة النفس و تيقظها و مراقبتها في السير إلى الله سبحانه أو حراسة ما فعله من الصالحات و ما أتى به من الخيرات و مراقبتها من أن تتطرق إليها الشبهات المبطلة والعقائد الفاسدة كالرياء والسمعة و نحوهما أو حراسة الطاعات والعبادات بالاتيان بها في أوقاتها مع شرايطها أو حراسة المؤمنين و مراقبة أحوالهم و محافظة حقوقهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصايص العاقل لأنه يعلم بنور عقله أن له في كل قدم يرفعها لله تعالى قريناً من الشيطان مترصداً لاغوائه وفي كل منزل عدواً من الغيلان منتظراً

---

(١) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٤١٧.

لاضلاله و إنّ الله سبحانه لايقبل من الأعمال إلّا ما هو خالص من المفاسد مقرون مع الشرايط واقع في أوقاتها ، و أنّ المؤمنين كنفس واحدة ، و هو لكماله في العقل بمنزلة راعيهم و حافظهم ، فلايغفل عن المحارسة ولايغمض من المراقبة أبداً بخلاف الجاهل فانّه دائماً غافل عن الحرّاس ، بعيد عن الحفّاظ مستحقرٌ لذلك العدوّ ، غير مبال به مع كمال قوّته و كثرة مكيدته، مستخفٌ بالطاعات متهاون بالعبادات ، مضيّعٌ للأوقات حتّى يردّه الشياطين إلى أسفل السافلين ألا ذلك هو هو الخسران المبين.

(والدّعاء و ضدّه الاستنكاف) الدّعاء في اللّغة النداء والصيحة تقول دعوت فلاناً إذا ناديته و صحت به، و في العرف طلب الرّحمة و الفيض من الله سبحانه على وجه الخضوع و الاستكانة و هو من أجلّ مقامات الموحّدين و أفضل درجات السالكين لكونه مشعراً بالذلّ والانكسار، وإقراراً بصفة العجز والافتقار، ومظهراً لتعلّق ربقة الحاجة بربقة الامكان ، و اعترافاً بانغماس الممكن في غمرة المسكنة والنقصان ، وقد وردت الآيات المتكاثرة والرّوايات المتواترة من طريقة الخاصّة والعامّة في الترغيب فيه والحثّ عليه حتّى صار شرعه من ضروريات الدّين وهو من شعار الصالحين والصدّيقين و آداب الأنبياء والمرسلين فان حكاية آدم و نوح و ذي النون و موسى و أيّوب و داود وسليمان و عيسى وغيرهم عليهم السلام ودعاء خاتم النبيين صلى الله عليه وآله و سيد الوصيين وأولاده الطاهرين عليهم السلام و كمال تضرّعهم و خشوعهم في القرآن العظيم مذكورة وفي كتب السير مسطورة وفي دفاتر المتقدّمين والمتأخّرين مزبورة و في ألسنة الخواصّ والعوامّ مشهورة بحيث لامساغ للرّدّ والانكار ولا مجال للعناد والاستنكار، و ما خالج بعض الأذهان من أنّ المطلوب بالدّعاء إمّا أن يكون معلوم الوقوع لله تعالى أو معلوم اللّاوقوع و على التقديرين لافائدة لأنّ الأوّل واجب والثاني ممتنع ، و بعبارة اُخرى إمّا أن يكون وقوعه مصلحة للدّاعي أولا يكون فعلى الأوّل يقع وإن لم يطلب لأنّ الله يفعل ما هو مصالح العباد قطعاً، وعلى الثاني لايقع و إن طلب فطلبه على التقديرين عبث ،و أيضاً أعظم مقامات العارفين

الرّضا بالقضاء والدّعاء ينافي ذلك ، فالجواب عن الأوّلين أنّ كلّ كائن و فاسد موقوف في كونه وفساده على شرائط وأسباب كماعلم من موضعه و دلّ عليه أيضاً ماروي من أنّ الله تعالى يأبى إلاّ أن يجري الأشياء بأسبابها (١) . إذا كان كذلك فلعلّ الدّعاء من شرائط وجود المطلوب و مصالحه كماأنّ شرب الدّواء من شرائط صحّة المريض و أسبابه فالمطلوب مع الدّعاء معلوم الوقوع ومصلحةو بدونه معلوم اللاّوقوع و غير مصلحة ، وبالجملة هذا العالم عالم الأسباب والأشياء تجري بأسبابها والعبد لعدم كونه عالماً بكيفيّة علم الله تعالى بالأشياء وقضائه إيّاها يكون دائماً بين الخوف والرّجاء و يجوز كون المعلوم و المقتضى مقيّداً بالدّعاء ويتأكّد ذلك بقوله تعالى: «ادعوني أستجب لكم» فلذلك لايترك الدّعاء في البأساء والضرّاء ، على أنّ لنا أن نقول الدّعاء لايخلو من فائدة عظيمة ومنفعة جليلة لأنّه إن كان من شرائط وجود المطالب و أسبابه ففائدته ظاهرة ، و إن لم يكن كذلك سواء كان المطلوب مصلحة في نفسه من غير شرطيّة الدّعاء وسببيته أولم يكن مصلحة أصلاً كان الدّعاء عبادة مستقلّة بل هو من أفضل العبادات كما دلّ عليه الرّوايات المعتبرة فيورث ثواباً جزيلاً و أجراً جميلاً في الآخرة ، والجواب عن الأخير أنّ العبد إذا دعا كان دعاؤه من جملة القضاء فكيف يكون منافياً له . و الحاصل أنّ المنافي للقضاء مالايجامعه والقضاء إذا تعلّق بشيء مقيّد بشرط أوسبب لايكون ذلك السبب والشرط منافيين له ، و ما روي « أنّ الدّعاء يردّ القضاء وقدأبرم إبراماً (٢) » فمعناه - والله أعلم - أنّ الدّعاء يوجب اختيار أحدالفردين من القضاء التخييري مثلاً إذا تعلّق القضاء بموت هذا المريض بشرط عدم طلب صحّته وببقائه بشرط طلبها كان هذا القضاء متعلّقاً بأمرين متضادّين مشروطين بشرطين متقابلين و اختيار أحدهما موكول إلى العبد فأيهما اختار فقد رضي بالقضاء ، و إذا عرفت أنّ الدّعاء من أشرف مقامات السالكين عرفت أنّ ضدّه وهو الاستنكاف يعني الأنفة

(١) الكافي كتاب الحجة باب معرفة الامام والرد اليه تحت رقم ٧.
(٢) الكافي كتاب الدعاء باب (أن الدعاء يرد البلاء والقضاء) .

والكراهة والترفّع والعدول عن الدّعاء الموجب للبعد عن الحقّ من أخس صفات الجاهلين الهالكين قال الله تعالى « إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » والعبادة هي الدّعاء .

(والنشاط و ضدّه الكسل) النشاط في العبادة من كمال المراتب الانسانيّة و هو ينبعث من عدم النقص اللاّحق للنفس بسبب كلال بعض القوى الطبيعية عن أفعالها و عدم وقوف الأعضاء و فتورها عن أعمالها بسبب تحلّل الرّوح و ضعفه و رجوعه إلى الاستراحة ولا شبهة في أنّ ذلك من صفات العاقل الذي فكّ عنه بالهمّة الصادقة قيود الأغلال البشريّة و دفع عنه بالنيّة الخالصة أو زار الأثقال البدنيّة ، و أنار بنورعقله أعضاءه الظاهرة حتّى يرى شخصه في هذا العالم وروحه لخفّته و نورانيّته في عالم الرّوحانيّين ، يطير مع الملائكة المقرّبين ، فله من النشاط في العبادة مالا يدخله سآمة من جدّ و دؤوب ، ولا إعياء من كدّ و لغوب ، ولا نقصان من تطرّق قصور ، ولا استحسار من طريان فتور كما قال سبحانه في وصف الملائكة « و له من في السموات و الأرض و من عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون يسبحون الليل والنهار ولايفترون » والكسل يعني التثاقل في العبادة من صفات الجاهل والمحبوس في سجن الطبيعة البشريّة والمغلول بأغلال لواحق القوّة الشهويّة والمصفود بصفاد عوارض القوى البدنيّة فهو ثقيل لايحرّكه ريح النشاط عن مركزه إلى الدّرجة العليا ، ولا شوق العبادة عن موضعه إلى المرتبة القصوى ، فيرضى و هو كسلان بالدّون من الحيوة الدّنيا .

(والفرح و ضدّه الحزن) الفرح السرور يقال : فرح به أي سرّ و أفرحه وفرحه تفريحاً اذا سرّه والفرح أيضاً البطر والأشر وهذا ليس بمرادهنا لأنّه من صفات الجاهل لقوله تعالى « إنّ الله لايحبّ الفرحين » والحزن خلاف السرور يقال حزن الرّجل بالكسر فهو حزن و حزين و أحزنه غيره وحزّنه ، و هذه الفقرة تحتمل معنيين الأوّل أن يكون الفرح كناية عن البشاشة و طلاقة الوجه للاخوان ، و

الحزن كناية عن الكلوح والعبوس، والثاني -وهو الأظهر- أنّ العاقل لكونه عارفاً بالمعارف الالهيّة و عالماً بالحكم الرّبانيّة و مستشرقاً لأنوار الحقّ تابعاً لهداه و مقبلاً على عبادة ربّه معرضاً عمّا سواه ، مسرورٌ مبتهجٌ فرحٌ أبداً في الدّنيا والآخرة بما آتاه الله من الفضيلتين العلميّة والعمليّة إذلا لذّة أعظم منهما ولو نظر إلى ما يوجب الشرور في دار الغرور والتفت التفاتاً مّا إلى خسايس هذه الأمور بسبب شيطان قاده إليها أو ميل نفس حرّضه عليها أخذت بضبعيه الأنوار العقليّة (١) و توقظه من رقدة الغفلة في المراقد الطبيعيّة ، و جذبته العناية الالهيّة من ورطة الهلكة الأبديّة و أيّدته على إبليس و جنوده فيجتهد في مقاومته و يتخلّص من مصائده و يترصّد لدفع حيله و يثبت في رفع مكائده ، فيحصل بذلك ابتهاج و سرور أيضاً لغلبته على عدوّه، وأمّا الجاهل الفاقد لهاتين الفضيلتين و المقهور في أسر ذلك العدوّ فهو حزين في الدّارين إذلا ألم أعظم من ذلك في الدّنيا والآخرة أمّا في الآخرة فظاهر لانّ الآلام الأخرويّة الّتي توجب الهمّ والغمّ والحزن عند مشاهدة السّلاسل والأغلال و معاينة الشدايد والأهوال ، ظاهرة غير محتاجة إلى البيان . وأمّا في الدّنيا فلأنّ الاعراض عنه سبحانه والاشتغال بما سواه كما هو وصف الجاهل ألم نفسانيٌ ومرضٌ روحانيٌ يوجب همّاً وغمّاً و حزناً في نفس الأمر ولا يقدح فيه غفلته وتوهّمه أنّ ذلك أنفع له كما أنّ السمّ [الم] مهلك وإن توهّم شاربه أنّه انفع له على أنّه قد يصدق على مقتضى عقله الفطريّ بأنّ الأولى به والأنفع له هو متاع الآخرة سيّما عند معاينة الموت فيحصل له ألم شديد وحزن طويل ولكن لا ينفعه ذلك مابقي على حاله كما أنّ الخائن المعذّب بسبب الخيانة يصدق بأنّه كان الأولى به ترك الخيانة و يحزن ويتأسّف ولا ينفعه ذلك.

(والألفة و ضدّها الفرقة) الألفة توافق الآراء والعقائد في تدبير المعاش والمعاد وهي فضيلة مندرجة تحت العدالة الّتي هي الاستقامة في القوى الفكريّة و

---

(١) الانوار العقلية هم الملائكة الموكلون بتسديد عبادالله وهدايتهم الى التقوى والاخذ بالضبعين كناية عن هذا التسديد والتأييد والضبع تحت العضد (ش).

الغضبيّة والشهويّة والمتوقّفة على كثير من الفضائل النفسانيّة مثل التحمّل و التواضع والرّقّة والحياء والرّفق والصبر والوقار والورع والعفو والمروءة والسماحة والمسامحة والصداقة والوفاء والشفقة والتودّد إلى غير ذلك من الأُمور المعلومة لمن تأمّل في فضائل النفس، و كونهما من صفات العاقل ظاهر لأنّ هذه الأُمور المذكورة لا يتّصف بها إلاّ عاقل راض نفسه في ميدان المجاهدة ، و لأنّه يعلم بشروق عقله أنّه يحتاج في غذائه و لباسه و مسكنه و دفع أعدائه و تحصيل أمر الآخرة و ترويج الشريعة إلى التناصر والتعاون والتعاضد و كلّ ذلك متوقّف على الأُلفة، والفرقة من أخسّ صفات الجاهل لاتّصافه برذايل نفسانيّة مؤدّية إليها أولأنّه لظلمة قلبه لا يراعي عواقب الأُمور ، و مدى نظره إنّما هو جلب منفعة حاضرة و دفع كلّ ما هو عائق عنها ولو بسفك الدّماء كما هو المشاهد من أبناء الزّمان ولاريب في أنّ ذلك موجب للمعاندة والمفارقة ، و يحتمل أن يراد بالأُلفة الألفة بأهل البيت عليهم السلام ، و بالفرقة التباعد عنهم ، و قيل : الوجه في كون الأُلفة من صفات العقل أنّ العقل جوهر مرتفع الذات عن الجسم و الجسمانيّات و عالمه عالم الوحدة والجمعيّة، والجهل صفة النفوس المتعلّقة بالأجسام و صورها الّتي وجودها عين قبول الانقسام والافتراق و وحدتها عين كثرة و وصلها عين انفصال و مباينة فكلّ واحد من ذوي النفوس الجزئيّة قبل أن يستكمل ذاته عقلاً بالفعل لا يحبّ إلاّ نفسه بل يعادي غيره و يحسده على ما آتاه الله من فضله فإذا أحبّ بعضهم بعضاً فانّما أحبّه ليتوسّل به إلى هواه و شهوته فما أحبّ إلاّ نفسه ولذلك إذا ارتفعت الأغراض و الأعواض بينهم كما في الآخرة رجعوا إلى ما كانوا عليه من الفرقة و العداوة كما في قوله تعالى « الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ إلاّ المتقين».

(والسخا و ضدّه البخل) السخاء في اللّغة الجود يقال : سخا يسخو إذا جاد بماله ، و سخو الرجل بالضم يسخو سخاوة أي صار سخيّاً ، و في الاصطلاح ملكة توجب إنفاق الأموال و ساير المقتنيات في موضعه على قدر لا بدّ منه بسهولة ومن

شرايطه أن يأخذ الشيء من موضعه ويضعه في موضعه فلو صرف الحرام في المستحقين أو صرف الحلال في غيرهم لايكون سخيّاً ولايستحقّ بذلك ثواباً و تلك الملكة خلقيّة في الأكثر و قد تكون كسبيّة حاصلة بكثرة الإعطاء و مزاولة الجود ، فإنّ غير الطبيعي قد يصير طبيعيّاً بالممارسة و هي فضيلة نفسانيّة مندرجة تحت العفّة الّتي هي الاعتدال في القوّة الشهويّة ، و يندرج تحت السخا كثير من الملكات والفضائل ، منها الكرم و هو أن يسهل على النفس إنفاق الكثير فيما نفعه عام على وجه يقتضيه المصلحة ، ومنها الإيثار و هو أن يسهل عليها صرف ما يحتاج إليه في الفقراء والمساكين ، ومنها المواساة وهي أن يسهل عليها تشريك المستحقّين في ماله و أسبابه ، ومنها المسامحة وهي أن يسهل عليها ترك مالايجب عليها تركه ، و منها العفو و هو أن يسهل عليها ترك المجازاة بالظلم مع القدرة ، ومنها المروّة وهي أن يكون لها رغبة صادقة على التحلّي بحلية البذل و إعطاء ماينبغي ، ومنها النّبل و هو أن يكون لها ابتهاج بمداومة الأفعال الحسنة والخصال المرضيّة؛ ومنها الصداقة وهي أن يكون لها اهتمام على تحصيل أسباب صديقه بقدر الامكان ، و منها الألفة وهي أن يكون لها اعتناء بتدبير معاش الخلطاء ، و منها الوفاء وهو أن تلتزم طريق المواساة والمعاونة ، و منها الشفقة وهي أن يكون لها همّة صادقة على إزالة المكروهات عن الغير ، و منها المكافات و هي أن تقابل الإحسان بمثله أو زائد عليه ، و منها حسن الشركة و هو أن تراعي الاعتدال في المعاملات ، ومنها التودّد و هو إظهار المحبّة للأقران و أهل الفضل وتلقّيهم بطلاقة الوجه و حسن البشر ، و منها صلة الرحم وهي أن تراعي حقوق الأقرباء وتشاركهم في الخيرات الدّنيويّة والأخرويّة، و منها التوكّل و هو تفويض أمرها إلى الله سبحانه ، ومنها الصبر و هو أن لاتجزع من فوات المال و غيره ، و منها القناعة وهي أن لاتحرص على جمع مالايحتاج إليه . و منها الوقار و هو أن تكون ساكنة في تحصيل المطالب غير مضطربة ، و منها الورع و هو أن تجتنب عن الأفعال القبيحة؛ ومنها الحرّيّة وهي أن تقتصر على اكتساب المال من الطرق الجميلة و لذلك كانت السخاوة

والجود من صفات الأنبياء والمرسلين والصدّيقين و من اقتفى آثارهم من الصالحين الّذين آمنوا بالله و كتبه و رسله ووعده ووعيده في الحشر والنشر والثواب والعقاب وراعوا بصدق الهمّة في أحوال الفقراء والمساكين والايتام والأرامل والمستحقّين و قصدوا بخلوص النيّة رفع الحوائج عنهم لا يريدون منهم جزاء ولا شكوراً ، وقد دلّ العقل والنقل على شرافة تلك الفضيلة و علوّ منزلتها، أمّا العقل فإنّ عباد الله عياله و من قام لقضاء حوائج عيال أحد في حال حضوره و غيبته و وطّن نفسه على رعاية حقوقهم و نظر بعين التلطّف و الشفقة إليهم كان عند صاحب العيال مكرماً معزّزاً محبوباً سيّما إذا كان كريماً قادراً على جميع أنحاء الإكرام والله سبحانه لم يجعل أحداً فقيراً لأجل الهوان ولا غنيّاً لأجل استحقاقه بالفضل والإحسان بل إنّما فعل ذلك لأجل المصلحة والامتحان فمن نظر إلى الفقراء والمحتاجين بعين الحقارة و خطر بباله أنّهم لا يستحقّون الكرامة من الله سبحانه وإلّا لأعطاهم و رفع حاجتهم فهو جاهل بالمصالح الإلهيّة و كافر بالحكم الربّانيّة و يتوجّه إليه الذّم في قوله تعالى : « وإذا قيل لهم أنفقوا ممّا رزقكم الله قال الّذين كفروا للّذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلّا في ضلال مبين » و أمّا النقل فلقوله تعالى « و يطعمون الطعام على حبّه مسكيناً و يتيماً وأسيراً ✡ إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ✡ إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً ✡ فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرة و سروراً و جزاهم بما صبروا جنّة و حريراً » و قول أبي الحسن عليه السلام « السخي قريب من الله قريب من الجنّة قريب من الناس. والسخاء شجرة في الجنّة من تعلّق بغصن من أغصانها دخل الجنّة (١) » إلى غير ذلك من الآيات الكريمة والرّوايات الصحيحة وهي أكثر من أن تحصى ، و البخل و عدم بذل المال سيّما فضله في وجوه الفقراء والأقرباء من صفات الجاهل و مبدؤه حبّ الدّنيا والرغبة عن الآخرة و خوف الفقر و سوء الظنّ بالله و بمواعيده الصادقة و بعده عن التوكّل والزّهد والشفقة والرّقة والرّحمة والتعطّف لغلظة طبعه و

(١) الكافي كتاب الزكاة باب معرفة الجود والسخاء تحت رقم ٩.

رداءة نفسه و سوء خلقه و شرارة ذاته ، فيبعثه ذلك على استمساك المال عن نفسه فضلاً عن غيره فلذا قال سيد الوصيين عليه السلام : « عجبت للبخيل الّذي يستعجل الفقر الّذي منه هرب و يفوته الغنى الّذي إيّاه طلب فيعيش في الدّنيا عيش الفقراء و يحاسب في الآخرة حساب الاغنياء (١)» و سبب التعجّب أنّه اختار البخل خوفاً من الفقر وضنك العيش يوماً ما مع أنّه يدخل في الفقر وضنك العيش باعتبار أنّه لا ينفق على نفسه ولا على عياله ولا على غيره و بالجملة البخل عار في نفسه جامع لمساوي العيوب و هو زمام يقاد به إلى كلّ سوء و كفاك شاهداً قوله تعالى في قصّة قارون و أمثاله و قوله تعالى « و من يبخل فانّما يبخل عن نفسه » و قول أمير المؤمنين عليه السلام «إذا لم يكن لله في عبد حاجة ابتلاه بالبخل (٢)» و امثال ذلك من الآيات والرّوايات أكثر من أن تحصى (ولا تجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل) الّتي بها يقاتل الجهل و جنوده في ملك الأبدان و ساحة القلوب و هذه الخصال من حيث أنّ بها يتحقّق التناصل والتسابق إلى الخيرات تسمّى خصالاً ؛ ومن حيث عروضها تسمّى صفات ، و من حيث عدم رسوخها بعد تسمّى أحوالاً ، ومن حيث رسوخها بالتمرّن والتدرّب تسمّى أخلاقاً وملكات ومن حيث إطاعتها للعقل و عدم خروجها عن حكمه تسمّى خوادم . و من حيث كونها محفوظة بحفظ العقل و حراسته عن الآفات تسمّى رعايا ؛ و ما ورد في بعض الأخبار من الأمر بمراعاة الرّاعي لرعيّته يندرج فيه هذا أيضاً و من حيث أنّها أعوان للعقل في محاربته للجهل تسمّى أجناداً (إلاّ في نبيّ أو وصيّ نبيّ أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان) أي اختبره بالشدائد والمحن والرّياضات والفتن لتحقّق الايمان (٣) له أو ليتحقّق له الايمان الكامل

---

(١) النهج ابواب الحكم تحت رقم ١٢٦.

(٢) الكافي كتاب الزكاة باب البخل والشح تحت رقم ٣.

(٣) يقول اهل العصر ممن له استهتار باصحاب الطبايع ان عبادة رب لا يرى ينافي الامر بمتابعة العقل و تعظيم شأنه و هذا كلام شيطاني نقل من الملاحدة واصحاب الدهر واجاب بعضهم بان الادراك بالوجدان كالادراك بالعيان. والاعتراض ساقط من اصله اذ ☆

أو صقله و جلاه من كدر الأرجاس و طهّره و نقّاه من دنس الأخباث من محنت البئر محناً إذا أخرجت ترابها وطينها (و أمّا ساير ذلك(١) المذكور (من موالينا) جمع الموالي و هو يطلق على المعتق بالكسر والفتح و على ابن العمّ و العصبة كلّها و منه قوله تعالى «وإنّي خفت الموالي» وعلى الربّ والمالك ومنه قوله تعالى «ثمّ ردّوا إلى الله موليهم الحقّ» و قوله ﷺ «أيّما امرأة نكحت بغير إذن ولاها» و على الناصر والمحبّ ومنه قوله تعالى «ذلك بأنّ الله مولى الّذين آمنوا» والمراد به هنا الأخيران (فإنّ أحدهم لايخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود) و ذلك ظاهر فإنّ شيعة أهل البيت عليهم السلام هم الّذين آمنوا بالله و ملائكته و كتبه و رسله واليوم الاخر ففيهم بعض الخصال المذكورة من جنود العقل قطعاً (١)

---

*الانسان العاقل اذا قامت الادلة على وجود واجب الوجود عبده و ان لم يره ولم يجده و لم يعرف حقيقته و اما ان كل موجود محسوس فمن اغلاط الواهمة سيأتي ابطاله في في مباحث التوحيد انشاءالله . (ش)

(١) و اعلم ان كون العقل حجة و دليلا لاينافي ماورد في ذم القياس من ان دين الله لايصاب بالعقول و ليس شيء ابعد من عقول الرجال من احكام الله تعالى لان العقل حجة فيما افاد اليقين والنهي انما هو عن الظن اذ لايستفاد من القياس اكثر من الظن و الاحكام الشرعية الفرعية ممالاطريق للعقل اليه غالبا كوجوب صوم شهر رمضان وحرمة صوم العيد وقد يكون للعقل اليه طريق فيكون حجة كحرمة القتل والسرقة وغصب اموال الناس وقال بعض من لاخبرة له ان العقل لايحتج به في الاصول و المقررات الاولية و يحتج به في التجربة والتحليل وتطبيق الاحكام على مقتضيات الازمان والحق عدم الفرق بينهما فما حصل من العقل اليقين فهو حجة في الاصول الاولية و غيرها ومالم يحصل لم يكن حجة مطلقاً والتجربة والتحليل والتطبيق الفاظ مبهمة لامحصل لها و ان كان المتجربة و التحليل معنى معقول فهو القياس بعينه وتطبيق الاحكام على مقتضى الازمان غلط لان الاحكام الالهية لاتتغير بتغير الازمان والشرع المحمدي(ص) ناسخ لجميع الشرايع و حلاله حلال الى يوم القيمة و حرامه حرام الى يوم القيامة والله و رسوله اعلم بمقتضى كل زمان و مصالحها حيث حكما ببقاء هذا الدين الى الابد. ثم انه مثل مثالا لتغيير احكام*

و بحسب ما وجد منها فيهم يتنوّر قلوبهم و يصفو أذهانهم و يرتفع درجتهم و ذلك متفاوت في الكمّ والكيف والعدد على تفاوت أنحاء التركيبات الغير المحصورة المتصوّرة فيها و لذلك لاتجد اثنين منهم متّفقين في خصلة واحدة لاتوجد فيها تفاوت . و إنّما قال : « من موالينا » فانّ غيرهم قد يخلو من جميع هذه الخصال

☆الاسلام بمقتضى الزمان و هو ان عبدالملك بن مروان اراد هدم دار فى جوار المسجد الحرام و جعلها فيه فلم يرض صاحب الدار بكل قيمة و تحير عبدالملك ولم يدر مايفعل لان غصب اموال الناس حرام فى الشريعة ولايجوز بناء المسجد و الصلوة فى المكان المغصوب فدلوه على زين العابدين (ع) فافتاه بهدم الدار و عدم استحقاق صاحبها القيمة لان بناء المسجد كان سابقاً على بناء الدور. وهذا غير صحيح وعلى فرض صحته اجنبى عن المقام لان الكلام فى ان غير المعصوم امثالنا لايجوز لنا تغيير حكم الله تعالى الذى ورد من النبى والائمة المعصومين، واما الائمة انفسهم فقولهم حجة مأخوذ من الله تعالى بالوحي والالهام فحكمهم حكم الله تعالى وهو حكم الشرع بعينه وهذا مثل ماحكموا بقطع يد السارق مع حرمة قطع اليد وبيع اموال المديون قهراً عليه لاداء حق الديان مع عدم جواز التصرف فى مال احد الا باذنه ولايلزم من جواز التخصيص والتقييد بل النسخ من الله تعالى فى احكامه أن يجوز لنا أيضاً و لعل زين العابدين (ع) علم باخبار غيبى الهى أن تلك الدار كانت غصبا من المسجد وقد روى فى الكافى والتهذيب و نقل فى الوسائل عنهما فى ابواب مكان المصلى ما يؤيده عن أبي عبدالله (ع) حيث سئل عما زيد فى المسجد الحرام قال انهم لم يبلغوا بعد مسجد ابراهيم و اسماعيل عليهما السلام و قال ان ابراهيم و اسماعيل حدا المسجد مابين الصفا والمروة و فى رواية اخرى بين الحزورة والمسعى. ثم ان ما نقله عن زين العابدين (ع) نقلوه عن الخليفة الثانى ولانعرف معنى كلامه ولاحجة فى قوله و لم يحكم احد من ائمة المسلمين ان من سبق الى عمارة ارض له حق فيما يجاوره كلما احتاج اليه بحيث يجوز له هدم بناء من لحقه فى العمارة . وروى عن عبدالصمد بن سعد وهو مجهول لايعرف و نكرة لاتتعرف عن أبي جعفر المنصور و أبى عبدالله (ع) نظير ما نقل هذا القائل عن عبدالملك و زين العابدين (ع) و كذا عن رجل اخر مرسلا عن المهدى ولاحجة فى هذه☆

و يكون قلبه معسكر الجهل وجنوده كلّها و في أطرافه وثغوره حرّاس بحيث لا يجد العقل إليه دليلاً ولا إلى استطلاع حاله سبيلاً كما قال الله تعالى: «ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة و لهم عذابٌ أليم» وقد يوجد في بعضهم بعض جنود العقل كالسخاء و نحوه ولكن لا ينفعه لفقده ما هو أعظم منه وأصل للجميع أعني الايمان الّذي هو موجب للرّحمة والدّخول في الجنّة فهو دائماً في الدّرجة السفلى محشورة مع الشياطين.

(حتّى يستكمل و ينقى من جنود الجهل) و ذلك الاستكمال أمرٌ ممكن لأنّه لمّا بنى دينه على أصل متين و أمر يقين و حصل له بعض الخصال المرضيّة والأنوار العقليّة أمكن له تكميل ذاته بسائر الخصال النورانيّة والعروج إلى أعلى مدارج الكمال بجذبة من الجذبات الرّبانيّة وتنقيته بهمّة صادقة ونيّة خالصة و قدم ثابتة من جنود العقل و أعوانه و ذلك بأن يكون متيقّظاً في جميع الأوقات ومراعياً لحاله في جميع الحالات و يختار من الأعمال والعقائد والصفات ما هو في الشرع أحكم و أتقن، وعند العقل أفضل وأحسن فينظر مثلاً إلى الصلة والسخاء و منافعهما و إلى القطيعة والبخل و مضارّهما و يختار الأوّلين على الأخيرين و كذا دائماً (فعند ذلك يكون في الدرّجة العليا مع الأنبياء والأوصياء) و حسن أولئك رفيقاً و إنّما لم يذكر المؤمن الممتحن إمّا للاقتصار أو للاشارة إلى أنّ هذا المستكمل هو ذلك المؤمن (و إنما يدرك ذلك) أي الاستكمال بجميع تلك الخصال أو الكون في الدّرجة العليا مع الأنبيآء والأوصيآء والأوّل أولى لفظاً

---

*أصلا و اما عبدالملك بن مروان فلم يزد في المسجد الحرام شيئا على ماصرح به المؤرخون كالطبري والكامل والمعتنون بتاريخ مكة والكعبة كالازرقي والفاكهي و الفاسي في شفاء الغرام و صاحب كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام ولاريب ان جميع حوادث مكة المشرفة مضبوطة حتى انهم ذكروا عدد السيول التي جرت و السنين التي وقعت فيها و القحط والغلا في كل سنة حدثت فضلا عن ولاتها و عمارة المسجد و غير ذلك و اصل الحكاية فرية بلامرية. نظير ما ادعاه من ترويج المتوكل مذهب الاشعري وكان متاخرا عنه بماه سنة (ش)

و معنى (بمعرفة العقل و جنوده و مجانبة الجهل و جنوده) وجه الحصر ظاهر لأنّ العمل بشيء متوقّف على العلم به ، ولأنّ التمييز بين الحقّ والباطل متوقّف على العلم بكون هذا حقاً و ذاك باطلاً ، و إنّما لم يقل و بمعرفة الجهل وجنوده كما قال في الأوّل لأمرين أحدهما أنّه إذا حصلت معرفة العقل وجنوده حصلت معرفة الجهل و جنوده بالمقابلة لأنّ كلّ ما ليس عقلاً و جنوده فهو جهل وجنوده في حالات الانسان، و ثانيهما أنّ المقصود الاهمّ هو مجانبة الجهل و جنوده لأنّه الغالب في الأكثر والموافق للنفوس البشريّة (وفّقنا الله وإيّاكم لطاعته و مرضاته) الرّضوان بالضمّ والكسر والرّضى والمرضاة بمعنى واحد وهذا من كلام الصادق عليه السلام ودعاء لنفسه ولمن كان حاضراً عنده من مواليه ، ولمن غاب عنه ولمن يوجد إلى يوم القيمة من باب تغليب الحاضر على الغائب ، و فيه تنبيه على أنّه لابدّ لطالب الخير من الالتجاء إليه سبحانه و طلب التوفيق منه إذ بيده الخير و هو على كلّ شيء قدير ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

((الاصل))

١٥ ـ « جماعة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن عليّ « ابن فضّال ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما كلّم رسول الله « صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قطّ ، و قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّا معاشر الأنبياء « اُمرنا أن نكلّم النّاس على قدر عقولهم».

((الشرح))

(جماعة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسن بن عليّ بن فضّال عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما كلّم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قطّ) كنه الشيء نهايته يقال « أعرفه كنه المعرفة أي نهايتها ولايشتقّ منه فعل و قولهم لايكتنهه الوصف بمعنى لايبلغ كنهه كلام مولد وقد يكون كنه الشيء حقيقته

النّبي هو بها هو ، و فيه إشارة إلى كمال عقله ﷺ فانّه نور ربّاني لايدانيه شيء من العقول إذ كما أنّ الأنوار متفاوتة فنور الشمس والقمر والكواكب والمصباح واليراعة بعضها فوق بعض لايكون اللاّحق مثل السابق ، فكذلك العقول متفاوتة في الدّرجات و المراتب و عقله ﷺ أعلى الدّرجات الممكنة و أقصى المراتب المتصوّرة و هو مظهر للحقايق والمعارف الالهية ومعدن للأسرار والعلوم الربّانيّة و مدرك لما يعجز عن إدراكه عقول البشر و يقف دون الوصول إليه الفكر والنظر فلذلك ما كلّم العباد أبداً بحقيقة ماعرفه و نهاية ما بلغه و كيفية ما عقله لئلاّ يقعوا في الحيرة وقد بعث لازاحتها و ارسل لازالتها ، و لأنّ الغرض من الكلام إنّما هو الافهام والمخاطب إذا لم يفهم كان ذلك عبثاً والحكيم لايعبث . و لذلك كانت الحكماء يوصون بضنّة الحكمة عن غير أهلها (١) و من هذا القبيل ما روي عن أبي عبدالله ﷺ قال «قام عيسى ابن مريم خطيباً فقال : يا بني إسرائيل لاتحدّثوا الجهّال بالحكمة فتظلموها ولاتمنعوها أهلها فتظلموهم (٢)» و ينبغي أن يعلم أنّ المراد بالعباد أكثرهم فانا نعلم قطعاً أنّ علياً ﷺ نفسه المقدسة كما دلّت عليه آية المباهلة و غيرها من الرّوايات و أنّه كلّمه و علّمه بكنه ما عقله ممّا هو كائن ويكون في الدّنيا والآخرة.

(و قال قال رسول الله ﷺ إنّا معاشر الأنبياء) أي جماعاتهم جمع معشر وهي الجماعة (اُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم) أي على قدر ما يدركه عقولهم من

---

(١) قال الشيخ الرئيس أبوعلى بن سينا فى اول كتاب الاشارات : و أنا أعيد وصيتي و أكرر التماسي أن يضن بما يشتمل عليه هذه الاجزاء كل الضن على من لايوجد فيه ما اشترطه فى آخر هذه الاشارات ، و منع فى آخر الكتاب من تعليم الحكمة لطائفتين الاولى الجاهلين المبتذلين و من لم يرزق الفطنة الوقادة ـ الى آخر ما قال ـ و الثانية ملحدة هذه المتفلسفة و همجهم ـ الى ان قال ـ فان اذعت هذا العلم أو أضعته فالله بيني و بينك و كفى بالله و كيلا (ش).

(٢) سيأتى فى كتاب العلم باب بذل العلم تحت رقم ٤ .

المعارف والحقايق وغيرها لأنّ الحكيم النحرير يراعي في تعليم العقول الناقصة المتحيّرة في تيه الضلالة والنفوس المنكدرة برين الغواية وغين الجهالة وتأديبها بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق والفضائل و تخليصها عن غواشي الأوهام ومساوي العيوب والرّذايل ما يناسبها و يبلغ إليه فهمها و ينتهي إليه دركها(١) وقد يلبس

(١) يدرك أرباب العقول الكاملة فضلا عن الانبياء أموراً لايمكن تعليمها لعامة الناس بوجه أصلا لعدم استعدادهم لفهمها فيجب عليهم تخصيص تعليمها بمن يجدون فيه استعداداً تاما و يدركون أيضاً أموراً يمكن تعليمه للناس فى صورة مثل و تعبير قريب الى اذهانهم و أعظم الآفات للعامة تمكن العادات و مغالطة الاوهام و عدم تدربهم فى فك العقل عن الوهم ولكل شيء فى ذهنهم لوازم غير مترتبة عليه واقعاً ولا يتوقع منهم مايسهل على المتدربين فى العقليات مثلا الفرق بين الحدوث الزمانى والحدوث الذاتى والفاعل بالاختيار والعلة التامة ، فانهم رأوا كل علة تامة فاعلاغير مختار كالنار للحرق والشمس للنور ورأوا كل فاعل مختار علة ناقصة كالانسان واذا قيل لهم ان الله فاعل مختار ذهب ذهنهم الى انه تعالى علة ناقصة واذا قيل انه تعالى علة تامة ذهب ذهنهم الى أنه فاعل لا بالاختيار و يشمئزون من كلا الحكمين ولا يسهل عليهم الجمع بينهما ولا يمكن أيضاً ان يفهم العامة معنى قول العلامة الحلي رحمه الله فى شرح التجريد ان اعادة المعدوم ممتنعة ويذهب ذهنهم الى انكار المعاد و كذلك قوله ان احتياج الممكن الى الواجب لامكانه لالحدوثه وقولهم المحال غير مقدور ولايعرف الناس معنى المحال ولايفرقون بين المحال العادى والعقلى بل ولا بين النادر الوقوع والمحال العادى أيضاً ويظنون مثل شق القمر والمعراج محالا و قد ورد أن المرأة تحتلم ولكن لاتحدثوهن ولو كان احتلامهن عادة كالرجال وجب تعليمهن لوجوب الغسل والصلوة عليهن ولكن منعوا عليهم السلام من تعليمهن لان ذلك أمر نادر فاذاحدثن بذلك ذهبت أوهامهن الى أن ذلك عادة مستمرة لهن فيغتسلن لكل رطوبة لزجة فى مفاسد أخر و كثير من مسائل الفقه مما يذهب ذهنهم من جوابها الى امور باطلة و ان كان الجواب صحيحاً وان افتيت بولاية الجائر ذهبت أوهامهم الى تجويز كل ظلم اوبتجويز الصنق ذهبت الى كل منكر وفحشاء وهكذا. (ش)

المطالب بكسوة الأمثال لعلّهم يفهمون كما قال سبحانه «و تلك الأمثال نضربها للنّاس لعلّهم يتفكّرون» وبالجملة الناس أطفال وعقولهم غير بالغة وهو صلّى الله عليه وآله معلّم والمعلّم الرّبّاني لايعلّم الأطفال إلّا بما يناسب حالهم و تبلغ إليه عقولهم و ينتهي إليه ذهنهم.

((الاصل))

١٦ ـ «عليّ بن محمّد ، عن سهل بن زياد ، عن النوفليّ ، عن السكونيّ ، عن» «جعفر ، عن أبيه عليهما السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ قلوب الجهّال تستفزّها» «الأطماع وترتهنها المنى وتستعلقها الخدائع».

((الشرح))

(عليّ بن محمّد ، عن سهل بن زياد ، عن النوفليّ عن السكونيّ ، عن جعفر ، عن أبيه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ قلوب الجهّال تستفزّها الأطماع) أي تستخفّها وتفزعها و تزعجها وتطيرها وتسلب طمأنينتها، والأطماع جمع طمع وهو معروف وقد يجيء بمعنى الرّزق يقال : أمر لهم الأمير بأطماعهم أي بأرزاقهم وينشؤ ذلك من تموّج القوّة الشهويّة واضطرابها حتّى تستولي على ساحة القلب فيصير مظلماً إذا أخرج يده لم يكد يراها ، و عند ذلك يعدل عن الصراط المستقيم و هو الوثوق بالله العظيم إلى ما هو من أخسّ مكايد الشيطان و أضرّ أحوال الإنسان وهو الطمع فيما في أيدي الناس فيقع في وثاق الذّلّ و عبوديّة العباد ويحرم عما سيق له من الميعاد في دار المعاد و هو أصمّ لايسمع نصح الناصح الأمين قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لاتخضعن لمخلوق على طمع فإنّ ذلك وهن منك في الدين ، و استرزق الله ممّا في خزائنه فإنّ ذلك بين الكاف والنون ، إنّ الذى أنت ترجوه و تأمله من البريّة مسكين بن مسكين وأمّا العاقل فهو مع علمه بأنّ مورد الطامع قد لايكون باعثاً لتحصيل المراد ولاسبباً لاصدار ما أراد بل يتخلّف عنه المرام و يصير ذلك

موجباً لتضييع الأيّام يرى في صفاء مرآة قلبه وخامة مآل تلك الأحوال فيفرّ منها فرار الجبان من مشبل معها الأولاد والأشبال (وترتهنها المنى) المرتهن الّذي يأخذ الرّهن و المنية والامنية واحد والجمع المنى والأماني فتشبيه المنى بالمرتهن مكنيّة و إثبات الارتهان لها تخييليّة ، و الراهن هو النفس الأمّارة بالسوء ، و فيه مبالغة بليغة على كمال إفلاسها حيث رهنت لغاية اضطرارها وعدم اهتدائها إلى المظلوم ما هو أشرف متاع البيت و هو القلب و ينشؤ ذلك من الافراط في القوّة الشهويّة و مرضها الّذي يسرى إلى البصاير و يوهنها و يطمس نورها ويمنعها عن إدراك المعارف و ما ينفع في اليوم الآخر فلامحالة يتوجّه إلى الشهوات الزّائلة و الزّهرات الحاضرة و الأماني الباطلة و ينظر إليها بعين الظاهرة فيتمنّى دائماً حصول مالايبلغه و بناء مالا يسكنه و جمع ما يتركه لانتفاء الزّاجر فلايبالي من باطل جمعه و من حقّ منعه و من حرام حمله و أمّا العاقل فيعلم بنور بصيرته أنّ أشرف الغنى ترك المنى والاعتماد على الموالي. وبخلوص سريرته أنّ الأماني آفة تعمى أعين البصاير الّتي في الصدور حتّى لاترى وخامة عواقب الأمور فيحصل له همّة صادقة تبعثه على فطام النفس عن الشهوات و نزع القلب عن أيدي الأماني والشبهات و صرف النظر عن الخلق والرّجوع بالكليّة إلى الحقّ (و تستعلقها الخدايع) بالعين المهملة والقاف يقال : علّق الشيء بالشيء تعليقاً فتعلّق به و علّق باباً على داره إذا نصبه و ركبه و علق بالشيء بكسر اللاّم بمعنى تعلّق واستعلق هنا بمعنى علق بالكسر لالمجرّد الطلب إلاّ أنّ فيه مبالغة لأنّ الواقع مع الطلب أشدّ و أقوى، و خدعه و يخدعه خدعاً أي ختله وأراد به المكروه والضرر من حيث لايعلم والاسم منه الخديعة وجمعها الخدايع و معناه بالفارسية (ميچسبد بقلب جاهل خديعه و مكر) وهذا يحتمل وجهين أحدهما أنّ الجاهل شأنه أن يخدع غيره و يمكر به و يريد إيصال المكروه والضرر إليه لغرض من الأغراض الفاسدة كما قال سبحانه في وصف المنافقين «يخادعون الله» أي يخادعون أولياءه و ثانيهما أنّ شأنه الانخداع وقبول الخديعة والمكر من الخادعين الماكرين كثيراً سريعاً لقلّة عقله

و ضعف بصيرته و سوء تدبيره في عاقبة أمره، و أمّا العاقل فله عينان في الظاهر و عينان في الباطن و بذلك ينتظم حاله ظاهراً و باطناً لايخدع غيره تحرّزاً عن صفات المنافقين ولاينخدع من غيره كثيراً كماهو شأن المؤمنين قال ﷺ «المؤمن لايلدغ من جحر مرتين (۱)» قيل في بعض النسخ «تستقلقها» بالقافين أي تجعلها الخدايع منزعجة منقطعة عن مكانها. وفي بعضها بالغين المعجمة من استغلقني في بيعه أي ام يجعل لي خياراً في ردّه.

((الاصل))

۱۷- «علي بن إبراهيم، عن أبيه؛ عن جعفر بن محمّد الأشعري، عن «عبيدالله الدّهقان، عن دُرست، عن إبراهيم بن عبدالحميد قال: قال أبوعبدالله» عليه السلام: أكمل النّاس عقلاً أحسنهم خلقاً».

((الشرح))

(علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد الأشعري. عن عبيدالله الدّهقان، عن درست عن إبراهيم بن عبد الحميد) مشترك بين رجلين أحدهما مستقيم من رجال الصادق عليه السلام والآخر واقفيّ من رجال الكاظم عليه السلام (قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً) العقل نور ربّاني يفرّق بين الحقّ والباطل ويستبان به المعارف والعواقب ويترك به الذّمايم والقبايح، ويتبعه قوّة الالتفات إلى جميع المحاسن والفضايل الّتي منها حسن الخلق، و اختلف العلماء في تعريفه فقيل هو بسط الوجه و كفّ الأذى و بذل الندى، و قيل: هو أن لايظلم صاحبه ولايمنع ولايجفو أحداً و إن ظلم غفر، و إن منع شكر، و إن ابتلي صبر، وقيل: هو صدق التحمل و ترك التجمّل، و حبّ الآخرة و بغض الدّنيا و الحقّ أنّ كلّ هذا تعريف له بالآثار والأفعال التابعة له الدّالة عليه و أنّه هيئة راسخة

---

(۱) رواه احمد والبخاري و مسلم و أبوداود و ابن ماجه في سننه تحت رقم ۳۹۸۳.

حاصلة للنفس بصفاتها اللائقة بها ، و ذلك النور كما يتنوّر به الباطن و يهتدي به كلّ عضو منه إلى مايليق به كذلك يتنوّر به الظاهر و يهتدي به كلّ عضو منه إلى ما خلق لاجله لما بين الظاهر و الباطن من مناسبة بها يتعدّى حكم كلّ واحد منهما إلى الآخر ، و عند ذلك يستقيم الظاهر والباطن و يتوجّه كلّ واحد منهما إلى ما هو مطلوب منه ، و ممّا هو مطلوب منه هو حسن الخلق فحسن الخلق تابع لذلك النور المسمّى بالعقل ، ولاشبهة في أنّ العقول متفاوتة في النور و الضياء تفاوتاً فاحشاً لاتكاد تنحصر في عدد و بتفاوتها يتفاوت الأخلاق التابعة لها تفاوتاً عظيماً ، فقد ظهر أنّ العقل كلّما كان أكمل و أتقن كان الخلق أكمل وأحسن ، وأيضاً العقل محلّ للحكمة الالهية والمعارف الرّبانيّة وهي توجب محبّته تعالى ومحبّته توجب محبّة عباده من حيث أنّهم عباده وصنايعه لأنّ من أحبّ أحداً أحبّ جميع أفعاله من حيث أنّها أفعاله و كما يقتضي محبّة الله تعالى تعظيمه ظاهراً و باطناً كذلك يقتضي محبّة عباده تعظيمهم و تكريمهم و تلطّفهم ظاهراً وباطناً وهي حسن الخلق ولكن لما كانت درجات معرفته متفاوتة و مراتب محبّته مختلفة كانت مراتب محبتهم أيضاً كذلك ومن ههنا أيضا يتبيّن أنّ العقل كلّما كان أكمل كان الخلق أحسن و لذلك قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله « إنّك لعلى خلق عظيم » لأنّ عقله فوق جميع العقول وأسناها ، ومعرفته فوق جميع المراتب و أعلاها ، ومحبّته فوق جميع الدّرجات و أقصاها ، فخلقه فوق جميع الأخلاق و أقواها و لذلك اتّصف بالعظمة البالغة الّتي لاتبلغ العقول إلى منتهاها .

((الاصل))

١٨ـ « عليّ [عن أبيه] عن أبي هاشم الجعفري قال: كنّا عند الرضا عليه السلام » « فتذاكرنا العقل والأدب فقال: يا أباهاشم العقل حباء من الله ، والأدب كلفة » « فمن تكلّف الأدب قدر عليه ، و من تكلّف العقل لم يزدد بذلك إلاجهلاً . »

((الشرح))

(١)

(عليّ عن أبي هاشم الجعفريّ) اسمه داود بن القاسم بن إسحاق بن عبدالله ابن جعفر بن أبي طالب ثقة جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام شاهد أبا جعفر و أبا الحسن و أبا محمد عليهم السلام و كان شريفاً عندهم وله موقع جليل عندهم وروى أبوه عن الصادق عليه السلام (صه) (١) و نقل سيّد الحكماء هذا العنوان هكذا عليّ عن أبيه، عن أبي هاشم الجعفريّ ، ثمّ قال و أمّا ما يروى في عدّة من النسخ عليّ عن أبي هاشم الجعفريّ فغلط من إسقاط الناسخ فانّ أحداً من العليّين الّذين يعنيهم الكليني في صدور الأسانيد وهم علي بن محمد المعروف بعلاّن و علي بن محمد المعروف أبوه بماجيلويه، و عليّ بن إبراهيم بن هاشم لم يرووا عن أبي هاشم الجعفري من غير واسطة (قال : كنّا عند الرّضا عليه السلام فتذاكرنا العقل والأدب فقال : يا أبا هاشم العقل حباء من الله والأدب كلفة فمن تكلف الأدب قدر عليه . و من تكلّف العقل لم يزدد بذلك إلاّ جهلاً) الحباء بالكسر العطاء ، يقال: حباه حبوة أي أعطاه وفي المغرب الأدب أدب النفس والدرس وقد أدب فهو أديب، وأدّبه غيره فأدّب و تركيبه يدلّ على الجمع ، والدُّعاء و منه الأدب لأنّه يأدب الناس إلى المحامد أي يدعوهم إليها(٢) و قيل الأدب اسم يقع على كلّ رياضة محمودة يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضايل ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «الآداب حلل مجدّدة (٣)» يعني كما أنّ الشخص يتزيّن بالحلل كذلك يتزين بالآداب مثل العلم و ما يتبعه من حسن المجاورة والمعاشرة و أمثالها ، و قال بعض أهل المعرفة: للأدب شعب كثيرة فلذا قال بعضهم : هو ما يتولّد من صفاء القلب و حضوره ، و قال بعضهم : هو مجالسة الخلق على بساط الصدق و مطالعة الحقايق بقطع العلايق، و قال بعضهم: هو وضع

---

(١) رمز الى كتاب خلاصة الاقوال للعلامة الحلي(ره).

(٢) تقدم تحقيقه ص٢٤٣ .

(٣) النهج ابواب الحكم تحت رقم٤.

الأشياء موضعها، و قال بعضهم: أدب اللّسان ترك مالايعنيه، و إن كان صدقاً فكيف الكذب، و أدب النفس معرفة الخير والحرص عليه و معرفة الشرّ و الانزجار عنه، و أدب القلب معرفة حقوق الله تعالى و الاعراض عن الخطرات المذمومة، والكلفة ما يتكلّفه الانسان من المشاقّ و يتجشّمه يعني أنّ العقل عطيّة من الله تعالى و غريزة في الانسان و جوهر ربّاني خلقه و جعل نوره في القلب الهداية إلى خير الدّنيا والآخرة وليس للعبد قدرة على اكتساب ذلك الجوهر لنفسه كما أنّه ليس ذلك في وسع المجانين و ساير الحيوانات الفاقدة له فمن تكلّف في تحصيله و تجشّم في اكتسابه كان سعيه عبثاً، ومع ذلك يزداد به جهله حيث اعتقد أنّه فاعل لما لايليق به ولايقدر على فعله و ارتكب مايفضي إلى الدّور، نعم الآداب الّتي يرشده العقل إليها و يدله عليها وهي من توابع حركاته و سكناته الموافقة لقانون الشرع والعرف داخلة تحت قدرته فله السعي في اقتنائها والاجتهاد في اكتسابها ليرتقي من حضيض النقص إلى أوج الكمال. فان قلت لاشبهة في أنّ أصل العقل منه تعالى فهل درجاته السّنيّة و مراتبه العليّة الّتي تحصل بكثرة التجارب والمعارف و اقتراف العلوم والحقايق و اكتساب الآداب والفضايل منه تعالى أو من العبد (١)؟ قلت: النظر إلى ظاهر هذا الحديث و ظاهر مامرّ «ولا أكملتك إلاّ فيمن أحبّ» و ظاهر قوله «إنّما يداق الله العباد في الحساب يوم القيمة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا» إلى غير ذلك من الأخبار المتكثّرة يقتضي أنّها منه تعالى و تلك العلوم والآداب و إن كان لها مدخل في حصولها لكنّها ليست عللاً فاعليّة لها بل هي شرائط لتحقّقها وصدورها من المبدء الفيّاض كما أنّ الدّهن شرط أو معدّ لزيادة ضوء المصباح وأصل الضوء وزيادته و

(١) احتمال كونه من العبد ساقط من أصله مبني على اعتقاد العوام من ان بعض الاشياء بفعل الله و بعضها بفعل غيره وينسبون الى الله مالايجدون له سببا(ش).

كماله منه تعالى (١).

((الاصل))

١٩- « عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن يحيى بن المبارك، عن عبدالله بن «جبلة، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك» «إنّ لي جاراً كثير الصّلاة، كثير الصدقة، كثير الحجّ لابأس به قال: فقال: » «يا إسحاق كيف عقله؟ قال: قلت له: جعلت فداك ليس له عقل، قال: فقال: » « لايرتفع بذلك منه».

((الشرح))

(عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن يحيى بن مبارك) في بعض كتب الرّجال أنّه من أصحاب الرّضا عليه السلام و مارأيت اسمه في الخلاصة (عن عبدالله بن جبله عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إنّ لي جاراً كثير الصّلوة كثير الصدقة كثير الحجّ) لفظ الكثير منصوب على أنّه صفة لأنّ الاضافة اللّفظية لايكتسب تعريفاً، أو مرفوع على أنّه خبر مبتدإ محذوف و هو والصفة حينئذ جملة (لابأس به) لعلّ المراد من نفي البأس هو أنّه من أهل الولاية أو أنّه من أهل الصلاح لايؤذي أحداً (قال: فقال: يا إسحق كيف عقله؟) لمّا بالغ إسحاق في وصفه بالأعمال الصالحة سأل عليه السلام عن أصل تلك الأعمال وهو العقل الّذي يميّز بين الحقّ والباطل ويوجب الإقرار بالحقّ تنبيهاً على أنّه هو الحريّ بالاتّصاف به لأنّه نور يبصر به خير الدّنيا والآخرة (قال: قلت: جعلت فداك

---

(١) وكذلك كل شيء في العالم ليس له علة فاعلية غير الله تعالى لان غيره لايقدر على ايجاد شيء والسحاب والريح والامطار علل معدة للنبات لافاعلة والحرارة والقوة المصورة في الرحم كذلك معدات للجنين والوجود من الله تعالى ولاينور الشمس شيئاً ولا النار يحرق الا بالاعداد ولامؤثر في الوجود الا الله تعالى(ش).

ليس له عقل ، قال : فقال لايرتفع بذلك منه) أي لايرتفع عمله بسبب أنّه ليس له عقل منه ، و في بعض النسخ « لاينتفع بذلك منه» أي لاينتفع ذلك الرّجل بسبب أنّه ليس عقل من عمله وهنا شيء و هو أنّه إن اُريد بقوله : « ليس له عقل» نفي العقل عنه مطلقاً حتّى ما هو مناط التكليف كما هو الظاهر أو نفي كونه من أهل الولاية كناية كان عدم ارتفاع عمله محمولاً على الظاهر لأنّ عمل غيرالمكلف و عمل غير الإمامي ليس مرتفعاً ، ولكن تلك الإرادة ينافي ظاهر ما تقدّم ، و إن اُريد به نفي الكمال يعني نفي العقل المستتبع للعلوم الدّينيّة والمعارف اليقينيّة كان عدم الارتفاع مأوّلاً بأنّه لايرتفع عمله كاملاً ولايبلغ درجة عمل ذوي العقول الكاملة ، فإنّ رفعة العمل والثواب عليه على قدر العقل كما مرّ في عابـد بني إسرائيل ، أو بأنّ هذا الحكم أعني عدم رفع العمل بالكلّيّة في خصوص الجـار المذكور كما يشعر به لفظة منه لعلمه عليه السلام بفساد عمله في الواقع

((الاصل))

٢٠ـ « الحسين بن محمّد ، عن أحمد بن محمّد السيّاري عن أبي يعقوب البغدادي » « قال : قال ابن السكّيت لأبي الحسن عليه السلام : لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام » « بالعصا و يده البيضاء و آلة السحر ، و بعث عيسى عليه السلام بآلة الطبّ ، و بعث » « محمّداً صلى الله عليه وآله وعلى جميع الانبياء بالكلام والخطب فقال أبوالحسن عليه السلام : » « إنّ الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر فأتاهم من » « عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله و ما أبطل به سحرهم و أثبت به الحجّة » « عليهم و إنّ الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات و احتاج » « النّاس إلى الطبّ فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله و بما أحيالهم » « الموتى و أبرء الأكمه و الأبرص باذن الله و أثبت به الحجّة عليهم و إنّ الله » « بعث محمّداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب » « والكلام ـ و أظنّه قال : الشعر ـ فأتاهم من عندالله من مواعظه وحكمه ما أبطل » « به قولهم وأثبت به الحجّة عليهم ، قال : فقال ابن السكيت : بالله ما رأيت مثلك »

« قطّ فما الحجّة على الخلق اليوم ؟ قال : فقال عليه السلام: العقل يعرف به الصادق » « على الله فيصدّقه والكاذب على الله فيكذّبه ، قال : فقال ابن السكيت: هذا والله » « هو الجواب».

((الشرح))

(الحسين بن محمّد) بن عمران بن أبي بكر الأشعري الثقة (عن أحمد بن محمّد السيّاري) ضعّف و نسب إلى التناسخ (عن أبي يعقوب البغدادي) اسمه يزيد ابن حمّاد بن الأنباريّ السلمي ثقة(قال : قال ابن السكّيت)اسمه يعقوب بن إسحاق ثقة ثبت عالم بالعربيّة واللّغة مصدّق لايطعن عليه و كان متقدّماً عند أبي جعفر الثاني و أبي الحسن الثالث عليهما السلام قتله المتوكّل لأجل التشيّع (لأبي الحسن(١) عليه السلام لماذا بعث الله موسى بن عمران) في « ماذا » ثلاثة أوجه الأوّل أن يكون مجموعه بمعنى أيّ شيء والثاني أن يكون « ما» بمعنى أي شيء « وذا» زائدة ، و الثالث أن يكون «ما» بمعنى أي شيء و «ذا» موصولة بمعنى الّذي ، وهو على جميع هذه التقادير سؤال عن سبب اختصاص كلّ نبيّ من الأنبياء عليهم السلام بإعجاز مخصوص (بالعصا ويده البيضاء) « فألقى عصاه فاذا هي ثعبانٌ مبينٌ و نزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين» (وآلة السحر) من باب عطف العامّ على الخاصّ ، والمراد بهاما يناسب السحر و يشبهه عند القاصرين مثل الفلق و الطوفان و الجراد والقمّل و الضفادع والدّم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ، والسحر في اللّغة مادقّ مأخذه و لطف سواء كان مذموماً شرعاً أو عقلاً أو ممدوحاً ومنه قوله عليه السلام : « إنّ من البيان لسحراً» قيل : هذا يحتمل المدح والذّم، المدح من حيث

---

(١) ذكرنا في حواشي كتاب الوافي (صفحة ٣٣ ومابعده) ان المسؤول هو أبو الحسن الثالث أعني الهادي(ع) وذكرنا هناك وجهه ومن الناس من نسب الحديث الى الرضا(ع) وهو خطأ ورأيت بعد ذلك من نسبه الى الكاظم وهو أخطأ لعدم علم قائله بالرجال وعدم تدبره(ش).

أنّ صاحبه قادراً على استمالة القلوب بحسن عبادته و لطف دلالته و إفصاح مرامه و إبلاغ كلامه ، والذّم من حيث أنّه قادر على تحسين القبيح و تقبيح الحسن و في الاصطلاح قيل : هو أمر خارق مسببٌ عن سبب يعتاد كونه عنه فيخرج المعجزة والكرامة لأنّهما لايحتاجان إلى تقديم أسباب وآلات و زيادة اعتمال بل إنّما تحصلان بمجرّد توجّه النفوس الكاملة إلى المبدء جلّ شأنه ، و أيضاً الاعجاز يتحقّق عند التحدّي دون السّحر ، و قيل : هو كلام يتكلّم به أو يكتبه أورقيّة أو عمل شيء يؤثّر في بدن المسحور أو عقله أو قلبه من غير مباشرة ، و منه عقد الرّجل عن زوجته وإلقاء العداوة والبغضاء والتفرقة بينهما وذهب أكثر الأصحاب و بعض العامّة إلى أنّه لاحقيقة له وإنّما هو تخيّل محض و توهّم صرف ولاتأثير له أصلاً ولامستند لهم يعتدّ به على أن التأثير بالوهم يتمّ لوسبق للمسحور علم بوقوعه وقد يجد أثره من لايشعر به أصلاً . والظاهر أنّ له حقيقة في نفس الأمر كمادلّ عليه ظواهر القرآن والأخبار و ذهب إليه أكثر العامّة و بعض الأصحاب و إليه ميل الشهيد الثاني و من شاهد من الأجسام ما هو قتّال كالسموم و ما هو مسقم كالأدوية الحارّة مثلاً و ما هو مصحّح كالأدوية المضادّة للمرض لا يبعد في عقله أن يكون تركيب مخصوص في الكلام و تلفيق معين في الكلمات و هيئة مخصوصة في العقود و نحوهما ممايؤدّي إلى الهلاك والتفرقة أو السقم أو اختلال الحال إلي غير ذلك من المفاسد و أن ينفرد الساحر بعلم ذلك كماينفرد صاحب التجربة بخواصّ الدّواء (و بعث عيسى عليه السلام بآلة الطبّ) أي بما يشبه بها من إبراء الأكمه والأبرص و أنواع الأمراض المزمنة وإحياء الموتي . والطبّ بالحركات الثلاث والكسر أشهر و هو في اللّغة الحذاقة و كلّ حاذق طبيب عند العرب وفي الاصطلاح علم تعرف به أحوال بدن الانسان من حيث الصحّة و الفساد و الغرض منه حفظ الصحّة وإزالة المرض

(وبعث محمّداً صلى الله عليه وآله و على جميع الأنبياء بالكلام والخطب) يحتمل أن يراد بالكلام القرآن الكريم البالغ في الفصاحة والبلاغة حدّ الاعجاز الخارج عن

قدرة البشر و بالخطب الكلام النبوى المشتمل على غاية الفصاحة و البلاغة بحيث لايدانيه كلام أحد من البلغاء ولاتركيب أحد من الخطباء والفصحاء، و يحتمل أن يكون العطف لتفسير الكلام و يراد به الجنس (فقال أبوالحسن عليه السلام: إنّ الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السّحر) كما «قالوا أرجه و أخاه و ابعث في المداين حاشرين ٭ يأتوك بكلّ سحّار عليم ٭ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ٭ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ٭ لعلّنا نتّبع السحرة إن كانوا هم الغالبين» (فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله و ما أبطل به سحرهم و أثبت به الحجة عليهم) كما قال سبحانه «فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون ٭ فاُلقي السحرة ساجدين ٭ قالوا آمنّا برب العالمين ٭ ربّ موسى وهرون» لعلمهم بأنّ ماجاؤوا به من التمويهات النفسانيّة والتدليسات الشيطانيّة والصناعات الانسانيّة و ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الرّبوبيّة والبراهين الملكوتيّة والعنايات الإلهية فوقع الحقّ في قلوبهم و ثبت الايمان في صدورهم و تقرّر الايمان في نفوسهم حتّى لم يبالوا بلومة اللائمين و وعيد الظالمين بالقتل والصلب و قالوا «لاضير إنّا إلى ربّنا منقلبون» و إذا وقعت الغلبة على الماهرين في جنس ما كانوا عليه قادرين وهم أذعنوا بها وجب على ضعفاء العقول اتباعهم على أنّا نعلم قطعاً أنّ الله سبحانه يلقي في قلوبهم عند ذلك أنّه إعجاز تكميلاً للحجّة عليهم وليهلك من هلك عن بيّنة و يحيى من حيّ عن بيّنة كما يرشد إليه قول الصادق عليه السلام «ما من أحد إلّا وقد يرد عليه الحقّ حتّى يصدع قلبه قبله أم تركه وذلك أنّ الله يقول في كتابه «بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل ممّا تصفون». (١)

(و إنّ الله تعالى بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزّمانات) جمع الزّمانة وهي آفة في الحيوانات، و رجل زمن أي مبتلى بين الزّمانة وفي المغرب الزّمن الّذي طال مرضه زماناً (و احتاج الناس إلى الطبّ فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله) أي بما عجزوا عن الاتيان بمثله فانّ ماجاء به عليه السلام هو إزاحة الزّمانات و إزالة الأمراض والآفات بمجرّد القوّة الروحانيّة و توجّه نفسه

---

(٢) سيأتى فى كتاب الايمان والكفر انشاءالله.

القدسيّة ، و طلب ذلك من الله تعالى من غير فتش أسباب الأمراض و استعمال الأدوية المناسبة لها وهم قدعجزوا عن ذلك إذغاية سعيهم هي المعالجة بمقتضى القوانين الطبّيّة والعمل بأحكامها و استعمال الأدوية المناسبة بزعمهم بعد تفتيش الاسباب والخطأ في أمثال ذلك كثير (و بما أحيا لهم الموتى و أبرء الاكمه) وهوالّذي ولد أعمى أوالممسوح العينين(والأبرص بأذن الله البرص بياض براق أملس في الجلدو اللّحم معاً و لموضعه غور لقلّة نفوذ الغذاء فيه فيضمر و يغور ،وقلّة النفوذ إنّما يكون لبرد العضو و تكاثفه و انسداد مساماته بالمادّة الفجة و من علاماته بياض الشعر و عدم خروج الدّم بغرز الابرة ، و من أسبابه انصباب أخلاط رديّة باردة رطبة في العضوغير قابلة لفعل القوّة المغيّرة الثانية (١) في التشبيه و إنام يكن تلك القوّة ضعيفة في نفسها أو ضعف تلك القوّة في نفسها عن التأثير والتشبيه و على التقديرين يتولّد البلغم الأبيض لأنّ سوء الهضم يوجب تولّده و إذاتمكّنت هذه المادّة أحالت كلّ غذاء ورد عليه إلى مزاجها فيصير شبيهاً بها ، و قديكون البرص سواداً و سببه مادّة سوداويّة كثيرة تتراكم في الجلد وما يقرب منه، فيزاد بذلك حجم ذلك الموضع ويتكاثف جداً و يتمدد ويتقشّر ويسقط منه فلوس كفلوس

---

(١) القوة المغيرة اثنتان الاولى مايفصل المني الى مزاجات مختلفة لكل عضو عضو لان مزاج اللحم غير مزاج العظم و هكذا ؛ ولابد من هذه القوة اذلو فرض بطلانها صار الجنين قطعة من اللحم من غير تقسيم، والمغيرة الثانية وتسمى المصورة أيضاً هي التي توجب تخطيط الاعضاء و تشكيلها و هذه القوة أو قوة مثلها موجودة في كل عضو من بدن الانسان الى آخر زمان حياته لان الغذاء اذا تحول الى الاخلاط و خصوصاً الدم كان له مزاج واحد متشابه و اذا وصل الى العين مثلا تبدل صورته الى شيء واذا وصل الى العظم تحول الى شيء آخر، والجلد واللحم كذلك و هذا التبدل والتغير متوقف على تأثير القوة الفاعلة و استعداد المواد القابلة حتى يتشبه الغذاء في كل عضو بسائر اجزائه ولولا هذه القوة حدث أمراض منها البرص. وهذا الكلام يدل على تبحر الشارح في علم الطب(ش).

السمك و قوله « باذن الله » دفعاً لتوهّم الاُلوهيّة فانّ أمثال الأفعال المذكورة ليست من جنس الأفعال البشريّة (و أثبت به الحجّة) عليهم لأنّه ادّعى النبوّة و أتى ببيّنة من جنس ما هو المعروف بينهم وهم قد عجزوا عن الاتيان بمثلها و علموا لأجل مهارتهم في صناعتهم أنّها ليست من جنس أفعال البشر ، بل هي من جنس أفعال خالق القوى والقدر ، قد أظهرها على يده تصديقاً لدعواه ولو أتى ببيّنة اُخرى غير ما هو المعروف عندهم لأمكن لهم التوهّم بأنّه ماهر في صناعته لو اجتهد غيره أيضاً فيها صار مثله.

(و إنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب و الكلام ـ وأظنّه قال: الشعر ـ) بدلاً من الكلام لا على الجمع والانضمام وإلّا يقال والشعر والظنّ من أبي يعقوب و قد ذكروا في السير و الآثار و نقلوا عن ثقاة الرواة أنّهم كانوا يلبسون كلامهم ماقدروا عليه من حلية الفصاحة و البلاغة ، و يزيّنونه ما يوجب التفوّق والبراعة ، و يعمدون فيهما يوجب طباقه بمقتضى الحال و ارتقاؤه إلى أعلى مدارج الكمال ، و يقصدون فيه أنواع المحسّنات اللّفظيّة و المعنويّة و أنحاء بدايع النكت العربيّة و تناسب العبارات و الاستعارات و لطائف التخيّلات والمجازات و محاسن الكنايات و التشبيهات إلى غير ذلك من الاُمور الّتي تزيد في الكلام دقّة و سحراً و في القلب ابتهاجاً و انبساطاً و سروراً- و يجعلونه كالعروس العارية عن مقابح العيوب الّتي ينفتح إليها عيون الظواهر و بصائر القلوب و كانوا يجتمعون و يتناشدون و يتفاخرون و يطلبون المعارضة بالمثل و يعتقدون الفضل لمن جاء بالأحسن منه.

(فأتاهم من عندالله من مواعظه و حكمه) أي من مواعظه القرآنية وحكمه الفرقانية (ما أبطل به قولهم و اثبت به الحجة عليهم) لأنّه أتاهم بالقرآن يشفي رمد بصاير أهل العرفان فانّ الاكتحال بكحل حقايقه يسقي كبد العطشان بالورود على زلال دقايقه ولا يحول فؤاد الأفكار إلى أقصى معارج عجايبه ولا يجول جواد الأنظار إلى أعلى مدارج غرايبه وهو نيّرٌ مضيءٌ لايضلّ من ضوئه عقول المسافرين

وعلم رفيع لا يعمى منه أبصار السائرين ، و بحر زاخر لايصل إلى قعره غوص العارفين ، و منهج واضح لايزلّ فيه قدم السالكين ، و شجرة نصوص لا يتحرّك بهبوب صرصر الشبهات أوراقه وأغصانه ، و بنيان مرصوص لاينهدم بحوادث الخطرات حيطانه و أركانه ، و ناطق فصيح لا ينقطع بشبه المخالفين دلايله و برهانه ، و ناصر معين لايخذل بهجوم المعاندين أنصاره و أعوانه ، ونور ساطع في قلوب أرباب العرفان ، و شعاع لامع في صدور أصحاب الايمان ، ومعدن الفضل و التوحيد والعدل والايمان ، و منبع العلم والجود والكرم والاحسان ، وقد جعله الله سبحانه ريّاً لعطش العلماء و ربيعاً لقلوب الفقهاء ، معراجاً لعقول الصلحاء ، و دواء ليس بعده داء ، فمن أراد معارضة أقصر سورة من سوره حلّت به الندامة وظهرت فيه الجهالة والسفاهة إذ هو مصادر لأطوار الفصاحة ، و مظاهر لأسرار البلاغة الّتي يعجز عن فهمها عقول الفصحاء و يقصر عن دركها فحول البلغاء ، و يتحيّر فيها أذهان مصاقع الخطباء و لذلك بعد ما خيّروا بين المعارضة باللّسان والمقابلة بالسيف و السنان أعرضوا عن الأوّل مع طول المدّة و كثرة العدّة و شدّة القوّة و غاية العصبيّة و نهاية الأنانية و كمال الحرص في الغلبة والرسوخ في إظهار المفخرة لعلمهم بأنّ ذلك خارج عن قدرتهم وفايق على صنعتهم و بعيد عن طريقتهم فعلم أنّ ذلك وحي أنزله لهداية العباد من ظلم الضلالة و نور أظهره لارشادهم في بيداء الجهالة اللّهمّ اجعله وسيلة لنا إلى أشرف منازل الكرامة ، وسبباً لنجاتنا في عرصة القيمة و ذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة ، و فيه دلالة واضحة على أن إعجاز القرآن لاشتماله على اُمور غريبة و ألفاظ رشيقة و معان دقيقة و نكات لطيفة ، إلى غير ذلك من الاُمور الخارجة عن قدرة البشر ، و سرّ ذلك أنّ الله تعالى عالم الغيب والشهادة لايعزب عنه مثقال ذرة فاذا رتّب لفظاً فلاحاطته علماً بكلّ شيء يعلم الكلمة الّتي تصلح أن تليه و يعلم وجوه المعاني و مواضع استعمالات الكلام و حسن ابتدائها و اختتامها حتّى لو أريد تغيير شيء منها بأحسن من ذلك لم يمكن ولم يوجد و ليس في قدرة البشر أن يحيطوا علماً بكلّ شيء ، فلذلك تجد الفصيح منّا قد يصنع الخطبة

ثمّ لايزال ينقّح و يبدّل . و ما ذلك إلاّ لأنّه ظهر له الآن ما لم يكن له ظاهراً قبل فلذلك صار القرآن حجّة على النّاس إلى يوم الدّين لأنّه لما نزل قوله تعالى «فأتوا بسورة من مثله» قال كلّ فصيح من الفصحاء: ما بال هذا الكلام لايؤتى بمثله فلمّا تأمّله تبيّن له ما تبيّن و صحّ عنده لاقدرة له على مثله و أنّه من الله العزيز العليم فمنهم من آمن و منهم من أبي حسداً ، و قامت بهم الحجّة على أهل العالم لأنّهم كانوا من أرباب الفصاحة فاذا عجزوا فغيرهم أعجز وإلاّ فليأتوا بسورة من مثله ، و ذهب الأشعريّ إلى أنّ إعجازه بالصرفة (١) و معناها أنّ الفصحاء كانوا قادرين على الاتيان بمثله إلاّ أنّ الله سبحانه صرف الهمّة عنهم ، و هو بهذا الوجه أيضاً و إن كان آية من آيات الرّسالة إلاّ أنّه تحكّم محض وقول بلاحجّة، والوجه هو الأوّل. و له مع ذلك فضل على غيره من المعجزات لأنّ كلّ معجزة غيره لانقراضها لم يشاهد وجه إعجازها إلاّ من حضرها و هو باق إلى قيام الساعة ففي كلّ زمان يحدث من يشاهد وجه إعجازه و يتجدّد إيمانه و لأنّ فائدة غيره إنّما هي إثبات الرّسالة فقط ، و فائدته إثباتها مع اشتماله على علم الأوّلين و الآخرين ، و علم ما كان و ما يكون ، و علم ما جاء به الرّسول صلّى الله عليه وآله من الوعد

---

(١) ولاريب ان التعمق فى البحث عن وجه اعجاز القرآن وسوسة فانه اذا ثبت أن احداً لم يأت بمثله من صدر الاسلام الى الان فهو معجز قامت به الحجة سواء كان سببه فصاحته او اشتماله على الدقائق والنكات التى تقصر عن فهمها اذهان العرب او احتوائه على الاخبار الغيبية أو الصرفة التي يقول بها السيد المرتضى - رحمه الله تعالى - أو لغير ذلك فان توجيه الذهن الى ذلك يوجب صرف الفكر عن نفس الاعجاز وهذا كما نعلم أن سحرة فرعون عجزوا عن معارضة موسى (ع) و لانعلم أنه كان لنقصانهم علماً أو لتصرفه أو لان طبيعة عملهم غير طبيعة عمل موسى (ع) و نعلم بالاجمال أنهم عجزوا ، و اجراء خوارق العادات من الله تعالى على يد الكاذب قبيح على الله تعالى والا لايعرف اكثر الناس حقيقة السحر بل يزعمون أنه مغير للحقائق كالمعجزة كما قال فرعون « انه لكبيركم الذى علمكم السحر» (ش).

والوعيد والمواعظ والنصايح و جميع مايحتاج إليه الأمّة إلى يوم القيمة.

(قال : فقال ابن السكيت : بالله مارأيت مثلك قطّ) بالله بدون ألف قبل الجلالة على ما هو المصحّح من النسخ و لفظة «با» تحتمل وجهين الأوّل أن يكون باء القسم أو تاوّه ، والثاني أن يكون حرف النداء للتعجّب و لمّا وقف ابن السكيت على سبب اختصاص كلّ نبي باعجاز مخصوص من كلام معدن الرّسالة مدحه بقوله « مارأيت مثلك قطّ » يعني في العلوم و حضور الجواب، مصدّراً بالقسم ترويجاً للمدح و تنبيها على أنّه من صميم القلب لا من باب الاطراء وظاهر اللّسان كما هو شأن أكثر المادحين ، أو بكلمة التعجّب إشعاراً بأنّ تفوّقه عليه السلام على غيره بلغ حدّاً يعجز العقول عن الوصول إليه و عن إدراك كميّته و سببه ، و يحتمل أن يقرء يا الله بالالف وهو حينئذ للتعجّب مثل لا إله إلا الله وسبحان الله فانّ هذه الكلمات الشريفة كثيراً ما تستعمل للتعجّب و فيه جواز مدح الرّجل مواجهة بالفضايل الموجودة فيه ولكن جوازه مشروط بما إذا لم يكن موجباً لفخر الممدوح وتكبره ولما علم ابن السكيت أنّ كلّ عصر لايخلو من داع إلى الله تعالى إمّا نبي أو وصي نبي ، و علم أنّ القرآن حجّة على الخلق و دليل على صدق نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم سأل عن الحجّة على الخلق والدّليل على صدق الدّاعي بعده بقوله (فما الحجّة على الخلق اليوم) إذ الدّعاة متكثّرة والآراء مختلفة والقرآن غير رافع للاختلاف إلاّ بتفسير صادق مؤيّد من عند الله تعالى فلابدّ اليوم من حجّة يتميّز بها الدّاعي الصادق عن غيره (قال : فقال عليه السلام : العقل) و هو خبر مبتدء محذوف أي الحجّة في هذا اليوم العقل أو مبتدء خبره قوله (يعرف به الصادق على الله فيصدّقه و الكاذب على الله فيكذبه) لأنّ العقل يحكم بامتناع أن يمضي صلى الله عليه وآله و يضيع أمّته ولاينصب لهم خليفة، فمن نصبه فهو الصادق و غيره ممن يدّعي خلافته فهو الكاذب و لأنّ العقل العاري عن شوائب الأوهام يعرف بعد نزول الكتاب و تقرير الدّين و تكميل السنّة أنّ الصادق على الله (١) هو الّذي يعلم أحكام الكتاب و السنّة و

---

(١) تأول الشارح هنا تأويلا حسناً حتى يدفع ما يختلج في الذهن من فساد ظاهر ☆

شرايع الدّين و يحكم بها و يحفظ لها و أنّ الكاذب على الله هو الّذي لايعلمها ولايحكم بها و بالعقل تمّت الحجّة على الخلق فإن عملوا بمقتضاه من تصديق الصادق والعمل بما يأمره والانتهاء عمّا ينهاه و تكذيب الكاذب و الاجتناب عن متابعته انتظم حالهم في الدّارين و إن عملوا بالعكس ماتت قلوبهم و مرضت صدورهم حتّى لايؤثّر فيهم البرهان و يستولي عليهم الشيطان و على هذا الوصف يموتون و ينزل بهم ما كانوا يوعدون (قال: فقال ابن السكيت هذا والله هو الجواب) فيه مبالغة من وجوه أحدها اسميّة الجملة لأنّها من المؤكّدات، و ثانيها الابتداء باسم الإشارة الدّال على كمال الظهور، و ثالثها تأكيد مضمون الجملة بالقسم لترويجه و تقريره، و رابعها تعريف الخبر باللاّم المفيد للحصر، و خامسها التوسّط بضمير الفصل الدّال على تأكيد الحصر و وجهه ظاهر لأنّ التمييز بين الصادق والكاذب لايتحقّق إلاّ بالعقل العاري عن شبهات الأوهام و الخالي عن بليّات الأسقام فإنّه ميزان يوزن به مكائيل الأقوال فيميز بين الرّاجح والناقص و بين الصادق و الكاذب فيصدق الصادق توقعاً لنظام حاله و يكذب الكاذب تحرّزا عن وخامة مآله

هذا الكلام لان مايتبادر الى الذهن أن ابن السكيت سأل الامام عن دليل النبوة في هذه الازمنة المتأخرة لان معجزات الانبياء خاصة بزمانهم فأحال الامام (ع) على العقل وهو أن يعرف صدق النبي الصادق و كذب الكاذب بالعقل فان العاقل بعد تتبع سيرة الرجال يعرف دخلة امورهم و هذا باطل جداً لان النبوة سر باطني بين النبي و بين الله تعالى ولايعرف الا بالاعجاز و خوارق العادات ولاطريق للعقل الى معرفة هذا السر.

والسياري راوي هذا الحديث متهم بالجعل و الالحاد وكان يزعم كسائر الملاحدة أن الانبياء كسائر نوابغ العالم فاقوا بعبقريتهم و فطنتهم و قوة ذكائهم والشارح تأول الكلام على وجه يستلزم كون معجزات نبينا (ص) خصوصاً القرآن حجة على اهل زمانه وعلى من بعده الى يوم القيمة، وبالجملة ظاهر الكلام يدل على ان ابن السكيت سأل عن الحجة على النبوة و الدليل على صحة دعواه (ص) وصرفه الشارح الى السؤال عن الحجة اى الامام في زمانه والدليل عليه (ش).

ثمّ كون العقل حجّة ليس مختصاً بهذا اليوم ولا بهذه الأمّة ولادلالة في الجواب على ذلك ، و إنّما المقصود منه هو التنبيه على أنّ العقل حجّة الله على عباده وعلى كمال تفطّن العقلاء و لطافة قرايحهم حتّى تمكنوا على تحصيل الايمان بالله و باليوم الآخر و بالصادق الأمين من غير مشاهدة معجزات و ملاحظة كرامات، بل لايبعد القول بأنّ تأثير العقل بالاذعان أقوي و أشدّ من تأثير المعجزات فيه لأنّ تأثيره يوجب انقياد القلب وانشراح الصدر و انكشاف البصيرة بخلاف تأثيرها فانّه يوجب الانقياد فقط من غير تثبت و رسوخ ولذلك كثير ممّن آمن بنبيّنا صلى الله عليه وآله بمشاهدة الآيات والمعجزات ارتدّوا بعده و كثير ممّن آمن بموسى على نبيّنا وعليه الصلوة والسلام بمشاهدة معجزاته طلبوا منه بعد الخروج من البحر أن يجعل لهم أصناماً آلهة وعبدوا عجلاً جسداً له خوار، كلّ ذلك لضعف عقولهم وقلّة بصيرتهم و عدم تثبّتهم و رسوخهم في الايمان و أمّا المؤمن بنور العقل و المذعن بمقتضاه فهو أثبت من الجبال الرّواسي . و من هنا يظهر التفاوت بين الحجّتين والبون بينهما بعد المشرقين .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

((الاصل))

٢١ـ « الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن الوشّاء، عن المثنّى الحنّاط » « عن قتيبة الأعشى ، عن ابن أبي يعفور ، عن مولى لبني شيبان ، عن أبي جعفر » « عليه السلام قال : إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم و» « كملت به أحلامهم » .

((الشرح))

(الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد) مضطرب الحديث والمذهب (عن الوشّاء) الحسن بن عليّ بن زياد الوشّاء من أصحاب الرّضا عليه السلام و كان من وجوه هذه الطايفة (عن المثنّي الحنّاط) الظاهر أنّه ابن الوليد و له كتاب (عن قتيبة

الأعشى) بن محمّد المؤدّب ثقة (عن ابن أبي يعفور) اسمه عبدالله ثقة جليل في أصحابنا (عن مولى لبني هاشم عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا قام) أي خرج بعد الغيبة المقدّرة و ظهر لاظهار دين الحقّ وإعلاء كلمته (قائمنا) المهديّ المنتظر الموعود بالنصر والظفر و هذا القيام كاين قطعاً الروايات متواترة من طريق العامّة والخاصّة إلاّ أنّ العامّة يقولون : إنّه يولد في آخر الزّمان من نسل عليّ و فاطمة و جدّه الحسين عليه السلام كما صرّح به الآبي في كتاب إكمال الاكمال و نحن نقول: هو حيّ موجود قامت السموات بوجوده و لولا وجوده لساخت الأرض بأهلها طرفة عين (وضع الله يده) أي قدرته أو شفقته أو نعمته أو إحسانه أو ولايته أو حفظه ، والضمير عايد إلى الله أو إلى القايم عليه السلام (على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم) ضمير التأنيث إما عايد إلى اليد والباء للسببيّة أو إلى الرؤوس والباء بمعنى «في» و هذا الأخير يناسبه ما قيل من أنّ العقل جوهر مضيء خلقه الله تعالى في الدّماغ و جعل نوره في القلب يدرك الغايبات بالوسايط والمحسوسات بالمشاهدة (و كملت به أحلامهم) أي عقولهم جمع حلم بالكسر و هو الاناة والتثبّت في الأمور و ذلك من شعار العقلاء ، والمراد بجمع عقولهم رفع الانتشار والاختلاف بينهم و جمعهم على دين الحق و بكمال أحلامهم كمال عقل كلّ واحد واحد بحيث ينقاد له القوّة الشهويّة والغضبيّة و يحصل فضيلة العدل في جوهر البدن ، و الأمران يتحقّقان في عهد صاحبنا عليه السلام لأنّه إذ خرج ينفخ الرّوح في الاسلام ويدعو إلى الله بالسيف فمن أبي قتله ومن نازع قهره حتّى يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى في وجهها إلاّ دين الحقّ فيملأها عدلاً وأمناً وإيماناً كما ملئت ظلماً وجوراً وطغياناً فشهداؤه خير الشهداء و أمناؤه خير الأمناء وأصحابه العارفون بالله والقائمون بأمره والمشفقون على عباده والحافظون لبلاده والعاقلون العاملون الكاملون العابدون الناصحون له فيعود الخلائق بعد التفرقة إلى الجمعيّة و بعد التشتّت إلى المعيّة و بعد الكثرة إلى الوحدة وبعد التفارق إلى التوافق و بعد الجهل إلى العلم وينظرون إلى الحقّ بأعين سالمة من الرّماد و يسلكون إليه بأقدام ثابتة في سبيل الرّشاد

وهذا معنى جمع عقولهم و كمال أحلامهم لأن كمالها بحسب ميلها ورجوعها إلى الحق فإذا تحقق الرجوع ثبت الكمال قطعاً ، هذا و قيل: المراد باليد هنا الملك الموكل بالقلب الذي بتوسطه يرد الجود الإلهي والفيض الرباني عليه كما في قوله صلى الله عليه وآله « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء(١)، والمراد برؤوس العباد نفوسهم الناطقة و عقولهم الهيولانية ، والمراد بجمع الله عقولهم جمع الله بواسطة ذلك الملك القدسي والجوهر العقلي (٢) عقولهم من جهة التعليم والإلهام فإن العقول الإنسانية في أول نشأتها منغمرة في طبايع الأبدان، متفرقة في الحواس ، متشوقة إلى الأغراض و الشهوات ، محبوسة في سجون الأماني وشعب الرغبات . ثم إذا ساعده التوفيق و تنبه بأن وراء هذه النشأة نشأة اُخرى علم ذاته و عرف نفسه و استكمل بالعلم والحال ، و ارتقى إلى معدنه الأصلي ، و عاد من مقام التفرقة والكثرة إلى مقام الجمعية و الوحدة ، و لما ثبت و تقرر أن النفوس الإنسانية من زمن آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله كانت متدرجة في التلطف و مترقية في الاستعداد، و كذلك كلما جاء رسول كانت معجزة المتأخر أقرب إلى المعقول من المحسوس من معجزة المتقدم ، و لأجل ذلك كانت معجزة نبينا صلى الله عليه وآله القرآن و هو أمر عقلي إنما يعرف كونه إعجازاً أصحاب العقول الذكية ولو كان منزلاً على الاُمم السابقة لم يكن حجة عليهم لعدم استعدادهم لدركه ثم من بعثته صلى الله عليه وآله إلى آخر الزمان كانت الاستعدادات في الترقي والنفوس في التلطف

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٣٢١ هكذا « القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن. الحديث».

(٢) سبق ان الملك في اصطلاح اهل الشرع هو العقل الجوهري في اصطلاح الحكماء، وهذا الكلام تصريح به من قائله ولم يعترض عليه الشارح فيما اعترض عليه والقائل هو صدر الحكماء المتألهين -قدس الله سره-(ش).

والتذكّي و لهذا لايحتاجون إلى رسول آخر (١) يكون حجّة الله عليهم لأنّ الحجّة عليهم هي العقل الّذي هو الرّسول الداخلي ففي آخر الزّمان يترقّى الاستعدادات من النفوس إلى حدّ لا يحتاجون إلى معلّم من خارج على الرّسم المعهود بين الناس لأنّهم مكتفون بالالهام النفسي عن التأدّب الوضعي و بالمسدّد الداخلي عن المؤدّب الخارجي ، و بالمكمّل العقلي عن المعلم الحسّي كما لساير الأولياء فيدالله و هو ملك روحاني يجمع عقولهم و يكمل أحلامهم (٢) هذا كلامه و فيه نظر أمّا أوّلا فلأنّ ترقي العقول على الوجه المذكور غير مسلّم و لو كان كذلك لكان الاختلاف بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أقلّ من الاختلاف في الأمم السالفة وقد دلّت الأخبار المتكاثرة على عكس ذلك (٣) و أمّا ثانياً فلأنّ المقصود من هذا الحديث أنّ تكميل العقول في آخر الزّمان بواسطة معلّم حسّي وهو الصاحب عليه السلام (٤) و ما ذكره يدلّ على أنّهم لايحتاجون إلى معلّم حسّي أصلا ، و أمّا ثالثاً فلأنّه وإن أمكن حمل اليد هنا على الملك لكن لاحاجة لنا تدعو إليه لأنّ إعانة أيّ ملك و

(١) غير رسول الله (ص) لان العقل يدعو الى متابعة رسول الله (ص) لمايراه من الادلة على صحة نبوته (ش).

(٢) فيعرفون بالعقل المكمل صحة الدين وامامة القائم (ع) فيتبعونه ولم يكونوا كذلك في صدر الاسلام . (ش)

(٣) كثرة الاختلاف لايدل على ضعف العقول نعم لو كانت العقول في أعلى مدارج الكمال لم يختلفوا كما أن الامم الذين في ادنى درجات التقليد فلا يختلفون أيضا ولكن أهل التوسط يختلفون جداً والمسلمون في عصر النبي (ص) لم يكونوا في أعلى درجات الكمال حتى لايختلفوا (ش)

(٤) الحديث صريح في خلاف هذا الكلام لان يدالله في الحديث غير الامام قطعاً وانما يجمع الله عقول الناس بتوفيقه وتسديده و اعانة الملك الذي عبر عنه باليد حتى يتبعوا صاحب الامر (ع) بعقولهم ولو اظهر في زماننا هذا أو قبله ولم يكمل عقول الناس بعد لنفروا وأعرضوا أوقتلوه. (ش)

تسديدة أقوى و أحسن من إعانة الصاحب و تسديده عليه السلام(١).

((الاصل))

٢٢- «عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سليمان، عن عليّ بن» «إبراهيم، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: حجّة الله على العباد» «النبيّ، والحجّة فيما بين العباد و بين الله العقل».

((الشرح))

(عليّ بن محمّد عن سهل بن زياد عن محمّد بن سليمان) مشترك بين الضعفاء (عن عليّ بن إبراهيم) الظاهر أنّه عليّ بن إبراهيم بن محمّد بن الحسن بن محمّد بن عبيدالله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب أبو الحسن الجوّاني بفتح الجيم وتشديد الواو ثقة صحيح الحديث (عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال حجّة الله على العباد النبيّ والحجّة فيما بين العباد و بين الله العقل) هذا الحديث والله أعلم يحتمل وجوهاً الأوّل ما أشار إليه بعض الأفاضل و هو أنّ الحجّة الموصلة للعباد إلى السعادة والنجاة بعد الاعتقاد بإلهيّته تعالى وهو النبيّ صلّى الله عليه وآله، والحجّة فيما بينه و بين العباد الموصلة لهم إلى معرفته تعالى والتصديق به هو العقل، وفيه أنّ تخصيص حجّة العقل بمعرفته تعالى و حجيّة النبيّ بما عداها ممّا لا يدلّ عليه دليل ولا يتحصّل له معنى إذ النبيّ حجّة أيضاً في معرفته تعالى و صفاته والعقل حجّة فيما عداها أيضاً الثاني أنّ النبيّ حجّة الله الموصلة لعباده إلى طريق الحقّ والباطل وطريق

---

(١) اعانة الملك ليس اقوى من اعانة الامام (ع) لكن لابد من العقل الكامل في متابعة الناس أجمعين له (ع) كما كانوا محتاجين اليه على عهد رسول الله (ص) و بالجملة لايريد القائل أن الناس في آخر الزمان لايحتاجون الى الحجة (ع) بل يريد أنهم بسبب كمال عقولهم يستعدون لظهوره و قبول قوله و حكمه و يبقون على الحق مستعدين قابلين الى يوم القيامة وماكانوا كذلك في العصر الاول والاوسط (ش).

الخير والشرّ كلّها يعني يهديهم إليها والعقل هو الحجّة بينه تعالى و بين العباد الموصلة لهم إلي تصديق نبيّه والاذعان لكلّ ما أخبر به وفي تغيير الأسلوب إشارة إلى ما بينهما من التفاوت في الظهور والخفاء ، الثالث أنّ النبيّ حجّة الله على عباده على سبيل التفضّل لقطع أعذارهم كما يشعر به لفظة «على» والعقل هو الحجّة الكافية في الحقيقة بينه و بين العباد ولو أبى عن الحقّ فانّما هو لسوء تدبيرهم و بطلان استعدادهم لأمر عرض له بمجاورة الأبدان لا لنقصان في ذاته ، الرابع أنّ حجيّة النبيّ مختصّة بالله سبحانه ومن صنعه تعالى وليس للعباد مدخل فيها كما يشعر به الاضافة وحجيّة العقل غير مختصّة به تعالى بينه وبين عباده ولهم مدخل فيها وذلك لأنّ الله تعالى خلق العقل قابلاً لجميع الكمالات البشريّة ومن الظاهر أنّه لا يتّصف بالحجيّة حتّى يتّصف بالكمال في الجملة إذ هو في حيّز القوّة المحضة ليس حجّة و اتّصافه بالكمال بسعي العباد و طلبهم و حسن تدبيرهم فلهم مدخل في حجيّته . الخامس بيان الاحتياج إلى الحجّتين والتغيير في الاُسلوب إنّما هو لمجرّد التفنّن والمقصود أنّ حركة العبد نحو المقصود لا تحصل إلاّ بدليل خارجي هو النبيّ و دليل داخليّ هو العقل أمّا الثاني فلأنّ الوصول إلى منازل القرب لا يتصوّر إلاّ بالاتّصاف بالفضايل والتجرّد عن الرّذايل و ذلك لا يمكن إلاّ بعد معرفة الفرق بينهما و مبدء تلك المعرفة هو العقل و أمّا الأوّل فلأنّ العقل وإن كان مستقلاً في بعض المعارف لكنّه غير مستقلّ في بعضها كأحوال المعاد و الشرايع الالهيّة مع تحقّق خطائه فيما يستقل كثيراً فاحتاجوا إلى النبيّ المؤيّد من عندالله تعالى ليهديهم إلى المطالب والمحاسن و يزجر عن الرّذايل والقبايح ليكونوا معه أقرب من الخير و أبعد من الشرّ .

((الاصل))

٢٣ـ « عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد مرسلاً قال : قال أبو عبدالله عليه السلام» « دعامة الانسان العقل والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم ، وبالعقل يكمل»

« و هو دليله و مبصره و مفتاح أمره ، فاذا كان تأييد عقله من النّور كان عالماً، »
« حافظاً ، ذاكراً ، فطناً ، فهماً فعلم بذلك كيف ولم وحيث ، و عرف من نصحه و»
« من غشّه، فاذاعرف ذلك عرف مجراه و موصوله ومفصوله ، و أخلص الوحدانيّة»
« لله والاقرار بالطاعة فاذا فعل ذلك كان مستدركاً لمافات ، و وارداً على ماهو آت »
« يعرف ماهو فيه ولأيّ شيء هو ههنا ، و من أين يأتيه ،وإلى ما هو صائر، وذلك»
« كلّه من تأييد العقل».

((الشرح))

(عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد مرسلاً قال : قال أبو عبدالله عليه السلام دعامة الانسان العقل) الدّعامة بالكسر عماد البيت و دعامة السقف الأسطوانة الّتي يقوم عليها السقف، و دعامة الحايط المايل العماد الّذي يسند إليه ليستمسك به فتشبيه الإنسان بالبناء مكنيّة ، و إثبات الدّعامة له تخييليّة ، و حمل العقل عليها تشبيه بليغ و تعريف العقل باللاّم للحصر يعني أنّ إثبات الإنسانيّة للإنسان وتحقّقها و قيام معناها إنّما هو بالعقل كما أنّ إثبات السقف و قيامه بالعماد لظهور أنّ الانسان ليس مجرّد هذا الهيكل المخصوص وإلاّ لما كان بينه و بين الصور المنقوشة على الجدار أو المصنوعة من الحجر والخشب فرق بل الإنسان إنسان بما وجد فيه من العقل الّذي هو منشؤ المعارف والكمالات و مبدء العلوم و ملكات وأمّا من لم يوجد فيه العقل كالجاهل الفاقد لتلك المعارف والملكات الواجد لأضدادها من الشرور والآفات فهو نسناس في صورة الناس (والعقل منه الفطنة و الفهم) أي ينشؤ من العقل الفطنة والفهم و هذا الكلام و مابعده بيان و تفسير لذلك المرام أعني كون العقل دعامة الانسان، والفطنة الذّكاء و لها مراتب أعلاها أن يحصل للذّهن ملكة الانتقال من المبادي إلى المطالب بسهولة بحيث لايحتاج إلى فضل مكث وتأمّل، والفهم جودة تهيّؤ الذّهن لقبول مايرد عليه وله أيضاً مراتب في القوّة والضعف و أعلاها أن يحصل للذّهن من كثرة مزاولة المقدّمات المنتجة ملكة

سرعة انتاج المطالب وسهولة استخراج النتايج على سبيل البرق الخاطف (والحفظ والعلم) لعلّ المراد بالحفظ حفظ الميثاق أو حفظ الصور الحسّية بضبطها في خزانة الخيال أو حفظ الصور العقلية بأن يحصل للذّهن ملكة الارتباط بالمبادی العالية بحيث يقدر أن يشاهد تلك الصور فيها متى شاء من غير حاجة إلى تجشّم كسب جديد(١) أو الأعم من الجميع ، والمراد بالعلم الادراك مطلقاً أو إدراك المعارف الالهيّة و الأحكام النبويّة و التصديق بهما على التفصيل، ثمّ ذكر هذه الأربعة كأنّه على سبيل التمثيل والاقتصار وإلاّ فأحوالات العقل و فضايله الناشية منه غير منحصرة فيها كما يظهر لمن تأمّل في الآثار سيّما الخبر الوارد في ذكر جنوده (وبالعقل يكمل) أي يكمل الانسان لأنّ العقل مبدء لجميع الخيرات و منشؤ لجميع الكمالات الّتي بها يصير الانسان كاملاً في الدّارين و تمام العيار في النشأتين و ممدوحاً عند الخالق و محبوباً عند الخلايق ، و تقديم الظرف لقصد الحصر أو الاهتمام و إنّما لم يقل : و به يكمل مع تقدّم المرجع لئلاّ يتوهّم عود الضمير إلى العلم ، و هذا و إن كان أيضاً صحيحاً لكنّ الكلام في العقل و بيان أحوالاته (و هو دليله و مبصره و مفتاح أمره) أي العقل دليل الانسان إلى سبيل النجاة و و مبصره للخيرات اسم فاعل من بصره و يجوز أن يقرأ بفتح الميم والصاد وسكون الباء ، وقيل : المبصر والمبصرة على هيئة اسم المكان: الحجّة. و مفتاح أمره ينفتح

---

(١) قالوا ان الحافظة للقوة العاقلة هى العقل الفعال و عبر عنه الشارح بالمبادی العالية اذ قد يعبر بذلك عن العقول أولا نا لانعلم انحصار الموجودات المجردة التى يرتبط بها أفراد الانسان فى عقل واحد مسمى بالعقل الفعال ، و بالجملة لكل مدرك حافظ وحافظ المحسوسات قوة الخيال و حافظ المعانى الجزئية يسمى حافظة و حافظ المدركات الكلية هو المبادی العالية و نسيانها بزوال ملكة الارتباط بين عقل الانسان و العقل الفعال و الذكر ببقاء تلك الملكة ولم يقولوا بكون حافظة المدركات العقلية فى الانسان نفسه بل أثبتوه فى خارج لان مدرك الكلى مجرد لا يتبعض والمدرك موجود مجرد و الحافظ موجود آخر و بينهما ربط (ش).

به أبواب العلوم والكمالات كلّ ذلك لأنّ العقل في عالم الأبدان كالشمس يتلألأ نوره و يلمع ضوؤه في الحواسّ الباطنة و الظاهرة و يتنوّر به القلب و يستضيىء به الصدر ، فمن حيث أنّه يهتدي به كلّ عضو من أعضاء الانسان إلى ما هو المطلوب منه فهو دليله، ومن حيث أنّه ينظر القلب به أو فيه إلى الحقايق والمعارف و يبصرها بعين البصيرة فهو مبصره ، و من حيث أنّه ينكشف به تلك الحقايق و المعارف للقلب وينتقش فيه صورها فهو مفتاح أمره (فاذاكان تأييد عقله) أي تقويته (من النور) أي بالفضايل العقليّة والكمالات النفسانية الّتي هي من جنود العقل مثل العلم والحفظ والذّكر والفطنة والفهم ، و سمّاها نوراً على سبيل الاستعارة و التشبيه به في الهداية كما يسمّى أضدادها أعني الجهل والنسيان والسهو و الغباوة والحمق ظلمة، أو على ملاحظة أنّها فايضة من عالم نوراني يعني عالم الملكوت على قلب إنساني ليستعدّ بها للترقّي إليه ، والفاء حينئذ للتفريع إذ هذا الشرط مع الجزاء بمنزلة نتيجة للكلام السابق كما يظهر بأدنى تأمّل، ويحتمل أن يراد بالنور الحجّة الظاهرة يعني النبي لأنّه نور إلهي في ظلمات الأرض به يتقوّى العقول في ثباتها على صراط الحقّ و اتّصافها بالفواضل والفضايل و اهتدائها إلى حضرة القدس ، و أن يراد به بصيرة قلبيّة أو عناية ربّانيّة أو جوهر مجرّد مخلوق من نور ذاته (١) و هو الّذي دلّ عليه بعض الأحاديث المذكورة والمراد بتقوية العقل به ارتباطه و استشراقه من نوره والله أعلم بحقايق كلام وليّه (كان عالماً بالله) و اليوم الآخر و عواقب الأمور في الباطن والظاهر (حافظاً لنفسه) في المسير إلى الله من الخطأ والزّلل ، و للصور العلميّة و المكتسبات العمليّة من الفساد و الخلل (ذاكراً) لما يفضيه إلى جنات النعيم و ينجيه من عذاب الجحيم (فطناً) في اكتساب الحقايق و اقتراف الدّقايق (فهماً) المقابح الدّنيا و مكائد زهراتها و

---

(١) سبق أن العقل جوهر مجرد مخلوق قبل عالم الاجسام ولم يخلقه الله تعالى من مواد هذا العالم الجسماني و عناصره بل خلقه من نور ذاته بلاواسطة ، كماورد أن العقل أول خلق من الروحانيين(ش).

و منافع الآخرة و شدايد خطراتها .

(فعلم بذلك كيف ولم وحيث) كيف اسم مبهم غيرمتمكن وإنّما حرك آخره لالتقاء الساكنين و بنى على الفتح دون الكسر لمكان الياء و هو للاستفهام عن الأحوال و «ما» للاستفهام و تحذف منها الالف للتخفيف إذا ضمّ إليها حرف مثل بم و عمّ يتساءلون ولم وهي سؤال عن علّة الشيء و سبب وجوده ، و حيث كلمة تدلّ على المكان لأنّه ظرف في الامكنة بمنزلة حين في الأزمنة وهو اسم مبنيّ حرّك آخره لالتقاء الساكنين ، فمن العرب من يبنيها على الضمّ تشبيها لها بالغايات لأنّها لم تجيء إلّا مضافة إلى جملة كقولك أقوم حيث يقوم زيد، ومنهم من يبنيها على الفتح مثل كيف استثقالاً للكسر مع الياء ، و لعلّ المراد فعلم بسبب كون تأييد عقله من النور أو بسبب كونه عالماً إلى آخر أحواله و كيفيتها (١) من كونها خيراً أو شرّاً نافعاً أوضارّاً أو كيفية سلوكه فيها وجعله وسيلة المسير إلى منازل الآخرة و علم علّة تلك الا حوال (٢) و الباعث لسلوكه فيها وهي الخروج من حضيض النقص إلى أوج الكمال و من الشقاوة إلى السعادة و علّة إيجاده و باعث إنشائه و تحريكه من عالم القدس إلى هذا العالم (٣) وهي كونه عبداً خالصاً راعياً لحقوق عبوديّته بقدر الامكان ناصحاً لعباده بالقلب واللّسان و علم مقاماته من أوّل الايجاد إلى ماشاء الله فانّ العقل المؤيّد من النور (٤) يعلم بالمشاهدة والعيان أنّ له من

---

(١) تفسير لكلمة «كيف» يعني يعلم كيف حاله و منازله وسيره فيها (ش) .

(٢) تفسير لكلمة «لم» لانها سؤال عن العلة الغائية أو الفاعلية . (ش)

(٣) تفسير لقوله «حيث» وهي السؤال عن المكان اين كان والى مايصير (ش).

(٤) فهم هذه الامور بالعقل لان أصحاب الحس و اهل الدنيا لايعرفون هذه المعاني أصلا و يزعمون أن وظيفة الانسان والمقصود من خلقته عمارة الدنيا و تسهيل أمر المعاش و جميع امورهم يدور حول ذلك حتى أن الملكات الفاضلة والخصائل الذميمة عندهم ما تتعلق بنظام هذا العالم ولايعرفون ما ذكره الشارح من منازل الاخرة والسلوك فيها أصلا ويعدون ذلك أوهاما و خرافات (ش).

بدء وجوده إلى ماشاء الله مقامات متفاوتة و درجات مختلفة متباعدة ويعلم التفاوت فيما بين تلك المقامات والتفاضل فيما بين تلك الدرجات ؛ وبالجملة له بصيرة كاملة يعلم بها حالاته و صفاته المطلوبة منه عقلاً ونقلاً وأسباب تلك الحالات والباعث لوجوده في نفسه و مقاماته المندرجة و منازله المتفاوتة في السير إلى الله تعالى، و يحتمل أن يكون المراد أنّه إذا كان تأييد عقله من النور علم كيفية الأشياء في نفس الأمر و لميّتها و حيثيّتها و إنّيتها والله أعلم (و عرف من نصحه و من غشّه) لأنّه يميز بين الأقوال الصادقة والكاذبة و يفرّق بين الأحوال الصحيحة والسقيمة فمن أتاه بشيء منها يتلقّاه بوجه قلبه ويزنه بميزان عقله، فيعلم صرفه من ممزوجه و خالصه من مغشوشه و صريفه من صرفاته وبذلك يميّز بين الناصح الأمين والغاش الميون. و بين أئمة الهدى و أئمة الضلال.

(فاذا عرف ذلك) أي كيف ولم و حيث و من نصحه و من غشّه (عرف مجراه) اسم مكان أو مصدر ميمي فبضم الميم من الاجراء و بفتحها من الجري و بالوجهين قرئ، قوله تعالى «بسم الله مجريها ومرسيها» يعني إذا عرف الأحوالات والصفات و ميّز بين رديّها و جيّدها و عرف أغراضها و أسبابها والغرض من إيجاده و مقامات وجوده و عرف من نصحه و من غشّه معرفة صحيحة خالصة من شوائب الوهم و عرف مسلكه الّذي يسلكه وسمته الّذي يتوجّه إليه أو عرف جريه و سيره إلى حضرة القدس و سلوكه إلى مقام الأنس إذ السير على أيّ وجه اتّفق ليس موجباً للوصول إليه والقيام بين يديه بل الموجب لذلك سير مخصوص وجري معلوم لأرباب العقول المنوّرة (و موصوله ومفصوله) أي من ينبغي الوصل معه و الفصل عنه من أئمّة الهدى و أئمّة الضلال أو ما ينبغي من الأحوال والصفات (و أخلص الوحدانيّة لله والإقرار بالطاعة) إخلاص هذين الأمرين الّذي هو الأصل في التقرّب إليه و الفوز بالمزيد من لديه إنّما يتيسّر لمن له معرفة بالأمور المذكورة لأنّه العارف بأنّه تعالى هو المستحقّ للعبادة والإقرار له بالعبوديّة و الطاعة لكون بدنه منخرطاً في سلك خدمته، و قلبه مستغرقاً في بحر معرفته،

و سرّه طالباً إيّاه ، و عقله معرضاً عمّا سواه ' و أمّا غيره فلا يخلو قطعاً من الشرك الخفيّ أو الجليّ (فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لمافات و وارداً على ما هو آت) ينبغي الوقف في آخر الكلمتين ، ولاشكّ أنّ الاخلاص المذكور غاية المراتب العليّة في العقايد البشريّة و أنّه متوقّف على المعارف المذكورة آنفاً بحكم الشرط المذكور و أنّ تلك المعارف كلّها غير متحصّلة في أوّل التكليف إلّا لمن خصّه الله تعالى بكمال العقل من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام و من هذه المقدّمات يعلم أنّ الانسان لايخلو من تقصيرمّا فيما مضى إلى أوان كماله ، و إذا بلغ حدّ الكمال و اتّصف بتلك المعارف و حصل له ذلك الاخلاص و وجد لذّة العبوديّة و تحلّى بغاية الخضوع و تزيّن بلباس الخوف ، كان مستدركاً قطعاً لمافات عنه فيقضي بعضه ممّا ينبغي فعله و يستغفر ربّه فيما لايمكن تداركه إلّا به ، و يعترف بالتقصير فيما يعجز عنه، ووارداً على ما هو آت من الأعمال الصالحة و الأفعال الفاضلة، فاعلاً لها على وجه الاخلاص الموجب لكمال القرب والاختصاص،ويحتمل أن يراد وارداً على ما هو آت من الثواب الجزيل والأجر الجميل والنعيم المقيم والسرور الدائم في رياض الجنان (يعرف ما هو فيه) حال عن المستتر في «مستدركاً» و تأكيدٌ للكلام السابق (١) و«ما» للاستفهام أو للخبر بمعنى الّذي والضمير المرفوع يعود إلى الانسان والضمير المجرور إلى «ما» يعني أنّ الانسان إذا بلغ حدّ الكمال و اتّصف بالأمور المذكورة «مستدرك لمافات و هو يعرف حقيقة الفعل الّذي اشتغل به و وجوه اعتباراته وجهات حسنه و طريق الاتيان به على وجه يوافق قانون العقل والنقل ، ويحتمل أن يكون المراد «بما هو فيه» المكان الّذي هو فيه ، يعني يعرف حقيقة هذا المكان و مهيّة هذه النشأة و سرعة انتقال أهلها منها و كثرة ابتلائهم فيها بالتكليف و غيرها (و لأيّ شيء هو ههنا) كلمة أيّ معرب يستفهم بها عمّا يميز الشيء سواء كان ذاتياً له أو عرضياً يعني يعرف أنّه لأيّ شيء هو في هذه الدّار

(١) و ناظر الى قوله «كيف» كما ان «لاى شىء هو ههنا» ناظر الى قوله «لم» و «من أين يأتيه، والى ما هو صائر» ناظر الى قوله «حيث» (ش).

الفانية و أنّ الغرض من كونه فيها تكميل النفس بالقوّة النظريّة و العمليّة و تحريكها من المنازل السفليّة الظلمانيّة إلى أقصى المعارج الملكوتيّة النورانيّة و اكتسابها للقربات و اجتنابها عن المنهيات ليستأهل النزول في بساط الحقّ و القعود عليه و فيه إشارة إجمالية إلى معرفة مقامات النفس ومراتب درجاتها (ومن أين يأتيه) أين سؤال عن المكان يعني يعرف من أيّ عالم يأتي هذا العالم الدائر الّذي فيه اليوم و يعرف ما بينهما من التفاوت فانّ الأوّل عالم روحانيّ و مكان نوراني (١) والثاني عالم جسمانيّ و مكان ظلماني حبس فيه الرّوح ماشاء الله ليتذكّر قدر تلك النعمة و يسلك منهج النجاة و يعترف بالعجز و الافتقار و يقرّ لربّه بالقهر والغلبة. و فيه إشارة إلى علمه بأحوال مبدئه ومنازل انتقالاته في النشأة الكونيّة الّتي يتحيّر فيها عقول العقلاء و فحول العلماء، وقد أشار جلّ شأنه إلى هذه المراتب بقوله: «و ما لكم لاترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً» و من تأمّل فيه اضطرّ إلى معرفة خالقه والانقياد له و إلى علمه بأنّ الغرض من اجرائه من جداول أصلاب الآباء وأرحام الأُمّهات عهداً بعيداً إلى أن جرى على وجه الأرض أن يحصل منه زرع صالح و نبات حسن وهي الأعمال الّتي يوجب أجراً جميلاً و ثواباً جزيلاً بعد العود (و إلى ما هو صاير) يعني يعرف أنّه بعد استقراره في الدنيا في أجل معدود و زمان محدود يصير إلى مقام آخر فيه «تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينهما و بينه أمداً بعيداً» و فيه إشارة إلى علمه بأحوال المعاد و منازله و عقباته من القبر والبرزخ والحشر والنشر والميزان والصراط والحساب والعرض والجنّة و النار (و ذلك كلّه من تأييد العقل) يعني ذلك المذكور من قوله: الفطنة والفهم والحفظ والعلم إلى آخر ما ذكر من تأييد العقل و تقويته بالنور المذكور إذ الانسان بذلك النور يخرج من حدّ النقص والقصور و يهتدي إلى الأُمور المذكورة و ينظر في ظلمة الطبيعة

---

(١) مبناه على مذهب صدر المتألهين -قدس سره- ان النفس روحانية البقاء و جسمانية الحدوث. (ش)

البشريّة إلى فضاء القدس و عالم الأنس و يطير بجناح الهمّة إلى مقامات رفيعة في جنّة عالية .

((الاصل))

٢٤ - « عليّ بن محمّد ، عن سهل بن زياد ، عن أسماعيل بن مهران ، عن بعض « رجاله عن أبي عبدالله عليه السلام قال : العقل دليل المؤمن » .

((الشرح))

(عليّ بن محمّد ، عن سهل بن زياد ، عن إسمعيل بن مهران ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : العقل دليل المؤمن) إذ بدلالة نوره يخرج المؤمن من المرتبة الهيولانيّة إلى استكمال القوّة النظريّة و العمليّة و من مرقد الطبيعة البشريّة إلى التفطّن بالمقاصد اللاّهوتيّة والمواعظ الربّانيّة و من مهد الغفلة الناسوتية إلى استماع نداء الحقّ إلى منهج السداد في كلّ آن ودعاء الربّ إلى مسلك الرّشاد في كلّ زمان ، فلايزلّ بعد هذه الدّلالة أقدام بصيرته ولايضلّ بعد هذه الهدايّة أنظار فكرته وهكذا يسير ويسعى نور العقل بين يديه إلى أن يصل إلى أقصى منازل العرفان وأعلى مراتب الايقان فيتخلّص عند ذلك من ألم الفراق وينظر إلى جمال الحقّ نظر الحبيب المشتاق .

((الاصل))

٢٥ - « الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن الوشّاء ، عن حمّاد بن عثمان ، « عن السري بن خالد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ياعليّ « لافقر أشدّ من الجهل ولامال أعود من العقل » .

((الشرح))

(الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن الوشاء ، عن حماد بن عثمان ، عن السريّ بن خالد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعليّ لافقر أشدّ من الجهل) الفقر في عرف الناس فقد المال و إطلاقه على الجهل مجاز لاشتراكهما في انتفاء اللّذات والمنافع إذ ينفي في الأوّل اللّذات والمنافع الجسمانيّة و في الثاني اللّذات والمنافع الرّوحانيّة، وفي عرف الخواصّ فقد ما يوجب الانتفاع به مالاً كان أو علماً وإطلاقه على الجهل عندهم على سبيل الحقيقة . ثمّ المقصود أنّ الجهل أشدّ أفراد الفقر فانّ أهل العرف يفهمون من قولنا ليس في البلد أفضل من زيد أنّ زيداً أفضل من غيره، و كون الجهل أشدّ من فقد المال ظاهر لأنّ انتفاء اللّذات والفضايل الرّوحانيّة في الدّنيا والآخرة أشدّ وأصعب من انتفاء اللّذات الجسمانيّة المتعلّقة بالحيوة الدّنيا بل لانسبة بينهما عند ذوي البصاير الثاقبة (ولا مال أعود من العقل) يقال : هذا الشيء أعود عليك من كذا أي أنفع، و العائدة المنفعة، و كون العقل أعظم أفراد المال و أنفعها ظاهر بالقياس إلى ما ذكرناه على أنّ المال بدون العقل لاينفع بل يضرّ لكثرة مفاسده بخلاف العقل فانّه ينجي صاحبه من ملامة الدّنيا وندامة العقبى لوضعه الأشياء في موضعها وقد يقال : العقل أنفع من المال لأنّ المال كالآلة لطالب الخير والمنافع في وصوله إليهما والعقل دليل موصل له إليهما و به معرفتهما واختيارهما فتأمّل .

((الاصل))

٢٦- « محمّد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن ابن أبي نجران ، عن العلاء »
« ابن رزين ، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لمّا خلق الله العقل قال »
« له : أقبل فأقبل، ثمّ قال له : أدبر فأدبر، فقال : وعزّتي و جلالي ماخلقت خلقاً »
« أحسن منك، إيّاك آمر و إيّاك أنهى و إيّاك أُثيب و إيّاك أُعاقب».

((الشرح))

(محمد بن الحسن) كأنه الصفار الثقة واحتمال ابن الوليد الثقة بعيد (عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران) عبدالله الثقة (عن العلاء بن زرين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما خلق الله العقل قال له: أقبل) إلى مقاماتك(١) أو إلى مرضاتي بالامتثال أو إلى مشاهدة جلالي و كبريائي أو إلى تكميل ذاتك بفضائل صفاتك (فأقبل) إلى ما ذكر والمستحفظون لهذا الخطاب، والهون في شواهد الملكوت، حائرون من آثار الجبروت طالبون للتقرّب بحضرة الباري، هاربون عمّا عداه أشدّ هرباً من الأسد الضاري (ثمّ قال له: أدبر) من عالم النور والمقامات الروحانيّة أو من مرضاتي بالطاعات إلى مساخطي بالسيّئات، أو من تكميل ذاتك إلى تكميل غيرك كما هو شأن أصحاب الخلافة الكاملين في أنفسهم المستكملين لغيرهم (فأدبر) إلى ما ذكر امتثالاً لأمره، والعقل شأنه الامتثال دائماً و إن يصدر منه خلاف فانّما يصدر لغفلته في مراقد الطبيعة البشريّة و سجون الأبدان و اُنسه بالزّهرات الدّنياوية و صفات النقصان (فقال: و عزتي و جلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك) أكد مضمون الجملة بالقسم مع أنّه أصدق القائلين إمّا لأنّ المقصود منه صورة القسم ترويجاً لمضمونها أو لأنّ العقل لما شاهد إدباره المؤدّي إلى الشقاوة والبعد توهّم أنّه أخسّ الخلايق أكده دفعاً لتوهمّه و بشارة له و في التفريع دلالة على أنّ إقباله مع كونه قابلاً للادبار سبب لكونه أحسن المخلوقات و سرّ ذلك يظهر ممّا ذكرنا آنفاً (إيّاك آمر وإيّاك أنهي و إيّاك اُثيب) بطاعتك و انقيادك فيما ينبغي (و إيّاك أعاقب) بمخالفتك و عصيانك فيما لاينبغي.

---

(١) هذا هو الحديث الاول بعينه عن العلاء عن محمد بن مسلم مع تغيير يسير في العبارة لايخلو منه الروايات باختلاف الرواة (ش).

((الاصل))

«٢٧- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الهيثم بن أبي مسروق النهدي»
«عن الحسين بن خالد، عن إسحاق بن عمّار قال: قلت: لأبي عبدالله عليه السلام:»
«الرجل آتيه و أكلّمه ببعض كلامي فيعرفه كلّه و منهم من آتيه فأكلّمه»
«بالكلام فيستوفي كلامي كلّه ثمّ يردّه عليّ كما كلّمته، و منهم من آتيه»
«فأكلّمه فيقول: أعد عليّ؟ فقال: يا إسحاق وما تدري لم هذا؟ قلت: لا، قال: الّذي»
«تكلّمه ببعض كلامك فيعرفه كلّه فذاك من عجنت نطفته بعقله، وأمّا الّذي»
«تكلّمه فيستوفي كلامك ثمّ يجيبك على كلامك فذاك الّذي ركب عقله فيه»
«في بطن أمّه، و أمّا الذي تكلّمه بالكلام فيقول: أعد عليّ الّذي فذاك ركب»
«عقله فيه بعد ما كبر فهو يقول لك: أعد عليّ.»

((الشرح))

(عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الهيثم بن أبي مسروق النهدي، عن الحسين بن خالد، عن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام الرّجل آتيه وأكلّمه ببعض كلامي فيعرفه كلّه) يعني ينتقل من البعض إلى الكلّ و يفهم معناه المقصود منه (و منهم من آتيه فأكلّمه بالكلام) على التمام (فيستوفي كلامي كلّه) ويسمعه من أوّله إلى آخره ويفهم معناه بعد تمامه لاقبله (ثمّ يردّ عليّ كما كلّمته) من غير نقص و زيادة حافظاً لألفاظه و معناه (و منهم من آتيه فأكلّمه بالكلام كلّه) و يسمعه من أوّله إلى آخره ولايضبط لفظه ولامعناه (فيقول أعد عليّ) طالباً لتكريره لينتقل منه إلى المقصود، والغرض من هذا السؤال الاستكشاف عن سبب تفاوتهم في العقل والإدراك، و ينبغي أن يكون الكلام من نوع واحد في الدّقّة والخفاء وإلّا فقد يكون المحتاج إلى الإعادة أقوى إدراكاً من الأوّلين (قال: فقال: يا إسحاق و ما تدري لم هذا) الظاهر أنّه استفهام على حقيقة أو للتقرير

والواو للعطف على محذوف أي أتقول ذلك وما تدري ، و يحتمل أن يكون خبراً عطفاً على كلام السائل و إظهاراً لما هو المقصود من ذلك الكلام (قلت : لا)هذا على الأوّل تعيين لما هو المقصود من الاستفهام ، أو إقرار للنفي، و على الأخير تصديق لقوله عليه السلام (قال الّذي تكلّمه ببعض كلامك فيعرفه كلّه فذاك من عجنت نطفته بعقله، و أمّا الّذي تكلّمه فيستوفي كلامك ، ثمّ يجيبك على كلامك فذاك الّذي ركّب عقله فيه في بطن اُمّه، وأمّا الّذي تكلّمه في الكلام فيقول: أعد عليّ فذاك الّذي ركّب عقله فيه بعد ما كبر فهو يقول لك: أعد عليّ) المواد الإدراكيّة كلّها موجودة في النطفة الإنسانيّة على سبيل الاستعداد ولكنّها مختلفة في القوّة والضعف واللّطافة والكثافة والنفوس الإنسانية العاقلة القابلة للإدراكات الكليّة والجزئية متفاوتة في الكدرة والصفاء والظلمة والضياء و بحسب تفاوتها و تفاوت المواد يتفاوت التعلّقات والادراكات فكلّما كانت النفس الناطقة أشرف و أنور كان تعلّقها بالمواد الّتي هي ألطف و أقوى أقدم و أسرع، وكان إدراكها أتمّ و أكمل لتمام الاستعداد والمناسبة و كمال الصفاء والنورانيّة فيصل الجذب و الادراك بسهولة،فمن عجنت نطفته بزلال العقل وخمّرت به و استضاءت موادّها بنوره لغاية لطافتها وقوّة استعدادها كان بعد انتهاء الاستعداد وحصول بقيّة شرايط الادراك بالفعل عاقلاً فاضلاً مدركاً كاملاً عارفاً للآخر من الأوّل والفرع من الاصل لأنّ توقّت كونه نطفة إلى أوان الادراك كان يمشق الادراك ويتمرّن عليه والفعل بعد المشق والتمرّن في غاية السهولة والكمال كما لايخفى على المتدرّب ولايجوز أن ينكر تعلّق العقل بالنطفة حين كونها نطفة باعتبار عدم حصول العلم بذلك التعلّق وإلّا لجاز أن ينكر تعلّقه بعد تسوية البدن و تكميله لاشتراك العلّة مع أنّه قد يحصل لبعض العارفين المجرّدين عن العلايق الجسميّة والعوايق البدنيّة الناظرين إلى جمال المطلوب بعين المشاهدة علم بتعلّقات عقله في الأكوان البشريّة وتصرّفاته في الموادّ الجسمية بل ربّما كان في آن تعلّقه عالماً كاملاً فاضلاً عارفاً بالله و ملائكته و كتبه و رسله كما روي في شأن أئمتنا صلوات الله عليهم أجمعين و عدم حركة النطفة و

انقلابها لايوجب إنكار تعلّقه بها كما يشاهد ذلك من النائم و أصحاب السكتة وقد ذهب جماعة إلى إنّ للأرض والجبال و غيرهما من الجمادات نفوساً متعلّقة بها مع أنّها ساكنة على أنّ الحركة الإرادية في المادّيات من خواصّ النفس الحيوانيّة و امتناع تعلّق القوّة العاقلة قبلها ممنوع (١).

و بالجملة تعلّق العقل بالنطفة أمر ممكن عقلاً وقد أخبر به الصادق عليه السلام فوجب الاعتراف به و من ركّب عقله في بطن اُمّه فهو دون الأوّل في الإدراك لقلّة تمرّنه و تدرّبه و ضعف امتزاج مادّته و تعجينها بخميرة العقل بالنسبة إلى الأوّل فله الدرجة الوسطى من الإدراك يفهم معنى الكلام بعد تمامه لاقبله مثل الأوّل و من ركّب عقله فيه بعد الوضع إلى زمان التكليف و هذا هو المراد بقوله بعد ما كبر فهو دون الثاني في الادراك لقلّة تمرّنه قطعاً و عدم امتزاج مادّته بالعقل و ضعف استضاءة ساير قواه الادراكيّة بنوره و هو بمنزلة بيت وضع المصباح في خارجه فله الدّرجة الأدنى من الفهم والمرتبة الدّنيا من الادراك لايفهم معنى الكلام بعد تمامه، بل يحتاج إلى تكريره فلذلك يقول أعد عليّ ثمّ هذه المراتب هي الامّهات في مراتب الادراك و اختلافاتها وإلّا فلكلّ درجة مراتب متفاوتة

(١) ماهية التعلق ليست واحدة مثلاتعلق المعلول بالعلة نحو من التعلق لايستحيل بين الممكن والواجب و اثر هذا التعلق انعدام الممكن على فرض عدم تعلق الممكن به تعالى و تعلق النفس بالبدن تعلق بنحو آخر و أثره زوال الحياة بزوال التعلق و تعلق الملائكة بالموجودات بنحو التدبير و التصرف و تعلق العقل الفعال بالنفوس الناطقة على مذهب الحكماء او بجميع الموجودات فی عالم الكون والفساد نحو من التعلق معقول و تعلق النفوس الفلكية بالافلاك أيضاً أمر معقول سواء كان واقعاً أولا وليس فی جميع الاثار نظير تعلق النفس الحيوانية بأبدانها و احتمال تعلق النفس بالارض و الجبال نظير تعلقها بالافلاك اذلا يستلزم التعلق سمعاً وبصراً ولمساً و عصباً ودماغاً وغيره باعتبار استلزامه حركة ارادية فی الافلاك و هكذا «ش».

في القوّة والضعف يدلّ على ذلك مارواه يحيى بن أبان عن شهاب قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: «لوعلم الناس كيف خلق الله تعالى هذا الخلق لم يلم أحدٌ أحداً فقلت: أصلحك الله و كيف ذلك؟ فقال: إنّ الله تبارك و تعالى خلق اجزاء بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً، ثمّ جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة أعشار ثمّ قسّمه بين الخلق فجعل في رجل عشر جزء و في آخر عشري جزء، حتّى بلغ به جزءاً تامّاً، وفي آخر جزءاً وعشر جزء وفي آخر جزءاً وعشري جزء و آخر جزءاً وثلاثة أعشار جزء حتّى بلغ به جزءين تامّين ثم بحساب ذلك حتّى بلغ بأرفعهم تسعة واربعين جزءاً، فمن لم يجعل فيه إلّا عشر جزء لم يقدر على أن يكون مثل صاحب العشرين، و كذلك صاحب العشرين لايكون مثل صاحب الثلاثة الاعشار، و كذلك من تمّ له جزء لايقدر على أن يكون مثل صاحب الجزءين، ولو علم الناس أنّ الله عزّ وجلّ خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحدٌ أحداً (١)» و يحتمل أن يكون قوله «من عجنت نطفته بعقله» معناه من خلقت نفسه قبل التعلّق بالبدن على وصف كمالي مناسب العقل وارتباطها به ثم تعلّقت بالبدن و قوله «فذاك الّذي ركّب عقله فيه في بطن اُمّه» معناه هو الّذي اتّصفت نفسه بالوصف الكمالي الموجب لقوّة ارتباطها بالعقل بعد تعلّقها بالبدن و قوله «فذاك الّذي ركب عقله فيه بعد ما كبر» معناه هو الّذي اتّصفت نفسه بذلك الوصف وحصل لها الارتباط بالعقل بعد استعمال الحواسّ و حصول الضروريّات الّتي هي مبادي النظريات والله أعلم بحقايق الاُمور.

((الاصل))

٢٨ـ «عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن بعض من رفعه، عن أبي «عبدالله عليه السلام قال - قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا رأيتم الرجل كثير الصّلاة، كثير «الصّيام فلاتباهوا به حتّى تنظروا كيف عقله».

---

(١) الكافي كتاب الايمان والكفر باب آخر من باب درجات الايمان.

((الشرح))

(عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن بعض من رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة كثير الصيام فلا تباهوا به) أي فلا تفاخروا به من المباهاة وهي المفاخرة أو فلا تؤانسوا به من البهاء بالفتح والمد و هو الأنس يقال: بهأت بالرجل بهاء آنست به وحينئذ يقرأ تباهئوا بالهمزة بعد الهاء (حتى تنظروا كيف عقله) فان وجدتم عقله كاملاً باعتبار ظهور آثار العقلاء عنه و اشتمال أعماله وأفعاله على المحسنات العقلية والنقلية وجودة رأيه في الأمور الدنيوية والأخروية و حسن تصرفه في الفضايل العلمية و العملية، و رعاية آداب المعاشرة مع بني نوعه فهو أهل للمباهاة و المفاخرة و المؤانسة، إذ هو مظهر للألطاف الالهية و مورد للكمالات النفسانية ومعدن للفضايل الروحانية ونور في نفسه و منور مرشد لغيره، و إن وجدتم عقله بخلاف ذلك فعمله بعيد عن الاعتبار والافتخار، و فيه دلالة على جواز مدح العلماء والثناء بالعقلاء سراً و علانية كيف لا والآيات القرآنية و الروايات النبوية مشحونة بذكر كمالاتهم و نشر فضائلهم زادهم الله شرفاً و تعظيماً.

((الاصل))

، ٢٩- « بعض أصحابنا، رفعه، عن مفضل بن عمر ؛ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: »
« يا مفضل لا يفلح من لا يعقل، ولا يعقل من لا يعلم، و سوف ينجب من يفهم ويظفر »
« من يحلم، والعلم جنة والصدق عز، والجهل ذل، والفهم مجد، والجود نجح »
« حسن الخلق مجلبة للمودة، والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس. و الحزم »
« مساءة الظن، و بين المرء والحكمة نعمة العالم والجاهل شقي بينهما ؛ والله »
« ولي من عرفه، و عدو من تكلفه، والعاقل غفور والجاهل ختور، و إن شئت »
« أن تكرم فلن، و إن شئت أن تهان فاخشن، و من كرم أصله لان قلبه، ومن »

« خشن عنصره غلظ كبده ، و من فرّط تورّط ، و من خاف العاقبة تثبّت عن »
« التوغّل فيما لايعلم ، و من هجم على أمر بغير علم جدع أنف نفسه ، و من لم »
« يعلم لم يفهم ، و من لم يفهم لم يسلم ، و من لم يسلم لم يكرم ، و من لم يكرم »
« يهضم، و من يهضم كان ألوم ، ومن كان كذلك كان أحرى أن يندم ».

((الشرح))

(بعض أصحابنا رفعه عن مفضل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : يامفضل) صدّر الحديث بندائه لطلب احضار قلبه و استعداده لماسيتلو عليه من فضايل العقل و رذايل ضدّه (لايفلح من لايعقل) لأنّ الفوز بالسعادات الدّنيويّة و الاُخرويّة لايتصوّر بدون العقل الّذي هو مبدء لجميع الخيرات و منشؤ لجميع الكمالات، و بدون استيلائه على القوّة الغضبيّة والشهويّة (ولا يعقل من لايعلم) أي من انتفت عنه حقيقة العلم انتفت عنه حقيقة العقل لأنّ تحقّق حقيقة العقل وقوامها و مراتبها إنّما هو بالعلم فاذا انتفى انتفى، أو من انتفى عنه العلم بقوى النفس و محاسنها و مقابحها فلا يعقل يعني لايستولى عقله على قواه النفسانية ضرورة أنّ استيلاءه عليها متوقّف على العلم بها فاللازم من المقدّمتين إمّا انتفاء حقيقة الفلاح والنجاة عند انتفاء حقيقة العلم : أو انتفاء الفلاح والنجاة من مقابح القوى النفسانيّة عند انتفاء العلم بها والله أعلم (وسوف ينجب من يفهم) رجل نجيب أي كريم بيّن النجابة وقد نجب ككرم نجابة إذا كان فاضلاً متادّباً بالآداب النقليّة والعقليّة، ووجه ذلك ظاهر لأنّ الفهيم بنور فهمه يميز بين الحقّ والباطل و بين الصفات الحسنة والقبيحة فهو بمرور الأيام يكتسب المحاسن و يجتنب عن الرّذايل ويصير عالماً فاضلاً غالباً على النفس و قواها و هواها حتّى يصير نجيباً في الدّنيا و الآخرة (و يظفر من يحلم) الظفر النجاة والفوز بالخيرات والحلم بالكسر الاناة تقول منه حلم الرّجل يحلم بضمّ اللام فيهما إذا تأنّى ولم يستعجل وذلك ظاهر لأنّ من تأنّى في العقوبة ولم يستعجل فيها ولم يستخفّه سوء الأدب ولم يستفزّه الغضب يظفر

عن قريب بالمطالب و يفوز بالمآرب لأنّ ذلك سبب لكثرة المعاون والاصدقاء و ازدياد الناصر والأخلاء بخلاف المستعجل فانّه يضيق عليه أمره (والعلم جنة) يقي من سهام مكايد الشيطان و سنان مخاطرات النفوس وصولة القوى الشهويّة و الغضبية والدّواعي النفسانية بل من جميع الآفات الدّنيوية والعقوبات الأخروية (والصدق عزّ) المراد بالصدق استقامة اللّسان في القول والخطاب و ثباته على منهج العدل والصواب في الصغير و الكبير والقليل والكثير سواء كان على نفسه أو على الله تعالى أو على رسوله أو على الائمة الطاهرين أو على المؤمنين وهو سبب للعزّة و القوّة والغلبة أو المراد به الاعتقاد الصادق و يؤيّده المقابلة بالجهل لأنّه الاعتقاد الكاذب (والجهل ذلّ)غاية العزّة هي التقرّب بالله والارتواء بزلال لطفه والتنعّم برياض قدسه والتّمكن في قلوب العارفين و ذلك لايحصل إلاّ بالعلم والعمل فاذا انتفى العلم و حصل الجهل بسيطاً كان أو مركباً ثبت الذّل والبعد عن الحقّ و إنّما قابل الصدق بالجهل دون الكذب لئلا يصير الثاني تأكيداً لمضمون الأوّل و التأسيس خير من التأكيد (والفهم مجد) المجد الكرم والشرف الواسع يعني أنّ الفهم من الصفات الكريمة الشريفة الموجبة لشرافة الذات و رفعة الحسب و جلالة القدر (و الجود نجح) النجح و النجاح الظفر بالحوائج يعني أنّ الجود بالمال وبذله في وجوه الغير وصرفه في مصارف الخير يوجب الظفر بالمطالب الأُخروية لأنّ الله تعالى يقابل القليل بالجزيل و يورث الفوز بالمآرب الدّنيوية لأنّه يجذب قلوب الناس إلى التودّد لصاحبه ويصرف همّتهم إلى الذّب عنه و تحصيل مطالبه قال أميرالمؤمنين عليه السلام: « الجود حارس الأعراض (١) » (و حسن الخلق مجلبة للمودّة) حسن الخلق هو الاعتدال بين طرفي الافراط و التفريط في القوّة الغضبية و الشهويّة ، و مجلبة اسم آلة أو مصدر ميميّ و الحمل هنا للمبالغة كما في السوابق . يعني أنّ حسن الخلق مع الناس ومخالطتهم على الوجه

(١) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٢١١.

الحسن الجميل والتودّد لهم والاحتمال منهم والاشفاق عليهم و الحلم و الصبر و غير ذلك من محاسن الصفات الخلقيّة يجلب إلى صاحبه محبّتهم و ودادتهم و صداقتهم و غير ذلك من خير الدّنيا والآخرة حتّى أن العدوّ يصير بذلك صديقاً شفيقاً وقد رغّب فيه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : « خالطوا الناس مخالطة إن متّم معها بكوا عليكم و إن عشتم حنّوا إليكم »(١) (والعالم بزمانه لاتهجم عليه اللّوابس) في المغرب الهجوم الاتيان بغتة والدّخول من غير استيذان من باب طلب ، يقال: هجم عليه. يعني يتعدّى بعلى. واللّوابس جمع اللاّبس على غير قياس كالفوارس جمع فارس من اللّبس بالضمّ مصدر لبست الثوب ألبسه أو بالفتح مصدر لبست عليه الأمر ألبسه أي خلطته و منه قوله تعالى « و للبسنا عليهم ما يلبسون » والتبس عليه الأمر أي اختلط و اشتبه أو جمع لبسة ؛ يقال : في الأمر لبسة بالضمّ أي شبهة ليس بواضح، والمقصود أنّ العالم بأحوال أبناء زمانه و عاداتهم الفاسدة و رسومهم الكاسدة من إنكار الحقوق و اتّباع أهواء النفوس وترويج الشرور و إعلان قول الزّور لاتهجم عليه اللّوابس أي الّذين يلبسون الحقّ بالباطل والنور بالظلمة والأمر الواضح بالشبهة. ولايدخلون عليه بغتة وعلى سبيل الغلبة بالتدليسات والتلبيسات ولايغلبونه بالتخليط و إلقاء الشبهات لعلمه بفساد أقوالهم و أفعالهم وإدراكه بالفراسة والتجربة سوء صنايعهم و قبايح أعمالهم أو المقصود أنّه لايدخل عليه الشبهات ، فيه تنبيه على أنّ الغالب في كلّ عصر هو إنكار الحقّ و ترويج الكفران، و إفشاء الظلم و نشر الجور والطغيان كما يعرفه أصحاب القلوب و أرباب العرفان و إذا تحقّق ذلك مع طول مدّة الاسلام واستقراره في القلوب فلاينكر تحقّقه بعد فوت النبيّ صلّى الله عليه وآله ولايستبعد وقوع ما وقع بعده من خروج أكثر الأمّة عن الدّين ، ولمّا كان هنا مظنّة أن يقال عدم هجوم اللّوابس على العالم بأهل زمانه لسوء ظنّه بهم و عدم استماعه لأقوالهم ولا اتّباعه لآثارهم وأطوارهم إلاّ بعد الاستظهار فيها والأخذ بالحزم لئلا ينخدع و سوء الظنّ لايجوز قال دفعاً لذلك (و الحزم مساءة الظنّ) حزم الرّجل جودة رأيه و إحكام أمره و ضبطه له و أخذه بالثقة والحذر من فواته، و المساءة مصدر

---

(١) النهج أبواب الحكم تحت رقم ٩.

ميمي ساءه يسوؤه سوءاً بالفتح ومساءة نقيض سرّه والحمل للمبالغة والإضافة إلى الفاعل على الظاهر. يعني جودة الرأي وإحكام الأمر و أخذه بالثقة على وجه لا يقع في الباطل والشبهة يقتضي سوء الظنّ بهم يعني تجويز السوء منهم و التثبت فيما يأتون به حتى يتبيّن الحق من الباطل والصدق من الكذب والعلم من الشبهة ولو وجب القبول منهم من غير حزم ولم يجز نسبة السوء إليهم لوقع الهرج و المرج وبطل الدّين و رجع كما كان قبل البعثة ، و لذلك قال الله تعالى « إن جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا » وقال « لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتّم» و بالجملة الحزم يوجب أن يبنى الحال أوّلاً على جواز السوء منهم حتّى يتبيّن له الحقّ ويحصل الإذعان به ، وفيه تنبيه على أنّه لا ينبغي متابعة الغير في أمر من الأمور مع تجويز كون ذلك الأمر خطأ، بل لابدّ من كمال الاحتياط فيه ، و إنّما قلنا على جواز السوء منهم لأنّه الّذي يقتضيه الحزم والاحتياط فلا ينافي ما ورد من النهي عن مساءة الظنّ بالخلق لأنّ ما ذكرناه من باب التجويز العقلي المناسب للحزم و ما ورد النهي عنه من باب الاعتقاد الفاسد والقول بالشيء رجماً بالغيب.

(و بين المرء والحكمة نعمة العالم) «نعمة» بالتنوين و العالم بيان لها أو بالإضافة للبيان أو بتقدير اللاّم ، ولعلّ المقصود أنّ بين المرء العاقل والحكمة نعمة العالم هي إرشاده وهدايته الموصلة إليها وتخليصه من ظلمات الأوهام وتثبيته من مزالّ الأقدام و تسديده في مواضع أغاليط الأفهام و تعليمه كيفية السلوك في طرق المطالب و تقويته للوصول إلى دقايق الحكمة في أعلى المراتب (والجاهل شقيّ بينهما) أي بين الحكمة و نعمة العالم يعني لا ينفعه سعي العالم و إرشاده و هدايته وتعليمه وتفهيمه وتسديده كلّ ذلك لشقاوته الذّاتية ودناءته الطبيعية وظلمته النفسية و كدورته الذّهنيّة ، و احتمال عود ضمير التثنية إلى الجاهل و الحكمة يعني كما أنّ بين العاقل و الحكمة عالم ربّاني يهديه إليها كذلك بين الجاهل و الحكمة شقي يضلّه عنها بعيدٌ ، و فيه دلالة على أنّ العقول البشريّة و إن كانت قابلة لإدراك الحكمة والعلوم فهي تحتاج إلى توسّط استاذ هو عقل العالم وإرشاده

لأنّها مع هذا الوسط تصير نوراً على نور فتدرك الحقايق كماهي و تأمن من الغلط ثمّ إنّ هذا العالم يحتاج إلى عالم ربّاني إلى أن ينتهي إلى عالم بالذّات لايحتاج في علمه إلى غيره أصلاً و هوالله تعالى شأنه و نظير ذلك أنّ نورالبصر في إدراكه يحتاج إلى توسّط نور الشمس أو نورالمصباح أو غيرهما فانّه حينئذ يصير نوراً على نور يدرك المبصرات على ما ينبغي، والرّوايات الدّالّة على اعتبار ذلك الوسط كثيرة جدّاً منها «من أعجب برأيه ضلّ ومن استغنى بعقله زلّ»(١) و على أنّ الجاهل الفاقد للبصيرة لاينفعه توسّط العالم و إرشاده أو على أنّ له قريناً شقياً يضلّه عن طريق الحكمة «و من يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين».

و لشرح هذه العبارة أقوال اُخر نحن نشير إلى بعضها إجمالاً ليحصل لك الإحاطة بجهات الكلام فنقول: قال بعض الأفاضل: المقصود منها أنّ المرء من لدن عقله و تمييزه إلى بلوغه حدّ الحكمة متنعّم بنعمة العلم ونعيم العلماء فانّه لايزال في نعمة من أغذية العلوم و فواكه المعارف فانّ معرفة الحضرة الالهيّة لروضة فيها عين جارية و أشجار مثمرة قطوفها دانية والجاهل بين مبدء أمره ومنتهى عمره في شقاوة عريضة و طول أمل طويل و معيشة ضنكة و ضيق صدر و ظلمة قلب إلى قيام ساعته و كشف غطائه و في الآخرة عذاب شديد. و قال بعضهم: المراد أنّ ماأنعم الله تعالى به على العالم من العلم والفهم والصدق على الله واسطة المرء يوصله إلى الحكمة فانّ المرء إذا عرف العالم أتبعه و أخذ منه فيحصل له الحكمة و معرفة الحقّ والاقرار به والعمل على وفقه، و كذا إذا عرف حال الجاهل وأنّه غير عالم فهم صادق على الله يترك متابعته والأخذ منه و يسعى في طلب العالم فيطلع عليه فيأخذ منه فالجاهل باعتبار سوء حاله باعث بعيد لوصول المرء إلى الحكمة فهو شقيّ محروم يوصل معرفة حالة المرء إلى سعادة الحكمة (والله وليّ من عرفه) يعني محبّه وناصره والمتكفّل لأمره في الدّنيا بهدايته إلى الطاعات والخيرات وتثبيت ذهنه على الفضايل والملكات و في الآخرة بتشريفه بمنازل القرب في أعلى درجات

(١) في الاختصاص ص ٢٢١ هكذا «من أعجب بنفسه هلك ومن أعجب برأيه هلك».

الجنان والاقبال عليه بالاكرام والافضال والاحسان (و عدوٌّ من تكلّفه)أي تكلّف العرفان و تصنّع به و هو غير عارف و هو أحقّ بالعداوة من الجاهل الخامل، و من ثمّ قيل : النفاق أسوء من الكفر والمراد بعداوته له إبعاده عن الرّحمة وترك الافضال عليه و وكوله إلى نفسه حتّى تورده مورد الهلاك والخذلان (والعاقل غفور) أي مصلح لأمره من قولهم غفروا هذا الأمر أي أصلحوه بما ينبغي أن يصلح، أو ساتر لذنوب إخوانه و عيوبهم و متجاوز من خطاياهم و إساءتهم من الغفر بمعنى التغطية ، و ذلك لعلمه بما في الغفران من الأجر الجميل والثواب الجزيل ، و لأنّه قريب من الله تعالى ومتخلّق بأخلاقه ومن أخلاقه الكريمة غفران الذّنوب وستر العيوب والتجاوز عن السيئات وإن صدر عنه المؤاخذة والكشف في بعض الأحيان لمصلحة لا يسلب عنه هذا الاسم كما في الواجب (والجاهل ختور) أي خبيث النفس كثير الغدر والخدعة بالناس لأنّه فاقد للبصاير الذّهنية و عادم للفضائل العقليّة وحامل للرّذايل الشيطانيّة فيظنّ أنّ الغدر والحيل والمكر والختل و كشف العيوب والذّنوب وسوء المعاملة مع الناس خيرٌ له في تحصيل منافعه و مطالبه وتيسير مقاصده ومآربه و إنّما أتى بصيغة المبالغة للاشعار بأنّ الفعل مع وجود دواعيه و عدم موانعه يصدر على وجه الكمال (و إن شئت أن تكرم فلن) تكرم على البناء للمفعول أي إن شئت أن تكون كريماً و شريفاً حسناً خياراً عند الخالق و الخلايق فلن للناس في الكلام والسلام و اخفض لهم جناحك عند اللّقاء فان من لان جانبه كثر أعوانه و أنصاره ، ومن كثر أنصاره كان مكرماً شريفاً (و إن شئت أن تهان فاخشن) تهان على البناء للمفعول من الاهانة وهي الاستخفاف والاستحقار ، و اخشن بضم الشين من الخشونة وهي ضدّ اللّين وقد خشن الرّجل بالضم فهو خشن يعني إن شئت استخفافك و استحقارك و انحطاط منزلتك فصر ذا خشونة عند ملاقاة الناس و محاوراتهم و مقاولاتهم فانّ الخشونة جالبة لهذه الأمور (و من كرم أصله لان قلبه ومن خشن عنصره غلظ كبده) بيّن عليه السلام السبب الأصلي لحسن الخلق و لين القلب و رحمته و لطافته والسبب الأصلي لسوء الخلق و غلظة القلب و قساوته بأنّ من كرم أصله

و لطف عنصره الّذي ينحل إليه البدن و شرفت طينته الّتي منها خلق شرف قلبه يعني نفسه الناطقة لأنّ الشريف إنّما يتعلّق بالشريف ، و من شرف قلبه شرفت صفاته من اللّينة والرأفة وحسن الخلق وغيرها لأنّ فعل الشريف و صفاته لايكون إلاّ شريفاً ، و من خشن عنصره و كثفت طينته غلظ كبده و خسّ قلبه لأنّ الخسيس إنّما يتعلّق بالخسيس و من خسّ قلبه قبحت صفاته من الخشونةوالغلظة و سوء الخلق و غيرها ، وأوردلفظ الكبد بدل القلب للتنبيه على عدم استحقاقه(١) لهذا الاسم و بالجملة الأخلاق والصفات مترتّبة على اجتماع النفوس والأبدان فأشرف الأخلاق يتعلّق بأشرف النفوس و أشرف النفوس يتعلّق بأشرف الأبدان و ألطفها وأخسّ الأخلاق يتعلّق بأخسّ النفوس و أخسّ النفوس يتعلّق بأخسّ الأبدان و أكثفها ، فالتفاوت إنّما نشأ من كرم الأصل وخسّته، كلّ ذلك ظاهر إلاّ التفاوت في الأصل فانّه دقيق جدّاً، و معرفة ذلك يتوقّف على التأمّل الدّقيق في الرّوايات المذكورة في كتاب الكفر والايمان.

وقيل المراد بكرم الأصل كون النفس فاضلة شريفة ذات ارتباط شديد وتأيّد بالنور و من كان كذلك لان قلبه الّذي هو مبدء الآثار العقلانية لأنّ النفس أوّلاً يتعلّق بالرّوح(٢)

---

(١) يعني ليس المراد بالكبد هذا العضو الجسماني الواقع في الجانب الايمن من البطن لطبخ الغذاء و تبديل الكيلوس الى الكيموس بل المراد منه النفس و كذا القلب و انما يعبر عن النفس تارة بالكبد وتارة بالقلب والكبد عند الاطباء مبدء القوة الطبيعية أي النفس النباتية والقلب محل القوة النفسانية اى الحيوانية ، والقلب اقرب الى النفس الناطقة من الكبد، وأشار (ع) بهذه العبارة الى أن من خشن عنصره فالمناسب ان يعبر عن نفسه بالكبد لبعده عما خلق له و ميلانه الى الطبيعة (ش).

(٢) المراد بالروح هنا الروح الطبيعي الحيواني في اصطلاح الاطباء و هى عندهم بخار له مزاج سار في العروق و مسام البدن و بطون الدماغ وهو اكثر في الشرائين من الاوردة ، النفس يتعلق أولا به وبتوسطه بالبدن و ليس المراد بالروح هنا النفس الناطقة(ش)

الحاصلة فيه فلأنّ عناصره باستمداد من الرّوح الّذي يجيىء إليها من القلب «و من خشن عنصره غلظ كبده» أي و من لم يكن كريم الاصل و هو من خشن عنصره و خبث طينته غلظ منه ما هو المناط في قوام البدن و قوّته و هو الكبد فيستولى القوى البدنيّة فيه على القوى العقلانية(«من فرط تورّط) يقال : فرط في الأمر فرطاً أي قصر فيه وضيّعه حتّى فات و كذلك التفريط و فرط أيضاً فهو فارط إذا سبق و تقدّم و جاوز الحدّ، و تورّط في الورطة أي وقع في الهلكة ، ولعلّ المراد من فرط في الحقّ وقصّر فيه وقع في الهلكة لأنّ أصل التقصير في الحقّ ورطة و هلكة أو لانّه مستلزم لوقوعه في ضدّ الحقّ أعني الباطل أو المراد من سبق إلى دواعي النفوس و جاوز الحدّ في متابعة القوى النفسانية فقد وقع في الهلكة .

(و من خاف العاقبة تثبّت عن التوغّل فيما لايعلم) تثبّت ماض من التثبت أو مضارع من الثبات، والوغول الدّخول و أوغل في السير و توغّل إذا أسرع فيه و أمعن، يعني من خاف سوء العاقبة ولومها تثبّت عن الدّخول فيما لايعلمه و عن الإسراع في التكلّم فيه والاعتقاد به، و من علامة العاقل السكوت في الشبهات فإنّ مفاسد النطق بها كثيرة جدّاً و في الحديث «من تورّط في الأمور غير ناظر للعواقب فقد تعرّض لمفضحات النوائب» (و من هجم على أمر بغير علم فقد جدع أنف نفسه) الجدع بالجيم والدّال المهملة قطع الأنف و قطع اليد و قطع الشفه تقول منه جدعته فهو أجدع، وجدع أنف النفس المجرّدة إمّا كناية عن إزالة سعاداتها الأبديّة بالجهل أو كناية عن تحقيرها و إذلالها يعني من دخل في أمر بغير علم بذلك فقد استحقر نفسه و استصغرها و وسمها بسمة الحقارة و الرّذالة و الهلاك عند الخالق والخلق جميعاً، و مثله مثل الفراش تتساقط من جهلها في نار المصباح يتوهّم أنّها كوّة يستضىء منها النور فيقصدن الخروج منها فيحترقن ، ثمّ بيّن عليه السلام فضل العلم وشرفه بقياس مفصول النتايج بقوله (ومن لم يعلم لم يفهم، ومن لم يفهم لم يسلم) أي من لم يعلم الحسن والقبيح لم يفهمهما و لم يميّز بينهما ومن لم يميّز بينهما لم يسلم من ارتكاب القبيح والتعرّض له (و من لم يسلم لم يكرم)

معلوم من كرم أي من لم يسلم عن القبيح لم يكن شريفاً نجيباً فاضلاً ، أو مجهولٌ من أكرم أي لم يكن معزّزاً مكرماً معدوداً من كرام الناس بل مخذولاً مهاناً (و من لم يكرم يهضم) في أكثر النسخ يهضم من الثلاثي المجرّد و في بعضها تهضم من باب التفعّل وفي القاموس هضم فلاناً ظلمه و غضبه كاهتضمه و تهضّمه ، و في الصحاح هضمت الشيء كسرته يقال : هضمه حقّه و اهتضمه و تهضّمه إذا ظلمه و كسر عليه حقّه و رجل هضيم و متهضّم أي مظلوم ، ثمّ الفعل الأوّل إن كان مبنيّاً للفاعل كان الثاني أيضاً كذلك على الظاهر في النسختين جميعاً لأنّ الموصول هو الّذي يكسر نفسه ويذلّها و يظلمها بسبب عدم اكتساب كرامتها و شرافتها و إن كان مبنياً للمفعول كان الثاني أيضاً كذلك لأنّ المكاسر عزّه والمذلّ له حينئذ غيره (ومن يهضم كان ألوم) أي أكثر استحقاقاً و لوماً ممّا تقدّم (ومن كان ذلك) أي ألوم (كان أحرى أن يندم) على ما ساقه إلى الملوميّة من التوغّل فيما لا يعلم أو من الهجوم على أمر بغير علم أو من جميع ما تقدّم . واعلم أنّ هذه المقدّمات إذا اعتبرت انتاجها تنتج « فمن لم يعلم كان أحرى أن يندم » أمّا المقدّمة الأولى فلأنّ الفهم و هو ملكة الانتقال كما عرفت مراراً مستلزم للعلم و متوقف عليه وانتفاء اللاّزم مستلزم لانتفاء الملزوم ، وأمّا الثانية فلأنّ السلامة عن الرّذايل النفسانيّة متوقّفة على الفهم والتمييز بينها و بين فضايلها فينتفي بانتفائه ، و أمّا الثالثة فلأنّ كرامة النفس و شرافتها و علوّ منزلتها فرع لسلامتها عن الرّذايل والمقابح و انتفاء الأصل مستلزم لانتفاء الفرع ، و أمّا الرّابعة فلأنّ عدم إكرام أحد و تعظيمه سبب لهضمه و كسره و احتقاره و إذلاله ، وأمّا الخامسة فلأنّ هضم أحد و إذلاله مستلزم لرداءته و لومه و عذله ، وألوم بمعنى اسم المفعول و سبب الزّيادة ظاهر إذ الإذلال لا يساوقه شيء من الاضرار ، وأمّا السادسة فلأنّ لوم أحد بجهالته وعذله برداءته على وجه المبالغة من أقوى الأسباب لندامته على سوء أحواله وقبح أوضاعه و أفعاله .

((الاصل))

٣٠ - محمّد بن يحيى رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من استحكمت لي «فيه خصلة من خصال الخير احتملته عليها و اغتفرت فقد ما سواها ولا أغتفر فقد» «عقل ولادين، لأنّ مفارقة الدّين مفارقة الأمن فلا يتهنّأ بحياة مع مخافة،» «وفقد العقل فقد الحياة ولايقاس إلاّ بالأموات».

((الشرح))

(محمّد بن يحيى رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من استحكمت لي فيه خصلة من خصال الخير) أي صارت محكمة يعني ملكة راسخة، والمراد من خصال الخير فضائل النفس و أخلاقها مثل العفّة والسخاوة والحلم و غيرها ممّا عرفته آنفاً و ستعرفه فيمـا بعد وممّا هو مذكور في كتاب الأخلاق و قوله «لي» على تضمين معنى الثبوت أو الظهور أي ثابتاً لي ذلك، أو ظاهراً عندي، أو على معناه لأجلي يعني لأجل إعانتي في إنجائه من العقوبات وهذا نظير ما قيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله: «اضمن لي الجنّة فقال: أعنّي بكثرة السجود»(١) (احتملته عليها واغتفرت فقد ما سواها) أي أعنته على تلك الخصلة و رضيت باحتماله و قبلتها منه و رفعت بها قدره في الآخرة و تجاوزت عن فقد ماسواها وسترته ولم آخذه به (ولا اغتفر فقد عقل ولادين) ليس المراد بالعقل هنا العقل الهيولانى الّذى به يفارق الانسان ساير الحيوانات لأنّه موجود في الجميع ولو فقد في البعض ففقده ليس باختياره بل المراد به العقل الّذى له ملكة إدراك المعارف الإلهيّة و هو الّذى يسمّونه عقلاً بالفعل، والمراد بالدّين معرفة الشرايع الصادرة بواسطة الرسول و إطاعته في الأمر والنهى و غيرهما، يعنى لاأغتفر فقد عقل فقط ولاأتجاوز عن التقصير فيه و إن كان له دين ولافقد دين فقط وإن كان له عقل سواء كان الفاقد لهما موصوفاً بجميع خصال الخير أولا (لأنّ مفارقة الأمن) لأنّ الأمن من العذاب و الوقوع في الباطل إنّما يحصل باتّباع الرّسول و إطاعته لأنّ قوله قول الله وأمره أمر الله وقد بعثهم على الناس ليجذبهم عمّا يميلون إليه من اتّباع الشهوات الباطلة و اقتناء

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ج ٢ ص ٥٢ باب فضل السجود والحث عليه.

اللّذات الزّائلة بتذكيرهم لما أعطاهم الله من نعمه الجسيمة ومننه العظيمة وترغيبهم فيما أعدّه لأوليائه و تحريصهم على ماقرّره لأصفيائه و إشارتهم إلى الدّرجات الرفيعة و إرشادهم إلى المقامات العليّة بالمقدّمات اللاّمعة والبراهين الساطعة ، فمن تبعه أمن من الكفر والعذاب وخلص من البطالة والعقاب، ومن فارقه ولم يتمسّك بدينه ولم يعمل بقوانينه واتّبع رأيه الفاسد المستند إلى النفس الأمّارة أوجاهلاً يتكلّم في الدّين بغير بصيرة ولايقين فقد فارق الأمن و تصدّى للبطالة والغواية و أورد نفسه مورد الضلالة والمخافة لعدم علمه باصابة رأيه و رأي ذلك الجاهل المتبوع فلايأمن من الكفر والخروج من الدّين في هذه النشأة ولا من العقاب في النشأة الآخرة (فلايتهنأ بحياة مع مخافة) في المصادر التهنّؤ گوارندهشدن، وفي الصحاح والنهاية هنأني الطعام يهنئني ويهنأني و هنئت الطعام أي تهنأت به فالفعل على الأوّل مبني للفاعل و حياة فاعله والباء زائدة و كذا على الثاني و فاعله ضمير لفاقد الدّين والباء للتعدية و لعلّ المراد بالحيوة الحيوة الدّنيويّة و تكدرها بالمخافة الناشية من مفارقة الدّين و من العقل والعلم في الجملة ظاهر و كيف يكون فاقد الدّين و هو عالم آمناً سعيداً و متى يكون عيشه و حيوته طيباً رغيداً مع علمه بأنّ له في كلّ قدم خطراً عظيماً و في الآخرة عذاباً أليماً و أمّا الجاهل الفاقد له فإنّه و إن كان أيضاً هالكاً ضالاً لكن لجهله لايشعر بالخوف التابع للعلم و مثلهما مثل رجلين مسافرين في مفازة مخوفة عميقة إلى شقّة بعيدة و تركا طريق الأمن الموصل إليها و سلكا طريقاً آخر فيه أنحاء من الفساد والضرر و أنواع من الخوف والخطر، و يعلم أحدهما أحوال هذا الطريق دون الآخر فإنّ العالم بها حيوته مكدّرة و عيشه منغّصة و ربّما يضطرّه مخافة الهلاك إلى ترك الشراب والطعام و اعتزاله عن فراش الاستراحة والمنام ، و أمّا الجاهل بها فإنّه فارغ عن هذا الخوف والاضطراب و إن كان مشاركاً له في الهلاك عند نزول العذاب ، أو المراد بالحيوة الحيوة المعنويّة القلبيّة وهي العلم الاجمالي بالله تعالى و بكتابه وبرسوله و حقّية شرايعه و دينه إلاّ أنّه رجع في تفصيله إلى رأيه أو

إلى جاهل متصنّع بالعلم التفصيلي ولم يسمعه من الرسول أو ممّن يقوم مقامه كما هو شأن مخالفينا ولاريب في أنّ حيوته هذه مكدّرة ناقصة لاتنفعه مع مخافة أن يخرج في أصول القواعد الشرعيّة أو فروعها عن منهج الدّين أو مع مخافة أن تزول عنه هذه الحيوة بتسويلات الشياطين.

(و فقد العقل فقد الحيوة)لأنّ الحيوة الّتي يجب صرف العمر في حفظها و تكميلها و وردت الشرايع والكتب الإلهيّة بالأمر بتحصيلها هي استكمال النفس بالحقايق والمعارف والعلوم النافعة في الآخرة فمن تحلّى نفسه بها وصار عقله عاقلاً بالفعل فهو حيّ حقيقة في الدّنيا والآخرة و من تخلّى نفسه عن هذه المعارف والكمالات وغطّى عقله بأغطية الرّذايل والجهالات فهو معدودٌ بلسان الشرع من الجمادات (ولايقاس) أي لايقدّر ولايشبه (إلاّ بالأموات) لعدم اطّلاعه على وجوه مفاسده و مصالحه و عدم اهتدائه إلى رفع مضارّه وجلب منافعه كالأموات بل هو أدنى حالاً و أقبح مآلاً لاضطجاعه بين الشبهات.

((الاصل))

٣١- « عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، عن موسى بن إبراهيم المحاربي ، عن الحسن بن موسى ، عن موسى بن عبدالله ، عن ميمون بن عليّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام: إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله».

((الشرح))

(عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، عن موسى بن إبراهيم المحاربي) لم أعرف حاله (عن الحسن بن موسى) شريف معظم من وجوه أصحابنا كثير العلم والحديث (عن موسى بن عبدالله ، عن ميمون بن عليّ) لم أعرف حاله أيضاً (عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إعجاب المرء بنفسه) أي استعظامه إيّاها لاتّصافها بفضيلة دنيويّة مثل المال والجاه و كثرة الأولاد والأنصار أو بفضيلة أُخرويّة مثل

العلم والعمل و ساير الكمالات و استكثاره لتلك الفضيلة والابتهاج بها والركون إليها والرّضا بها حتّى يظنّ أنّه قدفاق العابدين وجاوز عن حدّ التقصير ويستبعد إنحطاط رتبته عندالله تعالى و له مثل هذا العمل والفضيلة عن رتبة العابدين و يعتقد أنّه لايعذّب به أبداً لأجله (دليل على ضعف عقله) و قلة علمه وقصورمعرفته بالصانع و صفاته التامّة الكاملة إذاو كان له عقل كامل وعلم تامّ و معرفة بما له جلّ شأنه من القوّة والقدرة والغلبة والعظمةوالجلال علم أنّ كلّ شيء سواهمقهور تحت قدرته مغلوب عند عزّته ذليل في ساحة عظمته ، و أن لامانع لسلطانه ولا نهاية لعرفانه ولادافع لامضاء أمره و جريان برهانه و إنّ السماوات والأرضين و ما فيهما و ما بينهماماپرى و مالايرى من الرّوحانيين والملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين خاشعون خاضعون متذللون لحكمه معترفون بالعجز والتقصير ، فاذا عرف هذه الأمور و تفكّر فيهاتفكّراً صحيحاً خالياً عن الشبهات و تأمّل فيها تامّلاً سليماً عن الآفات وجدنفسه و إن كان لها جميع الكمالات مذعنة بالعجز والانكسار ،معترفة بالذّل والافتقار ،مربوطة بربقة العبوديّة والخذلان ،موصوفة بصفة المسكنة والنقصان ، بعيدة عن الاعجاب ، قريبة من الخوف والاضطراب . وسيجيء تحقيق العجب و لوازمه و مفاسده و علاجه في بابه إن شاء الله تعالى.

((الاصل))

۳۲ـ « أبوعبدالله العاصميّ ، عن عليّ بن الحسن ، عن عليّ بن أسباط ، »
« عن الحسن بن الجهم ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : ذكر عنده أصحابنا »
« و ذكر العقل قال : فقال عليه السلام : لايعبؤ بأهل الدّين ممّن لاعقل له قلت: جعلت »
« فداك إنّ ممّن يصف هذا الأمر قوماً لابأس بهم عندنا و ليست لهم تلك العقول »
« فقال: ليس هؤلاء ممّن خاطب الله إنّ الله خلق العقل فقال له : أقبل فأقبل ، »
« و قال له أدبر فأدبر ، فقال : و عزّتي و جلالي ما خلقت شيئاً أحسن منك أو »
« أحبّ إليّ منك ، بك آخذ و بك اعطي » .

((الشرح))

(أبوعبدالله العاصمي) هو أحمدبن محمّدبن عاصم ثقة (عن علي بن الحسن) يعني ابن فضّال (عن عليّ بن أسباط) فطحي ثقة رجع إلى الحقّ عند النجاشي ولم يرجع عند الكشّي ، و قال العلامة أنا أعتمد على روايته (عن الحسن بن الجهم عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام) قال : يعني الحسن بن الجهم (ذكر عنده أصحابنا و ذكر العقل)«ذكر» في الموضعين على البناء للمفعول و أصحابنا والعقل في موقع الفاعل يعني ذكر عند أبي الحسن الرّضا عليه السلام أصحابنا الإماميّة و أحوالهم و ذكر عنده العقل و تفاوت مراتبه (قال : فقال : لايعبؤ بأهل الدين بمن لاعقل له) بدل لقوله بأهل الدّين و في بعض النسخ «ممّن لاعقل له» ولايعبؤ على البناء للمفعول والظرف قائم مقام الفاعل والعبء بفتح العين و سكون الباء المبالاة يقال :ماعبأت بفلان عبأ أي ما باليت به ، والمراد بالعقل العقل بالفعل والعقل المستفاد أو ملكة الانتقال إلى العلوم والادراكات الحقّة أو نفس تلك العلوم و سميّت تلك العلوم بالعقل لأنّ العقل مأخوذ من عقال دابّة والعلوم تمنع صاحبها من الهلاك كالعقال للدّابة يعني لايبالي بأهل الدّين بحسب الظاهر ممّن لا عقل له ، ولايلتفت إليه، ولايعد شريفاً مكرماً ، ولايثاب ثواباً جزيلاً ، ولايعطى أجراً جميلاً ، و إنّما قلنا بحسب الظاهر لأنّ أهل الدّين بحسب الحقيقة من كان له مناط التمييز بين الحقّ والباطل و استضاء ذهنه بأنوار المعارف الالهيّة و استنار قلبه بشموس الحقايق الرّبانيّة فصار بحيث لايحجبه ظلمة الهيئآت البدنيّة والمعارضات الوهميّة و الخياليّة عن ملاحظة أسرار عالم الغيب و أنوار عالم الشهادة ، و أمّا الّذي ليس له تلك الفضايل و إن كان من أهل الدّين فهو مستغرق بعد في بحر الرّذايل يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض أعنى موج الشهوات الدّاعية إلى الصفات البهيميّة وموج الغفلات الدّاعية إلى الصفات السبعية كالغضب والعداوة

والحقد والحسد والمباهات والمفاخرة و أمثالها و سحاب العقائد الفاسدة الّتي صارت حجاباً لنور البصاير عن إدراك نور الحقّ و من كانت هذه صفاته كثرت على جوارحه و قلبه زلاّته فلااعتناء بعقائده و عاداته ولا مبالاة في أعماله من صومه و صلاته و سائر عباداته.

(قلت جعلت فداك إنّ ممّن يصف هذا الأمر) أي أمر الإمامة و يقول بها و ينسب نفسه إليها و في قوله « يصف » دون أن يقول يتّصف إيماء إلى أنّ ذلك بمجرّد القول الخالي عن العقد اليقيني والإذعان القلبي الحاصل بالبرهان القطعي (قوماً لابأس بهم عندنا) معاشر الإماميّة في أفعالهم و أعمالهم الظاهرة الموافقة لمذهبنا و ليست لهم تلك العقول الّتي هي مشكوة الهداية في ظلمات الطبايع البشريّة و مصباح الدّراية في شبهات الأوهام الطبيعية (فقال ليس هؤلاء ممّن خاطب الله تبارك و تعالى) بالارتفاع إلى المعارج العليّة(١) والاهتداء إلى المعارف الرّبوبيّة والقيام بالسياسة المدنيّة والرّياسة العقليّة والشرعيّة وإنّماهم جماعة يجري عليهم أحكام صاحب السياسة و مالك زمام الرّياسة بأنحاء التعذيب وأنواع التأديب ليتمّ صلاحهم و صلاح بني نوعهم و يحصل لهم بذلك حيوة الدّنيا ونجاة ـ

---

(١) والعجب ان البلهاء من المتدينين يعدون طريقتهم و مذهبهم أسلم وآمن من طريقة العقلاء يقولون ان الفكر مثار الشبهة والعقول ليست مما يعتمد عليها و من اتكل على عقله ضل الطريق و يحملون قولهم عليهم السلام «ان دين الله لايصاب بالعقول» على هذا وهو غير معناه والمعلوم أن في كل زمان حتي في عصر الائمة عليهم السلام كان جماعة من هؤلاء و نحن نقول فائدة العقل أن يميز بين الدليل الصحيح و الفاسد و الحديث الصحيح والسقيم بالقرائن و يعرف المعنى المراد من الكتاب الكريم و غير المراد منه كيدالله و وجه الله وآيات الجبر والتفويض و ما يجب أن يختاره عند تزاحم الامارات و تعارض الادلة كالتقية فى مورد وجوبها عن مورد حرمتها و غير ذلك مما لايحصى، و«أكثر أهل الجنة البلهاء» مثال لذلك فيحمله الجاهل على فضل الجهل و يحمله العاقل على معناه المراد أعني فاقد النكراء والشيطنة . (ش)

الآخرة و بما ذكرنا لا يرد أن قول السائل «لا بأس بهم عندنا» دلّ على أنّ لهم العقل الّذي هو مناط التكليف والخطاب بالأحكام و قوله صلى الله عليه وآله «ليس هؤلاء ممن خاطب الله» دلّ على أن ليس لهم هذا العقل فبين السؤال والجواب منافاة في الجملة و وجه عدم الورود أنّ للعقل مراتب متفاوتة و أدنى مراتبه و ما هو مناط التكليف بظواهر الأعمال والأفعال الشرعيّة الّتي يحصل به صلاح الخلق في الدّنيا و نجاتهم في الآخرة . و أعلاها ما هو مناط الفوز بأعلى المقامات الممكنة للقوّة البشريّة والمتّصف به هو خاصّ الخاصّ والمتوسّطات متوسّطات ، والثابت لهم هو أدنى المراتب ، والمنفي عنهم ماسواها و يرشد إليه أيضاً قول السائل : «و ليست لهم تلك العقول» فإنّ «تلك» للاشارة إلى البعيد و فيها دلالة على أنّ العقل المسلوب عنهم هو الواقع في الدّرجات العالية، والغرض من هذا السؤال هو استعلام حالهم أيعبؤبهم أم لا فأشار صلى الله عليه وآله بقوله «ليس هؤلاء ممّن خاطب الله» إلى أنّه لا يعبؤ بهم إلاّ أنّه أقام السبب موقع المسبب (إنّ الله خلق العقل) و هو نور محض وضوء صرف ماشابه أرجاس الأوهام و أخباث الظلام ، و هذا تعليل للسابق و بيان له و لذا ترك العاطف (فقال له أقبل فأقبل ، و قال له : أدبر فأدبر ، فقال و عزّتي ما خلقت شيئاً أحسن منك ، أو أحبّ إليّ منك) الترديد من الرّاوي لعدم ضبط اللّفظ المسموع بخصوصه (بك آخذ) أي بسببك اُعاقب بالبعد عن مقام القرب والاحسان و بالحبس في سجون الطبايع والنسيان ، و هذه المرتبة سمّاها مرتبة المسخ بعض أهل العرفان ، أو بسببك أقبل الأعمال الموجبة للقرب (و بك أعطي) أجراً جميلاً و ثواباً جزيلاً و مقاماً محموداً فيه أنواع من الافضال والاكرام و أنحاء من الاحسان والانعام ، و لدينا مزيد، و في حذف مفعول الفعلين دلالة على التعميم ولا يبعد تنزيلهما منزلة اللازم و جعلهما كنايتين عنهما حال كونهما متعلّقين بمفعول معلوم بقرينة المقام وقد مرّ شرح هذا الكلام مستوفى (١) مراراً

(١) سبق مفادهذا الحديث مرتين و مضى شرحه مراراً وذكرنا شيئاً يتعلق باولية خلق العقل فى التعليقات والحاصل ان وجود جزئيات الاجسام يدل على وجود عالم*

و ملحضّ القول فيه أنّ الاخذ والاعطاء بسبب العقل فان زاد زادا وإن نقص نقصا حتّى يبلغ إلى عقول أقوام لايبالي بهم ولايشدّد عليهم وهم قريب المنزلة بالبهائم والله أعلم.

((الاصل))

٣٣- «عليّ بن محمّد ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أبيه ، عن بعض أصحابنا، «عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس بين الايمان والكفر إلاّ قلّة العقل قيل: وكيف «ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: إنّ العبد يرفع رغبته إلى مخلوق فلو أخلص نيّته «لله لأتاه الذي يريد في أسرع من ذلك» .

((الشرح))

(عليّ بن محمّد عن أحمد بن محمّد بن خالد عن أبيه عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس بين الايمان والكفر) لعلّ المراد بالايمان هنا الايمان الكامل (١) وهو الّذي يوجب القرب التامّ إليه سبحانه و جلب رحمته على وجه الكمال ، و بالكفر الكفر المحض وهو الّذي يوجب غاية البعد عنه تعالى وسلب استحقاق رحمته بالكليّة

---

*جسماني اصله ومبدؤه المادة وتتشكل المادة تارة في صورة وتارة في صورة اخرى كذلك العقول الجزئية في افراد الانسان تدل على وجود عالم عقلي مجرد عن المادة وشأنه العلم والادراك ومبدؤه موجود مجرد و هو للعالم الروحاني بمنزلة المادة للعالم الجسماني وهو العقل الكلي الذي له اشراق على العقول الجزئية فالعقل مبدء مالايرى ، والمادة مبدء ما يرى والفرق بينهما أن ما يتولد من المادة أفضل و أكمل من نفس المادة و ما يتولد من العقل انقص منه والعقل الكلي المجرد اول ما خلق الله والعقول الجزئية اشراقات منه و بهذا الاعتبار هو مناط التكليف.(ش)

(١) انما احتاج الى هذا التأويل لانه لاواسطة بين الايمان والكفر عند المسلمين الا عند طائفة شاذة من المعتزلة قد انقرضت من ثبوت المنزلة بين المنزلتين. (ش)

(إلاّ قلّة العقل) يعني قليل العقل متوسّط بين المؤمن والكافر ليس مؤمناً حقيقياً كاملاً لما فيه من قصور العقل الموجب لبعده عنه تعالى في الجملة ولا كافراً حقيقياً محضاً لما فيه شيء من نور العقل الموجب لقربه تعالى في الجملة.

(قيل كيف ذاك) أي توسّط قلّة العقل بين الايمان والكفر (يا ابن رسول الله) لعلّ منشؤ السؤال استبعاد الواسطة نظراً إلى ظاهر قوله تعالى « هو الّذي خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن » و ذلك الاستبعاد مدفوع إذ لا نسلّم أن في الآية الكريمة دلالة على الحصر لجواز أن يكون ذكرا لواسطة مسكوتاً عنه ولو سلّم ، فلّعلّ المراد بالايمان والكفر في الآية أصلهما ولا واسطة بينهما لا كمالهما و ثبوت الواسطة بين كمالهما ظاهر (قال : إنّ العبد) أراد به العبد العارف بالله في الجملة بقرينة قولـه « فلو أخلص نيته لله » (يرفع رغبته) أي حاجته و مراده و ما يرغب فيه من اُمور الدّنيا (إلى مخلوق) لظنّه بقصور عقله أنّ المخلوق يرفع حاجته و يحصّل بغيته فيتذلّل له و يتخشّع (فلو أخلص نيّته لله) و رفع رغبته و حاجته بالقصد الخالص عن شوائب الأوهام إليه سبحانه (لأتاه الّذي يريد) أتاه من أتى يأتي بمعنى جاءه ، أو من آتى يؤتى بمعنى أعطاه و الموصول على الاول فاعله و على الثاني مفعوله (في أسرع من ذلك) أي من إتيانه عند ذلك المخلوق أو من وقت الرفع إلى المخلوق ، أو من الوقت الّذي يتوقّع حصول مطلوبه عند المخلوق و ذلك لشمول قدرته تعالى على جميع المقدورات وإحاطته بجميع الممكنات فيتحقّق ما أراد بمحض الارادة من غير حاجة إلى استعمال آلة وانتظار رويّة فهذا العبد ليس مؤمناً حقيقياً لقصور نيّته بالله تعالى ولا كافراً محضاً لعلمه بالصّانع فقد أفهم عليه السلام ثبوت الواسطة بمثال جزئي و أزال وهم السائل كما هو شأن المعلّم الشفيق، و ممّا يدلّ على ثبوت الواسطة ما روي عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال : «إنّ علياً باب من أبواب الهدى فمن دخل من باب عليّ كان مؤمناً و من خرج منه كان كافراً ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في طبقة الّذين فيهم المشيّة» (١) ويحتمل أن يكون معنى

(١) الكافي كتاب الايمان و الكفر باب الكفر تحت رقم ١٨.

الحديث أنّ السبب للخروج من الايمان الفطري إلى الكفر ليس إلاّ قلّة العقل و ما ذكرناه أوّلاً أوفق و أنسب .

((الاصل))

٣٤ـ « عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عبيدالله الدهقان ، عن »
« أحمدبن عمر الحلبيّ ، عن يحيى بن عمران ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان »
« أمير المؤمنين عليه السلام يقول : بالعقل استخرج غور الحكمة و بالحكمة استخرج »
« غور العقل، و بحسن السّياسة يكون الأدب الصالح قال : و كان يقول : التفكر »
« حياة قلب البصير ، كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور بحسن التخلّص و »
« قلّة التربّص »

((الشرح))

(عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عبيدالله الدّهقان، عن أحمدبن عمر الحلبيّ) ثقة (عن يحيى بن عمران) ثقة (عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : بالعقل استخرج غور الحكمة و بالحكمة استخرج غور العقل) غور كلّ شيء عمقه و بعده و غاية خفاه و هذا الكلام يمكن أن يكون إشارة إلى تفاوت مراتب العقل والعلم في باب معرفة الصانع و ازدياد كلّ واحد منها بسبب الآخر إذ للعقل في السير من العالم السفلي إلى العالم الّذي هو عالم القدس و عالم التوحيد منازل غير محصورة و له في كلّ منزل نور معين و كمال معلوم و بصيرة مخصوصة يستعدّ بها لقبول علم فوق مايكون له في هذا المنزل و استخراجه من القوّة إلى الفعل (١) فإذا استخرجه فقد انتقل من هذا المنزل

---

(١) في عبارة الشارح نكات يجب التنبيه عليها حتى ينظر اليها بعناية خاصة ولا يمر عليها مروراً: الاول سير العقل من العالم الادنى الى العالم الاعلى يسمى في اصطلاح العرفاء بالسلوك والسائر فيه السالك وقد يقال له السفر و ينقسم الى أربعة اسفار من☆

إلى منزل آخر فوقه، وهذا العلم يوجب زيادة نوره و كماله و بصيرته على ما كان له في هذا المنزل السابق فيستخرجه هذا العلم من النقص إلى الكمال و هكذا يتدرّجان في الكمال و يتبدّلان في السببيّة إلى ماشاء الله فقد تبيّن أنّ بكلّ واحد منهما يستخرج غور الآخر و نهاية كماله، ويمكن أن يكون إشارة إلى مراتب العقل والحكمة النظريّة فإنّ العقل الهيولاني يستخرج العلوم الأوليّة باستعمال الآلات أعني الحواسّ الظاهرة والباطنة و بهذه العلوم يستخرج العقل من الهيولانيّة إلى الملكة و هكذا إلى العقل بالفعل الّذي حصل له ملكة الاستحضار متى شاء من غير تجشّم كسب جديد بل إلى ما فوق ذلك ممّا تعلّق به المشيّة الإلهيّة، و بالجملة العقل بنور بصيرته يستخرج المعارف الالهيّة و الحكمة الربّانيّة وتلك الحكمة بعد حصولها توجب كمال العقل و زيادة بصيرته فكلّ منهما يوجب خروج الآخر من حدّ النقص إلى حدّ الكمال على وجه لايكون دوراً، و كما أنّ للعقل قوّة نظريّة بها يتأثّر من المبدء الأعلى و يستفيض منه العلوم (١) و كما لها باكتساب تلك العلوم وقد أشار إليها بعبارة و جيزة فكذلك

✿الخلق الى الحق و فى الحق بالحق و من الحق الى الخلق وفى الخلق كل ذلك بالحق و على ذلك بنى صدر المتألهين (قده) كتابه المعروف بالاسفار الاربعة. الثانية أن الترقى فى كمال العقل متوقف على الاستعداد كانتقال المادة من صورة الى صورة وفعلية السابقة معدة للاحقة. الثالثة ان الحكمة هى معرفة الله و ما يتعلق بتلك المعرفة وهى تحصل للعقل بالسير و المجاهدة كما قال «و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سلبنا» فبتعلم الحكمة يترقى العقل و بترقى العقل يتعلم حكمة جديدة لم يكن مستعدة لها اولا، أو يقال المراد الحكمة العملية اى اطاعة الله فى كل ما خلق الانسان لاجله و ليس المراد بالحكمة النظرية او العملية تقليد جماعة معينة من الحكماء بل متابعة العقل و الدليل، وقد ألف الانصارى الهروى كتاباً ممتعاً فى منازل السائرين. (ش)

(١) هذا مذهب الحكماء فى كيفية افادة المقدمات للنتائج و مذهب الاشاعرة فى مطلق الاسباب ان عادة الله جرت بخلق المسبب عند وجود السبب و قالت المعتزلة بالتوليد من غير تأثير لله -تعالى الله عن ذلك- و مذهب الحكماء فى هذه الاسباب انها معدات يستعد به العقل والهيولى للافاضة من المبدء الاعلى. (ش)

له قوّة عملية بها يؤثر فيما تحته و كمالها باكتساب الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة وقد أشار إليها بقوله (و بحسن السياسة) في البدن والمنزل و المدينة (يكون الادب الصالح) أي العمل المندرج تحت القواعد النبويّة و الخلق الموافق للقوانين الشرعيّة و ذلك لأنّ العقل سلطان في عالم الكون فيجب عليه أنّ ينظر أوّلا في أحوال البدن و مشاغل قواه و حواسه و جوارحه بالأمر والنهي و تهذيب الظاهر باستعمال الشرايع النبويّة والنواميس الالهيّة (١) وتهذيب الباطن عن الشواغل الدنيّة والملكات الرديّة وتحليها بالملكات والأخلاق المرضيّة وإلى هذه المرتبة أشار جلّ شأنه بقوله « يا أيّها المدّثر قم فأنذر و ربّك فكبّر و ثيابك فطهّر والرّجز فاهجر » فإنّه تعالى أمر رسوله ﷺ بهذه الخصال المرضيّة والاجتناب عن الرّجز الشامل لجميع الملكات الرديّة و أن ينظر ثانياً في أحوال جماعة معه في النسب والمنزل من الخدم والحشم و يأمرهم بمثل ذلك و بمافيه صلاحهم في الدّارين من التآلف و التوافق و التعاون إلى غير ذلك ممّا يوجب تكميل نظامهم ، و إلى هذه المرتبة أشار جلّ و عزّ بقوله : « و أنذر عشيرتك الأقربين » و إليها و إلى الأولى أيضاً بقوله « قوا أنفسكم و أهليكم ناراً و قودها الناس و الحجارة » و أن ينظر ثالثاً إلى أحوال جماعة متشاركة في المدينة و مندرجة في سلك رعيّته و يأمرهم بمثل ما مرّ ، و إلى هذه المرتبة أشار عزّ سلطانه بقوله : «وما أرسلناك إلّا كافّة للناس بشيراً و نذيراً » فإذا فعل ذلك وحملهم على تلك الأعمال و الأخلاق بأسواط حسن السياسة والتدبير حصل لهم الآداب الصالحة و صاروا حزب الله سائرين إلى الله ، ناظرين إلى جماله و كماله؛ نازلين في منازل عزّه و جلاله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون (و كان يقول التفكّر حيوة

(١) يعني ان الشريعة الالهية النازلة بالوحي على الانبياء عليهم السلام مطابق لما ذكره الحكماء في تقسيم الحكمة العملية الى ما يتعلق بالانسان وحده بينه و بين ربه، و ما يتعلق بتدبير المنزل، و ما يتعلق بسياسة المدن. (ش)

قلب البصير) لما أشار عليه السلام إلى أنّ أثر العقل هو الوصول إلى غور الحكمة و البلوغ إلى نهاية كمالها ، و أنّ أثر الحكمة هو الوصول إلى غور العقل والبلوغ إلى غايته، وأنّ أثر حسن السياسة هوالتخلّق بالآداب الصالحة والتحلّي بالأخلاق الفاضلة ، من البيّن أنّ الغرض الأصلي من هذه الآثار هو الوصول إلى قرب الحقّ والنزول في ساحة عزّه و هناك اتّحدت الغايتان و تقاربت المسافتان أشار هنا إلى أنّ مبدأ تلك الآثار و منشأ هذه الأطوار هو تفكّر قلب البصير، الفهم الذكيّ، والتفكّر هوحركة الذّهن في مقدّمات المطلوب و الانتقال عنها إليه و القلب في عرف العارفين هي النفس الإنسانية. و استعار الحيوة للتفكّر إيضاحاً للمقصود و تنزيلا للمعقول بمنزلة المحسوس و تنبيهاعلى أنّ الحيوان كمايتحرّك بحيوة الأبدان في عالم المحسوسات إلى تحصيل مقاصده كذلك القلب بالتفكّر يتحرّك في عالم المعقولات والمصنوعات لينتقل منها إلى عالم النظريات و عالم التوحيد ليحصل له المطالب النظريّة و معرفة الصانع و صفاته و أحوال المبدء و المعاد أو على أنّ وجود الحيوان و بقاءه و كماله كما يكون بحيوة الأبدان كذلك وجود القلب و بقاؤه و كماله في الدّارين و سعادته في النشأتين يكون بالتفكّر و إنّما أضاف القلب إلى البصير ولم يقل حيوة القلب لأنّ حيوة القلب حقيقة عند العامّة بحيوة الجسد المعروفة وقد يراد بها معنى آخر مجازيّ و هو حيوته بالعلم و الحكمة سواء كانت مع حيوة الجسد أو لا فيكون ذكر البصير كالقرينة المعيّنة لارادته بتلك الحيوة معناها المجازي و دلالة نسبتها إلى التفكّر على ذلك لا ينافيه، ويحتمل أن يراد بالبصير البصير بذلك التفكّر أو البصير بنور العلم أو الفهم الذّكي وفيه على الأخيرين تنبيه على أنّ التفكّر مع وجود شيء من العلم أو مع وجود الفهم والذّكاء هو النافع في الوصول إلى غاية الحكمة و نهايتها و تحصيل المطالب العالية والمقصود أنّ التفكّر نور إلهيّ و روح ربّاني لقلب البصير الفهم الذكيّ به يصير قلبه حيّاً عالماً عارفاً يلبس رداء الحيوة و يستيقظ من نوم النسيان و سهو الغفلات و يتخلّص من سكرة الموت بأسقام الجهالات و يهتدي إلى وجوه المصالح

الدّنيويّة والأُخرويّة وما يليق به من الكمالات العقليّة والنقليّة والمطالب العالية و ينظر بعين اليقين إلى منزل التوحيد والمعارف الالهيّة و ينتقل إليها من المبادي الموصلة إليها فيسافر في ظلام بيداء الطبيعة البشرية إليها سريعاً و يمشي في ليالي إيفاء العلايق البدنيّة إليها حثيثاً و نور التفكّر بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله يستضيء به حوله مع حزم واحتياط و حسن تخلّص و نجاة من الوقوع في الباطل في مواضع يستزلّ فيها قدم الأفكار و يتوهّم وجود قطّاع الطريق من الأشرار (كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور) يعني أنّ الّذي قلبه حيّ بنور التفكّر والعلم يمشي في المطالب الّتي هي صراط الحقّ و منازل العرفان في ضباب الطبيعة و ظلمات الأبدان كما يمشي الإنسان في ظلمات اللّيالي بنور المشاعل وضوء المصابيح و هذه استعارة على وجه التمثيل لتوضيح المقصود بتنزيل المعقول منزلة المحسوس و متضمّن لتشبيه الحركات الفكريّة في مبادي المطلوب عند الجهل به بمشي الماشي في الظلمات بالنور (بحسن التخلّص) الظرف إمّا متعلّق بيمشي أو بالتفكّر أو بكليهما أو حال عن الماشي أو عن المتفكّر أو عنهما ، أي حال كون ذلك الماشي أو المتفكّر متلبّساً بحسن التخلّص و النجاة من مواضع الخوف و موارد الباطل باستعمال التدبيرات اللائقة والآراء الصحيحة الرايقة و يحتمل أن يكون الظرف صفة لمفعول مطلق محذوف أي مشياً أو تفكّراً مقروناً بحسن التخلّص.

(و قلّة التربّص) يعني قلّة التوقّف في الانتقال من المقدّمات إلى المطالب كما هو شأن الذكي الفهم و في سبيل المجاز في حال الجواز لأنّ التوقّف والاستبطاء في وسط الصراط مع توهّم الخوف بهجوم الأوباش واللّئام و زوال النور بصرصر الرّياح و استيلاء الظلام بعيد عن الحزم و الاحتياط نعم ما قيل : « من سلك سبيل الاحتياط فليس بناكب عن الصراط » هذا حال من تفكّر، وأمّا من لم يتفكّر في دقايق المصنوعات وعجايب المخلوقات ولم ينتقل منها إلى مقام التوحيد و صفات الصانع و كماله و كذا لم يتفكّر في مبادي المطالب العالية والمقاصد النظرية

ولم يتحرّك إليها فهو مثل الحشرات لايرى أنّ له وراء بدنه كمالاً آخر فكان أعظم محبوبانه بقاء جسده بهذه الحيوة الزايلة ، و أهمّ مهروبانه هو نقصانها و موتها فهو حيٌّ ظاهراً و ميّت باطناً و ماش في ظلمات شديدة بعضها فوق بعض ، حايراً بايراً تائهاً و هكذا حاله إلى أن يموت فإذا مات وقع في ظلمة دائمة و حسرة ثابتة وحشة باقية أبداً .

(هذا آخر كتاب العقل (١) والحمدلله وحده و صلّى الله على محمّد وآله و سلّم)

اللّهمّ اجعلنا من الّذين تاهت أرواحهم في مطالعة الملك و الملكوت . و كشفت لهم بنور العقل و الفهم حجب العظمة و الجبروت ، و خاضوا بغوص التفكّر في بحر اليقين ، وتنزهوا بعلوّ الهمّة في زهر رياض المتّقين برحمتك ياأرحم الراحمين .

---

(١) انظر - وفقك الله لمرضاته - الى كثرة الاحاديث الواردة من طرقنا في العقل ومدحه مع تأييده بالقرآن الكريم ثم انظر الى كتب محدثى اهل السنة والجماعة و نقدتهم فقد عدوا من الموضوعات جميع الاحاديث في العقل قال المقدسى في كتاب الموضوعات «ومنها أحاديث العقل كلها كذب» وأقول : العقل يدل على عدم جواز متابعة الفاضل للمفضول والعالم للجاهل و لعلهم لذلك أنكروا صحة أحاديث العقل، و قلنا فى غير هذا المقام ان رواية خلق العقل و أنه قال له: أقبل فاقبل الى آخره ، رواه ابونعيم والطبرانى فى المعجم الكبير و عبدالله بن الامام أحمد بن حنبل فى كتاب الزهد. (ش)